



علم اللسان العربي

د. عبد المجيد مجاهد

الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات

علم

اللسان العربي

عبد المجيد مجاهد

2010

• اسم الكتـــاب :	علم اللسان العربي
• تأليـــــــف :	د.عبد المجيد مجاهد
• الناشـــــــر:	الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات 408ص؛ 17×24سم
• رقـــم الإيـداع :	2009/5415
• تدمـــــــك:	978 977 477 015 9 1- اللغة العربية. أ- العنوان

• العنـــــوان :	ص.ب: 203 مكتب بريد هليوبوليس – مصر الجديدة 11757 القاهرة – جمهورية مصر العربية
• البريد الإلكتروني :	u_ara@yahoo.com
• الموقع الإلكتروني :	www.uarab.net
• مــوبـــايـــل:	002 – 010 – 1763677 002 – 010 – 3401184

مقدمة المقرر

وصف المقرر:

عزيزي الدارس:

مرحباً بك الى مقرر (5445) علم اللسان العربي الذي يعد أحد المقررات التخصصية في برنامج التربية/تخصص اللغة العربية وآدابها في جامعة القدس المفتوحة.

وعلم اللسان العربي ينضم إلى بقية المقررات في تخصص اللغة العربية وآدابها، ليحدد الإطار العام لأنظمة العربية، وقضاياها في الماضي والحاضر، وخصائصها وعلاقتها بغيرها من اللغات، واتجاهات البحث فيها. ومن أجل أن نفي هذه المسائل حقها من البحث والدرس والتحليل فنصل إلى الغاية المرجوة.

الأهداف العامة للمقرر:

عزيزي الدارس، يتوقع منك بعد دراسة هذا المقرر، والإجابة عن أسئلة التقويم الذاتي والتدريبات والأنشطة الواردة فيه أن تصبح قادراً على أن .

(1) تحدد مفهوم علم اللسان عند العرب وفي الغرب.

(2) تبين جهود اللغويين العرب القدماء في علم اللسان.

(3) تحديد موقع العربية من أسرتها اللغوية وتمييز خصائصها.

(4) تحدد الصلة بين العربية ولهجاتها قديماً وحديثاً.

(5) تعي ثوابت اللغة ومتغيراتها في ضوء التطورّ اللغوي.

(6) تدرك طرائق نمو العربية كالاشتقاق والنحت والتعريب؛ وطرق العربية في التعريب لمواجهة مستجدات الحضارة، وكيفية تعدد المعاني فيها بالترادف والاشتراك والتضاد.

(7) تلم بالمناهج اللغوية وتطبيقها في دراسة العربية.

وعليك، عزيزي الدارس، لتتم الفائدة لك، في أثناء دراسة المقرّر، أن تبادر إلى حل أسئلة التقويم الذاتي، وأن تُقبل على استخدام المصادر والمراجع التي نحيلك إليها في القراءات المساعدة لكل وحدة، التي تعد وثيقة الصلة بمادة الوحدة ومضمونها، عدا ثَبَت المصادر والمراجع الواردة في نهاية الوحدة.

محتوى المقرر:

تم توزيع المقرر إلى ست وحدات، وفق الترتيب التالي:

الوحدة الأولى: مفهوم علم اللســان العربي: وتتناول هذه الوحدة مفهوم علم اللســان العام عنــد العرب قديماً، وعنــد غيرهم حديثاً، وأنظمة العربية التي جرى درســها عند العرب: صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة، مع بيان علاقة علم اللســان بالعلوم المساعدة.

الوحدة الثانية: أصالة جهود علماء العربية القدماء في علم اللســان: وتتناول دوافع البحث اللساني عندهم، ومناقشة دور السريان واليونان والهنود ومدى تأثيرهم في علم اللســان العربي، وأظهر الموضوعــات التي تناولتها كتب فقه اللغة مثل: نشأة اللغة، والإعراب.

الوحدة الثالثة: أصول العربية: وتتناول الأســر اللغوية وأسرة اللغات السامية، وخصائصها وخصائص العربية ونقوشها البائدة.

الوحدة الرابعة: العربية الفصحى واللهجات: وتتناول ما تتميز به اللغة ولهجاتها، ومصادر الاحتجاج اللغوي، والازدواجية.

الوحدة الخامسة: العربية والتطور اللغوي: ويتناول مظاهر التطور اللغوي في العربية في الصوت والدلالة، وطرق نموّها كالاشتقاق والنحت والتعريب، ومظاهر تعدّد المعنى فيها كالترادف والتضاد والاشتراك اللفظي.

الوحــدة السادســة: العربية والمناهج اللغويــة: ويتناول مناهج الدراســة اللغوية كالمنهج المعياري والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج الوصفي.

محتويات المقرر

الوحدة الأولى

مفهوم علم اللسان العربي

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيـزي الدارس، مرحباً بك إلى هذه الوحدة، وهــي الوحدة الأولى، من مقرر علم اللســان العربــي، وعنوان هــذه الوحدة هو مفهوم علم اللســان، الــذي أرجو أن يصبح المقصود به واضحاً بعد الفراغ من دراسة هذه الوحدة.

فإننا في هذه الوحدة، من أجل الوصول إلى مفهوم واضح للســان العربي، سنبين المفهوم العام لعلم اللســان عند العرب وغيرهم، ثم نصل هذا الحديث، بتعريفك بنظام اللغــة العربيــة، الذي يتألف من مســتويات عدة تكون ميداناً للدرس اللســاني للعربية، بعــد أن كانــت كذلك عند العرب، قديمــاً وهي المجالات الصوتيــة والصرفية والنحوية والدلالية.

ولا بــأس أن ننهــي حديثنا في هــذه الوحدة عن علاقة علم اللســان بعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك عزيزي الدارس، بعد فراغك من دراســة الوحدة، أن تصبح قادراً على أن:

1. تحدّد مفهوم علم اللسان عند العرب وغيرهم.
2. تصف النظام اللغوي للعربية.
3. تميـز كل نظام من الأنظمة الفرعية التــي يتألف منها النظام اللغوي العربي: كنظام الأصوات، والنظام الصرفي، والنظام النحوي، والنظام الدلالي والمعجمي.
4. تحــدد علاقة علم اللســان بالعلوم اللازمة المســاعدة كعلم الاجتمــاع، وعلم النفس، والأنثروبولوجيا.

3.1 أقسام الوحدة

تشتمل هذه الوحدة على الأقسام الثلاثة التالية:

القسم الأول: مفهوم علم اللسان، نلقي فيه الضوء أولاً على الاصطلاحات التي شاعت عند العرب قديماً وحديثاً؛ لما لها من دلالةٍ على شمولية البحث في خصائص اللغة العربية، ونبيّن ثانياً لِمَ وقع الاختيار على مصطلح علم اللسان دون غيره، وندخل بعد ذلك في تحديد مفهوم علم اللسان حديثاً، وبيان فروع هذا العلم، وهذا القسم يغطي الهدف الأول.

القســم الثاني: النظام اللغــوي للعربية، اللغة العربية نظــام كغيرها من اللغات، وله

عناصر أو مستويات، هي مجالات الدرس اللساني، وهي: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي، وهذا القسم يغطي الهدفين الثاني والثالث؛ لأن هذه المستويات هي مجالات الدرس اللساني للعربية عند العرب.

القسم الثالث: علاقة علم اللسان بالعلوم التالية: علم الاجتماع، علم النفس، علم الأنثروبولوجيا (علم الإناسة)، وهذا يغطي الهدف الرابع.



4.1 القراءات المساعدة

1- أنيس، ابراهيم، الأصوات اللغوية، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية،1975.

2- بشر، كمال: دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، مصر: دار المعارف 1969.

3- حجازي، محمود فهمي: أسس علم اللغة العربية، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.

4- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.

5- الراجحي، عبده: فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت: دار النهضة العربية، 1974م.

6-الراجحي. عبده، اللغة وعلوم المجتمع، الاسكندرية: 1977.

7- عبد الوارث، مبروك سعيد: في إصلاح النحو العربي، ط1، الكويت: دار القلم، 1985م - 1466هـ.

8- عمر، أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب، ط4، القاهرة: عالم الكتب 1402 هـ - 1982 م.

9- مطر، عبد العزيز: علم اللغة وفقه اللغة، قطر: دار قطري بن الفجاءة، 1405 هـ - 1986 م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

1- دراسة الوحدة والإجابة عن الأسئلة المطروحة في التقويم الذاتي والتدريبات.

2- الاطلاع على المراجع ذات العلاقة بالوحدة.

3- ومتابعة ما يكتبه المعاصرون حول مباحث الوحدة.

2. مفهوم علم اللسان العربي

قبـل الدخول في تحديد مفهوم علم اللســان في العصر الحديـث، أرى أن نقدم لذلك بإلقاء الضوء على الاصطلاحات التي شاعت في علوم اللغة العربية، ودلالتها في الدراسات اللســانية العربية واتجاهاتها منذ بدئها في القرن الأول الهجري إلى عصرنا الحاضر؛ من أجل الاســتفادة من المفاهيم اللســانية التي وصفها قدامى العرب، مع بيان سبب اختيارنا مصطلح علم اللسان دون غيره.

لو ألقينا نظرة إلى كتب الطبقات وكتب التراث التي تؤرخ للغة واللغويين ودراساتهم عند العرب لصادفَنا اصطلاحان هما: العربية، والنحو؛ ففي كتاب أخبار النحويين البصريين للسيرافي ت 368 هـ، نجد الأخبار التالية": أول من رسم النحو: أبو الأسود الدؤلي " [1] أول من وضع العربية أبو الأسود " [2] " فأما أبو عمرو بن العلاء فهو من الأعلام والرواية عنـه في القراءة والنحو واللغة كثيـرة " [3] " وذكر أبو زيد النحوي اللغوي[4] وكان أبرع أصحاب الخليل في النحو سـيبويه، وغلب على النضر بن شـميل اللغة [5] " وكان من أهل البصـرة جماعة انتهى إليهم علم اللغة، وكانوا نحويين منهم: الخليل بن أحمد، وأبو عبيده معمر بـن المثنى التيمي، والأصمعي، وأبو زيد الأنصاري وهؤلاء المشـاهير في اللغة.... ولهم كتب مصنَّفة " [6].

ونجـد الاصطلاحات نفسـها في أخبار مشـابهة في كتاب طبقـات آخر هو "طبقات النحويـن واللغويين" لأبي بكر الزبيدي (ت 379 هـ)، صاحب "الواضح في العربية " وهو كتاب نحو، ومنها "أبو الأسـود أول من أسـس العربية [7] "وأحمد بن يحيى ثعلب يقول " في سـنة تسع ومائتين طلبت اللغة والعربية [8] "وأبو موسى الحامض كان بارعاً فـي اللغة والنحو على مذهـب الكوفيين" [9] "أبو عمرو بن العـلاء كان أعلم باللغة، وعلم القـرآن والنحو في زمانـه"[10] "كان أبو الوليد عبد الله بن عبد الملك الفهري شـيخ أهل اللغة والعربية والنحو" [11].

---

(1) السيرافي : أخبار النحويين البصريين ، ص 33
(2) المرجع السابق : ص43
(3) السابق نفسه :ص46.
(4) نفسه : ص 64
(5) نفسه : ص 64
(6) نفسه : 67.
(7)ص: 21
(8) المرجع السابق :ص147
(9) السابق :ص152
(10) نفسه : ص 159
(11) نفسه : ص 229

إنّ مَن يتأمل الأخبار السابقة سيدرك أن النحو والعربية اصطلاحان مترادفان، وأنهما يدلان على مفهوم لساني واحد، يمكننا أن نستدل عليه من شواهد عدة نسوقها للقارئ لاستخلاص المفهوم المقصود: جاء في طبقات ابن سلام خبر ينقله الزبيدي بنصه في طبقاته وهو"وكان أول من أسس العربية وفتح أبوابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها: أبو الأسود

الدؤلي... حين اضطرب كلام العرب، فغَلَبَت السليقيَّة، ولم تكن نحوية، فكان سَراة الناس يلحنون، ووجوه الناس، فوضع باب الفاعل والمفعول به، والمضاف وحروف الرفع والنصب والجر والجزم " [(1)]" فذكْره مباحث نحوية صريحة بعد مصطلح "العربية" يدل على أنه مرادف لمصطلح "النحو" في مفهومه اللساني، وقول ابن فارس (ت 395 هـ) في الصاحبي يؤيد كذلك هذا الفهم المقصود من مصطلح العربية "وكذلك الحاجة إلى علم العربية، فإنّ الإعراب هو الفارق بين المعاني [(2)] وأما أبو البركات الأنباري (ت 577 هـ) فله كتاب "أسرار العربية"، و مباحثه نحوية، ووصف كتابه الإنصاف في "مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين"، ومسائله نحوية، بمعنى النحو العام أيضاً، بأنه: "أول كتاب صُنِّف في علم العربية على هذا الترتيب" [(3)]؛، مما لا يدع مجالاً للشك في ترادف المصطلحين.

ولا حاجة بنا إلى مزيد من النُقول لنستدل على أن المقصود من اصطلاحي "العربية والنحو" هو: علم الإعراب ومعرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة إفرادها، ومن جهة تركيبها.[(4)]وهذا هو مفهوم النحو عند النحاة المتقدمين، فإنهم يطلقون النحو على ما يشمل التصريف ويعرِّف: "بأنه علم يعرف به أحكام الكلم العربية إفراداً وتركيباً".[(5)]

وهذا هو المفهوم اللساني للنحو كما تمثله مباحث كتاب سيبويه، الذي انقسم بين أبواب تدور حول بناء الجملة وإعراب أواخر الكلم. وهذا القسم هو الغالب على الكتاب، وبين أبواب صرفية مثل باب ما بَنَت العرب من الأسماء والصفات والأفعال، وبين أبواب صوتية نحو: باب الإدغام وباب عدد حروف العربية ومخارجها، إضافة إلى أبواب أخرى في غير ما ذكرنا. ويبدو أن المفهوم اللساني الذي استقر للنحو منذ القرن الثاني الهجري

(1)ابن سلام ؛ طبقات فحول الشعراء :1/12، الزبيدي ، الطبقات : ص21.

(2) الصاحبي :ص 65 - 66 .

(3) الأنباري ، الإنصاف : المقدمة : ص5 ، وانظر كذلك : ابن النديم ، الفهرست : 1/39 .

(4) أبو جيان ، البحر المحيط : جـ/1 ص ص : 4، 6،9.

(5) الأستراباذي ، شرح شافيه ابن الحاجب : 1/6.

وما بعده هو دلالته على مباحث الإعراب وتركيب الجملة، واستقر مفهوم الصرف حول بناء الكلمة فأصبح قسيماً للنحو عند بعض النحاة وعلى رأسهم المازني في كتابه التصريف.، بدل أن كان قسماً منه عند المتقدمين.

تدريب (1)



" إن الإعراب هو الفارق بين المعاني " ما المقصود من ذلك ؟



أسئلة التقويم الذاتي (1)

العربية والنحو اصطلاحان مترادفان عند العرب فعلام يَدلان؟

ومن المصطلحات التي تداخلت كذلك اللغة وعلم اللغة وفقه اللغة، وترددت في تاريخ البحث اللساني عند العرب،

واشــتركت في دلالتها على نوع معين من البحث اللساني، بحيث يمكننا أن نعدها من المترادفات بما تدل عليه من مفاهيم.

وأمــا مصطلــح اللغة فقد جاء ذكره في الأخبار المنقولة آنفاً [1] حيث نقل في الأخبار إلى جانب النحو والعربية وقد بيَّنا مفهومهما المشترك، الذي يختلف بالتأكيد عن المفهوم اللســاني المقصــود من اصطلاح اللغــة؛ وهو اصطلاح لا يخلو من غمــوض لما يوحي به من عموم، ولتنوع اســتعماله وســياقاته، فقد يعني: كلام العرب، وما تنطق به من ألفاظ وتتفاهم به من عبارات وهذا هو المعنى العام للغة عند الأجناس البشرية كلها ومن ضمنهم العرب، وهو المفهوم التقليدي. وهناك مفهوم ثانٍ يمكننا أن نؤسســه على المعنى السابق وهو المفهوم الذي يتيح لنا أن نطلق مصطلح " لُغوي "، الذي يقابل مصطلح " نحوي " مثلاً، على من يقوم بجمع مفردات اللغة ورواية ما يحفظ كالأصمعي. وقد يصل به الأمر إلى تصنيف الرســائل اللغويــة والمعجمات من هذه المفردات كأبــي زيد الأنصاري وهذا مــا يمكــن أن نفهمه من قول عبد اللطيف البغدادي [2] " اعلم أن اللغوي شــأنه أن ينقل ما نطقــت به العرب ولا يتعداه، وأما النحوي فشــأنه أن يتصــرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليــه "وهــذا لا يتناقض و لايتنافى مع إطلاقنا، حديثاً، مصطلــح لغوي أيضاً على كل من قــام بالبحث والنظر فــي أي جانب من جوانب اللغة: الصوتيــة أو الصرفية أو النحوية أو

(1) ارجع إلى الصفحتين : 8،7.

(2) نقله السيوطي في المزهر :جـ 1/ 59.

الدلاليــة كالخليــل بن أحمد من علمائنــا القدامى. وأما المفهوم الثالــث لاصطلاح اللغة أن تكون بمعنى اللهجة في اصطلاحنا الحاضر، ففي الخصائص نجد هذا المدلول؛ فقد فتح ابــن جني باباً ســماه باب اختــلاف اللغات وكلها حجة وتحته يقــول "..... ألا ترى أن لغة التميميــن.... ولغة الحجازيين..." ثم "فالناطق علــى قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطئ" [1].

وما يهمنامن هذه المفاهيم هو المفهوم الثاني الذي قد يقترن به أو يسبقه كلمة علم، أي علــم اللغة، الذي جعل له أبو حيــان وجهين من ضمن الوجوه العلمية التي يُحتاج إليها في علم التفســير: الوجه الأول الذي ذكر فيه علم اللغة ومدلوله صراحة بقوله " ما يحتاج اليه علم التفسير النظر في تفسير كتاب الله تعالى يكون من وجوه الوجه الأول:علم اللغة اســماً وفعلاً وحرفا، الحروف لقلتها تكلم على معانيها النحاة،.... وأما الأســماء والأفعال فتؤخــذ من كتب اللغة، وأكثــر الموضوعات في علم اللغة: كتاب ابن ســيده... ومن الكتب المطوّلة فيه كتاب الأزهري، والمُحْكَم لابن سيده والصّحاح للجوهري وكتاب البارع لأبي علي القالي ومجمع البحرين للصاغاني وقد حفظت في صغري في علم اللغة كتاب الفصيح لأبــي العباس أحمد بــن يحيى المحتوي عليها" وذكر وجهاً آخر في الصفحة نفســها هو فــي الحقيقة راجع إلى علم اللغة فجــاء ضمناً ولم يأتِ صراحة في قوله " معرفة الإجمال والتبيين والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد ودلالة الأمر والنهي وما أشبه هذا [2].

وهكذا يتفق مصطلح علم اللغة مع اصطلاح اللغة على مفهوم العناية بمفردات اللغة وثروتها اللفظية وجمعها مع دلالاتها في مصنفات هي المعاجم التي ذكر أبو حيان بعضاً منهــا كالمحكــم والصحاح والبارع وفصيح ثعلب. وهذا ما نجد لــه تأييداً عند ابن خلدون حيث يســميه في مقدمته بالاســم نفســه ويبين موضوعه والســبب الداعي لإثارة مباحثه بقولــه "هذا العلم (يقصد علم اللغــة) هو بيان الموضوعات اللغوية... وذلك لمّــا اســتمر الفســاد بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تأدّى الفساد إلى موضوعات الألفاظ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه.... فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدويــن خشــية الدُروس[3]، وما ينشــأ عنه من الجهــل بالقرآن والحديث، فشــمّر كثير مــن أئمة اللســان لذلك وأَمْلَوا فيه الدواوين وكان ســابق الحلبة في ذلــك الخليل بن أحمد الفراهيدي ألف فيها كتاب العين [4] يتضح المفهوم المقصود من خلال ذكره أن كثيراً من كلام العرب قد اســتعمل في غير موضوعه أي في غير دلالته ومعناه، بدليل ذكره الحاجة

(1) ابن جني ،الخصائص : جـ 2 / 11 ، 12

(2) أبو حيان ، البحر المحيط : 1 / ص 6 .

(3) بمعنى الاندثار والضياع .

(4) ابن خلدون المقدّمة :1059.

إلى حفظ هذه الموضوعات اللغوية في معجم كالعين، وغني عن البيان أن أول ما تحفظه المعاجم هو معاني المفردات وشروحها.

والشق الثاني من مفهوم علم اللغة الذي يتيحه لنا ما نقلناه عن أبي حيان آنفاً هو ما يصيب ألفاظ اللغة من تنوع دلالي كالتخصيص والتعميم والإطلاق والتقييد، وهو مفهوم لساني يعتبر حلقة من حلقات مباحث اللغة . وقد ربطه ابن خلدون بعلم اللغة. وهذا المفهوم هو الذي يمكننا أن نطلق عليه اصطلاح فقه اللغة، وهو الاصطلاح الثالث الذي يلتقي بقدر مشترك مع اصطلاحي اللغة وعلم اللغة باهتمامه بالمفردات ودلالاتها وهو ما تجلى بوضوح في كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي (ت 429 هـ) الذي وضع الألفاظ العربية في مجموعات دلالية جعلت منه معجماً لألفاظ الموضوعات أو المعاني. وهذا أمر لاحظه ابن خلدون فربطه ببصيرة نافذة بعلم اللغة الذي وصفه بأنه بيان للموضوعات اللغوية، أو موضوعات الألفاظ أو معانيها، وهي ما تكفّلت بحفظه المعاجم. ومن تمام الحفظ للمعاني الموضوعة، التنبيه على ما يصيبها من تخصيص أو تقييد، أو إطلاق وتعميم عند استعمالها مما يحتاج إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ، حسب تعبيرات ابن خلدون. وتأمل ما سيتبع واربطه بكلامه المستشهد به آنفاً، فستجد أن ما نستدل به لاحقاً مرتبط به وهو " ثم لمّا كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل، في الأمور الخاصة، ألفاظاً أخرى خاصة بها، فرّق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال، واحتاج إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ، كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب، ومن الإنسان بالأزهر، ومن الغنم بالأملح حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلها لحناً وخروجاً على لسان العرب، واختص بالتأليف في هذا المنحنى الثعالبي وأفرده في كتاب له سماه "فقه اللغة" وهو من آكد ما يأخذ به اللغوي نفسه أن يحرف استعمال العرب عن مواضعه، فليس معرفة الوضع الأول بكاف في التركيب حتى يشهد له استعمال العرب [1].

لقد سبق ابنُ فارس (ت 395 هـ) الثعالبيَّ إلى استعمال اصطلاح فقه اللغة حين سمى كتابه "الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها"، والكتاب دراسة عامة في مباحث كثيرة وليس له موضوع معين إلاّ ما يمكننا أن نستشفه من قوله في المقدمة" إن لعلم العرب أصلاً وفرعاً، أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا: رجل، وفرس، وطويل، وقصير، وهذا هو الذي يُبدأ به عند التعلم[2].

---

(1) المصدر السابق.

(2) الصاحبي: ص33

المفهـوم الـذي يمكن أن نخرج به من كلامه المتقدم أنه يقصـد اللغة بمعناها العام؛ حيـث ينبغي على متعلم لغة ما أن يبـدأ بمفرداتها ودلالتها، وضرب أمثلة لهذه المفردات كالرجـل والفرس من الأسـماء، وطويـل وقصير (من الصفات). وهـذا المفهوم يمكن أن يلتقي مع اصطلاح اللغة بشيء من التلطف الخالي من التعسف في الاستنتاج مما سيظهر لك لاحقاً.

ثـم يكمل ابـن فارس العبارة التي بدأهـا بقوله: "وأما الأصـل فالقول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها، ثم على رسوم العرب في مخاطبتها، وما لها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً"[1] ولعلي لا أتجاوز الحقيقة إذا قلت: إن من مقاصده معرفة الألفاظ وما يتعاورها من تنوع دلالي حقيقي أو مجازي وغيرهما، وهو المستفاد من قوله رسوم العرب وافتنانها في مخاطبتهم، وهو تعميم أعقبه تفصيل دال على تنويع، يمكن أن ندرجه في الشق الثاني من مفهوم علم اللغة وهو ما يصيب ألفاظ اللغة من تخصيص أو تعميم.

وأما قول ابن فارس "والناس في ذلك رجلان: رجل شُغل بالفرع وآخر جمع الأمرين معاً، وهذه هي الرتبة العليا، لأن بها يعلم خطاب القرآن والسـنة، وعليها يُعوَّل أهل النظر والفتيا" ففيه تصنيف لمن يشتغل بالبحث في ألفاظ اللغة، وهما بناءً على ما تقدم صنفان: يجمعهما في رأينا، اصطلاح علم اللغة الذي بيَّنا شقيه آنفاً[2] عند استدلالنا بما نقلناه عن ابن خلدون، وأول الصنفين وهو ما أطلق عليه الاشـتغال بالفرع (حفظ المفردات بما تدل عليه) والآخر: الاشتغال بالأصل مع الفرع وهي التي وصفها بالافتنان في الخطاب تحقيقاً ومجازاً وهذه هي الرتبة العليا في البحث والنظر.

وقـد جمع كتـاب ابن فارس بين دفتيه موضوعات شـتى ومختلطـة ومنه ما يمكننا أن نلحقه بما سـماه فرعاً مثل باب مراتب الكلام في وضوحه[3]، وفي الباب نفسـه تفريع لإشـكال الكلام؛ أي المشكل بسـبب الاشـتراك مثلاً مما يمكن أن نلحقه بما سماه الأصل. وكذلـك يلحق بالأصل معاني ألفاظ العبارات وباب الخطاب المطلق والمقيد، وباب سـنن العـرب في حقائق الـكلام والمجاز وباب أجناس الـكلام في الاتفاق والافتـراق... وباب العموم والخصوص[4]. وهناك أبواب كثيرة لا تندرج هنا أو هناك.

---

(1) السابق نفسه.

(2) أحدهما: الانشـغال بمفردات اللغة وحفظ معانيها، والآخر: البحث فيما يصيب هذه الألفاظ من تباين أو ترادف أو تخصيص أو اشتراك.

(3) الصاحبي : (ص ص73-75).

(4) المرجع السابق: (ص ص 198-214).

بناء على ما تقدم، نستطيع أن نتبين أن المفهوم المقصود من اصطلاحات اللغة، علم اللغــة، فقه اللغــة هو: أنها علم المفردات ودلالاتها وتصنيفهــا في معاجم ومتابعة تطور دلالاتها لمعرفة اشــتراكها وترادفها وتعميمها، وهو ما توصل إليه الأســتاذ الدكتور كمال بشــر بقوله عن الاصطلاحات العربية المستعملة قديماً وهي: اللغة ومتن اللغة وعلم اللغة وفقــه اللغة "وكلها تعالج الألفاظ في بحثها اللغوي على أســاس الثروة اللفظية بوصفها مفــردات ذات دلالات جزئيــة، لا بوصفهــا صيغاً صرفية أو وحــدات ذات دلالة نحوية في التركيب ودراسة المفردات في معجمات"[1].

وبقيت هذه الاصطلاحات، وتداولها المؤلفون في عصرنا وجعلوها عناوين لمؤلفاتهم، فــي خلط اصطلاحي واضح، ويظهر في الأربعينيات من هــذا القرن كتابان للدكتور علي عبـد الواحد وافي أحدهما بعنوان علم اللغة "لدراســة النواميس العامة التي تســير عليها اللغات الإنســانية في نشــأتها وانتقالها... وتكوّن مجموعتها وفصائلها وصراعها بعضها مــع بعض وتطورها مــن مختلف الوجــوه[2] "والآخر بعنوان " فقه اللغــة" ويدرس فيه "فصيلة خاصة من فصائل اللغات الإنســانية وهي فصيلة اللغات السامية مفصلين بعض التفصيــل في لغة منهــا، وهي اللغة العربية ومجملين القول فيمــا عداها، فمؤلفنا هذا في منزلة الجزء الثاني من كتابنا من علم اللغة "غير أننا آثرنا أن نطلق عليه اسماً خاصاً شاع استعماله في الموضوعات التي يعرض لها وخاصة ما يتعلق منها باللغة العربية "[3].

ويصبــح هذا التوجه العام لــدى المصنفين في اللغة حديثــاً خاصة في مصر، حيث تُعَنْــوَن الكتــب التي يكون مجال البحث فيها الدراســات اللســانية العامــة وفق مناهجها الجديــدة بـــ "علم اللغة" وهــو الاصطلاح العربي الذي يرتضيه مجمــع اللغة العربية في القاهرة نحو "علم اللغة للدكتور محمود الســعران، وعلم اللغة العام للدكتور كمال بشــر، وعلــم اللغة بين التراث والمناهج الحديثة للدكتــور محمود حجازي، وكذلك له مدخل إلى علم اللغة"، وعلم اللغة العام للدكتور توفيق محمد شــاهين، وفي علم اللغة العام للدكتور عبد الصبور شاهين، ودراسات في علم اللغة للدكتوره فاطمة محجوب،حتى كتاب سوسير ترجم عنوانه: فصول في علم اللغة العام (طبع في مصر) ترجمة الدكتور أحمد الكراعين، وكذلك أعطاه العنوان نَفسه تقريباً، الدكتور يوئيل يوسف عزيز (في العراق).

---

(1) كمــال بشــر، علــم اللغــة: ص43، ص46، وانظر كذلــك عبده الراجحــي؛ فقــه اللغــــة في الكتب العربيــة: ص37، ص41.

(2) وافي، فقه اللغة، مقدمة الطبعة الأولى: ص5.

(3) السابق نفسه.

وضمن التوجه نفسه يطلق اصطلاح فقه اللغة على الدراسات اللغوية العربية وظهرت عدة كتب بهذا العنوان للدكتور صبحي الصالح ومحمد المبارك ومحمد الأنطاكي وإبراهيم السامرائي والسيد يعقوب بكر وإبراهيم نجا ورمضان عبد التواب وإميل يعقوب ومحمد خضر، وعبده الراجحي[1].



أسئلة التقويم الذاتي (2)

اللغة وعلم اللغة وفقه اللغة من الاصطلاحات العربية ذات الدلالة المشتركة فما هي؟ وبماذا خُصِّص مصطلحا علم اللغة وفقه اللغة عند المصنفين المعاصرين ؟ وهل يصلح مثل هذا الأمر في رأيك ؟



تدريب (2)

1- اللغة ومتن اللغة وفقه اللغة، كلها تعالج الألفاظ في بحثها اللغوي على أساس الثروة اللفظية بوصفها مفردات ذات دلالات جزئية، لا بوصفها صيغاً صرفية أو حدث ذات دلالة نحوية في التركيب "، ما المقصود بقوله: " مفردات ذات دلالات جزئية، لا بوصفها صيغاً صرفية، ولا وحدات ذات دلالة نحوية في التركيب "؟ 2 -كيف تفَّرق بين علم اللغة وفقه اللغة من خلال مضمون كتابي د.علي عبد الواحد وافي علم اللغة وفقه اللغة ؟.

(1) ذكرت الكتب دون الترتيب التاريخي لتأليفها.

ومع ذلك آثرنا أن نختار اصطلاح علم اللسان العربي عنواناً لمباحث كتابنا هذا الذي بين أيديكم للأسباب التالية:

1-لأن الاصطلاحات التي سُمِعت عند القدماء واستعملت عند المحدثين لم يتفق على مفاهيمها ومدلولالتها قديماً وحديثاً، ولم يتفق الدارسون العرب حديثاً على واحد منها فمنهم من استعمل، علم اللغة، وبعضهم اختار فقه اللغة وهو اختيار عاطفي أكثر منه اختياراً علمياً، والآخرون اختاروا الاصطلاح الأحدث وهو: الألسنية، أو اللسانيات، أو علم اللسان الحديث مقابل مصطلحLinguistics.

2-لا يمكننا أن نقع في تناقض مع أنفسنا؛ حيث استخلصنا فيما سبق من خلال استنطاق النصوص الواردة عن علمائنا العُدُول، أن لكل اصطلاح مفهومه الخاص الذي يبحث في جانب من جوانب اللغة فالنحو له مجاله وهو (الإعراب وبناء الجملة) والصرف ومجاله (بناء الكلمة)، وعلم اللغة وفقه اللغة عند القدماء يندرج تحتهما من الدرس اللساني العربي (مفردات اللغة ودلالالتها وتطورها وجمعها في معاجم)، وبهذا لا يصلح الاصطلاحان (علم اللغة وفقه اللغة) أن يطلقا على الدراسات اللسانية العامة أو الدراسة اللسانية التي تشمل جوانب اللغة بمناهجها الجديدة.

3-ثم إن اطلاق فقه اللغة على مجموعة من الدراسات اللسانية الخاصة بالعربية، مقابلاً لمصطلح Philology الأوروبي رغبة في الحداثة أو التحديث لا يتوافق مع مدلوله عند بعض الأوروبيين الذي يعني عندهم:[1]

أ- معرفة الأدب الجميل ودراسة نصوصه.

ب- دراسة لغة معينة بالتحليل النقدي لنصوصها.

جـ- الدراسة الشكلية للنصوص في المخطوطات المختلفة.

وقد ذكر الدكتور عبد العزيز مطر [2] بأنه أقرب إلى ما نسميه تحقيق النصوص.

4-إن اصطلاح علم اللسان قديم يتوافق مع الاصطلاح الحديث Linguistics ويحقق لنا، ولو نظرياً المحافظة على الأصالة والمعاصرة لما يلي:

---

(1) انظر :عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام : ص 6.

(2) علم اللغة وفقه اللغة، تحديد وتوضيح: ص18.

أ - فقد استعمل لفظ اللسان، باعتباره العنصر الأساسي في جهاز النطق البشري، بمعنى اللغة في القرآن الكريم في الآيات الكريمة التالية: (وهذا لسان عربي مبين)[1]، (لتكون مــن المنذرين، بلســان عربي مبين)[2]، (وهذا كتاب مصدق لســاناً عربيــاً لينذر الذين ظلموا)[3].

وإن لســان العــرب، بمعنــى لغة العــرب، عنوان لمعجم يعتبر مــن أضخم المعجمات العربية وأوسعها انتشاراً، وفيه عن ابن سيده، واللسان اللغة... وحكى أبو عمرو لكل قوم لســن، أي لغة يتكلمون بها، واللِّسْــن: الكلام، واللغة، وقد أتى بمعنى الكلام في قول الحطيئة:

ندمت على لسان فات مني فليت بأنه في جوف عَكمَ [4]

وابن سلاّم في طبقاته يقول: "العربية.... اللسان الذي نزل به القرآن[5] أي اللغة، أما ابن خلدون [6] فقد استخدم في مقدمته، مصطلح اللسان بمعنى اللغة لا يدانيه فيها مفكر عربي آخر، مقابل اســتعمال اصطلاح اللغة للدلالة على اللهجة وهو أمر شــائع عنــد علماء اللغة القدامى عند إشــارتهم إلى تنويع صوتــي أو دلالي مختلف أو خاص بقبيلة عربية.

ب- إن مصطلح علم اللسان قديم الاستعمال عند المفكرين العرب، فقد أطلقه الفارابي على كل العلوم اللغوية[7] وأما أبو حيان الذي أطلق مصطلح علم اللسان العربي على علوم اللغة فقال: لا يرتقي من علم التفسير ذروته...إلاّ من كان متبحراً في علم اللسان[8].

---

(1) النحل – 103

(2) الشعراء – 195

(3) الاحقاف – 12

(4) انظر، لسان العرب ، مادة لسن . والعكم : هو العِدْل الذي يوضع فيه المتاع كالخُــــرْج..

(5) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء : جــ1 / ص 9 .

(6) انظر: ابن خلدون، المقدمة : ص ص 786، 1059،1055،677،675، على سبيل المثال لا الحصر ثم 1071، 1073، 1080، 1112.

(7) إحصاء العلوم : ص 47، ص 50.

(8) البحر المحيط : جــ1/ص7.

وقد اســتخدمه ابن خلدون مع توســع في مفهومه حيث قال: "إن لعلوم اللســان العربي أركاناً أربعة هي اللغة والنحو والبيان والأدب [1] "، ويســتخدم ابن ســيده في المخصــص مصطلح علم اللســان ويحــدد مفهومه الأقرب إلى مفهومــه الحديث فهو يقوم علــى أمرين: أولهما الإحاطة بمفردات اللغة ومعرفة دلالالتها، وثانيهما: معرفة قواعــد اللغة التي تتعلق بالمفردات من قبيل اشــتقاقها وصيغة بنائها، وما يطرأ على بنيتهــا من تطورات صوتيــة، أو تغيرات تقتضيهــا قوانين اللغة المعينــة" [2] ويتيح لنــا هــذا البيان أن نضع في اعتبارنــا، حقيقة لا تخيُّلاً، أن هناك تصــوراً عربياً قديماً لعلم اللســان يتفــق باصطلاحه مع علم اللســان الحــديث، ويقترب منــه في مفهومه الذي يشــمل الجوانب الدلاليــة (مفردات اللغة ومعرفة دلالتها)، والصرفية (اشــتقاق المفردات وصيغة بنائها) والصوتية (ما يطرأ على المفردات والتراكيب من تطورات صوتية) ويمكننا أن نتصور كذلك الناحية النحوية من قوله (تغيرات تقتضيها قوانين اللغة المعيَّنة).

جـــ- إذا كان من مقاصدنــا التحديث وموافقة الاتجاهات المعاصرة في البحث اللســاني، وهــو أمــر لا خلاف عليه، فعلينــا أن نعمد إلى ما كان من الاصطلاحــات أكثر دقة في مفهومه وتحديداً في دلالته،فيكون شاملاً، إذا أطلقناه، المفاهيم أو الجوانب المقصودة منــه عالميــاً، وعليه فإن اصطلاح علم اللســان هو المقابل العربي المناســب والدقيق من حيث اشــتقاقه ودلالته ومفهومه للمصطلــح الأوروبي Linguistics الذي أصبح هو المصطلح السائد عالمياً منذ الســتينيات، باعتباره علماً للسان البشري وظواهره، وواضح أن جذره الأصلي لاتيني وهو Lingui أو Lingou أو Lingu وتعني اللسان، ممــا يــدل على التقائه مــع الاصطــلاح العربي في إطــلاق عضو النطق هــذا مجازياً علــى اللغة، ومن ثم نُســب اليه، بإضافــة مقطع (st) بقولهم فــي الغرب Linguist للدلالة على من يشــتغل بهذا العلم وتوالــت الزيادة على المصطلح المقصود في اللغة الإنجليزية وكثير من اللغات الأوروبية ليســتقر على Linguistics ليعني الدراســـة العلمية للغــة.[3]

---

(1) ابن خلدون، المقدمة : ص 1055

(2) ابن سيده، المخصص :1 /14/ ط بيروت، بتصرف

(3) A Dictionary of Linguistics : p.181 .

أضف إلى هذا أن دي سوسير أطلق مصطلح La Langue ويعني في العربية اللسان، علـى تلك الصورة من النشـاط اللغـوي ذات القواعـد والقوانيـن ". (1) وبعبارة أخرى أوضح هو "اللغة المعينة: أي العربية أو الإنجليزية، فهو يضم على وجه الخصوص نظام المفـردات، والنحو، في أي عصر من عصور تاريخ لغة معينة، واللغة المعينة هي مجموع العادات اللغوية التي تتحقق فيما يسميه دي سويسر La Parole أي الكلام ".(2)

وإنّ إطلاق اللسـان La Langue على اللغة المؤتلفة من عدة أنظمة ذات المسـتويات المختلفة التي تكون عرضة للوصف والدراسة والتحليل، يتوافق تماماً مع المصطلح الذي اخترنـاه وهو علم اللسـان العربي، لوصـف أنظمة العربية وقوانينها وتفسـير ظواهرها وبيان خصائصها والمقومات الأساسية لمناهج دراستها.

بعد بيان اتجاهات البحث اللسـاني عند العرب من خـلال اصطلاحاتهم ومفاهيمهم، وتفصيل أسباب اختيارنا لاصطلاح علم اللسان العربي، يجدر أن نباشر تحديد مفهوم علم اللسان في العصر الحديث.

وأول ما يطالعنا في بدايات هذا القرن تعريف دي سوسير، وهو أحد أعلام الدراسات اللسـانية الحديثة، لعلم اللسـان مقروناً ببيان موضوعه بجملة ينهي بها محاضراته حين يقول:

"إن الموضوع الوحيد والصحيح لعلم اللسـان هو دراسـة اللغـة في ذاتها ومن أجل ذاتهـا[3] ويشـرح الدكتور السـعران هذا التعريف بقوله "فمعناه أنه يدرسـها لغرض الدراسة نفسها، يدرسها دراسـة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها لا إلى ترقيتها أو إلى تصحيح جوانب منها أو تعديل آخر، إن عمله قاصر على أن يصفها ويحللها بطريقة موضوعية. [4]

(1) عبد الصبور شاهين، علم اللغة العام :ص29

(2) السعران، علم اللغة :ص (30-302)

(3) انظر :فصول في علم اللغة العام – دي سوسير ، ترجمة : الكراعين : ص 406 أو علم اللغة العام ، لدي سوسير نفسه ، ترجمة.د.يوئيل يوسف عزيز ص 253.

(4) السعران علم اللغة :ص 51.

ومن التعريفات التي وردت "علم اللغة في أبسط تعريفاته هو دراسة اللغة على نحو علمي"[1] "اللسانيات هي الدراسة العلمية للغات البشرية" [2]، "العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية"،[3] وكأنهم ينقلون أو يترجمون حرفياً التعريف الذي ذكره ديفيد كريستال في قاموسه[4] عن المصطلحات اللسانية، ولكنهم لم يبينوا في تعريفاتهم الكيفية التي تتم بها الدراسة العلمية.

نجد تعريفاً أشمل منها عند الدكتور عبد العزيز مطر في كتابه (علم اللغة وفقه اللغة، تحديد وتوضيح)[5]، ويبدو أنه مستوحى من شرح الدكتور محمود السعران آنف الذكر لتعريف دي سوسير بقوله: "علم اللغة هو العلم الذي يدرس اللغة، أو اللهجة، دراسة موضوعية، غرضها الكشف عن خصائصها وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها ظواهرها:الصوتية والصرفية والنحوية، والدلالية، والاشتقاقية، والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض، وربطها بالظواهر النفسية وبالمجتمع، والبيئة الجغرافية"، وهو تعريف يقتصر على الناحية الوصفية ويهمل الناحيتين التاريخية والمقارنة. ونجد عند الدكتور رمضان عبد التواب تعريفاً أوسع وأشمل يقول فيه: (6) علم اللغة، هو العلم الذي يبحث في اللغة، ويتخذها موضوعاً له، فيدرسها من النواحي الوصفية، والتاريخية، والمقارنة، كما يدرس العلاقات الكائنة بين اللغات المختلفة، أو بين مجموعة من هذه اللغات، وتدرس وظائف اللغة وأساليبها المتعددة وعلاقاتها بالنظم الاجتماعية". وعليهما فإن مفهوم علم اللسان يتضمن العناصر التالية:

1- موضوعية الدراسة: تقوم الدراسة على وصف اللغة كما هي عليه وتحليل جوانبها من أجل بيان حقيقتها، دراسة منزَّهة عن الهوى، خالية من التزييف أوالتضليل بإعطائها ميزات ليست لها أو إضفاء خصائص لا تتصف بها لترقيتها، أو بتعمد إخفاء ما يجب إبرازه للحط من شأنها. وباختصار الحرص على الدقة في وصف أنظمة اللغة، اعتماداً على الاستقراء والملاحظة التي تكشف عن خصائص اللغة بالصورة التي تظهر فيها في أثناء استعمالها حالياً، والصورة التي ظهرت بها تاريخياً في زمن ما أو مقارنة بغيرها.

2- ويترتب على العنصر الأول، عنصر ثانٍ يلزمه ولا يقوم إلاّ به؛ إذ الوصف الدقيق يحتاج

(1) محمود حجازي : مدخل إلى علم اللغة : ص18، ط1978م.وأسس علم اللغة العربية ص 30.
(2) مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية :ص22.
(3) حلمي خليل : مقدمة لدراسة علم اللغة : ص9.
(4) David Crystal:A Dictionary of Linguistics :P:181
(5) انظر : ص ص 18 - 19 .
(6) المدخل إلى علم اللغة : ص 7 .

إلى منهج علمي لا بد أن يسلكه الباحث، ولا بد أن يقوم المنهج على أسس نظرية تعتمد على الاستقراء والملاحظة والتصنيف لأية مادة لسانية يراد وصفها وتحليلها واستنباط قوانينها وبيان خصائصها، في مستوى معين صوتي أو صرفي أو نحوي أو دلالي، أو فيها كلها.

3- الغرض من الدراسة اللسانية لابد أن يهدف إلى:

أ - التعريف بظواهر اللغة المدروسة، والكشف عن الخصائص الأساسية لنظامها بمستوياته الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية كافة؛ وعليه فإن جوانب علم اللسان العربي التي يمكن إقامة الدرس عليها تتفرع إلى ما يلي:

- علم الأصوات Phonetics
- علم الصرف Phonology
- علم النحو Syntax
- علم الدلالة Semantics

ب- ولا يمكننا أن ندرس الجوانب السابقة في كل فرع على حدة دون التعرض لعلاقتها فيما بينها، خاصة في العربية فإن نظمها الفرعية مترابطة عضوياً فالدلالة تعتمد في استخراجها على الصوت والصيغة الصرفية خلال تركيب ما، فالمعاني الوظيفية وهي الغاية المقصودة، تحتاج إلى أخذ هذه الجوانب كلها في الاعتبار، ولا بد من الكشف عن العلاقات بين هذه الجوانب وما بينها من تأثر وتأثير.

جـ- الكشف عن علاقة اللسان العربي بغيره من أسرة اللغات السامية، والخصائص المشتركة بينها في الصوت والصرف والنحو والدلالة، وهذا ينطبق على كل الأسر اللغوية وعلاقات الألسنة فيها بعضها ببعض.

د- الكشف عن العلاقة بين الظواهر النفسية والاجتماعية وغيرهما من جهة وبين اللغة وكيفية اكتسابها وعلاقتها بالفكر والعوامل المؤثرة في ذلك والتأثيرات الاجتماعية في اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية وتوجيه الدراسة نحو مشاكل الازدواج اللغوي، مما يضيف فروعاً جديدة إلى علم اللسان نحو: علم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة الجغرافي.

4- يبين التعريف كذلك المناهج العامة للدراسات اللسانية فإذا اقتصرت على الوصف والتحليل فالمنهج وصفي، وإذا كشفت الدراسة عن تطور في الظواهر اللسانية فالمنهج تاريخي، وإذا سلكت الدراسة سبيل المقارنة بين اللغات المشتركة في أسرة لغوية واحدة فالمنهج مقارن.



نشاط (1)

استقصِ تعريف علم اللسان من الكتب التالية:

- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: للدكتور محمود السعران (الباب الأول).
- أسس علم اللغة العربية للدكتور محمود فهمي حجازي (الفصل الأول).
- دراسات في علم اللغة (القسم الأول):للدكتور كمال بشر (المقدمة).
- المدخل إلى علم اللغة: للدكتور رمضان عبد التواب (التمهيد).
- اللغة العربية معناها ومبناها:الدكتور تمام حسان (الفصل الأول).
- التعريف بعلم اللغة - ديفيد كريستال - ترجمة د. حلمي خليل (الفصل الثاني).



تدريب (3)

1- قال دي سوسير " إن الموضوع الوحيد لعلم اللسان هو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها " وضح هذا التعريف كما تفهمه.

2- استخدم ابن خلدون مصطلح اللسان بمعنى................واستعمل اصطلاح اللغة بمعنى............. التي تدل على..........................." املأ الفراغ.

3. النظام اللغوي للعربية

عزيزي القارئ إن عنوان هذا الجزء ليس جديداً عليك، فقد مرّ بك في مقررات أخرى كاللغة العربية، وعلم النحو، وستتبين أن جوهر النظام اللغوي للعربية يقوم على أربعة مستويات أساسية هي: الصوت، والصرف، والنحو،والدلالة. وقد تجد اختلافاً في طريقة التناول.

تكاد تجمع التعريفات الحديثة للغة على أنها نظام[1] ولكل نظام لغوي عناصره الأساسية المكونة له بصورة عملية؛ إذ لا بد لكل عنصر لغوي من صورة مادية تمثله، كما أن له قيمة ودوراً معيناً، وستتبين ذلك كله بالتفصيل، لأن هذه العناصر هي محل البحث اللساني، فقد جُعِل لكل عنصر منها فرع من فروع علم اللسان، يكشف عن القوانين التي يجري عليها المستوى اللساني الذي يخص كل عنصر.

إن المتكلم بأي لسان كالعربية يصدر سلسلة من الأصوات المتتابعة، إذ الصوت الإنساني هو مادة الكلام، أو هو المظهر المادي للغة. وهذه الأصوات تتقاطع أو تتتابع وفق نظام معين يهدف إلى دلالة يقصدها المتكلم، ولا تتحقق هذه الدلالة إلا إذا تآلفت الأصوات المنطوقة، التي نصوِّرها كتابة بالحروف، وكونت مقاطع، ومن المقاطع تتكون أبنية أو صيغ نسميها كلمات، ترتبط هي الأخرى في علاقات تركيبية ودلالية نسميها جملاً.

إذا تتبعنا سلسلة لفظية ما في العربية نحو: مَنْ يَزْرعِ الكَسَلَ يَحْصُدِ الفَشَل، سنجد أنها مؤلفة مما يلي:

مجموعة من الأصوات المنطوقة صورناها مكتوبة بالحروف وهي: مَ، نْ / يَ، زْ، رَ، ع / ا، لْ، كَ، سَ، لَ / يَ، حْ، صُ، دِ / ا، لْ، فَ، شَ، لَ / هذه الأصوات مكتوبة أو منطوقة يَتَشكل منهما مقاطع يمكن تصويرها كتابة كالتالي: مَنْ / يَزْ / رَعِلْ /كَ/ سَ /لَ / يَحْ / صُ / دِلْ /فَ /شَ لْ. ومن الأصوات المفردة والمقاطع يتشكل. النظام الصوتي في العربية وهو المستوى اللساني الذي يختص بدراسته والبحث فيه، علم الأصوات؛ فإن هذه الأصوات تُدْرَس منعزلة ومتجاورة، فيما سيتضح لك في مبحث مجالات الدرس اللساني عند العرب.

وتأتلف هذه الأصوات في مقاطع، والمقاطع من ثَّم في صيغ أو كلمات فتدخل في مستوى لساني ثانٍ حيث تصبح: مَنْ / يَزْرَعِ /الكَسَلَ /يحْصُدِ /الفَشَلَ: أداة، فعل،

(1) انظر هذه التعريفات :اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان ص 34 ، وعلم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح ، عبد العزيز مطر : ص 14 ، الملكة اللسانية عند ابن خلدون : ميشال زكريا ص ص 11 - 20 مقدمة لدراسة علم اللغة : حلمي خليل : ص ص 20- 26 .

اسـم (مصدر)، فعل، مصدر أو اسـم، وهذا هو المسـتوى الصرفي، الذي يتلو المسـتوى الصوتي مباشـرة. وهذا المسـتوى هو الذي يضفي على الصيـغ معاني أخرى زائدة على معناها المعجمي المكتسـب من خلال اجتماع الأصوات وتبادلها. وهذا المسـتوى يختص بدراسـته علم الصرف العربـي ومدار البحث فيه ينصب علـى القوانين التي يجري عليها بناء الصيغ الفعلية والاسـمية، وما تكتسـبه من معانٍ تختلف باختلاف المباني الصرفية. وإذا نظرنـا إلى هذه الصيغ اللغوية وتأليفها في تتابع أفقي نسـميه الجملة أو العبارة، ثمَّ تركيبها وفق قوانين مخصوصة ينتظمها المستوى النحوي، ويختص بدراسته علم النحو الـذي تنصبُّ فيه جـلّ العناية على قواعد تركيب الكلمات في جمـل، وعلى تمييز المعاني التركيبيـة أو الوظائف النحوية لهذه الكلمات في إطار هذه الجمل، فيقال في هذه الحالة: ان هذا التركيب شرطي احتاج إلى أداة شرط وهي مَنْ وإلى فعل الشرط وجوابه وهما: يزرع ويحصد، وكل فعل منهما يحتاج إلى فاعل ومفعول ليتم التركيب وهما متوفران.

وهـذا هـو القانون أو القاعدة التي تحكم التركيب الشـرطي أي (أداة الشـرط وفعل الشـرط ومعمولاته + جواب الشرط ومعمولاته) وهذا تركيب نموذجي للتركيب الشرطي تتصدر فيه أداة الشـرط ويليه فعل الشـرط الذي يعقبه جواب الشـرط فـلا يتقدم عليه. ونظام الجملة بهذا الشكل يرتبط عضوياً بنظام آخر يساعد على تعيين الوظائف النحوية للمفردات الداخلة فـي التركيب وتبين علاقاتها الدلالية بما بينها من ارتباط داخلي، وهي الحـركات الإعرابية التي تظهر على أواخر الكلمـات أي النظام الإعرابي الذي يتكاتف مع نظـام التركيب الجملي فـي العربية، من أجل أن نصل إلى الغاية المرجوة وهي المعنى أو المسـتوى الدلالي وهو العنصر الرابع في النظام اللغوي للعربية، وهو المحصلة النهائية التـي يجتمـع فيها ما تصبه قنـوات الصوت والصـرف والنحو من معانـي جزئية، حيث المفـردات لهـا دلالة صوتية مطردة تحتفـظ بها المعاجم، وتؤثر فيهـا وتنوِّعها الصيغة الصرفية ويكمِّلُها المعنى النحوي.

والحقيقة التي يجب أخذها في الحسبان أن هذه المستويات تعمل في تناسق وتكامل، ولا يكون فصل بعضها واسـتقلاله عن بعضها الآخر إلاّ ظاهرياً ومن أجل غرض تعليمي، فالترابط فيما بينها عضوي والتداخل طبيعي.

وفي الجزء التالي سـنتناول هذه المستويات في الدرس اللساني عند العرب بتفصيل أكثر ونختتم ببيان العلاقة بينها.



نشاط (2)

استقصِ تعريفات اللغة من المراجع التالية:

- اللغة العربية معناها ومبناها للدكتور تمام حسان (الفصل الأول).
- علم اللغة وفقه اللغة تحديد وتوضيح: للدكتور عبد العزيز مطر (تعريف اللغة).
- الملكة اللسانية عند ابن خلدون: للدكتور ميشال زكريا (الفصل الأول).
- مقدمة لدراسة علم اللغة: للدكتور حلمي خليل (الفصل الأول).
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي) للدكتور محمود السعران (الباب الأول).

أسئلة التقويم الذاتي (3)

يتكون النظام اللغوي العربي من المستويات التالية:

1- ....

والفرع الذي يدرسه من علم اللسان هو:

2- ....

والفرع الذي يدرسه من علم اللسان هو:

3- ....

والفرع الذي يدرسه من علم السان هو:

4- ....

الفرع الذي يدرسه علم اللسان هو:

تدريب (4)

حلل التسلسل اللفظي التالي إلى عناصره:

ابدأ بإصلاح نفسك فإن فيه صلاح أبنائك.

1.3 مجالات الدرس اللساني العربي

الصوت، الصرف، النحو، الدلالة

مـن الطبيعـي أن نـدرس تحت هـذا العنـوان عناصر النظـام اللغـوي للعربية التي عرفناها في الجزء السابق من هذه الوحدة، وهي المستويات اللسانية: الصوتية والصرفية والنحويـة والدلاليـة، التي كانت، ومـا زالت، محلاً للدرس والتحليـل والبحث عند علمائنا الذين اسـتفرغوا جهوداً جبارة في بحثها، وتركوا لنا تراثاً ضخماً في الدراسـات اللسانية سنقوم بتتبعه في مظانّه؛ من أجل تكوين صورة واضحة عن معالم كل مستوى واتجاهات البحث اللساني فيه.

1.1.3 المستوى الصوتي

إن الـدرس الصوتي عند العرب من أكثر مسـتويات علم اللسـان العربي أصالة فكان أول ما اهتم به العرب المسـلمون معرفة الوجـوه الصحيحة لنطق الحروف وضبطها في النـص القرآني المتعبد بتلاوته، ونَقْط أبي الأسـود الدؤلي (ت 69 هـ) في ظاهره ضبط صوتي، وإن كان في مضمونه وغايته يشـكل بداية الدرس النحوي عند العرب، فما النُّقَطُ التي اقترحها للحركات (الفتحة والضمة والكسـرة) إلاّ علامات لخصائص صوتية، وانظر إلـى وصفه الصوتي ليتبين لك ذلك حين يقول لكاتبـه: "إذا رأيتني قد فتحت فمي فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف".[1]

وإن كثيراً من أحكام القراءات القرآنية التي مارسـها القراء بصورة عملية وسـجلها علماء القراءات نظرياً في كتب،هي أمور لسـانية صوتيـة في حقيقتها كالإدغام والإظهار والوقـف والابتداء والإمالة والمد وتحقيق الهمز وتسـهيلها، عـدا وصف الأصوات وبيان مخارجها. وهكذا يكون علماء القراءات قد سـجلوا "خصائـص صوتية تنفرد بها التلاوة القرآنية ووضعوا رموزاً كتابية تمثل هذه الخصائص [2].



نشاط (3)

اقرأ: اختلاف القراء في فاتحة الكتاب من كتاب السـبعة في القراءات لابن مجاهد ص ص 104-113، والإظهـار والإدغـام للحـروف السـواكن من كتاب التيسـير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني ص ص 14-54.

(1) ابن النديم الفهرست : ص 40.

(2) السعران، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ص 96.

ويـزداد اهتمام اللغوين والنحاة بالأصوات العربية، خاصة بعد ما أصبح لديهم ثروة لغويـة من المفردات وتراكيبهـا تحتاج إلى الوصف والتحليـل والتصنيف والتقنين، فلما أراد الخليـل وضع معجمه العين كان أول مـا فعله أنه قام بترتيب الحروف ترتيباً صوتياً وليس هجائياً؛ من أجل حصر المسـتعمل من المهمل من ألفاظ اللغة، وقد كان ترتيبه هذا مبنياً على أسـاس المخارج بحسـب عمقها في الحلق وتدرج حتى الحروف الشـفوية ثم حروف العلة، مقسـماً إياها إلى مجموعات صوتية حسـب مخارجهـا أو أحيازها كما في قوله "فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء ثم الهاء مقسـماً إياها في الحلق وتدرج حتى الحروف الشـفوية ثم حروف العلة فهذه ثلاثة أحرف فـي حيز واحد.... ثم الخاء والغين فـي حيز واحد، كلهن حلقية، ثم القاف والكاف ثم الجيم والشـين والضاد في حيز واحد، ثم الطاء والدال والتاء في حيز واحد، ثم الظاء والدال والتاء في حيز واحد ثم الراء واللام والنـون في حيز واحد، ثـم الفاء والباء والميم في حيز واحد، ثـم الألف والواو والياء في حيز واحد، والهمزة في الهواء " [1]، ولا يغيب عنه تقسـيمها إلى ما عُرف فيما بعد، وإلى وقتنا هذا، بالأصوات الصحيحة أو الصامتة Consonants والأصوات التي سماها هوائية وهي الصائتة Vowels ويتحقق ذلك في قوله: "في العربية تسـعة وعشرون حرفاً: منها خمسـة وعشـرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومخـارج وأربعة هوائية وهـي: الواو والياء والألـف الليـنـة والهمزة. وحديثه هذا عن أصـوات اللين حين تكون مـداً، قريب مما قرره علـم الأصوات الحديث مـن أنها تتكون باندفاع الهـواء من الرئتين ماراً فـي أثناء مجراه بالحنجـرة والحلـق والفم دون أن يعترضـه حائل يضيق مجراه أو يحبسـه. وأما وصف الهمزة بأنها هوائية وأنها " لم يكن لها حيِّز تنسب إليه إلاّ الجوف فلا تقع في مُدْرجة من مدارج اللسان ولا من مدرج الحلق ولا من مدارج اللهاة [2]" فإنه لا يتعارض مع ما أثبته فـي موضع سـابق بقوله:" وأما الهمـزة فمخرجها من أقصى الحلـق، مهتوتة مضغوطة "[3] وهـذا النـص أثْبَتَ مثله صاحب اللسـان ممـا يقَّويه فقد أورد " قـال الخليل: الهمزة صـوت مهتوت في أقصى الحلق يصير همـزة فإذا رفِّه عن الهمزة، كان نَـفَسـاً يُحـوَّل إلى مخرج الهاء، فلذلك اسـتخفت العرب إدخال الهـاء على الألف المقطوعة (يقصد همزة القطع) نحو: أراق وهراق وأيهات وهيهات[4] ويفسر الهتّ بأنه شبه العَصْر للصوت، وأول مـا يتبادر إلى الذهن من هذا الوصف لعبة البلونـة المنفوخة التي ادخل في عنقها قصبة،

(1) الخليل العين :1/46 تحقيق عبدالله درويش.

(2) المرجع السابق نفسه

(3) السابق : ص 58.

(4) اللسان مادة هتّ

فـإذا ما عصـرت هذا البلونة وترك المجال للهواء أن يخرج من فوهة القصبة بعد حبسـه بصمام أو إصبع فإنه يخرج مندفعاً يصحبه صوت التزمير، وهو أشبه بالهواء الذي يندفع مـن فتحـة المزمار وأكاد أتمثل الضغـط والعَصْر في عملية الانحبـاس ثم الانفلات الذي يتم في الحنجرة التي هي أشـبه بحجرة متسعة[1] بداخلها الوتران الصوتيان، ولتجويفها وفراغها اعتبـرت صندوقاً للرنين تُضخِّم الصوت،[2] وهـذان الوتران الصوتيان ينطبقان ويتجمـع خلفهمـا الهواء لمدة قصيرة جداً ثم ينفرجان فيندفـع الهواء المضغوط خلفهما ويسمع صوت في تلك اللحظة يتضخم في التجويف الحنجري ويسمى هذا الصوت الهمزة ويوصف بأنه انفجاري، نتيجة لاندفاع الهواء، ويحدث تَـضَـخُّـم الصوت في تجويف أو فراغ يعتبر مسـؤولاً عن التصويت وهو الحنجرة، ولعلي لا أكون متعسـفاً في استنتاجي هذا؛ للتقريب بين معطيات علم اللسـان الحديث وبين ما قاله عبقرينا الخليل.ولا يتناقض هـذا مـع قوله "إنما هي هاوية في الهـواء فلم يكن لها حيّزإلاّ الجـوف[3] فالجَوَف "خلاء الجُـوف كالقصبة[4] فالجزء الذي يلي أقصـى الحلق أجوف وهو القصبة الهوائية ولأن ما فيها مما يسـمى بالحنجرة والوترين الصوتين ولسـان المزمار لم يَكـن مرئياً فلم يدركه وبالتالـي لم يصفه فحسـبَه فراغاً هوائياً يخرج منه الصوت وهـو أقرب إلى الصحة. وإذا كان سـيبويه لم يكـن يعرف الحنجرة ولا أجزاءهـا كالمزمار والأوتـار الصوتية.... التي تقتضي ملاحظتها إلى التشـريح...[5] فما بالك بالخليل أسـتاذه السـابق له زمنياً، لم يكن بين أيديهما من الآلات التي تمكنهما من التشريح، ومعرفة أجزاء الجهاز الصوتي وأعضاء النطـق، بدقـة. ويمكننا أن نجمل جهـود الخليل الصوتية بالعبارة المقتبسـة التالية: "أنه عرف الجهاز الصوتي عند الإنسـان وحدد بطريقة عملية مخارج أصوات العربية في هذا الجهاز كما تمكن بالملاحظة الذاتية من الوصول إلى صفات تلك الأصوات، وأشـار إلى ما يعـرض لها في مدارج الكلام من ظواهر مثل الإدغام...كما وصل بفضل معارفه الصوتية والموسـيقية إلى نظام الإيقاع وموسيقى الشـعر العربي، وقلَّ أن تجد قضية صوتية في العربيـة لم يتحدث عنها الخليل ولم يشـر إليها....مع اصطناعه المنهج العلمي القائم على البحث والاسـتقراء والتجربة والملاحظة [6] وليس لنا من تعليق على هذه العبارة سـوى

(1) انيس، الأصوات اللغوية : ص 17.

(2) حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة :ص49

(3)الخليل العين 1/64 .

(4) اللسان مادة جَوَف

(5) شـاده علم الأصوات عند سـيبويه، نقلاً عن :عبد القادر الخليل، المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر :ص21.

(6) عبدالله ربيع وزميله، علم الصوتيات : ص ص 65 - 66.

أن الخليـل لم يكن يعرف أجزاء الجهاز الصوتي كلها وظلـت ملاحظته الذاتية هو وغيره مـن علمائنا القدماء عاجزة عن إدراك بعض الأجزاء مما ذكرناه آنفاً، كالحنجرة،والوترين الصوتين وفتحة المزمار ولسانه.

ويواصل سـيبويه طريق أسـتاذه الخليل، الذي وضع ما وسـعه، الأسـس والمبادئ ويُقَدم في كتابه دراسـة عن الحروف العربية في بـاب الإدغام ووصف الأصوات العربية بالتفصيـل، وبيَّنهـا حسـب مخارجها فـي المجرى الصوتـي وكانت غايته كمـا ذكرها" فتعـرف ما يحسـن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسـن فيه ذلـك ولا يجوز فيه(1) ويقول سـيبويه عن باب الإدغام [2] من كتابه" هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها، ومهموسـها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها". ويقوم بترتيبها فعلاً في كتابه حسـب مخرجها ويدلي بملاحظاته حول صفات الحروف، ويعقبها ببحث غزير المادة في إدغـام الحروف، وقد بلغ وصفه للأصوات مبلغاً من الدقة جعل تصنيفه يتردد فـي كتب قدامـى النحاة بألفاظه دون تغيير أو توضيح بشـرح ما تناقلتـه كتبهم من آراء أو عبـارات أو اصطلاحـات. أما النحـاة القدامى الذين ورثوا سـيبويه وحفظوا عنه آراءه واكتفوا بترديدها في هذا المجال فهم: ابن جني (ت392 هـ) في سـر صناعة الإعراب،[3] والزمخشـري فـي المفصل وشـرحه لابن يعيش [4] (ت 643 هـ) والنشـر فـي القراءات العشـر[5] لابن الجزري (ت 833 هـ) وقد تكفل الدكتور إبراهيم أنيس بإجراء مقارنة بين ما جاء في كتاب سـيبويه وما جاء فيها، في كتابه الأصوات اللغوية [6]في جداول بيَّن فيها بالنـص اعتماد هذه الكتب على ما أورده سـيبويه في كتابه مـن ترتيب صوتي للحروف حسب مخارجها حيث يقول:

"فأصل حروف العربية تسـعة وعشـرون حرفـاً: الهمزة، والألف، والهـاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء، والكاف، والقاف، والضاد والجيم، والشين والياء، واللام، والراء، والنون، والطاء، والدال، والتاء، والصاد، والزاي، والسـين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو.

(1) سيبويه الكتاب : 436/4.
(2) المرجع السابق 431/4.
(3) انظر :1/45 وما بعدها.
(4) ابن يعيش، شرح المفصل :123/10.
(5)انظر: ابن الجزري، النشر : 199/1 وما بعدها.
(6) انظر : ص ص 128-135، ويمكننا أن نضيف إلى ما ذكره د. أنيس، ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحـة الـذي فتح فيه بابيـن أحدهما للأصوات ص 15 وآخر للحروف ص ص 23 - 31، وأما المبرد فقد كان من أوائل النحاة المتأثرين بسـيبويه ولم يخالفه كثيراً في دراسـته الصوتية في باب الإدغام وقد تتبعه محقق كتاب المقتضب وقارن بينه وبين ما جاء في كتاب سيبويه، انظر المقتضب 192/1 - 196 - وما بعدها مع الهوامش.

وبعد ترتيبها السـابق بيّن مخارجها السـتة عشـر من أقصاها مخرجـاً حتى ينتهي بآخرها مخرجاً من الشـفتين: "ولحروف العربية ستة عشـر مخرجاً، فللحلق منها ثلاثة، فأقصاهـا مخرجاً الهمزة والهاء والألف، ومن أوسـط الحلق مخرج العين والحاء، وأدناها مخرجاً من الفم الغين والخاء" [1].

ثـم يتحدث عن المخارج الوسـطى للحـروف أقصد من أعضاء النطق نحو: اللسـان، أقصـاه ومـا يقابله من الحنك، ووسـطه وما يقابله من الحنك، وحافتـه وظهره وطرفه، وأصـول الثنايا وأطرافها حيث مواضع نطق الحروف من القاف إلى التاء منتهياً بمخارج الفاء والباء والميم والواو من باطن الشفة السفلى، بين الشفتين على التوالي ومن الخياشيم مخرج النون[2].

وبعـد المخارج ينتقـل إلى الحديث عن صفات الحروف وبيّـن المجهور منها بقوله: "فاما المجهورة فالهمزة والألف والعين، والغين، والقاف، والجيم، والياء والضاد، واللام، والنـون والراء، والطـاء والدال والزاي، والظاء، والباء، والميم والواو فذلك تسـعة عشـر حرفاً وأما المهموسـة فالهاء والحاء والخاء والكاف والشين والسين والتاء والصاد والثاء والفاء فذلك عشرة أحرف [3] يبين إثر ذلك المقصود بالجهر والهمس [4] وينتقل بعدها إلى بيان صفات أخرى للحروف كالشدة والرخاوة وما بينهما (بين الرخاوة والشدة)، وما فيه غنة، والمكرر منها اللين والهوائي والمطبقة والمنفتحة.[5]

وهكذا يكون سـيبويه بدراسـته المنظمة لأصـوات العربية، وبطريقـة أكثر دقة من أسـتاذه، قد قدم دراسـة صوتية وصفية واقعية قائمة على الملاحظـة الذاتية وبعيدة عن الافتـراض والتأويل " كما يقول الدكتور عبده الراجحي [6]، أي اعتمد سـيبويه كما اعتمد الخليل من قبله على إحساسهما بالعملية العضلية لأعضاء النطق، التي يحدثها الانسان عند نطق كل صوت.

وفـي القرن الثالث الهجري نجـد عند الجاحظ (ت 255 هـ) حديثاً عما يدخل بعض

---

(1) انظر : الكتاب، باب الإدغام، 431/4 وما بعدها.

(2) المرجع السابق : 4 / 433 - 434.

(3) نفسه :434/4.

(4) بإجمـال :الصوت المهجور voiced تتذبذب الأوتـار الصوتية عند النطق به والمهموس Unvoiced بعكس المهجور.

(5) نفسه : 434/4-436 .

(6) الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية :ص131.

الأصوات من تغيير في صفاتها فيما أصبح يسمى عند الأوربيين بعلم اللسان المرضي فقد فتح في البيـان والتبيين فصلاً بعنوان "ذكر الحروف التـي تدخلها اللثغة [1] وذكر أربعة منها وهي القاف، والسين واللام، والراء ومثّل لما استطاع أن يصوره كتابة مثل: بثْم الله إذا أرادوا بسـم الله اللثغة في السـين، وأما القاف ففي قال: يقال طال لي، واللام: جمل، يقـال جَمَـيْ والراء تصبح ياء أو غيناً؛ أي القاف تصبح طاء والـلام ياء والراء ياء أو غيناً؛ عند حصول تغيير في مخارجها، حيث تتحول الوحدة الصوتية إلى أخرى، ولا شك أن هذا يدخل التباساً أو تغييراً في المعنى[2] والجاحظ ينبه على هذه الظاهرة ولم يفسرهًا صوتياً بعكس سـيبويه ويتحدث في مقام آخر عن أمراض الكلام [3] كالحبسـة والتمتمة والفأفأة والعُقْلة واللكنة والحُكْلة.

ومما يجدر ذكره أن سـيبويه قد سـبق غيره في الحديث عن اللثغـة في الراء واللام وتحولهما ياءً حين أشـار في معرض البرهنة على قرب مخرج الراء من الياء فكأنه يفسـر صوتيـاً تحول الراء ياءً بقوله "ليس مخرج من طرف اللسـان أقـرب إلى مخرج الراء من اليـاء ألا ترى أن الألثغ بالراء يجعلها ياء، وكذلك الألثغ باللام؛ لأن الياء أقرب الحروف من حيث ذكرت لك إليهما". [4]

وفـي القرن الرابع الهجـري ازدهر البحث الصوتي على يد ابـن جني، الذي جعل له علمـاً خاصاً منفصلاً سـماه علم الأصوات في مقدمة كتابه "سـر صناعـة الإعراب، [5] فقد

---

(1) الجاحظ، البيان والتبين : 1/34.

(2) فاطمة محجوب، دراسات في علم اللغة، ص،ص 71-86.

(3) البيان والتبيين 1/37-40 وكذلك فاطمة محجوب : ص 87 - 106 وكذلك وسميه المنصور "عيوب الكلام عند اللغويين العرب" حولية كلية الآداب، رقم 7، 1986 - الكويت.

(4) الكتاب : 4/453.

(5) المقدمة ص 9 وقد جهد محقق الكتاب الدكتور حسن هنداوي أن يثبت أن موضوعاته صرفية إذ يقول ص 25:" لـم يكن المؤلف يعني بـ(صناعة الإعـراب) إلا صناعة الكلم أي ما يحدث فيها من الإعلال والإبـدال ومتى يكون الحرف أصليـاً ومتى يحكم بزيادته، ومتى يجب حذفه ونحو ذلك من مسـائل التصريف " وكأنه لا يعرف أن هذه الظواهر الصرفية محكومة بتفسيرات صوتية، وأن هناك توجهاً، أخـذ يحتل مكانة بارزة ينادي بتطبيـق معطيات علم الأصوات على وصف النظام الصرفي العربي = (انظـر : التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث للدكتـور الطيب البكوش، 1987، 1973، وكتـاب الدكتور عبد الصبور شـاهين : المنهج الصوتي للبنية العربيـة، 1980، فقد طبق هذا التوجه فـي الكتابين) ومن يـدرِّس مادة الصرف العربي يدرك مدى صواب هـذا التوجه، ويبدو كذلك أن د. هنـداوي متردد في وصف موضوع الكتاب حيث يقول ص 26:" ويكشـف عـن قيمة هذا الكتاب أنه أصبح - مع كتاب سـيبويه - المصدر الأساسـي في الدراسـة الصوتية لأصوات العربية.... فلا يكاد يذكر علم الأصوات إلا مقروناً بكتاب سر صناعة الإعراب، لذلك سنأخذ برأي الدكتور مصطفى السقا وزملائـه الذين حققـوا الكتاب، قبل د. هنداوي ونسـجل هنا ملاحظاتهم فـي المباحث الصوتية في الكتاب.

كان الـدرس الصوتي يعالج في كتب النحو باعتبـاره مدخلاً لظاهرة الإدغام أو الإبدال أو الإعلال، أو كان يعالج في مقدمات المعاجم كالعين والجمهرة مثلاً، وأما المباحث الصوتية التي جعلت من كتاب ابن جني أوفى المصادر لمعرفة التفكير الصوتي عند العرب فقد قام بتلخيصها محققو الكتاب (د. مصطفى السـقا وزملاؤه 1954) في مقدمة[1] تحقيقهم وهي:

1- عدد حروف الهجاء العربية وترتيبها (حسب المخارج).

2- وصف مخارج الحروف وصفاً دقيقاً.

3- بيان الصفات العامة للأصوات باعتبارات مختلفة.

وكلها جاءت في باب أسـماء الحروف وأجناسها ومخارجها ومدارجها وفروعها المستحسـنة وفروعها المسـتقبحة وذكر خلاف العلماء فيها مستقصى مشروحاً[2]، وهـو في هـذا الباب عالة على كتاب سـيبويه في باب الإدغام ولم يخالف سـيبويه إلا في وضعه القاف قبل الكاف، والضاد بعد الياء، وقد ذكر محقق كتاب سـيبويه أن في بعض نسـخه ذكرت القاف قبـل الكاف ولعل ابن جني اطلع عليهـا وقد زاد فيه رأي من خالف سـيبويه فيما بعد كأبي الحسن الأخفش والمبرد، ولم يفته أن يذكر مخالفة سـيبويه لترتيب الحروف الذي جاء في العين، ولأمر ما خلا سـر الصناعة من الإدغام عنواناً وبحثاً!

4- ما يعرض للصوت (الحرف) في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى إعلال أو إبدال أو نقل أو حـذف (ما عدا الإدغام كما يذكر د. هنـداوي ص 31)، حيث بنى كتابه على ترتيب حـروف المعجم الهجائي، وليـس الصوتي بادئاً بالهمزة فالبـاء فالتاء منتهياً بحرف الياء، وقد تحدث عن صفات هذه الحروف، وعن زيادتها وإبدالها،ويتضمن الإعلال.

5- نظرية الفصاحة فـي اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج وقد نقلها عنه ابن سنان الخفاجي في كتابه سر الفصاحة،[3] وقد فتح لهذا الأمر فصلاً فـي آخر الكتـاب[4] ذكر فيه: " مذهـب العرب في مزج الحـروف بعضها ببعض،،ما يجوز من ذلك وما يمتنع / وما يحسن، وما يقبح، وما يصح"، وهو الفصل الذي ذكر في الجزء الأول أنه سـيفرد له فصلاً بعد أن بيّن غايته منه وهي بيان شروط فصاحة اللفـظ المفرد بقولـه " واعلم أن هذه الحـروف (العربية) كلما تباعـدت في التأليف كانت أحسـن، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما ولا سـيما حروف الحلق.....) [5].

---

(1) ص 14 - ط 1954م

(2) انظر: 1/41-67 ط، هنداوي، 1985م.

(3) الخفاجي، سر الفصاحة ص 64

(4) أبن جني، سر الصناعة : 2/811وما بعدهما.

(5) السابق : 1/65-66.

ولا تقتصـر جهود ابن جني الصوتية على ما جاء في كتابه سـر صناعة الإعراب فقد كانت له مباحث صوتية أخرى تشـهد بأصالته على هذا المستوى من الدرس اللساني فقد طرق في كتابه الخصائص مسائل صوتية تعتبر من منجزات علم اللسان الحديث نحو:

1- إدراكه لإحدى القواعد المميِّزة لاسـتقلال الصوت (الحـرف) واعتباره فونيماً (وحدة صوتيـة) مرتبطاً بمعنى، في ثباته وتغيره فـي موقعه؛ بحيث يصلح أن يكون مقابلاً اسـتبدالياً لآخر، فـإذا تغير في موقعه مـن الكلمة وثبتت بقية الأصـوات؛ يعقب ذلك اختلاف في المعنى فإن الخاء مثلاً، في رأيه، بصفتها الصوتية مقابل استبدالي للقاف بصفتها الصوتية كذلك حين يتبادلان الموقع يحصل تغيير في المعنى إذ يقول "إنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سـمت الأحداث المعّبـر بها عنها، فيعد لونها بها ويحتذونها عليها، وذلك أكثر مما نقدره، وأضعاف ما نستشـعره من ذلك: خضم وقضـم فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء... والقضم للصلب اليابس نحو قضمت الدابة شعيرها[1].

وضرب لذلك مثلاً أخر ربما يكون أوضح في الدلالة حيث يترتب تغير في المعنى عند استبدال السين بالصاد مع ثبوت بقية أصوات اللفظ معها في صعد وسعد "حيث جعلوا الصاد، لأنها أقوى، لما فيه أثر مشاهد يرى، وهو الصعود في الجبل والحائط، ونحـو ذلك وجعلوا السـين لضعفها لما لا يظهر ولا يشـاهد حسـاً.... فجعلوا الصاد لقوتها مع ما يشـاهد من الأفعال المعالجة المتجسـمة، وجعلوا السـين لضعفها فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين، والدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية [2]ويقصد بالدلالة اللفظيـة الدلالة الصوتية وهي الدلالة الصوتية القاصرة أو الصغرى Minor Phonetic Function عنـد فيـرث مقابـل الوظائـف أو الدلالات الكبـرى المعجمية والصرفيـة والنحوية وسـياق الحال،[3] وإن كانت هي عند ابـن جني [4]أقوى الدلالات مقابل الدلالة الصناعيـة (الصرفـية) والمعنويـة (النحوية).

2- تشـبثه وإصراره علـى القيمة التعبيرية للحرف العربي، بجعلـه للأصوات دلالة ذاتية طبيعية على المعاني، وقد نتحدث عن هذا التصور في المستوى الدلالي، حيث عقد لها عدة أبواب في كتابه الخصائص.

3- إدراكـه لمفهـوم النبـر Stress ومضمونه وهو مـن الملامح الصوتيـة التي تصاحب الكلمـات فتؤدي وظيفة دلالية، والنبر كما يفهم من تعريفاته [5] يعني القوة النسـبية

---

(1) ابن جني، الخصائص :2/157.

(2) السابق : 2/161.

(3) Firth: Papers in Linguistics:P33

(4) انظر : الخصائص : 3/98.

(5) Jespersen: Language, PP271 - 272 Peter Ladefoged :A Course in Phonetics:P 98,P222 Raja Naser: The Structure of Arabic : P 47.

التي تستعمل في نطق الأصوات، فالمقطع المنبور يلفظ بكمية أكبر من الطاقة عن المقطع غير المنبور، وهذا النبر يكسبه وضوحاً زائداً عن المقاطع الأخرى، وهذا يعني أيضاً الضغط على المقطع ليعلو الصوت فيه ففي اللسان النبر عند العرب ارتفاع الصوت، يقال نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو[1] وعليه فالنبر في العربية واللغات الأوروبية يجب أن يلحظ فيه عملية الضغط على بعض المقاطع ليرتفع الصوت فيها؛ فهو عملية عضلية لها نتائج صوتية، وهذا الحديث يسوقنا إلى البحث عن هذا المفهوم للنبر في عبارة اقتطعناها من الخصائص يقول فيها ابن جني: "وقد حذفت الصفة ودلت عليه الحال، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون ليل طويل، وكأنّ هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ {بالله} هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً، أو نحو ذلك، وكذلك: سألناه فوجدناه إنساناً! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك! إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً! وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك، إنساناً لئيماً أو لَحِزاً أو مُبَخَّلاً أو نحو ذلك"[2] التطريح في اللسان من طرح الشيء إذا طوَّله ورفعه وأعلاه، والتطويح من طوح به ذهب هنا وهناك، والتفخيم ضد الإمالة، وهو ظاهرة أصواتية ناتجة عن حركات عضوية تعطي الصوت قيمته الصوتية الفخمة. فهذه الألفاظ من خلال معانيها اللغوية تتفق حول تطويل الصوت ورفعه والنبر بمفهومه الحديث عملية عضلية تؤدي إلى علو الصوت، وكذلك تراعي في النبر قوة الصوت وهذه تفهم من قول ابن جني "فتزيد في قوة اللفظ وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها " فتعيينه اللام في كلمة رجلاً لتكون محلاً للتمطيط والإطالة يدل بوضوح على أن هذه القوة والتمكن في النطق لا تقع على جميع مقاطع الكلمة وإنما على جزء منها، كذلك يكون الصوت المنبور أطول منه حيث يكون غير منبور"[3] وهناك علاقة بين النبر وطول المقطع[4] " وهو ملحظ لم يفت ابن جني التنبيه عليه بقوله "وإطالة الصوت بها" إضافة إلى التمطيط الذي

---

(1) اللسان مادة نبر ومادة همز

(2) الخصائص : 2/370 - 371.

(3) إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية :ص82

(4) أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي : ص 191.

يشـبع المقطع طولاً وهكذا يكون ابن جني قد أدرك النبر بمفهومه الحديث من حيث طـول الصوت وعلوه وقوته وإن لم يذكره بلفظـه، ووصفه دلالياً أغنى عن التصريح بالأوصـاف. وإنّ باحثاً عربياً[1] مختصاً بعلم اللسـانيات المرضية يسـمى المحتوى، الـذي يتكون من الفونيمات غير التركيبية كالنبر والتنغيم، بالبعد العلوي التطويحي Suprasegmental ممـا يدل على أن مقصود ابن جني من التطريح والتطويح هو ما فهمناه من نبر أو تنغيم وهو أقرب إلى الصواب.

4- كذلـك أدرك ملمحـاً صوتياً آخر بمفهومه أيضاً وهو التنغيم Intonation وهو وثيق الصلـة بالنبر، فلا يحدث تنغيم دون نبر للمقطع الأخير من الجملة المنغمة، والتنغيم هـو: "المصطلح الصوتـي الدال على الارتفاع (الصعـود) والانخفاض (الهبوط) في درجـة Pitch الجهـر Voice فـي الكلام"[2] أي هـو تغيير نغمة موسـيقية تتناوب الصوت صعوداً مرة وهبوطاً مرة أخرى تعبيراً عن المشاعر والأحاسيس التي تنتابنا رضاً وغضباً يأساً وأملاً إعجاباً واستفهاماً وإخباراً، نفياً وإثباتاً، فإن نغمة الاستفهام مثلاً تختلف عن نغمة الإخبار.فالتنغيم كالترقيم غير أن التنغيم أوضح في الدلالة على المعنى المقصود، لأن الترقيم وضع إشارات جامدة ليس لها تأثير التنغيم، لما يتطلبه أو يثيره من انتباه ومتابعة، ولما يصاحبه من قرائن أخرى كالتجهم أو أشاحة الوجه، أو إشارة باليد أو بالرأس، أو انفراج أساريره.....الخ.

انظـر النص التالي الذي يشـير بوضوح إلـى التنغيم، بإجراءاته، حيـث يقول: "لفظ الاسـتفهام إذا ضامّه معنى التعجب استحال خبراً، وذلك قولك: مررت برجل أيِّ رجل فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ولسـت مستفهماً، وكذلك مررت برجل أيما رجل، لأن ما زائدة....وكقول الله سبحانه وتعالى (أأنت قلت للناس)[3] إذا لحقته همزة التقرير عاد نفياً أي ما قلت لهم [4]إن تضام الاسـتفهام والتعجب بطروء التعجب على الاسـتفهام؛ أمر ليس له من صورة صوتية سـوى التنغيم الهابط الذي يجعل التعجب يخالط الاسـتفهام فيحوله خبراً كأن يقال: لا أدري كيف يتصارعون وهم من أبٍ وأمٍّ واحدة ؟!.

5- إذا كان فـي كتابه سـر الصناعـة لم يتحدث عن الإدغام فإنه فـي الخصائص تكلم عنه كغيره من اللسانيين العرب، باعتباره درساً صوتياً يتم بتقريب صوت من صوت آخر

(1) وهـو الدكتـور عامر جبار النداف، في دراسـة لـه بعنوان " مخططات الأصـوات العربية " في مجلة اللسان العربي، العدد 36/ 1992 م، ص ص 83 – 102.

(2) السعران، علم اللغة : ص 210.

(3) سورة المائدة، آية رقم 116.

(4) الخصائص : 3/269

وقد فتح له باباً في الإدغام الأصغر[1] وقال فيه "قد ثبت أن الإدّغام المألوف المعتاد إنما هو تقريب صوت، وهو في الكلام على ضربين، أحدهما أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام فيدغّم الأول في الآخر، والأول من الحرفين في ذلك على ضربين ساكن ومتحرك فالمدغم الساكن الأصل كطاء قطّع وكاف سكّر الأولين والمتحرك نحو دال شدّ ولام معتل...[2]. وفي أوائل القرن الخامس الهجري يواصل ابن سينا (ت 428 هـ) البحث الصوتي باستقلال أيضاً في رسالته "أسباب حدوث الحروف[3] التي قسمها بعد المقدمة إلى ستة فصول هي:

1- الفصل الأول: في سبب حدوث الأصوات ويتحدث عن الصوت الإنساني باعتباره ظاهرة طبيعية والصوت سببه تموج الهواء ودفعه بسرعة وقوة.

2- الفصل الثاني: سبب حدوث الحروف حيث يتحدث عن مخارج الأصوات إذ الهواء المتموج في مسلكه تصادفه مخارج ومحابس ينتج عنها الحروف وقد تحدث بعض الحروف عن حبس تام للهواء بعده يطلق دفعة واحدة مثل: الباء والتاء والدال والقاف. والكاف وبعض الحروف تنتج عن حبسة غير تامة للهواء وهي سائر الحروف.

3- الفصل الثالث: وقد خصصه لتشريح الحنجرة واللسان.

4- الفصل الرابع: ويتناول فيه الحروف العربية، ووصف العملية العضوية التي يتم بها إخراج كل صوت، والأسباب الجزئية لحدوث الحروف العربية.

5- الفصل الخامس: خصصه لأصوات سمعها في لغات أخرى غير العربية كالفارسية وقارن بينها وبين الأصوات العربية، أي في الأصوات الشبيهة بالأصوات العربية ولكنها ليست في لغة العرب.

6- الفصل السادس: تكلم عن الأصوات التي تنتج عن حركات غير نطقية كالطاء التي تحدث عند تصفيق اليدين. وهكذا قدم ابن سينا بحثاً عن مخارج الأصوات على أساس تشريحي عملي، فيكون ذلك فتحاً كبيراً في الدراسة الصوتية ومنهجاً جديداً في معالجة قضاياها[4]، ولكن السكاكي [5](ت 616 هـ) يقدم رسماً تشريحياً لجهاز النطق يبين فيه مخارج الأصوات، أي يبين على الرسم المخارج كالحلق والحروف التي تصدر عنه كالهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف.

(1) المصدر السابق : 2/139 - 145.
(2) أي شد أصلها شَددَ ومعتل أصلها مُعْتَلِلَ.
(3) تحقيق محمد حسن الطيّان وزميله، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق، 1403 هـ- 1983 م، وانظر الفصل الذي فتحه الدكتور إبراهيم أنيس في كتابة الأصوات اللغوية لشرح الرسالة والتعليق عليها ص ص 136 - 153.
(4) عبد الله ربيع محمود وزميله :علم الصوتيات : ص 69.
(5) انظر : مفتاح العلوم :ص6، وأصول تراثية في علم اللغة، كريم حسام الدين : 153.

ويقدم ابن يعيش في الجزء العاشر من شرح المفصّل (ت 643 هـ) دراسة صوتية عن الإدغام والإبدال وغيرهما معتمداً على سيبويه في كتابه وعلى ابن جني في الخصائص، ولكنه يزيد على ما جاء في الخصائص أنه يتكلم عن الظاهرة ويفسرها صوتياً ولا بأس أن نقارن بينهما لندرك الإضافة التي تبرهن على أصالة مساهمته، وذلك باقتطاع عبارتين من معالجة كل منهما للإبدال ونبدأ بابن جني "[1] تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه..... من ذلك أن تقع فاء افتعل صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاء فتقلب لها تاؤه طاء وذلك نحو: اصطبر، واضطرب واظطلم، فهذا تقريب من غير إدغام..... ومن ذلك أن تقع فاء افتعل زاياً أو دالاً، فتقلب تاؤه لها دالاً أو ذالاً كقولهم: أزدان، وادَّعى، وادّكر.... أجريت (يقصد في ادّكر) الذال لقربها من الدال بالجهر مجرى الدال فأوثر الإدغام لتضام الحرفين في الجهر فأدغم...." لم يذكر تعليلاً صوتياً في إبدال تاء افتعل (في اصطبر واضطرب واظطلم، وازدان وادّعى) سوى تقريب الحرف من الحرف، وبقلب التاء طاء اعتباطاً دون تفسير. ولم يشرح بالتفصيل حديثه عن قلب الذال دالاً سوى علة الجهر بينهما وبإجمال. وانظر التعليل الصوتي الواضح والتفسير الوافي عند ابن يعيش لهذه الظاهرة التي تسمى في علم الأصوات الحديث بالتحييد أو المماثلة، وغلب عليها عند علمائنا كسيبويه وابن جني اسم التقريب أو المقاربة أو المضارعة لوصفها كذلك عندهم، [2] إذ يقول (ابن يعيش)[3]" أبدلت الطاء من التاء إبدالاً مطرداً، وذلك إذا كانت فاء افتعل أحد حروف الإطباق وهي أربعة الصاد والضاد والطاء والظاء نحو اصطبر واضطرب واظطلم والأصل اصتبر واضترب واطترد واظتلم، والعلة في هذا الإبدال أن هذه الحروف مستعلية فيها إطباق، والتاء حرف مهموس غير مستعل فكرهوا الإتيان بحرف بعد حرف يضاده وينافيه فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج واحد ألا ترى أنه لولا الإطباق في الطاء لكانت دالاً ولولا جهر الدال لكانت تاء.... وفي الطاء إطباق واستعلاء يوافق ماقبلها فيتجانس الصوت ويكون العمل من وجه واحد فيكون أخفّ عليهم.... والدال أبدلت من التاء في ازدجر وازدان.... متى كانت فاء افتعل زاء قلبت التاء دالاً.... والأصل ازتجر وازتان.... فلما كانت الزاي مجهورة والتاء مهموسة وكانت الدال أخت التاء في المخرج وأخت الزاء في الجهر قربوا صوت أحدهما من الآخر..... والمراد بذلك كلمة تقريب الصوت بعضه من بعض، هذا ونحوه قياس مستمر " وتحدث كذلك عن الجيم التي تبدل ياء والسين التي تبدل صاداً،

---

(1) انظر : الخصائص : 2/141 - 142.

(2) انظر : الكتاب : باب الإدغام في الحروف المتقاربة : 4/445 إلى آخر الباب، وأما ابن جني ففي الخصائص :2/142.141 وابن يعيش 10/52 - 54.

(3) انظر شرح المفصل : 10/ 46 - 48 , 150 وما بعدها.

هـذا في النوع الأول من التحييد أو التقريب الذي يسـمى المماثلة التقدمية Progressive assimilation حيـث يتأثـر الصوت الثاني (التاء مثـلاً) بالصوت الأول (ص، ض، ط، ظ، ز)، وأما النوع الثاني المسـمى المماثلة الرجعيـة Regressive assimilationالتي يتأثر بها الصوت الأول كالسـين بالصوت الثاني إذا كان غيناً أو خاء أو قافاً أو طاء جاز إبدالها صاداً فقد بيّنها وعلّلها صوتياً بقوله "إنما ساغ قلب السين صاداً فكرهوا الخروج منه إلى المستعلي، لأن ذلك مما ينقل فأبدلوا من السين صاداً، لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير، وتوافق هذه الحروف في الاسـتعلاء فيتجانس الصوت ولا يختلف وهذا العمل شبيه بالإمالة في تقريب الصوت بعضه من بعض[1] والحقيقة أن تعليلاته وشروحه في هذا الشأن كثيرة وإن كان تأثره بسيبويه واضحاً، وهذا له وليس عليه؛ لأنه يبني عليه ويكمل ما ينقصه ويلزمه من شـرح وتعليل صوتي. وأما المخالفـة أو المغايرة Dissimilation فهـي أن يحصل تطور لأحد الصوتين المتحديـن المتماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما أو يبـدل بصوت آخـر مخالف فيصبح الصوتان متخالفين بعـد أن كانا متفقين وهي ظاهرة صوتيـة ذكرت أمثلة لها في لسـان العرب [2] نحو "تظننته وتظنيتـه على التحويل، وعن أبـي عبيدة، تظنيت من ظننت وأصلـه تظننت، كثرت النونات فقلبت أحداهما ياء كما قالوا قصيـت أظفاري والأصل قصصت أظفاري "،" أمللـت عليه الكتاب وأمليته". وقد نبّه إلى هذه الظاهرة سيبويه وعقد لها باباً حيث جاء في كتابه "هذا باب ما شذ فأبدل مكان اللام الياء لكراهية التضعيف، وليس بمطرد، وذلك قولك، تسريت وتظنيت وتقصيت من القصة وأمليـت[3] "والعلـة الصوتية هو التخفيـف أو الاقتصاد في الجهد العضلـي كما يقولون فـي علم اللسـان الحديث ونجـد عند المبرد اهتمامـاً بهذه الظاهرة الصوتيـة بحيث يعلل لها باسـتثقال التضعيف ويضرب لها الشواهد فانظر قوله: "واعلم أن التضعيف مستثقل وأن رفع اللسـان عنه مرة واحدة ثم العودة إليه ليس كرفع اللسان عنه وعن الحرف الذي مـن مخرجه ولا فصل بينهما فلذلك وجب، وقوم من العرب إذا وقع التضعيف أبدلوا الياء مـن الثاني لئلا يلتقي حرفان من جنس واحد، لأن الكسـرة بعـض الياء، وذلك قولهم في تقضضت تقضّيت، وفي أملت: أمليت وكذلك تسريت في تَسرَّرت"[4]

لقـد حاولنا فيما سـبق أن نلـم بالبحوث الصوتية التـي تمكن علماؤنـا القدامى من خوضها معتمدين على ملاحظاتهم وتجاربهم الخاصة وإمكاناتهم الشـخصية؛ إذ لم يكن

(1) السابق :10/51 - 52.
(2) مادة ظنن، ومادة ملل.
(3) الكتاب :4/424
(4) المقتضب : 1/246

لديهم من آلات لتصوير وأجهزة التسجيل والتحليل مما يتاح لعلماء الأصوات في عصرنا، وقد توصلوا إلى نتائج متقدمة في بحثهم لعل في اختصارها تتم الفائدة:

1- وضع أبجدية صوتية للحروف العربية على يد الخليل أولاً ثم سيبويه ثم ابن جني حيث رتبت حسب المخارج على ما بينهم من خلاف تبدأ بالحروف الحلقية وتنتهي بالحروف الشفوية، ووُضعت رموزٌ خطية لتسعة وعشرين صوتاً مع اعتراف سيبويه باثنين وأربعين صوتاً منطوقاً، ولا رسم إلا للتسعة والعشرين التالية بترتيب سيبويه"[1] الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والكاف والقاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو.

2- لقد عرف العرب معظم أعضاء النطق في جهاز التصويت فقد ذكر كانتينو [2]* أنهم قد عرفوا الرئة والقصبة الهوائية والحنجرة والحلق، وفرقوا بين أقصاه أقصد الحلق وأوسطه وأدناه، واللهاة والحنك الأدنى والحنك الأعلى والأنف والخيشوم واللسان وأقصاه ووسطه وظهره وحافته وطرفه والأسنان بثناياها، والشفتين وهيئتهما وقد وجدنا رسماً تقريبياً في مفتاح العلوم للسكاكي لأعضاء النطق ويبدو أنهم لم يعرفوا الأوتار الصوتية وفتحة المزمار ولسانه، فلم نجد من يشير إليهما.

3- وتحدثوا عن مخارج الأصوات على المدرج الصوتي فقد حددها الخليل بثمانية مخارج أو أحياز،[3] وسيبويه بستة عشر مخرجاً [4]، وبما أنها بالملاحظة الذاتية لم تكن دقيقة كما تدل عليه تجارب معامل الأصوات في وقتنا الحاضر التي تحدد مخارج أصوات العربية الفصحى بعشرة مخارج هي: الحنجرة للهمزة والهاء، والحلق للعين والحاء، واللهاه القاف والطبق الكاف والغين والخاء، والغار: الشين والجيم والياء، واللثة: اللام والراء والنون، والأسنان مع اللثة: الدال والضاد والتاء والطاء والزاي والسين والصاد، والأسنان: الذال والظاء والثاء، والشفة والأسنان: الفاء والشفة الباء والميم والواو[5].

4- صنفوا الأصوات حسب صفاتها وفصلوا بينها بناء على ذلك؛ فمنها المجهور والمهموس والشديدة والرخوة، والمطبقة والمنفتحة.[6]

---

(1) الكتاب :4/431.

(2) كانتينو، دروس في علم أصوات العربية : ص ص 17 - 19.

(3) العين : 1/64- 65.

(4) الكتاب : 4/433.

(5) انظر رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ص ص 30 - 31.

(6) سيبويه، الكتاب : 4/434-436.

5- واهتدوا إلى تقسيم الحروف إلى صحيحة ومعتلة ثم قسموا أصوات العلة إلى قصيرة وهي الحركات الكسرة والفتحة والضمة، وحروف المد الطويلة، الألف والواو والياء. فقد اعتمد ابن جني في هذا التقسـيم على اتسـاع مخارج الأصوات المدِّية حين يقول: "والحروف التي اتسـعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء، ثـم الواو....أما الألف فتجد الحلـق والفم معها منفتحين غير معترضين علـى الصوت بضغط أو حصر....الخ"[1] وفـي موضع آخر يقول ابن جني "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألـف واليـاء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة كذلـك الحركات ثلاث وهي الفتحة والكسـرة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو... ويدلـك علـى أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشـبعت واحدة منهن حدث بعدهـا الحرف الذي هي بعضه....".[2] ويبدو أنهم يدركون القسـم الآخر للعلل وهو الذي سميت من أجله حديثاً بأنها أشباه العلل Semi Vowels في نحو:(ظبي، وَوَلد)، فالواو والباء فيهما ليستا مداً أو حرفي علة وإنما هما أشبه بالأصوات الصحيحة التي تقبل الحركات، فتعامل معاملة الأصوات الصحيحة.

6- توصل علماؤنا إلى أن إنتاج الأصوات يتم التحكم به عن طريق تدفق الهواء في مجراه أو حجزه جزئياً أو انحباسه كلياً، وهذا واضح من خلال تشبيه ابن جني لمجرى الهواء بالناي حين يقول "شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً كمـا يجري الصـوت في الألف غُفْلاً بغير صنعة فإذا وضـع الزامر أنامله على خروق الناي المنسـوقة وراوح بين عمله، اختلفت الأصوات، وسُـمِع لكل خرق منها صوت لا يشـبه صاحبـه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفـم باعتماد على جهات مختلفة كان سـبب اسـتماعنا هذه الأصوات المختلفة [3]ومن كان له أدنى معرفة أو قدرة على الملاحظـة الذاتية يـدرك أن النطق يتم عبر مجرى النَّفَس، وربما كان ابن سـينا أكثر مباشـرة ووضوحاً حين يقول في الفصل الثاني من كتابه "أسباب حدوث الحروف" إن سـبب حدوث الحـروف هو الهواء المتموج في مسـلكه يصادفه مخارج ومحابس تنتج عنها الحروف، وقد تحدث بعض الحروف عن حبس تام للهواء بعده يطلق دفعه واحدة مثل الباء والتاء والدال والقاف والكاف واللام والميم والنون، وبعض الحروف تنتج عن حبسـة غير تامة للهواء وهي سـائر الحروف "وهو هنا يفرّق بين الأصوات الشـديدة أو الانفجاريـة التي بدأها بالباء وأنهاها بالنـون وتنتج عند حبس الهواء في موضـع ما على المدرج الصوتي فالباء مثلاً ينحبس الهواء وراء الشـفتين والأصوات الرخوة أو الاحتكاكية التي ينحبس معها الهواء جزئياً ويبقى جزء من النَّفَس متسرباً إلى الخارج كالثاء.

---

(1) ابن جني، سر الصناعة : 1 / ص 8
(2) المرجع السابق : 1/ 17 - 18، 23
(3) نفسه : 1 / ص 8.

7- لم يغب عن علمائنا ما يعرف اليوم بنظرية الفونيم التي لا تطلق على الصوت أو الحرف اصطلاح الفونيم إلاّ إذا صلح أن يكون مقابلاً استبدالياً لفونيم آخر يحل محله فيعطي معنى مختلفاً مع ثبوت أصوات أخرى في الكلمة نفسها كما في نفر ونفق فالقاف والراء مقابلان استبداليان؛ فكل منها يعطي معنى جديداً للكلمة؛ إذا استبدل بالآخر مع ثبوت النون والفاء، وقد تنبه إلى ذلك ابن جني وقد ذكرنا ذلك في محلّه واستشهدنا له حيث ضرب مثلاً بالسين والصاد في صعد وسعد[1].

8- إدراك علمائنا تأثير بعض الملامح الصوتية المصاحبة بمفهومها وإجراءاتها أو الفونيمات غير التركيبية في اصطلاحات فيرث، كالنبر والتنغيم وهو ما برهنا عليه في نصوص اقتطعناها من الخصائص[2].

9- لقد قدموا التفسير الصوتي الدقيق لكثير من الظواهر الصوتية التي تحدث في سياق الكلام، وهو التعليل الذي يطلق عليه في عرف اللسان الحديث الاقتصاد في الجهد العضلي الذي يوفر انسجاماً صوتياً وتخفيفاً وسهولة في النطق كالإدغام والإبدال بما فيهما من تقريب ومضارعة أو قلب مما اصطلح عليه حديثاً بالتحييد أو المماثلة والمخالفة.

10- لقد شُغِل علماؤنا القدامى كغيرهم بالقيمة التعبيرية للحرف العربي أي بما يسمى في عصرنا بالعلاقة بين الصوت والمدلول Sound Symbolism وحاول بعضهم كابن جني أن يثبت بكل ما أوتي من قدرة لغوية، أن هناك دلالة طبيعية للحرف العربي على المعنى وفتح لها أبواباً في كتابه الخصائص[3] وهذا توجه قد تيسر له الكثير من المؤيدين شرقاً وغرباً، وإن انتهى الدرس اللساني حديثاً إلى أن العلاقة بين الصوت والمعنى اعتباطية Arbitrary.

11- في حديث سيبويه والجاحظ عن الحروف التي تدخل فيها اللثغة كالشين والقاف والراء وصف للنطق المرضي للأصوات Articulation thology وهو سبق لعلمائنا لأحد منجزات علم اللسان الحديث باهتمامه الخاص فيما يسمى بعلم اللسان المرضي Logopedy.

---

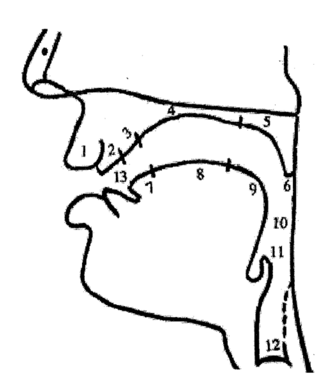
(1) الخصائص : 2/161.

(2) المرجع السابق :2 / 370 - 371.

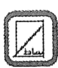
(3) انظر الأبواب التالية في الخصائص لابن جني:- تلاقي المعاني على اختلاف الأصّول والمباني: 2/113 - 133.

- تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني : 2/145 - 152.
- إمساس الألفاظ أشباه المعاني : 2/152 - 168.

الجهاز الصوتي



1-	الشفتان	lips
2-	الأسنان	teeth
3-	اللثة	tooth - ridge
4-	الحنك الصلب	hard palate
5-	الحنك اللين	(velum)Soft palate
6-	اللهاة	uvula
7-	طرف اللسان	blade of tongue
8-	مقدمة اللسان	front of tongue
9-	مؤخرة اللسان	back of tongue
10-	الحلق	pharynx
11-	لسان المزمار	epiglattis
12-	موقع الأوتار الصوتية	position of vocal cords
13-	حد اللسان	tip of tongue



نشاط (4)

1- تتبع المقارنة التي أجراها الدكتور إبراهيم أنيس بين نصوص سيبويه عن الأصوات من جهة والنصوص المشابهة من جهة أخرى في كتاب سر صناعة الإعراب وشرح المفصل والنشـر في القراءات العشـر من حهة أخرى، في كتاب الأصوات اللغوية، الفصل الخامس القسم الخامس بسيبويه وأصوات اللغة".

2- إقرأ الأبواب التالية التي عقدها ابن جني في كتابه الخصائص من أجل الاطلاع على أبعاد الدلالة الطبيعية للألفاظ على المعاني:" تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني (جـ 2:113-133) تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني (جـ145-152)، وإمساس الألفاظ أشباه المعاني (جـ 2:152-168).

3- اقـرأ الفصـل الخاص باللثغة في البيان والتبيين جـ1/ 34، وما بعدها، والدراسـة التـي أقامتهـا الدكتورة فاطمة محجوب في كتابها دراسـات في علم اللغة: الفصل المعنون بـ "علم اللغة من خلال البيان والتبيين" لتعرف كثيراً من الحقائق العلمية في علم اللسان التي وافق بها علماؤنا علم اللسان الحديث.



أسئلة التقويم الذاتي (4)

1-ما أبرز الجهود الصوتية التي شارك في بحثها الخليل بن أحمد؟

2- بين الترتيب الصوتي للحروف عند سيبويه.

3- مـا المباحث الصوتية التي جاءت في كتاب سـر صناعة الإعراب؟ وهل هناك مباحث صوتية أخرى طرقها ابن جني في غير كتابه هذا؟ واذكر ما تعرفه.

4- اذكـر بإيجاز المباحث الصوتية والنتائج التي توصل إليها علماؤنا مما يعد فتحاً في علم الأصوات.



تدريب (5)

1- رتب الحروف التالية صوتياً حسب ترتيب الخليل بن أحمد لها في معجم العين:
ج،ق،ش،ر،د،ظ،م، هـ، ض، ص، ت.

2- ما الفرق بين الترتيب الألفبائي والصوتي للحروف ؟

3- ما المقصود بالاصطلاحات التالية: سياق الحال، الفونيمات غير التركيبية، الدلالة الذاتية الطبيعية، الدلالة الاعتباطية ؟

2.1.3 المستوى الصرفي

لقد ذكرنا أن اللغة نظام من الأصوات تدرس مفردة ومركبة على مستويات عدة فإذا انصب البحث على هذه الأصوات منفردة أو مستقلة ومتجاورة، ومن أجل معرفة طبيعتها وصفتها ومخرجها ووظيفتها فذلك من اختصاص علم الأصوات.

أما إذا انضمت الأصوات بعضها إلى بعضها بحيث تتآلف وتشكل وحدات أو عناصر أكبر نطلق عليها المفردات أو الكلمات نقسمها إلى أسماء وأفعال وحروف، اصطلح على تسميتها في علم اللسان الحديث بالمورفيمات Morphemes، أي الوحدات الصرفية التي هي موضوع الدرس الصرفي. لقد كان فهم العرب متقدماً لدور الدرس الصرفي باعتباره مقدمة ضرورية أو تمهيدية للدراسة النحوية، حيث الوظيفة النحوية للكلمة تعتمد في الإحاطة بها على معرفة البنية الصرفية لها؛ فقد ذكر ابن جني ما يؤيد هذا الفهم؛ حيث قال في المنصف "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف" [1] وهكذا تكون البنية الصرفية ميدانها علم الصرف هي حلقة الوصل بين الصوت المفرد في ذاته وميدانه علم الأصوات وبين الجملة وميدانها علم النحو، إذ الوحدات الصوتية تتآلف في وحدات صرفية تنتظم بدورها في تركيب نحوي نسميه الجملة، وهي السلسلة اللفظية أو الصورة الصوتية التي تجسد الفكرة، ومن هنا قد جاء جمعهما (أقصد الصرف والنحو) في اللغات الأوروبية تحت مسمى واحد هو Grammar أي قواعد اللغة وقد وصف أنطوان ماييه الفصل بينهما بأنه مصطنع، والتمييز بينهما حمق بقوله: "فعند ما نميز بين علم الصيغ Morphology وعلم النظم Syntax جاعلين موضوع أحدهما صيغ الألفاظ.... وموضع الآخر بناء الجمل، يكون تمييزنا مصطنعاً......

(1) المازني المنصف : 1/4 - 5.

ولكم من مرة يميزون فيها بين علم الصيغ باعتباره العلم الذي يدرس بناء الصيغ النحوية وعلم النظم باعتباره ذلك الذي يتناول وظيفة تلك الصيغ، وهذا تمييز أحمق ".[1]

ففهم معاني المباني من خلال التحليل الصرفي هو المدخل الطبيعي لإدراك المعاني النحوية لهذه المباني؛ فإن صيغة اسم الفاعل أو المبالغة تدل على الفاعلية مثلاً وهو غير المعنى المستفاد من صيغة اسم المفعول التي تدل على المفعولية "الفرق قائم أيضاً بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة منه، فهناك فرق دلالي بين نائم ونؤوم وهما صيغتان جذرهما واحد (ن و م) في قولنا: إنها نائمة في الضحى، وقولنا: إنها نؤوم الضحى، وكذلك الفرق في الصيغة قد يؤدي إلى نقيض المعنى في مثل قولنا:

لا تُفَرِّطوا في الشرف والأمانة و: لا تُفْرِطوا في الشرف والأمانة.

مع أن جذر الفعلين واحد (ف، ر، ط) وما أوجد التناقض في المعنى هو الفرق بين صيغتي تُفَعِّل وتُفْعِل.

وقد أدرك ابن عصفور (ت 669 هـ) أن الدرس الصرفي مقدمة للدرس النحوي بقوله "وقد كان ينبغي أن يقدم علم التصريف على غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها، من غير تركيب، ومعرفة الشيء في نفسه قبل أن يتركب ينبغي أن تكون مقدمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب".[2] نفهم مضمون هذا الكلام على ضرورة أن يكون التحليل الصرفي سابقاً للتحليل النحوي في البحث اللساني، لا أن يجمع بينهما في كتاب واحد، وقد انعكس هذا الفهم للعلاقة بين الصرف والنحو في تعريف النحو عند ابن جني الذي تضمن مسائل صرفية بقوله عن النحو: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكبير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك...". [3] وقد كان الخضري في حاشيته على شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك أوضح؛ حيث ذكر أن النحو يطلق على ما يعم الصرف تارة وعلى ما يقابله تارة أخرى ويعرِّف على الأول: بأنه علم بأصول مستنبطة من كلام العرب، يعرف بها أحكام الكلمات العربية حال إفرادها كالإعلال والحذف والإبدال، وحال تركيبها كالإعراب

---

(1) انطوان ماييه، علم اللسان : مترجم وملحق بكتاب النقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور: ص 438.

(2) الممتع في التصريف : 1/30 - 31.

(3) ابن جني الخصائص : 1/34.

والبناء...وعلى الثاني يختص بأحوال التراكيب"[1] وهذا التعريف أوضح من سابقه في دلالته على الجمع في الدراسة النحوية بين المفردات والتراكيب.

وفي اعتقادي أن التعريف الذي يعتبر الصرف جزءاً من النحو هو نتيجة طبيعية لما جاء من مباحث في كتب النحو المتقدمة وأولها كتاب سيبويه الذي جمع إلى مباحث النحو دروساً في الصرف والصوت أيضاً، وثانيهما المقتضب للمبرد الذي خصص محققه خمسين صفحة من الفهارس لأبواب الصرف لو أردنا استخراج مادتها وفصلها لكان لنا منها كتاب خاص بالصرف يشمل جميع مسائله وقضاياه[2].

وهذا أمر دلالته واضحة على أن نشأتهما واحدة تحت علم واحد هو علم العربية وأول ما ورد مصطلح التصريف عند سيبويه عندما أراد أن يبين أوزان الأسماء والصفات فتح باباً وعنونه كالتالي: "هذا باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجيء في كلامهم إلاّ نظيره من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون التصريف والفعل" [3]، هذا غير الأبواب الصرفية التي جاءت في كتابه نحو باب التثنية والجمع[4]،وباب التصغير[5] و باب المقصور والممدود[6]، ومصادر بنات الأربعة [7] وباب التضعيف [8]، والإدغام [9]، وغيرها من الأبواب.

ويبدو بناء على ما نقلته كتب التراجم[10]، أن أول من جعل للتصريف درساً مستقلاً معاذ بن مسلم الهراء (ت 187 هـ) وإن لم يترك أثراً يدل على ذلك، ويبدو كذلك أن درسه في هذا الشأن لم يكن مَعْلَماً يستحق الوقوف عنده، وكان محدود الأثر؛ مما حرمه من فرصة الشهرة والتميّز عن غيره من علماء البصرة في هذا العلم؛ لذا نرى صاحب الفهرست

(1) انظر : حاشية الخضري على شرح ابن عقيل :ج1/ص10 (المطبعة الميمنة القاهرة، 1305 هـ).
(2) أنظر، الجزء الرابع من المقتضب للمبرد : ص ص 149-200.
(3) الكتاب : 4/242.
(4) السابق : 3/389.
(5) نفسه :3/415.
(6) نفسه 3/536.
(7) نفسه 4/85.
(8) نفسه :4/417.
(9) نفسه : 4/431
(10) انظر :السيوطي، بغية الوعاة : 2/291.

يقـول "ولا كتاب له يعرف ".[1] ولم يبرز الصرف باعتباره علماً من علوم العربية إلاّ على يـد المازنـي (ت 249 هـ)، الذي ألمح في قوله "مـن أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد سيبويه فليستحي "أنه يريد أن يضع كتاباً في علم آخر غير النحو يكون نظيراً لكتاب سـيبويه في أوليته وتأصيله لعلم النحو، فأفرد كتاباً لعلم الصرف سـماه التصريف، جمع فيه مسائل هذا العلم المتناثرة في كتب النحويين قبله وقد أدرك محققو هذا الكتاب غرض المازني فـي رأيي حين قالوا: "وكتابه على صغره، جامع لعلم التصريف، ويعد أصلاً في موضوعه ككتاب سيبويه، فكل منهما أصّل في موضوعه، الأول في التصريف والثاني في النحو [2] ".

مع أنه في حقيقة الأمر ليس في مسـتوى كمال كتاب سـيبويه ولا شـموليته بل عالة عليه مما جعل الدكتورة خديجة الحديثي تقول في كتابها أبنية الصرف: "كتاب المازني لا يخرج عما ذكره سيبويه في الكتاب في باب التصريف مع تلخيص وإضافة بعض الشواهد والأمثلة[3]، ويبدو أن كتاب المازني قد اسـتمد أهميته وأتيح له الانتشـار بفضل شرح ابن جني له.

لا بد من الإشارة كذلك إلى أن المبرد (ت 285 هـ) والرماني (ت 384 هـ) قد صنفا كتابيـن بعنوان التصريف[4]وإنه لم يصل إلينا منهما شـيء، وأتيـح لتصريف المازني. ما لم يتح لهما بشـرح ابن جني له في كتاب سـماه "المنصف في شـرح تصريف المازني"، ومـن التصانيف الصرفية التي لم يكـن التصريف عنواناً لها، ولكن من يتتبع موضوعاتها يجدها صرفية خالصة، كتاب التكملة وهو الجزء الثاني من الإيضاح العضدي وموضوعاته نحوية، لأبي علي الفارسـي[5] (ت 377 هـ)، ومن موضوعاته: باب التقاء السـاكنين، باب التثنية والجمع، باب النسب باب المقصور والممدود، باب المذكر والمؤنث، باب التصغير، بـاب الإدغام....الخ، حتى يمكننا أن نطلق عليه التكملة في الصرف، مع الاعتراف بأنه كان يعتبر الصرف جزءاً من النحو ويفهم ذلك جلياً من عنوان الكتاب بأنه تكملة كتاب سـابق أو هو جزء ثانٍ مكمل له مع أن الأول موضوعه نحوي والثاني صرفي. وكذلك حين يعرف النحو يذك أنه "علم بالمقاييس المسـتنبطة من استقراء كلام العرب وهو ينقسم قسمين: أحدهما تغيير يلحق بأواخر الكلم، والآخر يلحق ذات الكلم وأنفسها...نحو التثنية والجمع

(1) ابن النديم، الفهرست :ص55
(2) المنصف : 2/288.
(3) ص 31.
(4) انظر:الفهرست 54،49(تحقيق فلوجل)
(5) أبو علي الفارسي، التكملة : ص 3

والنسب والمقصور والممدود والتأنيث والتذكير والتصغير والتصريف والإدغام"[1] مما يعني أنه قد عاملهما على أساس أنهما فرعان متكاملان لعلم واحد هو قواعد اللغة Grammar، وهو ما يذهب إليه اللسانيون المعاصرون، وقد ذكرنا آنفاً كلام ماييه الذي اعتبر التمييز والفصل بينهما حمقاً، وكل ما فعله الفارسي أن خص كلاً منهما بكتاب وهو أمر منهجي تعليمي.

ولم يفت ابن جني أن يضع كتاباً خاصاً في أصول التصريف سماه التصريف الملوكي، الذي لقي بدوره عناية بعض العلماء الذين قاموا بشرحه نعد منهم أبا القاسم الثمانيني (ت 442 هـ) وابن يعيش (ت 643 هـ).

وعلى الرغم من عدم التزام بعض العلماء باستقلال الدرس الصرفي عن الدرس النحوي كالزمخشري في المفصل، وشرحه لابن يعيش، وابن مالك في ألفيته وشروحها، وابن هشام وما تضمنته مصنفاته كالتوضيح من بحوث صرفية إلا أن النهج الاستقلالي في التصنيف الصرفي فد استقر واستمر وأخذ العلماء يتنافسون في التأليف في مسائله وقضاياه ومنهم من كان يقوم بشرح ما صنفه غيره وآخرون قاموا بكتابة الحواشي على الشروح والقائمة طويلة نذكر منها ما يلي [2]:

- نزهة الطرف في علم الصرف لأبي الفضل الميداني (ت 518 هـ).
- الشافية في التصريف، لابن الحاجب (ت 646 هـ).
- العزّي في التصريف لعز الدين الزنجاني المعروف بالعزّي (ت 655 هـ).
- وقام بشرحه التفتازاني (793 هـ)، والشريف الجرجاني (ت 816 هـ).
- الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي (ت 669 هـ).
- شرح الشافية لرضي الدين الإسترابادي (ت 686 هـ).
- شرح الشافية لأحمد بن الحسن الجاربردي (ت 746 هـ) ولابن جماعه (ت 819 هـ) حاشية على شرح الجاربردي.
- عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب لابن هشام (ت 762 هـ).
- مراح الأرواح في التصريف لأحمد بن علي بن مسعود، وقد قام بشرحه على محمد البسطامي (ت 875 هـ).
- العنقود الزواهر في نظم الجواهر في التصريف لعلي بن محمد المعروف بقوشجي (ت 879 هـ).

(1) أبو علي الفارسي، التكملة :ص3.
(2) ومن أراد أن يستزيد فليرجع إلى كتاب اللغة العربية وعلومها لعمر رضا كحالة : ص ص 143-147.

- التعريف في نظم التصريف لحسين بن علي الحصني (ت 946 هـ).
- شرح المقصود في التصريف لمحمد بير علي المعروف ببيركلي (ت981هـ).

ويتوالى التأليف في علم الصرف إلى يومنا هذا باعتباره علماً متميزاً ومنفصلاً ومستقلاً بمنهجه ومسائله، حتى أصبح قسيماً للنحو وليس قسماً منه. والحقيقة التي يجب أن نعيها جيداً هي أن استقلال الصرف عن النحو استقلال صوري والفصل بينهما مصطنع وهو أمر منهجي من أجل الدراسة، لكن التكامل بينهما واستعانة كل منهما بقوانين الآخر للوصول إلى حقيقته، أمر لا يمكن الاستغناء عنه.

بعد ما تقدم من بيان تاريخي عن نشأة هذه العلم وتطوره واستقلاله والتأليف منه، يجدر بنا أن ننتقل إلى بيان معنى الصرف لغة واصطلاحاً من أجل تحديد مباحثه وموضوعاته التي تناولها علماؤنا بالدرس والتحليل.

الصرف لغةً: لقد ورد لها عدة معانٍ في لسان العرب[1] نقتطف منها الدلالات التالية:

1- الصرف: بمعنى رد الشيء عن وجهه، وصرفت الصبيان قَلَبْتُهُم.
2- الصرف: بمعنى، التقلب والحيلة.
3- الصرف: بمعنى الزيادة والفضل والميل، فضل الدرهم على الدرهم، وبين الدرهمين صرف أي فضل.
4- صرف الحديث: تزيينه والزيادة فيه.
5- التصريف: من صرَّف الآيات أي بيَّنها، وتصريف الآيات، تبيينها.
6- تصريف الرياح: صرفها من جهة إلى جهة.

وللكلمة معانٍ أخرى، ونكتفي بما ذكرنا من المعاني التي يمكن أن نستشفه منه صلة أو علاقة بين هذه المعاني اللغوية والمعنى الاصطلاحي، إذ المعنى الغالب عليها الذي يمُكن استخلاصه دون تكلف أو تعسف، هو أنها تدور حول التقليب والتحويل والزيادة، وقد صرح السيوطي بقوله: "التصريف لغة التقليب من حالة إلى حالة وهو مصدر صرّف أي جعله يتقلب في أنحاء كثيرة وجهات مختلفة [2]" يلتقي هذا المعنى اللغوي مع ضروب التغيير والتحويل التي تحدث للكلمات والبحث فيها فنقلت كلمتا الصرف والتصريف من

(1) انظر مادة صرف.
(2) السيوطي، همع الهوامع : 212/2.

معناهمـا العام الذي يـدل على التقليب والتحويل والزيادة لكل شـيء ماديٍّ ومعنويٍّ إلى تغييـر خاص بالكلمات العربية، أي حدث لهما تخصيـص ليصبحا مصطلحين دالين على هذا الذي يهتم ببنية الكلمة، المسمى في اللغات الأوروبية Morphology.

ولمعرفة ما هية هذا العلم وموضوعه والغرض منه لا بد أن ننقل ما ورد من تعريفات لابن جني الذي قال عنه ياقوت "لم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف، ولم يتكلـم أحد في التصريف أدق كلامـاً منه"[1] وقد جاء في التصريف الملوكي: "التصريف هـو أن تأتي إلى الحروف الأصـول فتتصرف فيها بزيادة حـرف، أو تحريف بضرب من ضروب التغيير فذلك هو التصريف فيها، والتصريف لها". [2]

وفـي هذا التعريف تضييـق لمفهوم الصرف التقليدي، فهو لا يتناول سـوى التغيير الشـكلي أو اللفظي الـذي يصيب أبنية الكلمـات من زيادة على أصولهـا. وحين أراد، في تقديري، أن يشـرح مفهومه للتصريف انصب حديثه على الناحية الشكلية في التغيير ولم يتطـرق للناحيـة المعنوية من التغيير حيث يقول: "التصريف ميـزان العربية وبه تعرف أصـول كلام العرب الداخلـة عليها ولا يوصل إلى معرفة الاشـتقاق إلا به وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف، وذلك نحو قولهم: أن المضارع من فَعُل لا يجيء إلا على يفعُل بضم العين، ألا ترى أنك لو سـمعت إنسـاناً يقول كـرم بفتح الراء من المضارع لقضيت بأنه تارك لكلام العرب سـمعتهم يقولون يكرم أو لم تسمعهم، لأنك إذ صح عندك أن العين مضمومة من الماضي قضيت بأنها مضمومة في المضـارع أيضاً قياسـاً على ما جاء....."[3] ويضرب أمثلة أخـرى كضم الميم وفتح العين من صيغة مُفْعَل وكسـر ميم مِفْعَلة، كل هذا الشـرح لا يخرج عن المفهوم الشكلي للدرس الصرفي، وكما يعلِّق الأستاذ الدكتور كمال بشر على شرحه هذا "إن ابن جني قصر البحث فـي هذا العلم علـى النظر في الكلمة ذاتها وفيما يحدث لها مـن تغيرات أغلبها لا يفيد في خدمة التركيب والعبارة، على خلاف المنتظر من الصرف بالمعنى الذي نفهمه"[4].

والصرف كما سـيتضح من التعريفات التي سنسـوقها لاحقاً، أعم وأشـمل كما يفهم مـن تعريف ابن الحاجب (ت 646 هــ) الجامع، وإن كان موجزاً حيث يقول: "التصريف علـم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليسـت بإعـراب [5] ويبدو أن هذا التعريف

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء : 2/83.
(2) ابن جني، التصريف الملوكي : ص 3
(3) المنصف :جـ 1/ص2.
(4) دراسات في علم اللغة، القسم الثاني : 91.
(5) شرح شافيه ابن الحاجب للأستراباذي 1 / 2.

لم يحظ برضا شارحه الاستراباذي (ت 686 هـ)، فيأتي بتعريف أكثر تفصيلاً عزاه للمتأخرين وهو "والمتأخرون على أن التصريف علم بأبنية الكلمة وبما يكون لحروفها من أصالة وزيادة وحذف وصحة وإعلال وإدغام وإمالة، وبما يعرض لآخرها مما ليس بإعراب ولا بناء من الوقف وغير ذلك[1]، وهو تعريف لم يخرج عن عباءة ابن جني بتركيزه على الناحية اللفظية الشكلية في التغيير، وإن تأثره بتعريف ابن مالك يكاد يصل إلى حد التطابق ففي التسهيل: "التصريف علم يتعلق ببنية الكلمة وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك"[2] وإن في تعريف ابن الحاجب إيحاء بشمول أوسع منه ولا ندري ما منع الأستراباذي من أن يأتي بتعريف التصريف المذكور في شرح الكافية الذي يبدو أنه استفاده من ابن عصفور مما سنذكره فيما يلي ويبدو أن ابن عصفور (ت 669 هـ) قد أصاب حقيقة هذا العلم وجوانبه وأغراضه أكثر من سابقيه بدليل أن تعريفه قد أصبح نبراساً لمن جاء بعده كالأستراباذي في شرح الكافية والأشموني في شرح الألفية والخضري في حاشيته على ابن عقيل والأزهري في شرح التصريح على التوضيح. ونكتفي بتعريف ابن عصفور لأن من تأثر به لا يخرج مضمون تعريفه عنه وهو "والتصريف ينقسم قسمين: أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني نحو ضَرَب، وضَرَّب، وتضَّرب وتضارب واضطرب...، ومن هذا النحو اختلاف صيغة الاسم للمعاني الذي تعتوره من التصغير والتكسير، وهذا النحو من التصريف جرت عادة النحويين أن يذكروه مع ما ليس بتصريف... والآخر من. فسمى التصريف تغيير الكلمة عن أصلها من غير أن يكون ذلك التغيير دالاً على معنى، طارئ على الكلمة، نحو تغييرهم قَوَل إلى قال"[3] ويعدُّ بعد ذلك ما ينحصر في القسم الثاني من مباحث صرفية غير الإعلال كالنقص والقلب والإبدال والنقل للحركة والحرف والحذف، في حين أن القسم الأول مبني على معرفة الزائد من الأصلي وينهي بيانه بقوله "فإذا بيَّنا جميع ما ذكرناه، في هذين القسمين، فقد أتينا على جملة التصريف [4] " يجدر بنا أن ننتقل إلى مباحث علم الصرف التقليدي انطلاقاً من تعريف ابن عصفور واعتماداً على كتب الصرف التراثية وأكملها شرح الشافية للاستراباذي ولا بد من التنبيه إلى أن الصرف يختص بالأسماء المعربة والأفعال المتصرفة ويشتمل على نوعين من المباحث هما:

---

(1) المصدر السابق : 1 / ص 7.

(2) ابن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد 290.

(3) ابن عصفور، الممتع في التصريف : 1 / 31 - 32.

(4) السابق : ص 33.

أولاً: التغييـر في الأبنية أو الصيغ المختلفة لإفادة معانٍ لا تأتي إلا بالتحويل، ويمكن أن نعد من مسائله أو ما يدخل في بابه ما يلي:

1- تغيير الصيغ من حال الإفراد إلى حالي التثنية والجمع في الأسماء الصحيحة والممدودة والمنقوصة وتغيير الأسـماء من حالة التكبير إلى حالة التصغير، ومن حالة الاسـمية إلى الصفة بالنسـب، ومن التذكير إلى التأنيث، ومن التنكير إلى التعريف ومن المبني للمعلوم للمبني للمجهول، وكلها يمكن أن نطلق عليها تحويل المتقابلات أو تغييرها.

2- الاشـتقاق مـن المصـادر أو الأفعـال وهي صيغ يشـتق كل منها علـى كيفية خاصة كالمصـدر الميمي والصناعي وكأسـماء الفاعـل والمفعول والزمـان والمكان والآلة والصفة المشبهة، وكل صيغة لها معنى مختلف عن الأخرى.

3- تحويل صور الأفعال للدلالة على أزمنتها بالزيادة أو الحذف.

4- العلاقة بين الصيغ الاسـمية والفعلية بما زيد عليها في الصدور أو الحشو أو الأعجاز مـن سـوابق أو لواحق في الأفعال والأسـماء، والمعانـي التي تكتسـبها في صورها الجديدة.

5- تصريف الأفعال بإسـنادها إلى الضمائر بمعنى تحويلها بحسـب فاعلها فتتحول من ضمير المفرد إلى المثنى والجمع، ومن ضمير المذكر إلى المؤنث، ومن ضمير الغيبة إلى المخاطب أو المتكلم.

ثانيـاً: التغيير اللفظي: وهـو التغيير الذي يلحق أصول الكلمات ولا يؤدي إلى اختلاف في المعاني كالإعلال والإبدال والإدغام وهي موضوعات مشتركة بين علم الأصوات وعلم الصـرف، وهنـاك توجه حديث يجعل البحـث فيها من اختصاص علـم الأصوات وقد بلوره الدكتور عبد الصبور شاهين في نظرية أقام عليها كتابه: المنهج الصوتي للبنية العربيـة، وأمـا الإمالة والوقف فهما أقرب إلى علم الأصـوات منهما إلى الصرف، وإن عدها القدمـاء منه ومما يندرج تحت التغير اللفظي كذلـك الميزان الصرفي والصحة والاعتلال والجمود والاشتقاق للمجرد والقلب المكاني في الصيغ.

أمـا التحليـل المورفولوجـي الحديث فيـكاد يتلاقى مـع التحليل الصرفـي العربي، فإنهم يطلقـون حديثاً مصطلح المورفيم على ثلاثة أنواع من البنى الصرفية، على الصيغ الصرفية المسـتقلة أو ما يسـمونه المورفيم الحر Free morpheme نحو ضرب، مسلم، وعلى الوحـدة الصرفية التي تؤدي معنى وظيفياً نحويـاً إذا أضيفت إلى غيرها كحروف

المضارعــة وعلامــة المثنى وعلامــات جمع المذكـر والمؤنث وتاء التأنيـث في: يضرب، وأضرب، ومسلمان، ومسلمون، مسلمين، مسلمات، مسلمة، ضربت، وهذا المورفيم يسمى المورفيم المقيد Bound morpheme.

وأما النوع الثالث فهو المورفيم الصِّفْري Zero morpheme وهو ما كان مقدّراً أو مستتراً أيّ لا يظهر نطقاً أو خطاً كالضمائر المستترة وحركات الإعراب المقدرة.

قلنــا إنه يكاد يتلاقى مع التحليل الصرفــي العربي قديماً وهذا أمر حقيقي فالخلاف فقط في استعمال المصطلح أما الوظائف النحوية لهذه الوحدات الصرفية (المورفيمات) مهما تنوعت واختلفت فهي نفسها في التحليلين، فإن مبادئ التعريف والتحديد والتصنيف والتوزيــع التي يقوم عليها التحليل المورفولوجي لا تحتاج إلى بحث واســتقصاء لمعرفة مــدى تحققهــا في التحليل الصرفي العربــي التقليدي فالتعريف من خــلال أداة التعريف فالقلــم أل+ نكــره / أل+ قلــم = مورفيــم مقيد+مورفيم حر، أو مســلمون يحدد مفرده بحــذف الواو والنون، وهكذا زيادة مورفيم إلى آخــر أو حذف مورفيم من آخر يكون فيه نوع من التحديد أو التعريف.أما التوزيع فيقوم على فكرة إحلال أو إبدال مورفيم من آخر كما يقال: ضَرْبتُ: ضَرَبَتْ، وأضرُب ويضرب، ومسلمون ومسلمات.

والتصنيف على النمط نفســه فإذا زدت مورفيماً يصبح المفرد جمعاً والمذكر مؤنثاً أو يصبح اســم فاعل بزيادة مورفيم الألف أو الميم المضمومة: مقاتل، مسلم ويصبح اسم مفعــول إذا زدت مورفيمــي الميم والواو، وفتــح ما قبل الآخر مع الميــم نحو: مضروب، ومَدْخل...الخ.



نشاط (5)

اقـرأ للاطـلاع فصل المورفولوجيـا من كتاب علـم اللغة مقدمة للقـارئ العربي للدكتـور محمـود السـعران ص ص 216-232، كذلك الفصل الرابـع وعنوانه النظام الصرفي من كتاب مقدمة لدراسة علم اللغة للدكتور حلمي خليل.

- كذلـك راجـع عن المنهج الصوتـي في تحليل الصيـغ كتاب الدكتـور عبد الصبور شـاهين: المنهج الصوتي، للبنيـة العربية، المقدمة، تحديد المصطلحات، وإسـناد ماضي الأفعال المعتلة إلى الضمائر وكذلك راجع التقديم والمقدمة والفصل الرابع من الباب الأول.
- والفصول الرابع والخامس والسادس من الباب الثاني، من كتاب التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث للدكتور الطيب البكوش.



أسئلة التقويم الذاتي (5)

1- اذكر أبرز الآراء وأصحابها التي جعلت الصرف والنحو درسين متكاملين؟
2- متى استقل البحث الصرفي؟ ومَن العالم الذي بدأ بذلك؟ وما أشهر الكتب التي ألفت في هذا المجال؟
3- بين معنى الصرف لغة واصطلاحاً ؟ وما أهم مباحثه؟



تدريب (6)

س -1 ماذا يقصد بقولنا:" فهم معاني المباني هو المدخل الطبيعي لإدراك المعاني النحوية لهذه المباني "؟

س -2 التحليـل الصرفي الحديث يعتمد على أربعة مبادىء، اذكرها مع التمثيل لكل منها.؟

3.1.3 المستوى النحوي

بدأ البحث النحوي عند العرب متأخراً أو في مرحلة تالية لجمع اللغة وهذا أمر طبيعي لأن استنباط قوانين اللغة وقواعدها لا يكون إلاّ من خلال مادة لغوية يقوم الدارس باستقرائها وفحصها، فاللغوي يجمع ما تكلمت به العرب والنحوي يقوم بدراسة ما جمعه اللغوي.

وبدايات النحو العربي لم يحسم أمرها وظل الخلاف قائماً حولها وحول من قام بها، فتقرأ أنه علي بن أبي طالب أو نصر بن عاصم أو عبد الرحمن بن هرمز أو أبو الأسود الدؤلي بأمر من زياد بن أبيه. ولكن الأمر الذي تجمع عليه الروايات كلها أن السبب المباشر لوضع النحو هو فشو اللحن بين العرب بعد انتشار الإسلام واختلاط العرب بغيرهم ممن دخلوا في الإسلام وانضووا تحت راية الدولة العربية الإسلامية؛ يقول الزبيدي في مقدمة طبقاته[1]" "ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجاً وأقبلوا إليه أرسالاً، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة والعربية، واستبان منه في الإعراب الذي هو حَلْـيُها والموضع لمعانيها، فعظم الإشفاق من فشوّ ذلك وغلبته، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه وتثقيفها لمن زاغت عنه "فكان الغرض من الدرس النحوي في البداية غرضاً تعليمياً لغير العرب ولمن فسدت لغته من العرب؛ فابن السراج (ت 316 هـ) يصرح بذلك بقوله " النحو إنما أريد به أن ينحو المتكلم إذا تعلمه،كلام العرب"[2] ويتضح أكثر في تعريف ابن جني للنحو حين يقول: "هو انتحاء سَمْت كلام العرب من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك،ليلحق من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رُدّ به إليها"[3] وهو تعريف لا يوضح ما هية النحو مما يميّزه، بل يبيّن وظيفته والغاية منه.

ويستمر الزبيدي في الحديث عن بدايات النحو ومؤسسيه بقوله: "فكان أول من أصّل ذلك وأعمل فكره، أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي، ونصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هُرْمز، فوضعوا للنحو أبواباً، وأصّلوا له أصولاً، فذكروا عوامل الرفع والنصب والخفض

(1) الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين : ص 11.

(2) ابن السراج، الأصول في النحو : 35/1.

(3) الخصائص :34/1.

والجزم، ووضعوا باب الفاعل والمفعول والتعجب والمضاف، وكان لأبي الأسود في ذلك فضل السبق وشرف التقدم ثم وصل ما أصلوه من ذلك التالون لهم، والآخذون عنهم، فكان لكل منهم من الفضل بحسب ما بسط من القول، ومد من القياس، وفتق من المعاني، وأوضح من الدلائل، وبين من العلل " [1].

ولعل أهم خطوة أو أول بذرة نحوية بذرها أبو الأسود (ت69 هـ) هي وضع نَقْط الإعراب وطريقة وصفه حركة شفتيه التي كانت أساساً في وضع اصطلاحات الحركات الإعرابية: الفتحة والضمة والكسرة والتنوين، عندما قال لكاتبه "إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت فمي فانقط نقطة فوقه بين يدي الحرف، فإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أتبعت شيئاً من ذلك غنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين "[2]، ولعله يقصد أيضاً بالتالين ممن كان لهم دور بارز نحو: عبد الله بن أبي اسحق الحضرمي (ت 117 هـ) وعيسى بن عمر الثقفي (ت 149 هـ) وأبى عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) وهم جماعة كان لهم دور تأسيسي في بناء قواعد النحو وأحكامه وأصوله من الظواهر اللغوية؛ فقد وُصف الحضرمي بأنه "أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل "[3] أو "فرع النحو وقاسه" [4] ويبدو أنه أول من استعمل اصطلاح النحو فقد ذكر يونس أنه سأله: هل يقول أحد الصَّويق؟ قال: نعم، عمرو بن تميم تقولها، وما تريد إلى هذا ؟ عليك بباب من النحو يطرد وينقاس "[5]وبعد ذلك عنونت به الكتب كالأصول في النحو لابن السراج والإيضاح في علل النحو للزجاجي. وأما الثقفي فقد ذكر له الخليل كتابين لم يصلا إلينا حقاً، ولكننا نتوقع حصول الاستفادة منهما، بقوله شعراً: [6]

بَطُل النحوْ جميعاً كله ... غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع ... وهما للناس شمس وقمر

ووصفهما بأنهما كانا شمساً وقمراً للناس، يدل على أنهما كانا معروفين ومشهورين

(1) الزبيدي، الطبقات : ص12.
(2) السيرافي، أخبار النحوين البصريين :ص35.
(3) الزبيدي، الطبقات : ص 31.
(4) مراتب النحويين :ص3.
(5) الزبيدي، الطبقات : ص32، والسويق : طعام يؤخذ من الحنطة والشعير
(6) السيرافي، أخبار النحويين البصريين : ص49.

اشـتهار الشـمس والقمر، ويؤكد الاستفادة منهما. وأما أبو عمرو بن العلاء فإنه كان يعتد بالسماع لذلك قيل فيه "والرواية عنه في القراءة والنحو واللغة كثيرة". [1]

وأول عمـل نحوي جمع بيـن دفتيه كل ما وصل إليه من جهود النحاة السـابقين من أبي الأسـود (ت 69 هـ) إلى الخليل بن أحمد (ت 180 هـ) هو كتاب سـيبويه الذي يقول فيه ابن خلدون: "إن سـيبويه قد أخذ صناعة النحو عن الخليل فكّمل تفاريعها واسـتكثر من أدلتها وشـواهدها ووضع فيه كتابه المشـهور الذي صار إماماً لـكل ما كتب فيها من بعده[2] والحقيقة أن الخليل لم يكن هو الوحيد المأخوذ عنه في كتاب سـيبويه، على فضل الخليـل الكبيـر عليه إذ كان أعلم أهل زمانه في النحو وقد نسـب إليـه الخوارزمي: وضع الرفع والنصب والخفض والكسر والجزم والتسكين [3] وغير ذلك من أبواب النحو كالحال والاسـتثناء والتمييز مما يشـهد به كتاب سـيبويه، وقال عنه الزبيدي:" إنه هو الذي بسط النحو، ومد أطنابه، وسبب علله، وفتّق معانيه وأوضح الحجاج فيه حتى بلغ أقصى حدوده، وانتهى إلى أبعد غاياته[4]. فقد أخذ سـيبويه عن يونس بن حبيب (ت 182 هـ) وأبي زيد الأنصـاري وغيرهمـا ففي الكتـــاب (858) رأياً لأئمة النحاة السـابقين، وهذا يتيح لنا أن نعتبر كتاب سـيبويه ممثلاً حقيقياً للاتجاهات النحويـة[5] في عصره، ولمفهوم النحو العربي قديماً بما احتواه من مباحث توزعت على ما يسـمى حديثاً بعلم التراكيب Syntax أو النحو بمعناه الخاص، وعلى الصرف، والأصوات.

وفـي رأينا أن بحث هـذه الموضوعات أو هذه الجوانب اللسـانية هـو ثمرة طبيعية للظروف التي تشـكل العامل الموضوعي والسـبب المباشر في نشأة النحو وتعلم العربية ودراستها ووضع قوانينها وقواعدها، كذلك لا يمكننا الادعاء بأن غاية الكتاب كانت البحث فـي العلامات الإعرابية التي تعتري أواخـر الكلمات، لذلك جاء الدرس النحوي في الكتاب شـاملاً للجوانب التي تمثل المظهر المادي أو المحسـوس للعربية، التي هي محل الدرس والبحث أو يجب أن تكون كذلك، وهو فهم سارت عليه الكتب النحوية اللاحقة كالمقتضب للمـبرد (ت 285 هـ) والأصـول لابن السـراج (ت 316 هـ) والمفصـل للزمخشـري (ت 538 هـ) وشروحه، خاصة شرح ابن يعيش وألفية ابن مالك (ت 672 هـ) وشروحها.

---

(1) المصدر السابق :ص 46.
(2) ابن خلدون، المقدمة : ص 547 (طبعة المكتبة التجارية).
(3) الخوارزمي، مفاتيح العلوم : ص 44 - 46.
(4) عن المزهر :1/80 .
(5) الخثران، مراحل تطور الدرس النحوي : ص 93.

وهــذا يـدل بوضوح على تكامل الدرس اللســاني عنـد العرب وترابـط الظواهر الصوتية والتركيبية والصرفية والتداخل فيما بينها بغض النظر عن الاصطلاح الذي يشــملها سواء أكان العربية أم النحو، وهو الاصطلاح الذي تغلّب وساد وأصبح له تعريف يحدد مفهومه عند المتقدمين من النحاة مثل قول أبي علي الفارسي بأنه "علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، وهو ينقسم قسمين: أحدهما تغيير يلحق بأواخر الكلم والآخر تغيير يلحـق ذوات الكلم[1]"، فهذا تعريــف قواعد اللغة النحوية والصرفية، وربما يكون تعريف ابن عصفور مضمونه أوســع فيشــمل الصوت إضافة إلى النحو والصرف بقوله: "النحو علم مســتخرج بالمقاييس المستنبطة عن استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائــه التي ائتلف منهــا "[2]، إذ الأجزاء التي يأتلف منها الــكلام، الأصوات والأبنية التي تتألــف منها والجمل التي تتكون من تتابع الأبنية. وهذا هو المفهوم الأوســع للنحو الذي يرادف علم العربية كما يقول الأشــموني، ولكن مضمونه لم يبق بهذا الشمول، فقد حصل له تضييق خاصة بعد اســتقلال علمي الصرف والأصوات عنــه منذ القرن الرابع الهجري على يد المازني في تصريفه وابن جني في شرحه له، ومن بعده ابن سينا في رسالته عن الحروف كما مر معنا. وقد أصبح في نظر المتأخرين من النحاة خاصاً بالإعراب والبناء[3] وكأنهــم يقطعونه عن غيره من علوم العربية وعادوا به إلــى المفهوم الضيق الذي بدأ به عند أبي الأسود حين يعرّف فيقال أنه تمّ في "اصطلاح المتأخرين تخصيصه بفن الإعراب والبنــاء"؛ مما عاد على الدرس النحوي بالعقم والجمود والصعوبة، وأصبح الإعراب غاية لا وســيلة لفهم المعاني وأصبح النحو شكلاً. وأدق ما مثل هذا الاتجاه كتاب شذور الذهب لابن هشام (ت 761هـ) حيث قسمه إلى المرفوعات والمنصوبات والمجرورات، ولكننا لا نعدم دارســاً يخالف هذا التوجه المتأخر الضيق في فهم النحو، حيث نجد تعريفاً يســوقه الســيوطي في الاقتراح وينســبه إلى من سماه بـ "صاحب المســتوفي"وهو جمال الدين علي الفرحان، الذي يقول في النحو إنه: "صناعة علمية ينظر لها أصحابها في ألفاظ كلام العرب من جهة ما يتألف بحســب اســتعمالهم لتعريف النســبة بين صيغة النظم وصورة المعنى، فيتوصل بأحدهما إلى الأخرى" [4] وهذا تعريف متقدم في نظرته إلى النحو يفهم

(1)الفارسي، التكملة :ص3.

(2)الســيوطي، الاقتــراح :ص30، وقد نقله الأشــموني في شــرح الألفية 13/1، وصرح بــأن المراد هنا بالنحو ما يرادف قولنا، علم العربية، لا قسيم الصرف وهو ما صرح به ابن عصفور.

(3) حاشية الصبان على شرح الأشموني:16/1.

(4) السيوطي، الاقتراح : ص 30.

منه بالرغم من صياغته الركيكة أنه أدرك طبيعة الصلة الوثيقة بين التركيب والمعنى؛ حيث يتم تأليف الكلام بحسب ما تقتضيه المعاني، والتركيب بنظمه يحدد الوظائف النحوية أو المعاني النحوية لمكوناته، وبعبارة أخرى النحو ليس نظماً شكلياً للكلمات وإنما هو نظم يصور المعنى، وبقدر ما يتيح لي تصوري وفهمي يمكنني صياغته بلغة علم اللسان الحديث بأن الجمل تتألف من ألفاظ متتابعة أفقياً من حيث الشكل بحسب ما تقتضيه قوانين النحو التي تراعي الوظائف النحوية (المعاني النحوية) أو العلاقات التبادلية فيما بينها فصيغة النظم تحدد حاجة الكلمة الأولى إلى التي تليها والتي تليها إلى ما بعدها نحو حاجة الفعل المتعدي إلى ما يليه وهو الفاعل، والفاعل يحتاج إلى ما يليه وهو المفعول به، ومن أجل أن تتحقق صورة المعنى لا بد من أن يأخذ كل مبنى صرفي في الجملة حركة إعرابية حتى يجسد الباب النحوي الذي يمثله؛ من أجل أن تتضح الوظيفة النحوية يُرْفَع الاسم (المبنى الصرفي) الذي يلي الفعل، ويُنْصَب الاسم (المبنى الصرفي) الذي يلي الاسم المرفوع نحو: يضرب عليٌّ زيداً.

وفي تصوّري أن هذا التعريف بهذا الفهم يبعد النحو عن حصره بأحكام الإعراب والبناء، ويكون قد أعطى مفهومه اللائق به، فلا يعقل أن يبلغ الدرس النحوي ما بلغه من أجل غرض شكلي هو البحث في حركات الإعراب والبناء لتلافي اللحن والخطأ، والإعراب مظهر خارجي لفظي يخفي وراءه تعليل معنوي لأي حكم نحوي. ويصبح النحو بهذا التعريف وسيلة لتمكين الدارس من فهم التراكيب العربية في النصوص الشرعية خاصة؛ لأنها مناط استنباط الأحكام، والتعبير عن الأفكار والمشاعر بلغة عربية خالية من الخطأ أو ما كان يسمى لحناً. وهذه اللغة يجب أن تكون جارية على أساليب العربية؛ ومن أجل ذلك ربطت قواعد النحو بالشواهد العربية الفصيحة الشعرية والنثرية. وفي اعتقادي كذلك أن كتاب "مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" لابن هشام هو خير كتاب يمثل الفهم الحقيقي لدور النحو العربي بما ساقه من شواهد قرآنية وغيرها قام بتفسيرها بناء على ما تتيحه قواعد النحو ومعاني الحروف أو الأدوات النحوية والحركات الإعرابية حتى إنه لمّا سُئِل: لماذا لم يضع تفسيراً للقرآن؟ أجاب أَلّفتُ المغني "وهو محق في ذلك إلى حد بعيد، حيث طغت الشواهد القرآنية على غيرها فكانت بمثابة الدرس النحوي التطبيقي على الآيات القرآنية لفهمها وتفسيرها ومعرفة الأساليب القرآنية وتراكيبه في أداء المعاني. وقد استطاع بهذا النهج أن يوفق بين صيغة النظم وصورة المعنى، إذ كان عنده الإعراب وسيلة لفهم كتاب الله؛ بعنايته أن يستدل على الوظيفة النحوية بالعلامة الإعرابية وقام برصد الأنماط اللغوية ووصف تركيبها بالرجوع إلى المعنى.

كانت نشأة النحو وتطوره ونضجه في البصرة على يد الخليل وسيبويه ومن تابعهم من النحاة كالأخفش وقطرب والجرمي والمازني والمبرد وبقية التجمع الذي دعي المدرسة البصرية، وأخذت في منافستها مدرسة الكوفة في القرن الثاني الهجري التي تأسست على يد الكسائي ومن تابعه من النحاة كالفراء وثعلب وابن السكيت. ولكن هذه المنافسة بدأت تخف حدتها بعد وفاة المبرد (ت 285 هـ) من البصريين وثعلب (ت 291هـ) من الكوفيين. وبعد اجتماع عدد من نحاة البلدين في بغداد مما مهد لظهور طبقة من النحاة تركت التعصب لأي من المذهبين البصري والكوفي وإنما أخذت تمزج بينهما، وأعطى هذا النهج الاستقلالي في تعامله مع المسائل النحوية اسم المذهب البغدادي أو المدرسة البغدادية. ويبدو أن هذا الاستقلال لم يكن تاماً إذ لم يستطع كثير من النحاة التخلص من ميلهم البصري كالزجاج (ت 310 هـ) وابن السراج (ت 316 هـ) والزجاجي (ت 337هـ) والفارسي (377 هـ) وابن جني (ت392 هـ)، كما أن القسم الآخر لم يتخلص من ميله للمذهب الكوفي كابن كيسان (ت 299 هـ) وأبي موسى الحامض (ت 305 هـ) وابن شقير (ت 317 هـ) وابن الخياط (ت 320 هـ) ونفطويه (ت 323 هـ) وأبي بكر بن الأنباري (ت 327 هـ). ومع وهن الخلافة في بغداد وضياع هيبتها انقسمت دولة العباسيين إلى دويلات، وبالرغم مما سببه ذلك من اضطرابات في الحياة السياسية فإنه كان عاملاً مساعداً على رقي الحياة العقلية والفكرية وعلى سعة ميدانها وتنوع مجالاتها؛ لمحاولة كل حاكم اجتذاب أكبر عدد ممكن من العلماء إلى حاضرته وتشجيعهم بالمال وبغيره على التأليف والتصنيف؛ فاجتهد العلماء في خدمة الدرس النحوي بوضع مؤلفات جديدة. واتسع نطاق البحث النحوي أيضاً بما أفاده من العلوم والثقافات في مصر والشام على يد ابن ولّاد (ت 322 هـ) وابن بابشاذ (ت 469 هـ) وابن بري (ت 582 هـ) وابن معط (ت 628 هـ)، وابن يعيش (643 هـ) وابن الحاجب (ت 646 هـ) وابن هشام (ت 761 هـ) وابن عقيل (769 هـ) وخالد الأزهري (ت 905 هـ) والسيوطي (ت 911 هـ) والأشموني (929 هـ) وغيرهم، مما جعل العلماء يفردون لمصر والشام مذهباً نحوياً خاصاً سموه مدرسة مصر والشام النحوية.

وظهر كذلك مجموعة من العلماء المشتغلين بالنحو في الأندلس والمغرب أهلها أن تنفرد بمذهب نحوي سمي المذهب الأندلسي المغربي أو المدرسة النحوية الأندلسية المغربية ومن أشهر علمائها: الزبيدي (ت 379 هـ) والأعلم الشنتمري (ت 476 هـ) وابن السِّيْد البَطَلْيَوْسي (ت 521 هـ) وابن الطراوة (ت 528 هـ) والسهيلي (ت 583 هـ) وابن مضاء القرطبي (ت 592 هـ) والجزولي (ت 605 هـ) وابن خروف (ت610 هـ) والشلوبين (ت 645 هـ) وابن عصفور (669 هـ) وابن مالك (672 هـ) وأبو حيان (ت 745 هـ). وقد عد الدكتور عبد العال سالم مكرم ابن مالك وأبا حيان في المدرسة النحوية في مصر والشام في كتابه المعنون بذلك.

وقـد تنّـوع التصنيف النحوي لتنوع الغرض منه أو المرحلـة التي صنفت فيها فجاء التأليف النحوي على عدة أنماط وأشكال هي:

1- منهج كتاب سيبويه، وما دار في فلكه من شروح له أو تأليف مستقل عنه كالمقتضب للمبرد والأصول في النحو لابن السـراج مما لا يسـير على خطـة واضحة في ترتيب المسـائل النحوية ووصفها، فإنها تخلو من التصميم المتكامل الذي يستوعب مباحث النحو وجزئياته، فنجد الموضوعات النحوية مختلطة كإقحام موضوعات صرفية في الموضوعات النحوية والعكس صحيح أيضاً في كتاب سيبويه، حتى الموضوع الواحد تجد جزئياتـه متفرقة كالتمييز والحال والبدل التي تجـد مباحثها موزعة بين جزئي الكتـاب أو أجزائه ونجد مثل هذا المنهج في كتـاب المقتضب الذي يضم الجزء الأول منـه مباحـث متنوعة في النحو والصـرف والصوت إضافة إلى مـا فيهما من التكرار والاسـتطراد والحشـو والمناقشـات اللفظية وما يكتنف لغتها من الجفاف والالتواء والجمود.وهكـذا يغلب على هذا النهج الغموض في العبارة والارتباك في المنهج وقد قام بشرح كتاب سيبويه أبو سعيد السيرافي والرماني والقاسم بن علي الصفّار وابن خروف الأشبيلي وغيرهم.

2- ومـن كتـب النحو التي حـاول أصحابهـا معالجة الإسـراف في الطـول، وتخلوا عن الخلافـات والتفريعـات والتعليلات ومالوا إلى الاختصار والعبارة السـهلة في منهج تعليمـي واضـح يجمع أساسـيات النحـو العربي باختصـار نحو: مقدمـة في النحو المنسـوب إلى خلف الأحمر (ت 180 هـ) والحدود للفراء (207 هـ) وتلقين المتعلم من النحو المنسوب لابن قتيبة (ت 276 هـ) وينسب لغيره كتب بالعنوان نفسه كابن جني وابراهيم بن عباده (ت 400هـ) والعكبري. والموجز في النحو لابن السراج (ت 316 هـ) والتفاحة فـي النحو للنحاس(ت338هـ) والحـدود للرماني (ت 384هـ) وشـرح الحدود النحويـة للفاكهي وكتاب الفصول في العربيـة لابن الدهان (ت 569 هـ) ويصـور كيفية تأليفهـا والغاية منه صاحـب المقدمة في النحـو بقوله: "رأيت النحويين وأصحاب العربية قد اسـتعملوا التطويل وكثرة العلل وأغفلوا ما يحتاج إليه المتبلّـغ في النحو مـن المختصر...أمعنت النظر في كتاب أؤلفـه وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليسـتغني بـه المتعلم عن التطويل، فعملت

هــذه الأوراق..فمن قرأها وحفظها وناظر عليها عَلِـمَ أصول النحو كله [1]" ولا بد من الإشــارة إلــى أن كتاب الفــراء "الحدود" لم يكــن خاصاً بالتعريف بــل كان يحتويها ويحتوي ما يتعلق من الباب من القضايا والأحكام[2] بعكس حدود الرماني الذي يبدو تأثره واضحاً بالفلســفة والمنطــق فكان يمثل الخلاصات النظرية للمســائل النحوية ويكتفي بتعريف المصطلحات النحوية بالحد نحو قول: "الإعراب تغيير آخر الاســم بعامل، والبناء: لزوم آخر الكلمة بسكون أو حركة [3].

3- وهناك نوع من الكتب النحوية استهدف وضوح الأسلوب والتخلص من غموض العبارة والتوائها مع الابتعاد عن إثارة الجدل والمناقشــة والتعليل المنطقي ويتضح ذلك من خلال العناوين. وربما اتفق بعضها مع النهج السابق في الاختصار كالجمل للزجاجي (ت 337 هــ) والإيضاح لأبي علي الفارسي (ت 377 هــ) والواضح للزبيدي (ت 379 هــ) واللمع لابن جني (ت392 هــ) وأسرار العربية لابن الأنباري (577 هــ).

4- وهنــاك نوع من الكتــب النحوية ألف لمعالجــة الارتباك في المنهــج وانعدام الخطة كالمفصل للزمخشــري (ت 538 هــ) الذي قســمه إلى أربعة أقسام أوّلها في الأسماء وثانيهما الأفعال، وثالثهما في الحروف والرابع في المشــترك بينها، وقام ابن يعيش بشرحه بهذا الترتيب.

وهنــاك تنظيم آخــر للمباحث النحوية بتقســيمها إلى المرفوعــات والمنصوبات والمجــرات وموضوعات أخرى مثل شــرح الكافية في النحو للرضي الأســتراباذي وشرح شذور الذهب لابن هشام (ت761 هــ).

5- المنظومــات النحوية وشــروحها، حيــث كان تنظم قواعد النحــو والصرف في أبيات شعرية تصل إلى ألف بيت أو أكثر كما فعل ابن معط (ت 628 هــ) وابن مالك (ت 672 هــ) في ألفيتين شــرحتا فيما بعد، ومن أشهر شروح ألفية ابن مالك: أوضح المسالك لابن هشــام وشــرح ابن عقيل (ت 769 هــ) وشــرح الأشــموني (ت 929 هــ)، وقد شــرحها ابنه المســمى عند النحاة ابن الناظم وهو أبو عبد الله بدر الدين محمد (686 هـــ). وألفية ابن مالك هي خلاصة الكافية الشــافية منظومــة في النحو والصرف من

---

(1) خلف الأحمر، مقدمة في النحو : ص 34.

(2) أبو زكريا الفراء، ومذهبه في النحو واللغة : ص185.

(3) الرماني كتاب الحدود في النحو، تحقيق، بتول قاسم ناصر :ص37 (المنشور في مجلة المورد).

ثلاثة آلاف بيت. وقد شــرح ألفية ابن معط، أبو بكر الشريشي الأندلسي (ت 601هــ) ســماه "التعليقات الوفية بشــرح الدرة الألفية"، ولابن الخّباز (637 هــ) شــرح على ألفية ابن معط.

6- شــروح الكتب النحوية: وكتاب ســيبويه هو أول الكتب التي تناولها النحاة بالشــرح والتعليق فقد شرحه أبو سعيد السيرافي، والرماني والصفّار وابن خروف. وقد شرح ابن بابشــاذ (ت 469 هــ) كتاب الأصول في النحو، لابن السراج. وأما جُمَل الزجاجي فقد لقي اهتماماً خاصة في الأندلس [1] فقد شرحه ابن الضائع (ت680هــ) في مجلدين وغيره كابن الدقاق (ت 605 هــ) وابن خروف (ت 609هــ) وابن معط (ت 628 هــ) وابــن عصفور (ت 669هــ) وابن أبي الربيع (688 هــ) والمالقي (ت702 هــ) ومن الكتب التي شــرحت أيضاً الإيضاح لأبي علي الفارســي الذي شــرحه الجرجاني في كتــاب بعنوان "المقتصــد" وابن أبي الربيع في الأندلس بعنوان، الإفصاح في شــرح الإيضــاح وقد شــرحه غيره في الأندلــس[2] واللمع لابن جني شــرحه كثير من النحاة كابن الشــجري (ت 542 هــ)، والثمانيني (ت 422 هــ) والمفصل للزمخشــري لقي اهتماماً كبيراً ومن شُــرّاحه ابن يعيش وابن الحاجب. والتســهيل شــرحه صاحبه ابن مالك، وشــرحه أبو حيــان (ت 745 هــ) في التذييل والتكميل وشــرح خالد الأزهري (905 هــ) أوضح المسالك في كتاب سماه "شرح التصريح على التوضيح".

7- شــرح المتون النحوية نحو قواعد الإعراب لابن هشــام وقد شــرحها بنفســه بعنوان الإعراب عن قواعد الإعراب"، وشــرحها خالــد الأزهري في موصل الطلاب إلى قواعد الإعــراب، ومغنــي اللبيــب لابن هشــام مؤلف القواعد، هو شــرح كبير لهــا. ومقدمة الجزولي وتســمى أحياناً الجزولية، شــرحها الشــلوبين (ت 645 هــ)، كما شــرحها صاحبها ومقدمة الأزهري شرحها الأزهري نفسه، ويمكننا أن نعد شرح شذور الذهب لابن هشام من هذا المسلك.

8- الحواشي على الشــروح وهي كثيرة نذكر منها حاشية الخضري على شرح ابن عقيل علــى الألفية، وحاشــية الصبّان على شــرح الأشــموني على ألفية ابن مالك وحاشــية الشنواني (1019 هــ)على موصل الطلاب للأزهري التي سماها: "هداية أولي الألباب

---

(1) انظر : خصائص مذهب الأندلس النحوي خلال القرن السابع الهجري، عبد القادر رحيم الهيتي : ص ص 267 - 270.

(2) انظر : المرجع السابق : ص 275 - 277.

إلـى موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب"، وحاشـية الشُّـمُنّي على مغنـي اللبيب التي سـماها " المنصـف من الكلام على مغني ابن هشـام"، وحاشـية يـس العليمي على التصريح بمضمون التوضيح للأزهري.

9- شـروح الشـواهد النحوية الشـعرية وهي كثيرة أيضاً وشواهد سـيبويه أول ما نالت الاهتمام والشرح من مثل شرح أبي محمد يوسف بن الحسن السيرافي (الابن) وشرح أبيات سيبويه المنسوب لأبي جعفر النحاس، وشرح شواهد المغني للسيوطي، وشرح الشـواهد للعينـي، وأما خزانـة الأدب للبغدادي (ت 1093 هـ) فهي شـرح لشـواهد الرضي على الكافية التي تبلغ 957 شاهداً.

10- وهنـاك نوع مـن الكتب كان موضوعه الخلافات النحوية بيـن البصريين والكوفيين مثل: الإنصاف في مسـائل الخلاف بين النحويين، البصريين والكوفيين لأبي البركات الأنباري577) هـ) والتبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين للعكبري (ت 616 هـــ) وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفـة والبصرة لعبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي الزبيدي (ت 852هـ).

11- وهناك نوع من التصانيف النحوية قائم على المسـائل وأجوبتها نحو كتاب المسـائل السـفرية فـي النحو لابن هشـام الأنصـاري. وإن أبا علي الفارسـي هو أكثـر النحاة تصنيفاً في هذا النوع وله: المسـائل البغداديـات أي التي ألقيت عليه وأجاب عنها في بغداد، والمسـائل الحلبيات، والمسـائل الشيرازيات والمسـائل البصريات والمسائل العسـكريات، والمسائل العضديات، والأخيرة منسـوبة إلى عضد الدولة البويهي، أما سابقتها فإلى الأماكن التي سئلت فيها.

12- التصنيف النحوي في معاني الحروف النحوية نحو: كتاب حروف المعاني للزجاجي، والجني الداني للمرادي ورصف المباني في شـرح حـروف المعاني للمالقي. وكذلك فعل ابن هشام الأنصاري في كتابه مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

13- التأليـف في الإلغـاز النحوي والأبيات المشـكلة نحو توجيه أبيات مشـكلة الإعراب للفارقي وهناك ألغاز نحوية لابن هشـام والحريري، وأحاجِ للزمخشري أو السخاوي وابن الشجري.

14- التصنيـف في أصول النحو العربي نحو الإعـراب في جدل الأعراب ولمع الأدلة لابن الأنباري: والاقتراح في أصول النحو للسيوطي، 911هـ، وفي أصول النحو للأفغاني حديثاً.

15- التصنيف في تاريخ النحو والنحاة نحو أخبار النحويين البصريين للسيرافي وطبقات اللغويين والنحويين للزبيدي، وبغية الوعاة للسيوطي، والإنباه للقفطي. وحديثاً نشأة النحو والنحاة للشيخ محمد طنطاوي.

وتضم كتب الأمالي قدراً من المسائل النحوية يقل ويندر في أمالي الزجاجي وأمالي ابن الشـجري وتكثر في أمالي السـهيلي وأمالي الشـريف المرتضى. ولا يفوتنا أن نذكر التعليلات النحوية للقراءات القرآنية وكتب إعراب القرآن الكريم، والحديث الشريف وكتب الشـعر مما يعتبر تطبيقات نحوية كالحجة في علل القراءات السـبع لأبي علي الفارسـي وإعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي، والتبيان في إعراب القرآن للعكبري،وله كتاب إعراب الحديث الشريف أيضاً، ولابن جني إعراب لحماسة أبي تمام، وله أيضاً المحتسب في شرح شواذ القراءات.

ولا يفوتنـا أن نذكر بأن أدلة النحو العربي هي السـماع من كلام العرب وأشـعارهم والقرآن الكريم والحديث الشـريف مما سنناقشـه بتوسع في الوحدة الرابعة تحت عنوان مصادر الاحتجاج اللغوي.

وهنـاك منطلقات فنيـة أقيمت عليها نظريـة النحو العربي وأسـس التقعيد النحوي كالعامل والتعليل والقياس.

العمل والعامل: وأما العمل فهو اصطلاح نحوي يعني ارتباطاً بين العامل والمعمول يوجب فيه العامل وجهاً من الإعراب على آخر الكلمة، فالعامل يتسلط على المعمول فيترك أثراً إعرابياً؛ فالفعل المتعدي مثلاً يتسلط على الفاعل فيرفعه وعلى المفعول فينصبه. كذلك إن وأخواتها وهي حروف عاملة تتسلط على المبتدأ والخبر فتنصب الأول وترفع الثاني... الخ وقد يكون العامل لفظياً كالأفعال والحروف العاملة والأسماء العاملة، المشتقات.

وقـد يكون العامل معنويـاً كالابتداء الذي يرفـع معه المبتدأ، والتجـرد عن الناصب والجازم الذي يرفع معه الفعل المضارع، والإضافة التي تجر المضاف إليه.

فالأثر الإعرابي أو الحركة الإعرابية التي يتركها العامل على المعمول تحدد الوظيفة النحوية لهذا المعمول. ويفترض في العربية كذلك أن تحدد الحركات الإعرابية العلاقات النحوية بين المباني التي تتكون منها الجملة؛ لأن الأبواب النحوية ثابتة في الجملة العربية اسمية كانت أو فعلية وتقتضي حالة إعرابية ثابتة (المبتدأ باب نحوي ثابت في الجملة الاسمية يقتضي حالة إعرابية ثابتة هي الرفع) وأما المتغير فهو الممثل الصرفي أو المبنى الصرفي فقد يكون مفرداً أو مثنى أو جمعاً، مذكراً أو مؤنثاً؛ فيقتضي ذلك أن تتغير بتغيره، الحركة الإعرابية فقد تصبح حركة أو حرفاً نحو: المستشارة مؤتمنة، المستشار مؤتمن، المستشاران مؤتمنان، المستشارون مؤتمنون، المستشارات مؤتمنات.

فالجملة العربية تركيب متتابع من مبانٍ صرفية تمثل أبواباً نحوية تدل عليها الحركات الإعرابية التي تتركها العوامل على المباني الصرفية وقد وجدنا من النحاة من ينكر على الحركة الإعرابية مثل هذا الدور وإنه لم توجد الحركات إلا لوصل الكلام بعضه ببعض فقطرب قديماً يرى " الكلام لم يُعْرَب للدلالة على المعاني...فلو كان الإعراب إنما دخل الكلام للفرق بين المعاني لوجب أن يكون لكل معنى إعراب يدل عليه ولا يزول إلا بزواله[1]" ويتابع مبيناً سبب وجود الحركات، لأن العرب "كانوا يبطئون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقباً للإسكان ليعتدل الكلام...لأنهم في اجتماع الساكنين يبطئون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة في كلامهم فجعلوا الحركة عقب الإسكان[2] فالحركة لوصل الكلام في أدراجه حتى لا يقف المتكلم عند آخر كل كلمة فيبطئ، ويبدو أن هذا الرأي لم يجد صدى عند النحاة إلاعند إبراهيم مصطفى[3] وإبراهيم أنيس[4] ومهدي المخزومي[5] حديثاً وما زال الرأي الغالب عند النحاة أن الحركات دالة على المعاني.

---

(1) الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، :ص70.

(2) المصدر السابق :71.

(3) انظر : إبراهيم مصطفى، إحياء النحو : ص 50.

(4) انظر إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة : ص 225 وما بعدها.

(5) انظر : المخزومي في النحو العربي نقد وتوجيه : ص 70.

وإذا كان قطـــرب قد هّون من دور الحركة الإعرابية فـإن ابن مضاء القرطبي قد دعا إلــى إلغاء نظرية العامل بقولــه عن الرفع والنصب والجر والجـزم "أما مذهب أهل الحق فإن هذه الأصوات إنما هي من فعل الله تعالى وإنما تنســب إلى الإنســان كما ينســب إليه سائر أفعاله الاختبارية. وأما القول بأن الألفاظ يحدث بعضها بعضاً، فباطل عقلاً وشرعاً، لا يقــول به أحد من العقلاء....وأما العوامل النحوية فلـم يقل بعملها عاقل، لا ألفاظها ولا معانيهــا لأنها لا تفعل بإرادة ولا بطبع[1]" وهذا نــداء أيضاً لم يجد تأييداً قوياً ولم يصبح تيــاراً إلا بمــا وجده من تجــاوب عند الدكتور تمام حســان الذي يرى فــي العمل النحوي وعواملــه خرافة"[2] معتمداً على ما ذكره الجرجاني بمصطلحه ولم يذكره بمعناه ألا وهو التعليق الذي فســره الدكتور تمام بأنه إنشــاء العلاقات بين المعاني النحوية بواســطة ما يســمى بالقرائن اللفظية والمعنويــة والحالية...وأن فهم التعليــق على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية "[3].

ورغــم أنها نظــرة متوافقة مع معطيات لســانية حديثة ولها مرجعيــة تراثية أصيلة فإنهــا لم تصبــح نظرية بديلــة صالحة لأن تكــون إطاراً متكامــلاً للتحليــل النحوي عند الأكاديميــين. وبقيــت نظريــة العامل هي الســائدة فــي التحليل الإعرابي عنــد العرب في مدارسهم وجامعاتهم.

التعليل:

أمــا التعليل فيشــكل أصلاً أساســياً من أصــول البحث النحوي وقد جمــع كما يقول الدكتور عبده الراجحي "التعليل بالمعنى إلى التعليل بقوانين التراكيب إلى التعليل بكثرة الاســتعمال.... وأخذ يتطور شيئاً فشــيئاً متصلاً بالتعليل الأرســطي من ناحية وبالتعليل الكلامــي والفقهي من ناحية أخرى حتى صار التعليل غايــة من غايات الدرس النحوي[4] وهكــذا اعتمد النحاة العرب في تأصيــل القواعد النحوية على التعليل الذي انتقل من طور النطق لها على السجية والطبع إلى دور التفلسف والجدل حيث أصبح لكل حركة إعرابية تفســير، وكل ظاهــرة لها علــة منطقية حتى باتت العلــة عند النحويين فــي القرن الثالث

---

(1) ابن مضاء، الرد على النحاة : تحقيق إبراهيم البنا: ص 69 - 70.

(2) تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها : ص 188.

(3) السابق : ص 189.

(4) الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث :ص83.

الهجري رديف الحكم النحوي لا تفارقه ولا ينبغي لها، في اعتقادهم، أن تفارقه كما هو الأمر عند المبرد [1]". واستمر التعليل النحوي في التوسع حتى وضع فيه الزجاجي (337هـ) أي في القرن الرابع الهجري كتاباً سماه الإيضاح في علل النحو وقسم فيها العلل إلى ثلاثة أضرب "علل تعليمية، وعلل قياسية وعلل جدلية نظرية "[2] وإن نظرة إلى كتاب: شرح المفصل لابن يعيش وشرح الكافية للأستراباذي يجدهما قد اهتما اهتماماً شديداً بتعليل الظواهر النحوية وقبلهما كتاب سيبويه كثرت فيه التعليلات كثرة مفرطة سواء المطردة أو للأمثلة الشاذة... وكأنما لا يوجد أسلوب ولا توجد قاعدة بدون عله [3].

والتعليل عند ابن جني أمر طبيعي وحسي لفهم الظواهر اللسانية خاصة النحوية حيث يقول: "ولست تجد شيئاً مما علل به القوم وجوه الإعراب إلاّ والنفس تقبله والحس منطو على الاعتراف به.... فجميع علل النحو إذن مواطئة للطباع...وإذا حكمنا بديهة العقل،وترافعنا إلى الطبيعة والحس، فقد وفينا الصنعة حقها... وأعلم أنا مع ما شرحناه وعنينا به فأوضحناه من ترجيح علل النحو على علل الفقه، وإلحاقها بعلل الكلام، لا ندّعي أنها تبلغ قدر علل المتكلمين [4]، ومع رفضنا للمبالغة في التعليل إلا أننا نرى في التعليل وسيلة لتوضيح الظواهر اللسانية وكشف أسرارها، خاصة إذا كانت من العلل التعليمية "التي يتوصل بها إلى كلام العرب [5]. ويعرف بها ضبطه وهو المعول عليه في الاستدلال في أغلب مسائل النحو.

القياس:

وأمّا القياس، فالأقرب إلى المعقول في بداياته أنه كان قياس أنماط بالفطرة على أنماط أخرى، بحيث يراعى فيه انتحاء سمت كلام العرب، أي ما قيس على كلام العرب فوافقه فهو منه، وفي تقديري أن بهذا الشكل الفطري للقياس لوحظت الأخطاء والمخالفات في الاستعمال اللغوي المعهود، سواء أصدرت من العربي أو من غيره، فكان السبب المباشر في البحث عن القواعد التي تحكم الكلام العربي، وكان من نتائجه أن عمد

(1) نقله الدكتور صاحب جعفر أبو جناح في دراسته « منهج ابن هشام النحوي » في مجلة كلية الآداب – جامعة البصرة العدد 6/ السنة الخامسة، 1392م : ص 81، عن الدكتور مازن المبارك – العلة النحوية : ص 67.

(2) الزجاجي، الإيضاح : ص 64.

(3) شوقي ضيف، المدارس النحوية : ص82، وكذلك انظر : الجزء الأول من كتاب سيبويه من أجل الاطلاع على تعليلاته.

(4) الخصائص : 1/51. 53، 87.

(5) الزجاجي الإيضاح : ص 64.

المشـتغلون بالعربية إلى اسـتقراء كلام العرب وضموا الأنماط المتشابهة واستنبطوا من الأسـاليب الأكثر شيوعاً قواعد عامة فرضوها وأشاعوها فأصبحت هي القياس أي المعيار أو الحكـم اللغـوي العام الذي يجب الالتزام به، وهذا النوع من القياس أشـار إليه الشـيخ محمد الخضر الحسـين بقوله "الحكم يثبت باستقراء كلام العرب حتى تنتظم منه قاعدة عامة كصيغ التصغير والنسـب، وأصل هـذا أن الكلمات الواردة في كلام العرب على حالة خاصة، يسـتنبط منها علمـاء العربية قاعدة تخـوّل المتكلم الحق فـي أن يقيس على تلك الكلمـات الـواردة وما ينطق به من أمثالهـا[1]" ولعلنا نجد للقياس مثل هـذا المعنى فيما أورده ابن سـلام عن أبي الأسـود من أنه فيما أورده ابن سـلام مثل هـذا المعنى عن أبي الأسـود من نه " أول من أسـس العربية.... ووضع قياسها..... [2] وعن ابن إبى إسحق من أنـه: أول مـن بعج النحو،ومـد، القياس والعلـل... [3] فقد وضع أبو الأسـود ما وضع من القواعد العامة في العربية، ومثله ابن أبي اسـحق الذي وسـع النحو وفتح أبوابه، وتوسع في القياس وطبقه، وهذا ما يستفاد من معنى كلمتي بعج ومد وقد ورد مصطلح القياس على لسـان ابن أبي اسـحق نفسـه في الخبر الذي جاء في طبقات ابن سلام حين مدح الفرزدقُ يزيد بن عبد الملك بقوله:

مُسْتَقْبِلين شمال الشَّأْم تضربنا   بحاصبٍ كنديفِ القُطن مَنثُورِ
على عمائمنا يُلقَى وأرْجُـلِنـا   على زواحفَ تُزْجى مخُّها ريـرِ

قال ابن أبي إسحق: أسأت، إنما هي رِيرُ، وكذلك قياس النحو في هذا الموضوع [4]

وأسـتطيع أن أضع "قاعدة النحو، أو حكـم النحو "بدلاً من قياس النحو التي وردت، وأجـزم بأن المعنى لا يتغير جراء هذا الاسـتبدال لأن الرجل، فـي اعتقادي، لا يقصد غير ذلك، حيث أراد أن يبين للفرزدق بأنه قد خالف القاعدة النحوية فعبر عنه بالقياس.

---

(1) محمد الخضر حسين،القياس في اللغة العربية : ص 27، بتصرف قليل.

(2) ابن سلام،طبقات فحول الشعراء :12/1

(3) السابق نفسه : 14/1.

(4) نفسه السابق :17/1، والشمال : الريح الباردة، والحاصب : ما تناثر من دقائق البرد والثلج الزواحف: الإبل التي أعياها السفر، تزجى : تساق، الرير : المخ الرقيق أي أجهدها السير فهزلت.

بعد ذلك يكتسب القياس معنى جديداً ويُعْطَى تعريفاً كالذي جاء في الاقتراح نقلاً عن ابـن الأنبـاري من أنه "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه [1] " وهو ما عبر عنه أيضاً الشـيخ محمد الخضر حسين بقوله: "إعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها من الكلم المخالف لها في نوعها، ولكن توجد بينها مشابهة من بعض الوجوه [2] كإجازة الجمهور، ترخيم المركب المزجي (غير المنقول) نحو: بعلبك: فيقال: يا بَعْلَبُ قياسـاً على الأسـماء المنتهية بتاء التأنيث (المنقول) نحو: يا فاطمُ.

وقد جاء الحمل في كتب النحو بأنواع شـتى كحمـل النظير على النظير وحمل الضد علـى ضده، والحمل علـى الأكثر، والحمل على المعنى، والحمـل على الوزن، والحمل على ضرورة الشعر، وحمل الأصل على الفرع، والفرع على الأصل، وغير ذلك.

ولـم يقف القيـاس عند هذه الصورة من الاسـتعمال التي أَعتبرها بسـيطة بل تأثـر النحاة بمنهج القياس الأرسـطي في المنطق فأصبح له عندهم أركان أربعة: الأصل وهو المقيس عليه، وفرع وهو المقيس وحكم وعلة جامعة[3] ولكل ركن شروطه [4] التي يجب الأخـذ بها فقـد أصبح القياس علماً يجب الإحاطة بأركانه وأقسـامه وعللـه وأنواعها عند التعامل به.

وقـد حاول النحاة قديماً وحديثاإصلاح نواحي القصور ومصادر الصعوبة في النحو العربـي، [5] ووجهوا محاولات الإصـلاح هذه إلى الكتاب النحوي، ومادة النحو، ومناهجه وفيما يخص الكتاب النحوي فقد حاول مجموعة من النحاة إصلاحه بتأليف الكتب النحوية المختصـرة التي تعتمد على الإيجاز والوضوح وتسـتبعد الخلافـات والتفريعات كتلقين المتعلم من النحو المنسـوب لابن قتيبة والموجز في النحو لابن السراج والجمل للزجاجي والمفصل للزمخشـري والواضح للزبيدي وغيرها، وأمـا في العصر الحديث فقد تحررت كتـب النحو مـن عيوب الكتب القديمة كالاسـتطراد والتكـرار والتداخـل والجفاف. وأما المنهج النحوي فقد ظهر نحاة من القدماء حاولوا معالجة عيوب منهج متقدمي النحاة مما سيطر على المتأخرين منهم كالمنطق والتعليل والعامل وكتاب الرد على النحاة لابن مضاء من أبرز المحاولات في هذا السـياق، وقامت محاولات حديثه شـاملة مثل محاولة إبراهيم

(1) السيوطي، الاقتراح : ص94

(2) محمد الخضر حسين، القياس في اللغة العربية : ص 27.

(3) الاقتراح : ص 96.

(4) انظر السابق : ص 97 وما بعدها، والأصول للدكتور تمام حسان : ص ص 170 - 208.

(5) من أجل التوسع في هذا الشأن، اقرأ كتاب في إصلاح النحو العربي، دراسة نقدية لمؤلفه عبد الوارث مبروك سعيد الذي غطى حركة الإصلاح النحوي قديماً وحديثاً كماً ونوعاً بالتفصيل.

مصطفى في إحياء النحو "وهو أول كتاب ظهر في العالم العربي في العصر الحديث لنقد نظريات النحو التقليدية"[1] وقد ذكر صاحبه هدفه ووسيلته إذ قال: "أطمع أن أغير منهج البحث النحوي للغة العربية وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو، وأبدلهم منه أصولاً سهلة يسيره تقربهم من العربية وتهديهم إلى حظ من الفقه بأساليبها..." [2] ومما دعا إليه إلغاء نظرية العامل،وتوحيد بعض الأبواب النحوية للاختصار لأن حكمها الرفع إلى غير ذلك. وتبعها محاولات أخرى كمحاولة وزارة المعارف في مصر، والنحو الجديد ليعقوب عبد النبي،وهذا النحو لأمين الخولي، والنحو الجديد (إعادة تنظيم أبواب النحو) للدكتور شوقي ضيف، والنحو الجديد لعبد المتعال الصعيدي، والنحو المعقول للدكتور محمد كامل حسين. وهذه الكتب حددت بعض صعوبات النحو وحاولت معالجتها عن طريق التعديل والتغيير ولكنها لم تنفّذ على أرض الواقع وأكثر المحاولات تكاملاً ونجاحاً هي محاولة الدكتور تمام حسان في كتابه "اللغة العربية، معناها ومبناها" الذي كشف فيه كما يقول عن أنظمة اللغة ووضعها لأول مرة في مقابل مشاكل التطبيق. [3] وحاول ربط ظواهر التراكيب بالمعنى عن طريق ربط أنظمة اللغة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بعضها ببعض، والحقيقة أنه استفاد من منجزات علم اللسان الحديث الذي يرى في اللغة نظاماً أو بناء يتكون من عدة مستويات وكلها مترابطة.

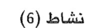
---

(1) عبدالرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، ص1 ج1، هامش/ 1.

(2) إبراهيم مصطفى،إحياء النحو :ص /أ.

(3) تمام حسّان، اللغة العربية، معناها ومبناها : ص 9.





نشاط (6)

انظـر الخلافـات عند المؤرخين حول بدايـات النحو العربـي وأعلامها في الكتب التالية:

- طبقات ابن سلاّم، الجزء الأول.
- أخبار النحويين البصريين للسيرافي.
- طبقات النحويين واللغويين للزبيدي.
- من تاريخ النحو للأفغاني.



أسئلة التقويم الذاتي (6)

1- مـا الغرض من الدرس النحوي عنـد العرب ؟ وما مفهوم النحـو عند المتقدمين؟ والمتأخريـن؟ واذكر تعريفه عند صاحب المسـتوفي، وبيّن فحواه، واذكر الكتاب النحوي الذي طبق هذه الفحوى.

2- اذكر المدارس النحوية التي تنافست، واذكر من تعرفه من علماء كل مدرسة.

3- اذكـر ما تعرفه من أنماط التأليـف النحوي، وأهم الكتب النحويـة والنحاة في كل نمط.

4- عرِّف العمل، وبين أنواع العامل.

5- ما الغرض من التعليل؟ وبين كيف تطوّر؟ واذكر أضرب التعليل.

6- ما القياس؟ وما أركانه الأرسطية؟

7- ما أهم محاولات الإصلاح الموجهّة إلى النحو؟



تدريب (7)

1- مـاذا نقصد بقولنا: الإعراب مظهر خارجي لفظـي يخفي وراءه تعليل معنوي لأي حكم نحوي ؟

2- بيّن المدرسة النحوية التي يتبعها كل نحوي من التالية أسماؤهم:

المبـرد، ثعلـب، الفارسـي، أبو موسـى الحامض، ابن جنـي، ابن كيسـان، ابن يعيش، الزبيدي، الشلوبين، الجزولي.

3- اذكر المقصود بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية في قوله الدكتور تمام حسـان بأن التعليق هو إنشـاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسـطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية ".

4.4 المستوى الدلالي

كانت حركة جمع اللغة دائبة، برحلة الرواة إلى البادية وسماعهم عن العرب، وارتحال الأعـراب من البادية إلى الحواضـر كالبصرة والكوفة وبغداد ليؤخـذ عنهم. وكان الجمع يتـم بطريقة عفوية وغيـر منظمة، فاجتمع لـدى علمائنا ثروة لفظية مـن القرآن الكريم والحديث الشـريف ومن الشـعر العربي، وما جمعوه مشافهة من أقوال عرب البادية ومن المرتحليـن منهم إلى الحواضر؛ فـأرادوا تنظيم المتناثر منه وضم بعض المتشـابه لفظاً أو معنـى إلى بعضه الآخر، واجتهدوا في بيان معاني المفردات واسـتعمالها عند العرب. فاتخـذت الدراسـة والبحث في مفردات اللغة ومعانيها مسـربين متوازييـن لدى علمائنا أحدهما: مسـرب عملي: تمثله الأعمال المعجمية التي تطورت تدريجياً حتى أصبحت تياراً قوياً ورئيسـاً في الدراسـات اللسـانية عند العرب. وقد بدأ التأليف المعجمي على شـكل رسائل لغوية: في غريب اللغة والقرآن الكريم والحديث الشريف مما استغلق فهمه. وأول من نسب إليه التأليف في غريب القرآن الكريم عبد الله بن عباس (ت 68 هـ)، وتوالى بعده التأليـف في تفسـير غريب القرآن الكريم من اليزيدي (202 هـ) وابن قتيبة (276 هـ) وثعلـب (291 هـ) وكلها ضاعت ولم يبق منها سـوى كتابي معمر بن المثنى وابن قتيبة. ولا ينقطـع التأليف في القرن الرابع في هذا النوع من الغريب فنسـب إلى المفضـل بن

سلمه (308 هـ) وابن دريد (323هـ) ونفطويه (323 هـ) والسجستاني (330 هـ) ولم يصل إلينا سوى كتاب السجستاني.

وأما غريب الحديث فقد عُزي التأليف فيه إلى النضر بن شميل (203 هـ) والأصمعي وأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، ولابن الأعرابي (ت 231 هـ) وابن قتيبه والمبرد وثعلب وابن دريد والأنباري (ت 328 هـ) وابن درستويه (ت347 هـ)، وكلها مفقودة. وتطور التأليف فيه وتوسع على يد الزمخشري في كتابه "الفائق في غريب الحديث، وابن الأثير في كتابه " النهاية في غريب الحديث".

ووردت رسائل في اللغات، أي لهجات القبائل العربية، وأولها اللغات في القرآن الكريم لعبد الله بن عباس، ومثله في لغات القبائل ليونس بن حبيب ولأبي عبيده والأصمعي ولأبي زيد الأنصاري وللشيباني.

وهناك رسائل لغوية في الإنسان والحيوان والنبات فقد نسب التأليف في خلق الإنسان إلى النضر بن شميل وقطرب وأبي عمرو الشيباني والمفضل بن سلمه وأبي عبيدة والأصمعي والأنصاري والسجستاني.

وممن صنف رسائل في الخيل: النضر بن شميل، وابن الكلبي (ت 204 هـ) والشيباني، وأبو عبيده (210هـ) وله ثلاثة كتب والأصمعي وله كتابان، وابن الأعرابي (ت 231 هـ) وغيرهما وكان من الطبيعي أن تتطور فكرة الرسائل والكتب اللغوية وتجمع المفردات المتفرقة بتنظيم خاص أو بترتيب ما. وقد قام بأول خطوة وأهمها في هذا الاتجاه الخليل بن أحمد في محاولته ضبط اللغة وحصر ألفاظها في معجم شامل يستوعب الواضح والغريب ويميز المستعمل من المهمل من مفردات اللغة، وقد رتبه صوتياً حسب مخارج الحروف، مبتدئاً بحرف العين، وأطلق عليه معجم العين. ويتوالى التأليف، بالترتيب نفسه، أي وفق الترتيب الصوتي للمداخل كالبارع لأبي علي القالي (ت 356هـ) وتهذيب اللغة للأزهري (370 هـ) والمحيط للصاحب بن عباد (ت 385 هـ) والمحكم والمحيط الأعظم لابن سيده الأندلسي (458 هـ) ويجمع بينها كلها طريقة الخليل في ترتيب الحروف من الحلق صاعداً ومنتهياً بالشفتين فكانت كالتالي:

ع ح، هـ، خ، غ / ق ك / ج ش ض / ص س ز / ط د ت / ظ ذ ث / ر ل ن / ف ب م / و ا ي.

وتجعل أيضاً كتاباً لكل حرف وتقسم كل كتاب إلى أبنية مع الأخذ بمبدأ تقاليب هذه الأبنية، وربط اللغة بشواهد من القرآن والحديث والشعر ولغات العرب.

والطريقة الثانية في التأليف المعجمي هي ترتيب الكلمات ترتيباً ألفبائياً حسب حروفها الأصلية الأولى وقد ذكر الدكتور عبد اللطيف الصوفي بأن "رائد هذه المدرسة هو الأمام البرمكي (411هـ) الذي أعاد ترتيب كتاب الصحاح للجوهري، وفق أوائل الأصول، باعتبار حروف أصول الكلمات جميعها، فهو لذلك مبتكر طريق الترتيب الهجائي في المعجم على جميع أصول الكلمة بدءاً من الحرف الأول وانتهاء بالحرف الأخير" [1] وفي الحقيقة أن أوّل من عرف هذه الطريقة في الترتيب المعجمي هو أبو عمر الشيباني في كتاب الجيم أو كتاب الحروف ولكنه لم يلتزم في ترتيبه هذه إلا بالحرف الأول دون الثاني فالثالث وأهمل ذلك بالنسبة لبقية حروف الكلمة.

ومما اتبع هذه الطريقة جمهرة اللغة لابن دريد ومقاييس اللغة لابن فارس وأساس البلاغة للزمخشري.

ومع حرص ابن دريد في الجمهرة على التقاليب ليتجنب شرح الكلمة الواحدة في أكثر من مكان، كان يبدأ كل باب بالكلمة التي تبدأ بالحرف المقصود، يليه مباشرة الحرف الذي يتبعه في الترتيب الألفبائي، فكل باب يصّدره بحرف مع الذي يليه كالباء مع التاء أو الراء مع الزاي أو العين مع الغين؛ وعلى هذا فإننا نجد كلمة صبر في باب الباء لأنها أحد تقاليب بصر فلا نجدها في باب الصاد، أما مقاييس اللغة فقد تبنّى مؤلفه نظرية اجتماع التقاليب على معنى أساسي، التي أشبعها ابن جنّي في الخصائص في باب الاشتقاق الأكبر[2]، وجعل أحمد بن فارس منها نظرية وحاول تطبيقها في معجمه، وقد نجح في الثنائي والثلاثي، وحينما وصل إلى الرباعي والخماسي تبنى فيهما نظرية النحت فكلمة ضِبْطر (الرجل الشديد) منحوته من ضبط وضبر.

---

(1) الصوفي، اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية : ص 125 - 126.
(2) ابن حني، الخصائص : ج 3/133. 139.

أما أساس البلاغة فيلاحظ أن ترتيبه كان محكماً بحيث انتهجت طريقة المعاجم الحديثة، حيث التزم الزمخشري بتقسيم المعجم إلى ثمانية وعشرين باباً لكل حرف كتاب وأولها كتاب الهمزة ثم كتاب الباء...الخ، وإن ما يميز مادة الكتاب إيراده العبارات الفصيحة من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب، بحثاً عن دلالات جمالية أو بلاغية لهذه العبارات غير المعاني المعجمية المثبتة، مع إفراده الاستعمالات المجازية للألفاظ فتجده يقول في كل مادة، ومن المجاز أو ومن الكناية، أو من المستعار " فقد عرض مادته من خلال سياقاتها أو تركيبها.

ومن المعاجم الحديثة التي اتبعت في ترتيب موادها طريقة الزمخشري محيط المحيط لبطرس البستاني وأقرب الموارد للشرتوني، والبستان والوافي لعبد الله البستاني، ومعجم متن اللغة للشيخ محمد رضا والمعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة والهادي لحسن الكرمي.

وأما الطريقة الثالثة فهي ترتيب المواد حسب الحرف الأصلي الأخير (القافية) مع مراعاة الحرف الأصلي الأول، أو طريقة الباب والفصل التي تجعل للحرف الأخير والحرف الأول فصلاً، ومبتكر هذه الطريقة هو الفارابي (ت 350 هـ) في معجم ديوان الأدب في بيان لغة العرب، وقد ادعى الجوهري (400 هـ) أن هذه الطريقة من ابتكاره في معجم " تاج اللغة وصحاح العربية "بقوله عن ترتيبه في مقدمة الصحاح "أودعت كتابي هذا ما صح عندي من هذه اللغة...على ترتيب لم أسبق إليه،وتهذيب لم أغلب عليه في ثمانية وعشرين باباً وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلاً على عدد حروف المعجم وترتيبها" [1] والحقيقة أن هذه الطريقة هي من ابتكار خاله الفارابي وقد قام الدكتور أحمد مختار عمر بتحقيق هذه المسألة في كتابه البحث اللغوي عند العرب [2] وأثبت بالأدلة أن الجوهري قد أخذ عن ديوان الأدب نظام الباب والفصل، وإن التعديل الذي أدخله الجوهري عليها هو اطراحه الخطوات الكثيرة التي سارت عليها معاجم الأبنية" [3] أي لم يأبه الجوهري بكون الكلمات ثنائية أو ثلاثية بل اهتم بتسلسلها الهجائي.

---

(1) الجواهري الصحاح : جـ1 / ص 33.
(2) انظر : ص 99 وما بعدها.
(3) السابق : ص 198.

وقـد اتبع هذه الطريقة ابن منظور (ت 711 هـ) في لسـان العرب الذي جمع مادته من خمسة أصول هي تهذيب اللغة للأزهري والمحكم لابن سيده والصحاح للجوهري، ثم حواشـي ابن بَرِّي على الصحاح والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير، وهكذا أفرغ مادة هذه الكتب وفق تنظيم محكم في معجم اللسان وقد بذل جهداً كبيراً في إضافة ما استطاع من شروح وشواهد بأنواعها كافة.

وألف الفيروزأبادي (ت 816 هـ) معجمه المسـمى "القاموس المحيط" معتمداً هذه الطريقـة أي نظام الباب والفصل، وقد دون فيه فصيح اللغة وغريبها واهتم بذكر الأعلام من الأماكن والرجال والنبات وحذف الشـواهد ووضع رموزاً للاختصار نحو: م:معروف، ع: موضع، ج: جمع، د بلده، هـ: قرية.

وقام الزبيدي (ت 1205 هـ) بشـرح هذا القاموس في معجم سـماه " تاج العروس من جواهر القاموس، وعلى النظام نفسه، وأورد عبارة الفيروزأبادي بين قوسين ثم يورد الشرح خارج الأقواس في ملاءمة لا ينفصل فيها السياق.

وتثار في أيامنا جملة من القضايا المعجمية التي تعد من المآخذ على المعاجم العربية التي وضعت قديماً وحديثاً منها عدم اتفاقها على طريقة موحدة في ترتيب مداخلها، وهذا الأمر واضح فيما ذكرناه آنفاً من طرق الترتيب السابقة.

ومنها كذلك قضية الترتيب الداخلي لمشتقات المادة المعجمية حيث غاب عنها النسق في عرض معاني المفردات فخلت من ترتيب المشتقات التي تتبع المداخل وأصبح الخلط هو السمة الغالبة في سرد مشتقات المادة فلا منهجية تلتزم بتقديم المعاني الحقيقية على المجازية أو المعاني الحسـية على العقليـة، أو تتقيد بتنظيم معين للأفعال وتقديمها على الأسـماء مع غياب الالتزام بتقديم المجرد على المزيد، أو اللازم على المتعدى في الأفعال، عدا الاضطراب في إيراد الأسـماء وجموعها والأعلام ومواضعها، والشـواهد وضرورتها والبحـوث الصرفيـة والنحوية. وأمـا طرق أداء المعانـي والتعريفات فتخلـو من الدقة ويغلب عليها التداخل بين المعاني اللغوية والاصطلاحية وبين المعاني الحسـية والعقلية والحقيقية والمجازية.

وقـد اتبـع نظام آخر في ترتيب المعاجـم وهو نظام الترتيـب الموضوعي أو ترتيب الألفـاظ في مجموعات حسـب معانيها فالمفردات التي تخص النـوم في باب واحد، وهو تطوير طبيعي للرسـائل التي كانت توضع بجمع الألفاظ التي تنتمي أو تخص موضوعاً واحداً نحو كتب المطر، والخيل والإبل وخلق الإنسان والنبات...الخ.

وأول كتـاب اتبـع الترتيب الموضوعي هو الغريب المصَّنف لأبي القاسـم بن سـلام الذي اعتمد على الرسـائل اللغوية التي صنفت وكانت له مشـاركة فـي إعداد بعضها، فلو ألقينا نظرة على أبواب الكتاب لألفينا عناوين الرسـائل التي سـلف ذكرها مثل: كتاب خلق الإنسان، وكتاب الخيل وكتاب النخل، وكتاب الأضداد، فكأنه قد قام بجمع هذه الرسائل في كتابه،وقد فتح الطريق أمام علماء آخرين ساروا على نهجه مثل ابن السكيت (ت 244هـ) في كتاب: كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ "وقد جمع هذا الكتاب الألفاظ العربية في عدة موضوعات مثل صفات الناس والأشياء والطبيعة كالطول والقصر والشجاعة والغنى والفقر والشـمس والليل إلـى غير ذلك مما بوبه تبويباً موضوعياً في مائة وخمسـين باباً صغيراً.

وكانـت لعبد الرحمن الهمذاني (ت 320 هـ) مشـاركة في هـذا النوع من التصنيف في كتاب سـماه "الألفاظ الكِتَابية" الذي توزع على أبـواب أو موضوعات تبلغ 367 باباً، وفي كل باب الألفاظ والعبارات التي تخص موضوعاً معيناً مع الشـواهد القرآنية والشعر والأمثـال خدمة لناشـئة الكتاب " فليسـت لفظة (أي في هذا الكتـاب)، إلا وهي تنوب عن أختهـا في موضعها من المكاتبة، أو تقـوم مقامها في المحاورة...فإذا عرفها العارف بها وبأماكنها التي توضع فيها كانت له مادة قوية وعوناً وظهيراً "[1].

ومن أشـهر معجمات المعاني "فقه اللغة وسر العربية" للثعالبي (ت 429 هـ) الذي أفاد من جهود العلماء في المعجمات السـابقة عليه باعترافه حين ذكر في كتابه "وتُرِكْتُ والأدبَ والكتب، أنتقي منها وأنتخب، وأفصِّل وأبّوب، وأقسِّـم وأرتِّب وانتجع من الأئمة... مـن ظرفاء الأدباء الذين جمعوا فصاحة العرب البلغاء إلى إتقان العلماء [2] وقد وزع مادة الكتاب على 30 باباً مقسمة إلى 600 فصل وفي كل باب موضوع أساسي كالأكل والجوع والنوم، ووجه عنايته للألفاظ المفردة دون التراكيب واهتم بالفروق بين المترادفات، وقد يستعين بالشواهد أحياناً.

أما المخصص لابن سيده (ت 458 هـ) وهو أكبر هذا النوع من المعجمات وأجدرها بهـذا الاسـم، فهو على درجة عالية مـن التبويب والتنظيم حيث جمع ما تشـتت من ألفاظ ومترادفات في الكتب السابقة عليه، فجعل لكل موضوع كتاباً في ترتيب منطقي حيث بدأ بالإنسان فالحيوان ثم الطبيعة ثم النبات،وقسم كل كتاب إلى أبواب.

---

(1) الهمذاني، الألفاظ الكتابية : ص 13.

(2) الثعالبي، فقه اللغة : ص9.

وأما ثاني المسربين في مباحث المفردات ومعانيها فكان نظرياً وتمثله الدراسات النظرية للعلاقات الدلالية بين المفردات، حيث بدأت البحوث مبكرة حول الأجناس الدلالية كالتضاد والترادف والمشترك اللفظي، والحقيقة والمجاز والخاص والعام والاشتقاق وهو الوسيلة الرئيسية لتوليد الألفاظ في العربية لتواكب مستحدث المعاني والأفكار.

ونستطيع أن نقول بلا مغالاة إن المباحث التي تدور حول الألفاظ والمعاني من أهم الدراسات التي أذكت البحث اللغوي والبلاغي في اللغة العربية قديماً وحديثاً.

ومباحث اللفظ والمعنى عند الأصوليين من أدق المباحث التي دارت حول الألفاظ والمعاني فما من مبحث أصولي إلا ويتصدره بحث دلالي من أجل بيان الطرق الصحيحة لاستنباط الأحكام من النصوص التشريعية. والبحث الأصولي في دلالات الألفاظ يتناول حسب معناه الذي وضع له، وبحسب معناه الذي استعمل فيه وبحسب وضوح المعنى وخفائه، وحسب دلالته على مراد المتكلم متتبعين اللفظ في جميع أحواله مفرداً ومركباً ومقيداً، خاصاً وعاماً أمراً ونهياً وحقيقة ومجازاً، واضحاً وخفياً. ومن النظريات الدلالية عند اللغويين العرب، ما يمكن أن أنسبه لابن جني مما جاء منثوراً في مصنفاته خاصة كتاب الخصائص ونجمعه في إطار شامل يمكن أن يطلق عليه نظرية دلالية يكون المعنى فيها هو المحصلة النهائية لتحليل الحدث اللغوي تدريجياً على مستوياته كافة: الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية في إطار سياقاته ومناسبته وظروفه التي قيل فيها، وهي نظرية تتوافق معها نظرية فيرث[1] عالم اللسان الإنجليزي في الدلالة.

---

(1) انظر من أجل المقارنة بين نظريتي فيرث وابن جني Firth : Papers in Linguistics, modes of meaning PP142 كذلك الدلالة اللغوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد : ص ص 157 -201.



نشاط (7)

- في كتاب رواية اللغة "لعبد الحميد الشلقاني، استقصِ الأدوار التي تمت من أجل جمع اللغة.
- قارن بين نظريتي ابن جني وفيرث الدلالتين من خلال كتاب الدلالة اللغوية عند العرب للدكتور عبد الكريم مجاهد.



أسئلة التقويم الذاتي (7)

1- اتخذت دراسة مفردات اللغة والبحث في معانيها مسربين، اذكرهما، ووضح كل منهما تفصيلاً؟
2- اذكر طرق التأليف المعجمي، وأصحابها والمعاجم التي ألفت في كل طريقة مع مؤلفيها؟
3- اذكر قضية معجمية تثار ضمن المآخذ على المعاجم العربية واشرحها؟



تدريب (8)

1- كيف تستخرج معنى كلمة مستنقع " من المعاجم التالية:
العين، الجمهرة، لسان العرب، المعجم الوسيط.؟
2- أين تجد الكلمات التالية في معاجم الموضوعات قرين كل كلمة منها:
البلح: في الغريب المصنَّف، الجرأة: في كنز الحفاظ.
الأرق: في الألفاظ الكتابية. الكرى: في فقه اللغة وسر العربية.
الريمَ: في المخصص.

4. علاقة علم اللسان بالعلوم المساعدة

1.4 علاقة علم اللسان بعلم الاجتماع:

إن اللغة نشاط اجتماعي، أي ظاهرة اجتماعية، لأنها نتائج علاقات اجتماعية، ومن هنا جاء اهتمام علم الاجتماع بها، فأصبحت اللغة موضوعاً مشتركاً بين اللسان وعلم الاجتماع، فالحدث الكلامي له جانبان: اللغوي الذي يهتم به عالم اللسان فيقيم بحثه على وصف النظم الصوتية والصرفية والنحوية مثلاً. وأما الجانب الاجتماعي للغة فيحاول الكشف عن العلاقة بين اللغة والحياة الاجتماعية، وأثر الحياة الاجتماعية والنظم الاجتماعية في الظواهر اللغوية باعتبار أن هذه النظم تفرض ألواناً من السلوك اللغوي، كما أن اللغة تكشف عن الواقع الاجتماعي. وهكذا نشأ ما يسمى بعلم اللسان الاجتماعي Socio Linguistics، الذي تقام فيه الأبحاث على أن اللغة سلوك اجتماعي يفصح عن كثير من القيم الاجتماعية والعلاقات الشخصية وفهم البناء الاجتماعي، إذ اللغة عدا كونها وسيلة حياة في المجتمع، هي وسيلة كشف عن المجتمع، فلغة الشخص تكشف مثلاً عن المستوى الاجتماعي والمستوى التعليمي، أو الحالة الاقتصادية، وهكذا نستطيع أن نلم بأحوال المجتمع من اللغة، ونفهم المجتمع من اللغة.

وإن علم اللسان الاجتماعي يربط بين علم اللسان وعلم الاجتماع، لأن من أهداف البحث فيه الوصول إلى العوامل الاجتماعية التي تفسر كثيراً من الظواهر اللغوية، والدور الذي تلعبه اللغة في الكشف عن البيئة الاجتماعية أو المنطقة الجغرافية، أو الموقف الاقتصادي أو المستوى العلمي للمتكلمين، فاللهجة قد تكون مميزاً لكل هذا، إذ أن المعطيات الاجتماعية تساهم في تحديد خصائص الأساليب الفردية. ومهمة البحث اللغوي متابعة المتكلم في مواقفه الحياتية، من أجل التعرف إلى مدى اختلاف أسلوبه الذي يتخاطب به، والألفاظ التي يجب أن يختارها وفقاً لاختلاف المواقف، لأن البشر يسعون إلى التكيف لغوياً مع المواقف الاجتماعية ويربطون بين الأشكال اللغوية والمواقف وعناصرها فلا بد، مثلاً، من اختيار الصيغ اللغوية التي تتناسب مع المواقف الاجتماعية في الأفراح والأحزان والاستقبال والوداع.

أما تطور دلالات الألفاظ، والتطور اللغوي فلا يمكن تفسيرها إلا بالاستعانة بالعوامل الاجتماعية والحضارية التي تلقي الضوء على أسباب التطور ومظاهره.

كذلك من المجالات التي يهتم بها علم اللسان الاجتماعي ما تعكسه اللغة من تفاوت بين طبقات المجتمع، وما يتبع التغير الاجتماعي من تغير في اللغة، باختفاء بعض الكلمات وبروز غيرها مع أي تغير في النظام الاجتماعي، عدا أن كل طائفة مهنية أو مجموعة إنسانية تربطها مصالح مشتركة تختار طرق التعبير أو المصطلحات الخاصة بها[1].

(1) من أجل مزيد من الاطلاع : انظر : المدخل إلى علم اللغة، للدكتور رمضان عبد التواب، ص ص 125-136، اللغة وعلوم المجتمع للدكتور عبده الراجحي ص ص 12-7، أسس علم اللغة العربية للدكتور محمود حجازي ص 51، وما بعدها، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي لمصطفى لطفي : ص 47 وما بعدها.

2.4 علاقة علم اللسان بعلم النفس

اللغـة، كما هي ظاهرة اجتماعية، هي مظهر من مظاهر السـلوك الإنسـاني يعبر عن كيان أو مستوى فكري، ومن هنا دخلت اللغة دائرة علم النفس، وأصبحت كذلك موضوعاً مشتركاً بين علم اللسان الذي ينصب البحث فيه على وصف جوانب اللغة الصوتية والصرفية والنحويـة بهدف تمييزها وتحليلهـا، وعلم النفس الذي يتناول جانبـاً آخر من اللغة وهو البحـث في كيفية إنتاج اللغـة وإدراكها وفهمها، أي يركز اهتمامه علـى العمليات العقلية النفسـية التي تسـبق إنتاج الكلام، أو التي تعقبه، وكان من نتيجة ذلك أن تمخض عن هذه العلاقة بين العلمين (علم اللسان وعلم النفس) في دراسة اللغة، ظهور فرع مستقل أطلق عليه علم اللسـان النفسـي Psycholinguistics وموضوع هـذا العلم العلاقة بين النفس البشرية واللغة بشكل عام أو بين اللغة والعقل الإنساني مثل اكتساب اللغة وإدراك الكلام وبين اللغة والفكر، وعلاقة اللغة بشـخصية المتكلم النفسـية وحالته الانفعالية ودراسـة عيوب الكلام. وكأن الموضوع الرئيس لهذا العلم هو تحديد العوامل النفسية التي تؤثر في الأداء اللغوي أو التي تقف خلف الكفاية اللغوية في اصطلاح تشومسكي، وخلاصة القول إن علم اللغة النفسي يحاول الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التالية:[1]

* الأول: مـا العمليات العقلية التي يتمكن بها الناس من قول ما يريدون قوله؟ أي إنتاج الكلام.
* الثاني: ما العمليات العقلية التي يتمكن بها الناس من قول وإدراك وفهم ما يسمعونه؟ أي إدراك الكلام.
* الثالث: ما الطريق الذي يتبعه الأطفال في تعلم كيفيه إنتاج اللغة وفهمها في المراحل العمرية المبكرة؟

وهكذا فإذا كان علم اللسـان يدرس على المسـتوى الصوتي إصدار الصوت بانطلاق الهواء من الرئتين بضغط من الحجاب الحاجز ومروراً بالقصبة الهوائية والحنجرة والحلق والفم انتهاء بالشفتين ثم انتقال هذا الصوت إلى المستقبل والعمليات السمعية التي تجعله قادراً على التقاط الصوت عبر الهواء؛ فإن علم اللسان النفسي يبحث في العمليات العقلية التي يقوم بها مسـتقبل الكلام لفك الرمـوز الصوتية من أجل فهم المقصود وإدراكه، بل

---

(1) جمعة محمد يوسف، سيكلوجية اللغة والمرض العقلي : ص 20.

إن هذا العلم يبعد أكثر من ذلك بالبحث عن المقدرة التي يمتلكها المتكلم أو المستمع على إنتـاج اللغة وفهمها عن طريق امتلاكه لمجموعة محددة مـن القواعد النحوية التي تمكنه من إنتاج عدد غير محدود من الجمل وهو ما يمثل جوهر نظرية تشومسكي التوليدية.(1)

3.4 علاقة علم اللسان بالأنثروبولوجيا (علم الإنسان)

إذا كان علمـاء الاجتماع قد ربطوا اللغة بالمجتمع، وعلمـاء النفس ربطوها بالنفس، فإن الأنثروبولوجيين يربطونها بالثقافة، أي إنها وسـيلة لفهم الثقافة، فإن جميع أشكال التعبير، خاصة الشـعبي منها، اكتسبت أهميتها واجتذبت العناية بها نظراً لما تتضمنه من دلالات، وما ترمز إليه من معانٍ ومضامين إنسـانية والعلاقة وثيقة بين الحضارة واللغة، فالبنية الدلالية لمجموع النصوص الشـعبية والأساطير تتنّوع بتنوع تراكيبها ومفرداتها وتكاملها وما بها من خصائص وظواهر لغوية تقدم رؤية فكريةأو تفسـر دلالة عقلية أو نظاماً حضارياً، أكثر مما تقدمه وثائق التاريخ أو صفحاته في بعض الأحيان.

وتأتـي لخدمة هذا التصـور نظرية المعنى السـياقية عند اللغـوي الإنجليزي فيرث تطويـراً لمقولـة للأنثروبولوجي مالينوفسـكي مفادها أنه لا يمكـن أن تؤدي النصوص معناهـا الحقيقي والدقيق دون معرفة الحال التـي كان عليها المتكلم عند النطق بها، وقد جعل منها فيرث نظرية تقوم على سـياق الحال، أي الظروف والملابسـات التي تصاحب النـص اللغوي، بحيـث لا يمكن البت، دونها، بمعاني المفـردات والجمل والعبارات. وهذا الأمر ليس جديداً على الفكر اللسـاني العربي فإن النصوص الشـرعية استنبطت الأحكام منها بعد تفسيرها على ضوء أسباب نزولها، وكذلك تطلع كثير من لغويينا كابن جني إلى دراسة النصوص العربية في ضوء سياقاتها والأحوال التي قيلت فيها.

وقد ربط بعض الأوروبيين بين اللغات والأجناس فترى أن هناك صلة بين الخصائص

---

(1) لمزيد من الاطلاع، انظر : البني النحوية، تشومسكي، ترجمة يوئيل يوسف عزيز
- دراسات في علم اللغة النفسي، للدكتور داوود عبده.
- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي : جمعة سيد يوسف : ص ص 16 – 51.
- دراسات لسانية تطبيقية : مازن الوعر : ص ص 2 – 234.
- المدخل إلى علم اللغة – رمضان عبد التواب : ص ص 137 – 146.
- أسس علم اللغة العربية : محمود حجازي : ص ص 48 – 51.

المميزة للغات وعقلية الجنس الذي اصطنعها [1]، وقد عارض ذلك عدد من الأنثروبولوجيين الذين رأوا زيف وصل اللغة بالجنس فليس هناك ما يسند ذلك من التاريخ.

واهتـم الأنثروبولوجيون كذلك بدراسـة اللغـات البدائية واسـتنبطوا لها خصائص يذكرها الدكتور عبده الراجحي[2] من مثل أنها غير قادرة على التعميم والتجريد، وعاجزة عن التعبير الدقيق، ومعرضة للتغيير وهم يبنون ذلك على أسـاس القدرة العقلية للمتكلم البدائي كذلك هذا الأمر لم يدم ولم يجد من يثبته كالصلة بين اللغة والجنس، وثبت أن لكل لغة نظامها الصوتي والدلالي الخاص بها.

وأما بالنسـبة لأصل اللغة فمـن الأنثروبولوجيين من رأى أن نشـأة اللغة كان تقليداً لأصوات الحيوان، ومنهم من رأى أن اللغة البدائية تميزت بما أطلق عليه العبارة الكلية أو الكلمة الشـاملة التي لا يمكن تحليلها إلى وحدات أصغـر منها ومع ذلك فهي أكثر تحديداً مـن الصيحة الحيوانية كما يقول الدكتور عبده الراجحي،[3] وأكثر صلاحية لتحديد نشـأة اللغة.

وإذا كان الانثروبولوجيون يربطون بين اللغة والعِرق والثقافة والعقل حيث يسـتدل من خلالها على ثقافة الشعوب وأجناسها وعقليتها؛ فإنه قد يكون وراء التغيرات اللغوية، التي تطرأ على الألسنة، دوافع اجتماعية أو نفسية من جراء تعامل فئة من الناس مع اللغة باعتبارها مظهراً اجتماعياً أو سلوكاً نفسياً فعلى سبيل المثال، نجد أفراداً من أهل الريف... مـمّـن سـكنوا المدن يميلون إلى مجاراة أهلها ليتكيّفوا اجتماعياً ونفسياً معهم، يلجؤون إلى إحداث تغيير في أحاديثهم، أسـتعمالها ألفاظ لم يألفوا أسـتعمالاً في الريف الذي أتوا منه، أو باستبدال بعض الأصوات. بغيرها مما جرت به ألسنة أهل المدينة - فالقاف تصبح همزة، بدل أن كانت كافاً مثلاً والذال والاً أو زاياً، والكاف التي اعتاد أن يكشكشها تصبح غير مكشكشه؛ كل ذلك يخفي رغبة نفسية أو اجتماعية.في الارتقاء بلغته التي قد تصادف (اسـتهجاناً أو استهزاء أو سخرية من أهل المدن تصبح التغييرات اللغوية واللهجية مثلاً من مسـتلزمات الاندماج نفسـياً واجتماعياً فـي المجتمعات [4] وقد يعكـس الاقتصاد في

---

(1) الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع : ص 51.

(2) السابق : ص 17 - 18.

(3) نفسه : ص 19.

(4) انظر ماكتبه في هذا المجال الدكتور إسماعيل عمايرة في بحثه الموسوم بجوانب من التفسير النفسي والاجتماعـي للغـة « في مجلة البلقاء - العدد الأول - المجلد الرابع حزيران 96 م - محرم 1417 هـ ص ص 105 - 128.

الجهـد العضلـي كالذي يتم في الادغام والحذف والمماثلة رغبة نفسـية في التخفيف مما يثقل على اللسان نطقه.



أسئلة التقويم الذاتي (8)

1- هناك علاقة جدلية قائمة بين اللغة والمجتمع ؟ اذكر جوانبها وأبعادها؟
2- ما دور علم اللسان الاجتماعي في ربطه بين اللغة والمجتمع؟
3- لِـمَ دخلـت اللغة دائرة علم النفـس؟ وما العلم الذي تمخّض عـن هذه العلاقة؟ وما موضوعه؟
4- اللغــة عنــد الأنثرولوبوجيين وسـيلة لفهم الثقافة وضح هذا الأمـر وهل هناك من علاقة بين اللغة والجنس؟



تدريب (9)

1- كيف يمكن أن يتم الربط بين المواقف الاجتماعية والأشكال اللغوية ؟
2- وكيف يمكن الربط بين الأداء اللغوي والعوامل النفسية ؟
3- وهل للظواهر اللغوية دلالة ثقافية أو عقلية ؟

5. الخلاصة

1- القيـت الضوء على الاصطلاحات التي شـاعت عند العرب قديمـاً وبينت المقصود منها نحو: العربية والنحو، واللغة وفقه اللغة وعلم اللغة.
2- بينت مفهوم علم اللسان الحديث ولِمَ وقع الاختيار عليه ؟
3- تتبعت مجالات الدرس اللغوي عند العرب في أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلاليـة، وبينت مفاهيمها لغة واصطلاحاً، وتتبعتها تاريخياً، وما صنِّف فيها من كتب مع الإشارة إلى مناهجها.

6. لمحة عن الوحدة الدراسية الثانية

سـنتكلم في الوحدة التالية عن جهود علماء العربية القدماء من خلال بيان دوافع البحث اللسـاني عندهم ومدى تأثر العرب بغيرهم من الأمم المجاورة في علم اللسـان كالسريان واليونان والهنود، وسنتحدث في هذه الوحدة أيضاً عن الموضوعات التالية: نشـأة اللغة، والإعـراب، وهي موضوعات تقع ضمن البحث اللسـاني العربي قديماً في كتب الخصائص والصاحبي في فقه اللغة والمزهر.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

عن طريق الإعراب نفرق بين المعاني النحوية كالفاعلية والمفعولية والإضافة.

تدريب (2)

1- مفردات ذات دلالات جزئية. يقصد بها الدلالة المعجمية، ويضاف إليها معنى الصيغة الصرفيــة (كالمبالغــة في صيغــة المبالغة أو الدلالــة على الزمــن الماضي بالإضافة إلــى الحدث في صيغة الفعــل الماضي). وأما الدلالة النحويــة فهي الوظيفة النحوية كالفاعلية أو المفعولية التي تكتسبها من خلال تنظيم التركيب أو الحركة الاعرابية.

2- علم اللغة يَدُل على أنه يعني به علم اللســان العام.فقه اللغة يَدُل على أنه يعني به علم اللسان العربي، والموضوعات الخاصة به.

تدريب (3)

1- أي إن علم اللســان يدرس النظم الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية دراسة خالية من التعصب والهوى. للوصول إلى حقائق مجردة أو نتائج موضوعية نحو إن النظام النحوي العربي يقوم على الإعراب والتركيب، بغض النظر عن مميزات هذا النظام أو سلبياته.

2- اســتخدام ابن خلدون مصطلح اللســان بمعنى: اللغة واستعمل اصطلاح اللغة بمعنى اللهجة، التي تدل على تنوع صوتي أو دلالي.

تدريب (4)

العناصر الصوتية:

أً، بْ، دَ، أْ، / بِ، إِ، صْ، لاَ، حِ / نَ، فْ، سِ، كَ / فَ، إِ، نْ َ / فــي، هــِ / صَ، لاَ، حَ / أَ، بْ، ناْ، ئــِ، كَ.

العناصر الصرفية:

إبدأ / بــ / إصلاحِ / نفسِ / ك / فــ / إنَّ / في / هــ / صلاح / أبناء ك.

فعل / حرف / مصدر / اسم / ضمير متصل / حرف / حرف / حرف / حرف / ضمير / مصدر/ اسم (جمع)/ ضمير.

العناصر النحوية:

فعل أمر / حرف جر / اســم مجرور / مضاف إليه، مضاف / ضمير في محل جر بالاضافــة / تعليلية / حــرف توكيد ونصب / جار / في محل جر وهما متعلقان بالخبر، اسم إن مؤخر مضاف / مضاف إليه، ومضاف / ضمير في محل جر بالاضافة.

تدريب (5)

1. ترتيبها في العين: هـ، ق، ج، ش، ض، ص، ت، د، ر، م.
2. الترتيب الألفبائي لا يتقيد بالمخارج وهو: ألف، باء، تاء، ثاء، جيم، حاء خاء هاء، واو، ياء، ترتيب بأسماء الحروف.

أمــا الترتيب الصوتي فهو ترتيب يتقيد بمخــارج الحروف على المدرج الصوتي وهو ترتيــب الخليل وفي العين مثــلاً الذي يبدأ بالحروف الحلقيــة: ع ح هــ غ، خ وينتهي بالحروف الشفوية: ف ب م، ويليها الحروف الهوائية واي.

3. سياق الحال: الظروف والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي.

- الفونيمــات غير التركيبية: الأصوات المصاحبة للكلام كالنبر في الكلمات أو التنغيم في آخر الكلام.وهي لا تدخل في التركيب كتابة وإنما تظهر نطقاً.
- الدلالة الذاتية الطبيعية: وهي الدلالة التعبيرية للحروف كأن يدل الحرف أو الصوت " غ" على الغيبة والإخفاء والراء على الترديد والتكرار.
- الدلالة الاحتباطية: وهي دلالة الكلمات على معانيها بالوضع والاتفاق والاصطلاح دون أن يكون هناك أية علاقة بين حروفها ومعناها.

تدريب (6)

1- إن التركيب سلســلة من المباني يمثل الأبواب النحوية، التي تؤدي الوظائف النحوية كالفاعلية والإضافة، فلولا هذه المباني بما تحمله من معانٍ باعتبارها صيغاً اسمية أو فعليه يتم تنظيمها وإعرابها فتؤدي المعاني النحوية المقصودة.

2- هي التعريف: بأل أو بالاضافة أي بزيادة مورفيم مقيد أو مورفيم صفري.

التحديد: بزيادة مورفيم أو حذف آخر.

فالمفــرد يحــددّ من الجمع بحذف الــواو والنون مثلاً نحــو:" المؤمنون" ومؤمن ". ويحددّ اسم الفاعل بزيادة المؤلف بعد فاء الفعل: ضرب ضارب.

التوزيــع: أضربُ، يضربٌ، نضــرب، تضرب، تم تنويع المضــارع بتوزيع مورفيمات بإحلال مورفيم كل آخر.

التصنيــف: كالتنبيه والجمع والتأنيــث والتذكير الذي يتم بزيادة مورفيمات أو حذف أخرى. أو التفريق بين اسم الفاعل واسم المفعول: بكسر ما قبل الآخر أو فتحه.

تدريب (7)

1- إن الحركة الإعرابية لها دور في أبيات المعاني النحوية في التراكيب.

2- المبــرد: بصــري / ثعلب: كوفي / الفارســي: بغدادي ذو ميل بصري / أبو موســى الحامض: بغدادي ذو ميل كوفي / ابن جني: بغدادي ذو ميل بصري / ابن كيسان: بغدادي ذو ميل كوفي / ابن يعيش: من مدرسة مصر والشام.

الزبيدي أندلسي / الشلوبين: أندلسي / الجزولي: مغربي.

3- القرائن اللفظية: كالإعراب والتنغيم والمطابقة، والأدوات.

القرائن المعنوية: الإسناد، التبعية (التوابع).

القرائن الحالية: تعرف من سياق الحال بظروف وملابساته.

تدريب (8)

1- نجرد الكلمة من الزوائد فتصبح نقع:

في العين يفتح باب العين (كتاب العين) حسب الترتيب الصوتي.

- الجمهرة: حسب الترتيب الألفبائي نجدها أيضاً في باب العين لأنها سابقة للنون والقاف في ترتيبها.

في اللسان: باب العين فصل النون.

- في المعجم الوسيط باب النون ثم القاف والعين. (الحرف الأول وما يثنيه ومايثلثه).

2- البلح في كتاب النخيل، الجرأة في كتاب الشـجاعة الأرق في باب السـهر، الكرى في باب النوم، الـسَّـريم في كتاب الحيوان.

تدريب (9)

- كل موقف اجتماعي يحتاج إلى تراكيب أو عبارات لغوية مناسـبة فما يقال في التعزية غير الذي يقال في التهنئة، وكل شكل لغوي ينم عن الموقف الذي يقال فيه.
- كثيـر مـن الألفـاظ أو العبـارات تعبر عـن حالة من الرضـا أو السـخط أو الفرح أو الحزن.
- كاسـتعمال أدوات الربط بكثرة أو اسـتعمال الجمل القصيرة، أو المترادفات أو الميل إلى الجمل الفعلية أو الاسمية قد يكون لكل ذلك دلالات على ثقافة الأفراد أو الأمم.

8. المراجع



أ- المراجع العربية :

(1) الأستراباذي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، بيروت: دار الكتب العلمية، 1395هـ-1975م.

(2) الأشموني، أبو الحسن علي نور الدين بن محمد بن عيسى، منهج السالك إلى ألفيّة ابن مالك شرح محمد محي الدين عبد الحميد، ط3، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1970م.

(3) أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط9، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1979م.

(4) الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد، الإنصاف في مسائل الخلاف بشرح محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، بلا ت.

(5) الأنصاري، أحمد مكي، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو، القاهرة: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1962م.

(6) أنيس،إبراهيم، الأصوات اللغوية؛ القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1962م.

(7) أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ط6، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1975.

(8) أيوب، عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1957م.

(9) بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، القسم الثاني، مصر: دار المعارف، 1969م.

(10) البكوش، الطيب، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث؛ ط2، تونس، مؤسسة عبد الكريم عبد الله، 1969م.

(11) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ط4، بيروت: ط محمد فاتح الداية، بلات.

(12) الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة: مطبعة المدني بلات.

(13) ابـن جني، أبو الفتح عثمـان، التصريف الملوكي، تحقيق محمد سـعيد النعمان، ط1، مصرة: 1310هـ1913م.

(14) ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، بلات.

(15) ابن جني، أبو الفتح عثمان، سـر صناعة الإعراب، تحقيق حسـن الهنداوي، ط1، دمشـق:دار القلـم، 1405هـ1985م. وتحقيق السـقا وزملائـه، مصر: 1374 هـ1954م.

(16) الجوهري، أبو نصر،إسماعيل بن حماد، صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، 1404هـ1984م.

(17) حجازي، محمود فهمي، أسـس علم اللغـة العربية، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979م.

(18) حجـازي، محمـود فهمي، مدخـل إلى علم اللغـة، القاهـرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.

(19) حسام الدين، كريم زكي، أصول تراثية في علم اللغة، ط2، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1985م.

(20) حسّان، تمام، الأصول؛ مصر، بغداد: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988م.

(21) حسّـان، تمـام، اللغة العربية معناهـا ومبناها، القاهرة: الهيئـة المصرية العامة للكتاب، 1979م.

(22) حلمـي خليل، مقدّمة لدراسـة علـم اللغة، الاسـكندرية: دار المعرفـة الجامعية، 1992م.

(23) الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، دار المأمون: بلا ت.

(24) أبو حيّان، محمد بن يوسـف الأندلسـي الغرناطي، البحر المحيط، ط2، القاهرة: دار الفكر، 1398 هـ - 1978 م.

(25) الخثران، عبد الله حمد، مراحل تطور الدرس النحوي، الاسـكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1314هـ1993م.

(26) الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، القاهـرة: المطبعـة الميمنيـة، 130هـ.

(27) الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن سنان، سر الفصاحة، بيروت: دار الكتب العلمية، 1402هـ 1982م.

(28) ابن خلدون، المقدّمة، القاهرة، ط المكتبة التجارية، بلات.

(29) خلف الأحمر، مقدّمة في النحو، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق: 1961م.

(30) دي سوسير، فصول في علم اللغة العام، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، الإسكندرية:دار المعرفة الجامعية،1985.

(31) الراجحي، عبده، فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت: دار النهضة العربية، 197م.

(32) الراجحي، عبده، اللغة وعلوم المجتمع، الإسكندرية 1977م.

(33) الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، الإسكندرية: 1977م.

(34) الرمّاني، أبو الحسن، الحدود في النحو، تحقيق إبراهيم السامرائي، عّمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، 1984.

(35) رمضان عبد التواب، المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة، الرياض: مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، 1402هـ 1982م.

(36) الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة: دار المعارف بلات.

(37) الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، بيروت:دار النفائس، 1973م.

(38) ابن السراج، الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405 - 1985م.

(39) السكاكي، مفتاح العلوم، القاهرة: 1317هـ.

(40) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.

(41) ابن سيده الأندلسي، المخصص في اللغة، بولاق، 1316 هـ - 1321 هـ.

(42) السيرافي، أبو سعيد، أخبار النحويين البصريين، تحقيق محمد إبراهيم البناء، ط1، دار الاعتصام القاهرة، 1405هـ 1985م.

(43) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسن الطيّان، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1403هـ1983م.

(44) السيوطي،جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد محمد قاسم، ط1: القاهرة، 1396هـ1976 م.

(45) السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: 1384هـ-1965.

(46) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقه دار الفكر: بلات.

(47) السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، بلا.

(48) شاهين، عبد الصبور، في علم اللغة العام، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ 1980 م.

(49) شاهين، عبد الصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ - 1980م.

(50) شوقي، ضيف، المدارس النحوية، مصر: دار المعارف بلات.

(51) الصبان، أبو العرفان محمد علي، حاشية الصبان على شرح الأشموني، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1305هـ.

(52) الصوفي، عبد اللطيف، اللغة ومعاجمها، دمشق: دار طلاس، 1986م.

(53) عبد الوارث، مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ط1، الكويت: دار القلم، 1406هـ - 1985م.

(54) ابن عصفور، الإشبيلي، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط4، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1399هـ1979م.

(55) عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، ط4، القاهرة: عالم الكتب 1402هـ1982م.

(56) عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1396هـ1976م.

(57) الفارابــي، أبو نصر، إحصاء العلــوم، تحقيق عثمان أمين، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1968م.

(58) ابــن فــارس، أحمد، الصاحبــي في فقه اللغــة، تحقيق عمر فــاروق الطباع، ط1 بيروت: مكتبة المعارف: 1414هـ - 1992 م.

(59) الفارســي، أبو علي، التكملة، تحقيق حســين شاذلي فرهود، الرياض: 1401هـ. هـ.

(60) الفراهيــدي، الخليــل بن أحمد، العيــن، تحقيق عبد الله درويــش، بغداد، مطبعة العاني،1967م.

(61) القرطبي، ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق محمد إبراهيم البنا، ط1، القاهرة، دار الاعتصام، 1399هـ1979م.

(62) كانتينــو، جان، دروس في علم أصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، تونس: نشر الجامعة التونسية، 1966م.

(63) كحالــة، عمر رضــا، اللغة العربية وعلومها، دمشــق: مكتبة النســر، 1391هـ- 1979م.

(64) كرســتال، ديفيــد، التعريف بعلم اللغــة، ترجمة حلمي خليل، ط1، الاســكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م.

(65) اللغوي، أبو الطيب، مراتب، النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: 1955م.

(66) ابن مالك، جمال الدين الطائي الجياني، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات، القاهرة: دار الكاتب للطباعة والنشر، 1978 - 1388 م.

(67) مايــيه، أنطوان، منهــج البحث في اللغة ترجمة محمد منــدور، ضمن كتابه النقد المنهجي عند العرب،القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلات.

(68) المبــرد، أبو العباس، المقتضــب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، بيروت: عالم الكتب، بلات.

(69) محجوب، فاطمة، دراسات في علم اللغة، القاهرة: دار النهضة العربية، بلات.

(70) محمــد الخضر، حســين، القيــاس في اللغة العربيــة، ط2، بيــروت: دار الحداثة للطباعة والنشر،1983م.

(71) محمود، عبد الله ربيع وعلام، عبد العزيز أحمد، علم الصوتيات، ط2، مكة المكرمة:مكتبة الطالب الجامعي، 1408هـ1988م.

(72) المخزومي، مهدى، في النحو العربي، صيدا: المطبعة العصرية، 1964م.

(73) مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، مصر: ط لجنة التاليف والترجمة والنشر، 1964م.

(74) مطر، عبد العزيز، علم اللغة وفقه اللغة، قطر: دار قطري بن الفجاءة 1405هـ1986م.

(75) المنصور، وسمية، عيوب الكلام عند اللغويين العرب، الحولية السابعة من حوليات كلية الآداب-جامعة الكويت، 1406هـ1986 م.

(76) ابن منظور، لسان العرب، القاهرة:دار المعارف، بلات.

(77) ميشال، زكريا، الملكة اللسانية عند ابن خلدون، ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1406 هـ - 1986 م.

(78) ابن النديم، الفهرست، تحقيق فلوجل، بيروت: مكتبة خياط بلات.

(79) الهيني، عبد القادر رحيم، خصائص مذهب الأندلس النحوي، بغداد: نشر جامعة بغداد: 1989م.

(80) الوعر، مازن، دراسات لسانية تطبيقية، ط1، دمشق:دار طلاس للنشر، 1989م.

(81) وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط8، القاهرة: دار النهضة مصر للطبع والنشر، بلات.

(82) ابن يعيش، علي، شرح المفصل، بيروت، القاهرة: عالم الكتب، مكتبة المتنبي، بلا.

(83) يوسف، جمعة، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1990م.

(84) مجلة اللسان العربي، العدد 36، الرباط: دار التعريب،1413هـ1992م.

(85) مجلة كلية الآداب -جامعة البصرة: العدد 6، 1392هـ1972م.

ب - المراجع الاجنبية:

(1) Firth; papers in Linguistics,London Oxford university Press, 1967.

(2) Jerpersen; Language, Its Nature, Development, and Origin, London Goerge Allen, Unwin Ltd. , 1997

(3) Ladefoged; A Course In Phonetics, Harcourt Brace,USA, Jananovitch, 1975.

(4) Raja Nasr: The Structure of Arabic, Beirut:Libraire du Liban, 1967.

الوحدة الثانية

أصالة جهود علماء العربية القدماء في علم اللسان

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيـزي الدارس: أرحب بك لدراسـة الوحدة الثانية من مقرر علم اللسـان العربي وعنوانها، أصالة جهود علماء العربية القدماء في علم اللسان، وهو عنوان أريد أن أثبت فيه بالدليل على أن جهود علمائنا، في مستويات البحث اللساني التي ذكرتها في الوحدة السـابقة، أصيلة ولم تكن نشأتها بتأثيرات أجنبية، والتأثير جاء فيما بعد النشأة، وذلك لأن نشـأة علوم اللسان العربي كانت دوافعها ذاتية والأسس التي أقيمت عليها ترد إلى عوامل ذاتية كذلك، وسـنتناول بعض الموضوعات اللسـانية التـي تناولتها كتب اللغة العربية القديمة نحو: نشأة اللغة، والإعراب.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك بعد دراسة الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

1. تحدد دوافع البحث اللساني عند العرب.
2. تبين موقع علم اللسـان العربي في نشـأته من علم اللسان عند غير العرب وبخاصة عند السريان واليونان والهنود.
3. توضـح مدى تأثر علم اللسـان العربي فـي مراحل لاحقة على مرحلة النشـأة بعلم اللسان عند غير العرب وبخاصة عند السريان واليونان.
4. تبين أظهر الموضوعات اللسانية التي اهتمت بها كتب التراث اللساني، نحو: فقه اللغة للثعالبي والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، وما يتعلق بفكرتي الأصول والنحـت مـن كتاب مقاييـس اللغة لابن فـارس، والخصائص لابن جنـي والمزهر للسيوطي.

3.1 أقسام الوحدة

تتألف هذه الوحدة التي بين يديك من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: دوافع البحث اللساني عند العرب، ويغطي الهدف الأول.

القسم الثاني: الأسس التي بنى عليها أصحاب نظرية التأثيرات الأجنبية تصورهم في رد علم اللسـان العربي إلى السريان واليونان والهنود ومناقشة آرائهم في ذلك، والأسس التي ترد علم اللسـان العربي إلى عوامل ذاتية ومناقشـة ذلك، وهذا يغطي الهدفين الثاني والثالث.

القسم الثالث: أظهر الموضوعات التي تناولتها كتب فقه اللغة عند القدماء مثل: نشأة اللغة، الإعراب، وهذا يغطي الهدف الرابع.

4.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

1. دراسة الوحدة.
2. قراءة كتاب (المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية لإسماعيل عمايره ص ص40-90).
3. تلخيص الآراء التي قال بها كل من أنيس فريحه، وفولف ديتريش فيشر، وبريتيريوس، وتلمون في دعم نظرية التأثيرات الأجنبية اليونانية والسريانية.
4. تلخيص الآراء التي قال بها كل من "جيرار تروبو"جوزيف فايس" في أصالة نشأة الدراسات اللغوية عند العرب.
5. قــراءة نــص الخوارزمي في كتابيه مفاتيح العلوم عن "وجــود الإعراب على مذهب فلاسفة اليونانيين" (ص 31).
6. مناقشة المصطلحات والآراء الواردة في الوحدة مع المشرف.
7. قراءة الفصل الثاني من كتاب فقه اللغة في الكتب العربية، لعبده الراجحي، وعنوان الفصل " فقه اللغة وعلم اللغة عند العرب".
8. تكليف الدارس الرجوع إلى فصول محددة من الكتب الآتية:

أ. فقه اللغة للثعالبي، باب سر العربية.

ب. فكرتــا " الأصول " و "النحت" من كتاب مقاييــس اللغة لابن فارس (المجلد الأول 465 والمجلد الثالث 329).

جـ. الخصائص لابن جني، مباحثه في مقاييس العربية، والقياس والاشتقاق.

د. مسألة نشأة اللغة في كتابي الصاحبي، والخصائص.

هـ. المزهر للسيوطي، ومباحثه في المولد والمعرب، والترادف، والاشتراك والتضاد.



5.1 القراءات المساعدة

1. أنيس، إبراهيم: من أسرار العربية، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1976م.
2. أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ، ط3، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1976م.
3. حسان، تمام، الأصول، مصر، بغداد: الهيئة المصرية الكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988م.
4. عبده، داوود: أبحاث في اللغة العربية، بيروت: مكتبة لبنان، 1973م.

2. دوافع البحث اللساني عند العرب

لقد انطلق البحث اللساني عند العرب من القرآن الكريم من أجل ضبط ألفاظه وإتقان قراءاتــه وفهم معانيه، لذا فقد تنوع البحث اللســاني أيضاً وتناول هذه الجوانب فنجد من صنــف في مفردات القرآن، خاصة غريبها. وقد عُـزي أول كتاب في غريب القرآن الكريم إلــى عبد الله ابــن عباس (ت 68 هــ) كما نســب إليه تصنيف أول كتاب فــي لغات القرآن الكريــم، وهي الفترة نفســها التي ظهر فيهــا أول بحث في علم العربيــة (النحو) على يد أبي الأســود الدؤلي لوفاتــه 69 هــ. وهما توجهان يخدمان ألفــاظ القرآن الكريم، مفردة ومركبــة، لضبط قراءتها وبيان معانيها، مع أن القــراءة القرآنية ملتزمة بالنقل، إلا أنه قد ظهــر اللحن في ضبط أواخر الكلمات؛ فتقدم أبو الأســود بمحاولته فوضع نقط الإعراب. وأمــا ابن عباس فكانت تأتيه الوفود ويســأله الرجال عن مقاصــد القرآن الكريم، ومعاني ألفاظه فكان يبين معناها اللغوي ويستشــهد لما يقول بشــعر العرب وهو صاحب مقولة: الشــعر ديوان العرب. وتضافرت الجهود ونظمت وتقدم البحث اللســاني وتوسع وتطور مدفوعاً بغايات وأسباب أخرى، مع انتشار اللغة العربية وامتداد الدولة العربية الإسلامية، وانضمام شعوب أخرى من غير العرب وفشو اللحن على ألسنة الجميع؛ وبناء عليه يمكننا إجمال دوافع البحث اللساني عند العرب بما يلي:

1.2 الدافع الديني

ويمثله الســعي الحثيث من الدارسين إلى المحافظة على النص القرآني، ودفع غائلة اللحن والتحريف التي فشــت على الألســن، عربية وعجمية، فهو دســتور الإسلام والأمة، وتســتخرج من نصوصه الأحكام الشرعية، وقراءته تعبُّدية، فكان لا بد من وضع إشارات تضبط حركة أواخر الألفاظ، وهذا أمر تكفّل به أبو الأســود الدؤلي بوضع نقط الشــكل أو الإعراب تلاه ضبط الإعجام وتطوير نُقَط الإعراب التي تحولت إلى فتحة وضمة وكســرة. فكانــت عملية الضبط هذه الخطوة الأولى في البحــث النحوي التي حفظت للقرآن الكريم نقــاءه ودقته الإعرابية، وحفظته من تســرب اللحن إليه، وظل نصــه موثقاً معجزاً معرباً، فإعرابه أتاح على مر العصور قراءته مضبوطاً ونقله مشافهة وغير مشافه.

عدا ما ساهمت به الحركة الإعرابية من بيان معاني القرآن الكريم، فلا يستغني درس التفســير عن الــدرس النحوي أبداً؛ لما تحملــه الحركة الإعرابية مــن دلالات ولا يخفى ما لذلك من تأثير على اســتنباط الأحكام الشــرعية من هذا الدســتور الخالد. أما بيان معاني

المفردات القرآنية، خاصة الغريب منها، فقد تكفل به ابن عباس ومن جاء بعده ممن صنف في الرسائل اللغوية ومعجمات اللغة. وقد مزج عبد الله بن مسعود بين التفسير بالمأثور والتفسير اللغوي المستفاد من الأشعار في فهم مفردات القرآن الكريم وتراكيبه جرياً على طريقة ابن عباس.

2.2 الدافع العاطفي القومي

وأقصد به تعلق العرب بلغتهم، واستجابة للتحدي القومي الذي كانوا يواجهونه؛ فبإزاء الانتقاص من الجنس العربي لم يكتفوا بحفظ اللغة وآدابها في صدورهم بل أخذوا في دراستها وتعميق البحث فيها؛ لتكوين ثقافتهم الخاصة بهم التي يمكنهم بها أن ينافسوا الثقافات الواردة. فإن بناء الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة لمواجهة ثقافة الفرس واليونان والهند أصبح أمراً لا بد منه؛ فاستجابة لهذا النزوع وإدراكاً من علماء العربية لهذا التحدي بذلوا جهوداً علمية ضخمة في علم اللسان وغيره في مواجهة حضارات الشعوب التي فتحت بلدانها وأصبح العرب قوّامين عليهم.

3.2 الدوافع الذاتية

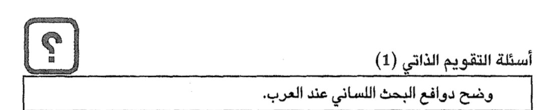
وأقصد الدوافع التي تحقق طموحات خاصة ورغبات فردية ويمكن تقسيمها إلى:

1.3.2 الاستجابة للنزوع العلمي

فكما أن الإقبال على الشعر مثلاً وروايته يوفر متعة فنية أدبية، كذلك يمكن تصور النزوع إلى اللغة والاختلاف إلى مجالس تعليمها وجمع مفرداتها والتصنيف فيها، واستخلاص قوانينها، بأنه يوفر متعة البحث والاستقصاء ويشبع الرغبة العلمية بمحاولة الإجابة عن جميع الأسئلة التي يثيرها حب الاستطلاع إذا صادفت في النفس همة ومثابرة وفي العقل قدرة وانفتاحاً وهو ما يمثله الخليل بن أحمد خير تمثيل بانقطاعه إلى العلم والدرس، وزهده في الدنيا، وكان من الطبيعي أن تثير اللغة التي جمعها الرواة الانتباه وأن تستنهض همة الجامعين والمتلقين ومن كان لهم قدرة على الدرس والبحث من أجل فهم معانيها وملاحظة مخارج حروفها وسلامة إعرابها والاستفادة من فصاحتها ؛ لتنظيم قوانينها وضبط قواعدها. وفي اعتقادي أن هذا الأمر يلبي حاجة نفسية بشرية تتوق لمعرفة المجهول تقف وراء كثير من التقدم العلمي.

2.3.2 الباعث الاجتماعي والسياسي

حيث ظهرت فئة من العرب وغير العرب تسعى لتحقيق مجدها، من أجل أن تتبوأ مكانة اجتماعية أو تكسب رزقها أو تحتل منزلة سياسية في الدولة، فوجدت ضالّتها في اللغة وحفظها ودراستها فأخذت ترتاد مجالس تدريس العربية من أجل تحصيل نحوها أو حفظ مفرداتها فصرفت همتها إلى التعمق في دراستها كما فعل سيبويه والكسائي. فأما الأخير فقد نال الحظوة في قصور الخلفاء العباسيين وتبعه الفراء وغيره من الكوفيين في الوقت الذي حاول فيه سيبويه أن ينافسه في بغداد ولكنه لم يوفق في ذلك، فيما نجح فيه غيره كأبي علي الفارسي وابن جني وابن فارس الذين أهدوا كتباً صنفوها لأمراء نالوا لديهم الحظوة كالإيضاح العضدي من أولهم وسر صناعة الإعراب من ثانيهم والصاحبي في فقه اللغة من ثالثهم وهذه مجرد أمثلة. وقد جاهر أحد النحاة بأنهم يسعون لكسب عيشهم من دروسهم النحوية ولا شيء غير ذلك، وبعضهم على سبيل المثال كان يتقاضى أجره من غيره من النحاة على شرح كتاب سيبويه.



أسئلة التقويم الذاتي (1)

وضح دوافع البحث اللساني عند العرب.



تدريب (1)

لقد واجهت العربية تحديين بعد امتداد الدولة العربية الاسلامية ودخول غير العرب الإسلام. فما هما ؟

3. أســس أصحاب نظريات التأثيرات الأجنبية (السريان، اليونان، الهنود) في علم اللسان العربي والرد عليهم

لقد تحدثنا آنفاً عن عوامل نشــأة علوم اللســان العربي، وهي تشير بوضوح إلى أنها وليدة بيئة عربية إسلامية باعتبارها علوم الآلة المساعدة لغيرها من العلوم الإسلامية التي سعت إلى المحافظة على النص القرآني في شكله ومضمونه، إن صح التعبير. والمقصود مــن ذلك ضبط قراءاته وحمايته من خطر اللحن والتحريف،وقد تكفل بذلك علم القراءات، هذا من ناحية. وأما الناحية الأخرى فتتمثل في الحرص على فهم معانيه من تراكيبه بدقة واقتضى ذلك نشــأة علم التفســير الذي اعتنى بالنصوص التي هي مناط الأحكام الفقهية باعتبار القرآن الكريم هو الدســتور الإسلامي الخالد. ومن له أدنى دراية بالنص القرآني، قراءة وتفسيراً، يعرف أن وجوه التفسير وتنوع القراءات يلزمها إلمام كافٍ بالنحو العربي لاعتمادهــا علــى التوجيهات والتعليلات النحوية الشــكلية والمعنويــة، بحيث لا يمكننا أن نتصور قيام علم للتفسير أو للقراءات دون أن يسندهما علم الآلة وهو علم النحو الذي كون معهما الضلع الثالث، إذا افترضنا، دون تجاوز، أنها تكون معاً مثلثاً، مما يعني بالضرورة أن هناك تلازماً في النشأة.

ولم يقم ادعاء ذو بال يرمي علمي القراءات والتفسير بالتأثر بمؤثرات أجنبية بعكس علم النحو الذي كان هدفاً لكثير من التشــكيك في نشــأته منهجاً وموضوعاً، فقد اســتكثر كثيــر من الدارســين عرباً وغير عــرب، قديماً وحديثــاً، أن يقوم العرب بابتــداع علم بهذا النضــج والاكتمال ولا تخفى بواعث ذلك، فالعقلية الســامية متهمة بالضعف والفشــل في كل شــيء[1] عند رينان Renan ومن لفّ لفّه من المستشرقين، والعقل العربي في نظرهم محدود وقاصر. وأما الدين الإســلامي فتعاليمه تتنافى في رأيهم، مع البحث الحر والنظر العميــق الطليق؛ وبناء عليه رميت العلوم الإســلامية خاصة الفلســفة والنحــو، بأنها عالة على علوم أمم أخرى كاليونان والسريان والهنود، ولهذا يقتضي البحث أن نقسم الحديث حسب جهات التأثير التي افترضها من قالوا بتبعية الفكر العربي إليها وهي:

3.1 الدور السرياني

إنــه من الثابت في تاريخ الدراســات اللســانية عنــد العرب أن أبا الأســود الدؤلي هو الــذي تولى ضبط المصحف بوســاطة النُّقَط التــي تدل على الحــركات الإعرابية أو ترمز إليها. ولكن كثيراً من الدارســين يرون أن هذا ليس من ابتكاره وإنما هو نقل عن الســريان وتقليد لطريقة الضبط السريانية، ويتخذون من معاصرة أبي الأسود (ت 69 هــ/ 688م) ليعقوب الرهاوي (ت 109 هــ / 708 م) مطيّة ليفترضوا أن أبا الأسود هو المقلّد والناقل

(1) انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية: ص13.

لمـا ابتدعه الرهاوي من ضبط؛ فنجد صدى ادعاءات المستشـرقين عنـد علمائنا فأحدهم وهو عبد الحميد حسـن يعتبر سـبق السـريان حقيقة ويختتم حديثه بتسـاؤل أقرب إلى التقرير منه إلى الاسـتفهام بقوله: المعروف في تاريخ اللغات السـامية أن السـريان هم الذيـن ابتدعوا علامات الحـركات في لغتهم، وأخذها عنهم سـائر السـاميين وكانت هذه العلامـات نقطاً فـوق الحروف أو تحته أو وسـطه: فهل من صلة بين هـذا وبين ما عمله أبو الأسـود الدؤلي في اللغة العربية[1] ويجيب عليه الدكتور حسـن عون الذي يقرر: "إن طريقة الشكل وهي اللبنة الأولى في بناء النحو العربي قد استمدها أبو الأسود الدؤلي من النحاة السريانيين"[2] لأن أبا الأسود في رأيه كان على صلة بالسريانية، وأنه على الأرجح قد تعلم منهم السريانية" ويردف قائلاً "أليس من العناد إذن أن نقول أن أبا الأسود الدؤلي لم يستمد طريقة نقط الشكل من السريانيين الذين سبقوه بنفس العمل"، أما محمد عطية الإبراشـي فيرى "الإمام (أبا الأسـود) متصلاً ببعض علماء اليهود في الكوفة الذين كانوا على علم بنحو اللغة السريانية وهنا تعرض لنا شبهة تأثر النحو العربي بالنحو السرياني: وكان عندهـم (أي السـريان) نقط هي حركات وضعها يعقـوب الرهاوي قبيل ذلك الزمن وكانت ترسـم مع الحروف ثم تحولت إلى نقط مزدوجـة تنوب عن الحركات الثلاث، وما زالـت عندهم إلى اليـوم، والظاهر أن أبا الأسـود اقتبس هذه الحـركات" [3] ويؤيد هؤلاء الترزي وأنيس فريحه من الذين انقادوا وراء المستشـرق فيرستيغ الذي قرن بين نظامي أبي الأسود ويعقوب الرهاوي في ضبط الحروف [4]، والدكتورة زاكيه رشدي تؤيد وجهة النظر هذه وتقرر "أن أبا الأسـود قد اسـتخدم طريقة الشـكل بالنقط عند النسـاطرة في وضع الشـكل العربـي.... وقد نقل اليهود عـن العرب هذه الطريقة في الشـكل في اللغة العبرية في الأندلس"[5].

ولكننـا نجـد نصاً في كتابهـا هذا يدحض هـذه المقولة ويكاد يثبـت أن العكس هو الصحيح أي إن يعقوب الرهاوي أو النسـاطرة هم الذين اسـتفادوا من ابتداع أبي الأسود عندما أراد السـريان ضبط القراءة الصحيحة للنصوص المقدسة "فقام يعقوب الرهاوي زعيـم الفرقة الغربية (نقصد اليعاقبة) باسـتعارة الصوائـت اليونانية وهي O, H, E, A ووضعهـا بين الحروف، ولما كان السـريان لم يألفوا وجـود الصوائت بين الحروف فقد

---

(1) عبد الحميد حسن، القواعد النحوية: ص79.

(2) حسن عون، اللغة والنحو، ص248.

(3) الإبراشي، الآداب السامية: ص-199 في الهامش: ص200.

(4) إسماعيل عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم: ص48.

(5) زاكية رشدي، السريانية نحوها وصرفها : ص23.

نفروا من استخدام هذه الطريقة فرأى الرهاوي أن يضع هذه الصوائت إما فوق الحروف وإما تحتها على السواء في المكان الذي يوجد به فراغ في الحرف، وبذلك عم استعمال هذه الطريقة في الكتابة السريانية، وأبى النساطرة استخدام هذه الطريقة وابتدعوا لهم طريقة أخرى لضبط الحركات وهي طريقة النقط المعروفة فاستعملوا نقطة أو نقطتين توضع فوق الحروف أو تحتها رأسية أو أفقية أو مائلة ليوضح كل شكل حركة من الحركات"[1] وتقول الدكتورة أيضاً في مكان سابق من الكتاب "أنشأ اليعاقبة في أواخر القرن السابع خطاً مستقلاً بهم هو الخط الغربي أو السرطا أي السريع كما أنشأ النساطرة حوالي القرن الثامن خطاً جديداً لهم هو الخط النسطوري أو الشرقي"[2] أي الخط المنقوط الذي ذكرته آنفاً.

أمام هذه الحقائق التاريخية نستطيع أن نتبين المغالطات وأكاد أسميها افتراءات يمكن تفنيدها بما يلي:

أولاً: تنقل الدكتورة زاكية عن المستشرقين أن الخطين اليعقوبي والنسطوري قد تمَّا بين أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن،ونحن نعرف أن أبا الأسود قد توفي سنة 69هـ أي سنة 688م، والروايات تقول أن الضبط بتنقيط القرآن الكريم قد تمَّ في زمن سيدنا علي في رواية أو في أيام ولاية زياد بن أبيه على البصرة في رواية أخرى، أي إن الأمر قد تم قبل عام 40 للهجرة وهي السنة التي استشهد فيها سيدنا علي، وأما زياد بن أبيه فقد كانت ولايته على البصرة أيام معاوية الذي توفي سنة 60 هـ، ولو افترضنا أن التنقيط قد تم في أقصى هذين التاريخين (40هـ - 60هـ) وهو 60 هـ الذي يعادل 680 م، أي قبل نهاية القرن السابع الميلادي بعشرين سنة، لثبت لدينا أن المبتدع هو أبو الأسود، والسريان هم المتأثرون بنقطه.

ثانياً:إنهم يحددون ولادة يعقوب الرهاوي عام 34 هـ/ 633 م، وأما أبو الأسود في السنة الأولى الهجرية، وهو أمر تقديري، وقد يكون ميلاده قبل ذلك أي كان عمره على أقل تقدير، أربعاً وثلاثين سنة حين كان الرهاوي طفلاً رضيعاً وعليه فتصوّر أن يكون المبتدع هو أبو الأسود والمتبع هو الرهاوي هو الأَوْلى والأحق بالنظر والاعتبار.

ثالثاً:لم يستطع أحد أن يثبت بالدليل والبرهان أن يكون أبو الأسود قد اتصل اتصالاً مباشراً بعلماء السريان إلا عن طريق الافتراض الذي قد تجيزه المعاصرة: وأما محمد عطية الإبراشي فقد افترض أن لأبي الأسود اتصالاً باليهود أو ببعض علمائهم ممن كان لهم معرفة بالسريانية ونحوها؛ فيكون قد اكتسب منهم طريقة النقط وهذا القول مردود

(1) السابق: ص20، وهي هنا تنقل كما أشارت في الهامش عن المستشرقين دوفال ونولدكه.

(2) المصدر السابق نفسه: ص18، نقلاً عن ولفنسون.

عليــه بأنــه لو كان هذا النقط معروفاً لدى بعض علماء اليهود لنقلوه إلى لغتهم التي كانت تفتقــر لذلــك؛ بدليل أنهم نقلوا هذا النقط إلى لغتهم عن العرب في الأندلس فيما بعد، وهو ما ذكرته الدكتورة زاكية رشدي[1] نقلاً عن ولفنسون.

رابعاً: يقال إن سبب لجوء السريان إلى النقط هو حاجتهم إلى ضبط قراءة النصوص المقدســة، ولنا أن نتســاءل أين كانت حاجتهم للضبط قبل أواخر القرن الســابع أو أوائل القرن الثامن أي قبل 708 م وهي ســنة وفاة الرهاوي أم لم تكن لهم حاجة؟! وهل كانت نصوص الكتب الدينية واضحة في أول عهدها بالســريانية. ثم فسد اللسان السرياني بعد ذلك فأرادوا أن يصلحوا ما فسد بالتنقيط؟!

وهــو ما حصل في رأيي إذ وجد النســاطرة هم والرهاوي أنموذجــاً يمكن احتذاؤه، وهو نقط أبي الأســود بعد اختلاطهم بالعرب الذين بدأت شوكتهم تقوى وسلطانهم يمتد ولغتهم تنتشــر مع فتوحاتهم، وبدأت العربية تزحزح لغتهم السريانية وتحل مكانها شيئاً فشيئاً، وكأنهم أرادوا أن يزودوا لغتهم بعناصر تقوّيها قد تمكنها من الصمود أمام الصراع اللغوي الذي بدا يهاجمها في عقر دارها وهي الرها التي فتحت سنة 17 هـ.

وفــي الأغلب الأعم مــن دروس التاريخ أن المغلوب هو الذي يقلــد الغالب ويتأثر به؛ فلمــا رأوا نقط العرب في كتابهم المقدس وهو القــرآن الكريم نقلوه إلى لغتهم ليضبطوا بــه نصوصهم المقدســة وهــو الأَوْلى بالأخذ به حتــى يثبت العكس بالدليــل القاطع. أما المعاصرة والافتراض فلا يقومان دليلين قاطعين على تأثر أبي الأســود بالسريان، مع أن الملابسات التاريخية بعد تأملها ومراجعتها توصل إلى نتيجة يقينية هي أن أبا الأسود هو السابق إلى ابتداع النقط الإعرابي.

ويســوق الدكتور إســماعيل عمايره[2] عدة أدلة موضوعية هــي عبارة عن فروق بين نقط أبي الأســود والنقط الســرياني أرى من الواجب اقتباســها باعتبارهــا براهين تقطع الشك باليقين على أصالة النقط الذي وضعه أبو الأسود وهي:

(1) ألا نجــد هــذا الاختلاف البيّن بيــن طريقتيهما من حيث شــكل الحــركات، بل إن هذا الاختلاف يبدو واضحاً أيضاً بين شــكل الحركات الســريانية والشــكل الذي استقرت عليــه فــي العربية منذ الخليل بــن أحمد، ولو كان هــذا التأثر حاصلاً فعلاً لتشــابهت الفتحة العربية، والضمة والكسرة - سواء أكانت نقْطاً كما هي عند الدؤلي، أم كما هي حالها التي جاءت عليها لدى الخليل - بهذه الحركات الســريانية التي تعود إلى أصول يونانيّة.

---

(1) السابق نفسه.

(2) عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم: ص52-54.

(2) أن يتخذ العرب من حركة الرباص السريانية ما يعبرون به عن صوت الإمالة في مثل: ضحيها، وتليها، وجليها، ويغشيها، وهي مسألة ذات مساس كبير بالقراءات، وبالشكل الكتابي للقرآن الكريم الذي من أجله وضع نظام الحركات أصلاً.

(3) أن يتشابه رمز السكون في العربية والسريانية، والمعروف أن أبا الأسود الدؤلي لم يتخذ رمزاً خاصاً بالحرف الساكن، فلو كان نظامه مأخوذاً من النظام السرياني، فما الذي منعه من وضع رمز للسكون فضلاً عن أخذه عنهم ؟!

(4) أن يجد علامة كتابية خاصة بالمَيْز بين المفرد والجمع في العربية، فقد رأينا كيف تدل النقطتان المتجاورتان فوق أي حرف من حروف الكلمة لدى السريان، على أن هذه الكلمة صيغةُ جمع، ولا نجد لهذا الرمز نظيراً في العربية.

(5) أن يكون الدؤلي قد وضع علامة خاصة بالشدة، كما فعل السريان، إذ الشدة عندهم نقطة في وسط الحرف، وهذا مخالف لصورة الشدة في العربية، ولا نجد لذلك نظيراً عند أبي الأسود، فالدؤلي لم يضع رمزاً للشدة.

(6) أن يكون أبو الأسود قد اتخذ رموزاً خاصة بالنبر، فالرهاوي كما قال أنيس فريحه "أوجد رموزاً للنبرة تفوق الثلاثين عداً"[1] ولا نجد لذلك أثراً عند الدؤلي أو سواه.

(7) أن يفرّق أبو الأسود في نظامه بين الهمزة المحققة وغير المحققة فمن المعروف أن السريان كانوا يميزون بين الهمزة المحققة، والهمزة غير المحققة، في بداية الكلمة، كهمزتي الوصل والقطع العربيتين، وتميز الهمزة المحققة عند السريان بنقطة فوق الحرف.

ولم يكتف المنادون بالتأثيرات الأجنبية في نشأة النحو العربي؛ بما ادعوه من نقل أبي الأسود التنقيط عن الخط السرياني، وهو أمر قد فرغنا من تفنيده تاريخياً وموضوعياً، نراهم يلفقون دعوى أخرى يزعمون فيها أنه كان للخليل بن أحمد علاقة بحنين بن اسحق لما رأوا أن الخليل قد طور النقط إلى حركات هي الفتحة والضمة والكسرة والتنوين بأشكالها المعروفة في العربية، وهم يعزون هذا التطور الذي صدر عن الخليل إلى استفادته ذلك من حنين بن اسحق المترجم السرياني الذي نقل كتباً يونانية إلى العربية في بيت الحكمة التي رأسها في عصر الخليفة العباسي المتوكل؛ وذلك لأن اليعاقبة من السريان قد استعاروا الصوائت اليونانية ووضعها الرهاوي بين الحروف باعتبارها حركات مكونة من أبعاض حروف المد وهو أمر شبيه بما فعله الخليل الذي رسم الحركات الإعرابية على شكل حروف المد فالفتحة بعض الألف ترسم ألفاً صغيرة مائلة فوق الحرف، والضمة ترسم واواً صغيرة والكسرة بعض الياء المدية.

وبما أن الخليل لا يعرف اليونانية فمن أين له بها ؟! فلا يمكن أن تكون من ابتكاره وقرروا أنه قد أخذها عن السريانية. فهذا كارل بروكلمان يذكر الخليل بن أحمد ويتهمه

(1) فريحة، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، ص37.

بالاعتماد على السـريان قائلاً عنه: "ويبدو حقاً كذلك أنه ابتكر شـكل الحروف وعلامات القراءة اسـتناداً إلى نماذج سـريانية"[1]. إضافة إلى تأثره في زعمهـم بالمنهج المنطقي اليوناني وهو أمر سـتحين مناقشـته عنـد الحديث عن الدور اليوناني في الفكر اللسـاني العربـي ولفقـوا له التقاء مزعومـاً مع حنين بن اسـحق الذي أراد أن يتعلـم العربية بعد إتقانـه اليونانية في الإسـكندرية مع لغته السـريانية لكي يعمل فـي الترجمة فتوجه، في زعمهـم إلى البصرة وتعلم العربية على يدي الخليل، مع أن كل المعطيات التاريخية تنفي التقاءَهمـا! فالخليل بن أحمد توفي (175 هـ) على أشـهر الأقوال أو في 170 هـ حسـب روايـة ابن النديـم[2]، وأما حنين بن اسـحق فقد توفي 264هـ أو 260هـ أي إن حوالي تسـعين سـنة تفصل بين وفاة الرجلين، وعليه فإن ولادة حنين كانت بعـد وفـاة الخليـل بنحـو عشـرين سنـة إذ يحتمـل أن تكـون هـذه الـولادة عـام 194هـ[3]. فكيف يسمح مؤرخو العرب ودارسـوهم لأنفسـهم من: ابن جلجل (ت 384هـ) وابن صاعد الأندلسـي (ت 462هـ) والقفطـي (ت 646 هـ) وابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ) قديماً، إلى أحمد أميـن والزركلي وأنيس فريحـه وفؤاد حنا ترزي وإبراهيم مدكـور حديثاً، أن يتخيلوا أن حنينـاً قد تعلم العربية على يـد الخليل وأن الرجلين اجتمعا وتلازما وخاضا نقاشـاً فيما بيـن العربية والسـريانية من علاقـات؟! وقد كفانا مؤونة الرد على هـذه الأمور المتخيلة الدكتـور مهدي المخزومي فـي كتابه "عبقري البصرة"، والدكتـور علي أبو المكارم في كتابه "تقويم الفكر النحوي" والدكتور يوسف المطوع في كتابه "جهود علماء النحو في القرن الثالث الهجري" والدكتور إسـماعيل عمايره في كتابه "المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية" الذين برهنوا بما لا يدع مجالاً للشك بأن هذه الدعوى باطلة.

والدور السرياني لم ينتهِ عند هذا الحد في رأي الدكتور أنيس فريحه الذي استدل على التأثير السـرياني في النحو العربي من خلال وجود مصطلحات سريانية في نحو العربية وصرفها حيث يقول: "إن هذه المصطلحات الصرفية والنحوية وجدت أولاً في السريانية ومن ثم أخذها العرب عن السريان وترجموها إلى لغتهم وإذا لم يكونوا قد ترجموا اللفظة السريانية ذاتها فإن المصطلح السرياني يجب أن يكون قد أوحى إليهم اللفظة العربية[4]" وهذه المصطلحات كما أوردها هي:

الإدغام، اسـم الآلة، اسم الإشـارة، اسم الفاعل، اسم المرة، اسم المفعول، اسم المكان والزمان، اسـم النوع، الإشـارة، الإضافة، الأمر، البدل، التركيـب المزجي، تصريف الفعل

---

(1) بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: ترجمة عبد الحليم النجار: ج1/132.

(2) ابن النديم، الفهرست: ص42.

(3) عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم: ص54.

(4) فريحة، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها: ص-38ص40، وقد كرر التهمة نفسها فؤاد ترزي: في أصول اللغة والنحو: ص113، ص116.

مـع الضمائـر، التصغير، التفضيل، التوكيـد، الجزم، الجمع، الحال، الحـركات، الحروف، الخبر، الخفـض، الصحيح، الضمير، العدد، الظرف، العطـف، الغراماطيق، الفتح، الفعل، اللازم، المتعدي، الفعل الحالي، الماضي والمسـتقبل، المضاعف، الكسرة، المبتدأ، المذكر والمؤنث، المصدر، المضارع، النسبة، النفي، النهي، النكرة والمعرفة، الوزن.

ويبـدو فريحـه، بإيراده هذه المصطلحات وعزوها إلى أصول سـريانية اقتباسـاً أو ترجمـة، أنه متحامـل على العربيـة وعلمائها وليـس مُنْصِفاً بل متناقض مع نفسـه وقد عـرض الأمـر كالتالي فوصل إلى اسـتنتاجاته السـابقة، فهـو ينفي في بدايـة كلامه: أي تشـابه بين "نحو العربيـة وصرفها واشـتقاقها وإعرابها واللغة الإغريقيـة"، ويذكر أن هناك فروقاً جوهرية بين خصائص اللغات السـامية، واللغات الهندية الأوروبية "ثم يثبت "أن السـريان وضعوا قواعد لغتهم على سـنن الإغريق، ووضعـوا صرفهم ونحوهم على غـرار ما فعله الإغريـق"[1]، وبعد ذلك يقرر أن النماذج الأولى التـي احتذاها العرب كانت علوم اللغة السـريانية لا الإغريقية مباشـرة[2] مستنداً إلى اسـتبعاده أن يكون سيبويه قد وضع مصطلحات كتابه ولا بد أن يكون قد اسـتفاد هذه المصطلحات الصرفية والنحوية من السـريان بترجمتها إلـى العربية وهو الأمر الذي أهمـه وأراد أن يثبته عن طريق هذه المصطلحات التي أوردها ويتسـاءل مندهشـاً: "إن الواحد منا ليسـأل كيف تسنى للعرب مصطلح لعلم اللغة تام الوضع؟ وكيف تسـنى لسيبويه، وكتابه "الكتاب" أقدم كتاب تام الصنعة في علم اللغة أن يضع هذه المصطلحات: المبتدأ والخبر والإعلال والإدغام والرفع والنصب والخفض والجزم والمصدر والضمير والمضارع...الخ؟

ولتفنيد أقواله أثبت ما يلي:

(1) يقرر أن هناك فروقاً جوهرية بين اللغات السـامية والهندية الأوروبية خاصة العربية التـي يختلـف نحوهـا وصرفها عـن اليونانية، ولا يلبـث بعد ذلك أن يثبـت كذلك أن السـريانية احتذت حـذو الإغريقية في بناء قواعدها، والسـريانية لغة سـامية فكيف يجوز ذلك؟! خاصة أنه لم يبين جهة تأثر السريانية بالإغريقية إلا إذا كان يقصد الأثر الفلسـفي والمنطقـي ويبدو الأمر كذلك مـن قوله: "وإذا كان هنالك من أثر للفلسـفة الإغريقية وللمنطق الإغريقي في الصرف والنحو العربيين فإنه أثر جاءهم عن طريق السـريان[3] ولكنـه يضرب أمثلـة التأثر من المصطلحـات ويجعل همـه فيها، وهذه المصطلحـات تعبر عن الظواهـر اللغوية ولا تنبع عن تفكير فلسـفي، وهذا تناقض منهجي وقع فيه يبطل دعواه.

---

(1) أنيس فريحة : المصدر السابق ص24.

(2) انظر: السابق نفسه ص26.

(3) نفسه

(2) يبدي دهشة تنبئ عن انزعاج أن يكْون لدى علمائنا قدرة على وضع مصطلحات تامة الصنــع، دقيقة الدلالة، ودفعة واحــدة، متجاهلاً أن المصطلح النحوي أو الصرفي هو فــي الأصل مفردة عربية لها معناها المعجمي الذي حصل له تطوير من تخصيص أو تعميــم أو تغيير ما، جعل له معنى إضافياً اصطلاحيــاً فكل مصطلح نحوي وصرفي عربــي يجد له معنى لغويــاً بالإضافة إلى معناه الاصطلاحي، وهذا الأمر لا اســتثناء فيــه مما يدل على أصالتها. أما الغراماطيــق التي ذكرها فهي في الكتب المترجمة عن اليونانيــة؛ حيث كان أغلب المترجمين من غير العــرب. ولم يطلق هذا المصطلح على النحــو العربي بدليل أن كتب النحو والصرف العربية التي صنفت، لا تجد واحداً منها ذكر هذا المصطلح ابتداءً من كتاب سيبويه إلى يومنا هذا.

(3) وإنه ليثير الغبطة أن أضع بين يدي القارئ شهادة أحد أساتذة[1] اللسانيات في جامعة سيدني باستراليا عن كتاب سيبويه ومصطلحاته على وجه الخصوص الذي يرى أنها وضعت لتتناســب مع محيطها الثقافي أو كما نقول نشــأت في جو إســلامي عام من الناحيتين الثقافية والاجتماعية حيث يقول ولما كانت تقريباً أغلب المواد التي اعتمدها سيبويه مأخوذة سواء من القرآن أو من الشعر الجاهلي، فإن ذلك لا يفيد أنه أراد منها الجمع، كما اقترح ذلك بعضهم بل تشــير عكس ذلــك إلى المحيط الثقافي الذي وضع فيــه الكتاب، لأنــه أُلّف في عهد قد أدركــت فيه جميع المقاييــس القانونية (قد يقصد الشــرعية)، والأخلاقيــة، والجمالية، كذلك اللغوية، وذلك في الفتــرات الأولى للتاريخ العربي، ولقد ســعى سيبويه ضمن هذه الحدود الثقافية المضبوطة، إلى وصف اللغة العربية الكلاســيكية وصفاً كاملاً.....ويقيــم تحليله الكامل على الاصطلاح الذي يرى أن الكلام نشاط اجتماعي....توجد قائمة من المصطلحات التي تدل على الطريقة التي يتكلم بها الناس، والتي تؤكد أن ســيبويه قد اعتبر الكلام شــكلاً من أشــكال السلوك، والغريــب أن كل تلك المصطلحات مأخــوذة من مفهوم أصلي واحد يفيد التحرك على خط، وهو اســتعارة مألوفة لدى الدارســين للإســلام.... ولتلك الغاية حول ســيبويه المصطلحات الســلوكية إلــى النحو...وأعار تعريف المصطلحــات الأخلاقية وطبقها مستعملاً، حسن وقبيح، ومستقيم ومحال".

---

(1) هو الدكتور ميشــيل (ميخائيل أو مايكل) كارتر Micheal G. Carter وقد نشــر بحثه هذا في مجلة الجمعيــة الاستشــراقية الأمريكيــة، عدد2 ســنة 1973، وترجمه إلــى العربية الدكتور محمد رشــاد الحمزاوي ونشره في مجلة «حوليات الجامعة التونسية» العدد 22، 1983، ص223-245.

(4) يرى في الاصطلاحات التي ذكرها أنها مكتسبة أو منقولة عن السريان متناسياً أنهم آراميون تنصروا وأرومتهم عربية لغة وعرقاً، ومن البديهي أن تتشابه الظواهر اللغوية في لغتهم مع العربية، فقد أصبح معروفاً أن العربية أقرب أخواتها إلى اللغة السامية الأم حتى إن بعضهم يميل إلى تسميتها اللغة العربية الأم (وهم على حق) وليست السامية وهو الاصطلاح السائد؛ وعليه؛ فلا غرابة إذا تشابهت الظواهر اللغوية أن تتشابه الاصطلاحات الدالة عليها، وهو الأمر المنطقي، لأنه لا يمكن اكتساب الظاهرة اللغوية ثم الاصطلاح أو العكس.

(5) الثابت تاريخياً أن السريان هم الذين ساروا في تقعيد نحوهم وصرفهم على منهج العربية، بعد أن كانوا في بادئ الأمر قد قلدوا النحو اليوناني وتقرر ذلك الدكتورة زاكية رشدي بقولها: "أثرت كل اللغات التي احتك بها السريان" على ألسنة السريان فاضطر العلماء إلى وضع قواعد لضبط اللغة فلجأوا في بادئ الأمر إلى النحو اليوناني يقلدونه ويحاكونه، فلما دخل العرب بلادهم ووجدوا أن اللغة العربية أقرب إلى لغتهم من اليونانية قلدوا النحو العربي عند تأليفهم في النحو"[1]، ولو فتحت كتاب نحوٍ سرياني فستجد أن أبواب موضوعاته هي بعينها أبواب النحو العربي وصرفه نحو تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف وأقسام الاسم: الضمائر والأسماء الظاهرة، وأسماء الإشارة وأسماء الموصول، والمذكر والمؤنث والجموع والظروف والمشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول، والمصدر واسم المرة، والأعداد وأحكامها، والتصغير والنسب والفعل الثلاثي اللازم والمتعدي، والمضارع والأمر والمبني للمجهول، والأفعال المجردة والمزيدة...الخ. وفي الوقت نفسه لم يقم دليل قاطع على تأثر اللغة العربية بالسريانية وإنما هي افتراضات أو تقديرات متكلفة ليس لها أساس حقيقي كقول فريحه: "أفلا يحق لنا أن نقدر أن مبادئ الصرف والنحو عند العرب وضعت على أسس الصرف والنحو عند السريان"[2] ويجيب: "نحن نقدر هذا"، والذي يتبنى مثل هذه المقولات الشاملة الواسعة عليه أن يحيط بالبرهنة والاستدلال على صدقها، لا أن يقف عند المصطلحات فقط ليجعل من مجرد المقارنة بينها في اللغتين أساساً للتأثر الشامل بالسريان في وضع الأسس النحوية والصرفية للغة العربية، وهذا خروج فاضح عن أسس المنهج العلمي.

---

(1) زاكية رشدي، السريانية نحوها وصرفها: ص30.
(2) فريحة، في اللغة العربية وبعض مشكلاتها: ص38.

(6) أمـا المصطلحـات التي أقام عليها فريحه حكمه الواهي فقـد تبنى الرد عليها الدكتور إسـماعيل عمايره[1] واحداً واحداً فأثبت في قسـم منها اختلاف المقصود أو المفهوم منها عند العرب عن السـريان؛ لأن السـريان اتبعوا في اصطلاحهـم مقاصد اليونان الذيـن أطلقوا المصدر مثلاً وضمنوه معنى الزمان بينما العرب ضمنوه معنى الحدث وكذلك الأمر مع مفهومي الفعل والجزم، وفي قسـم قد يكون هناك بين اللغتين اتفاق عل دلالة المصطلح، لكن المصطلح نفسـه مختلف بلفظه بينهما، فاسـم الرمز يقابله عند العرب اسـم الإشارة، وكذلك المحسـوس واسم الأثر والإعلال والخلف والإصرار والكينونة والزوعان أو الزيغات يقابلها في العربية على التوالي المبني للمجهول واسم المكان والإدغام والبدل والتوكيد والحال والحركات، ولو تأثر العرب بالسريان لأخذوا مصطلحاتهم نفسـها، ولا داعي للتمويه. وأثبت كذلك أن هناك بعض المصطلحات في السـريانية أخذت عن اليونانية ثم عَدّل السـريان عنها بعد اختلاطهم بالعرب وأخذوا عنهـم مثلها، فأصبح لديهم ازدواج اصطلاحي فالضميـر كان عندهم يحمل مصطلح خليفة الاسم helef sema أو البديل عن الاسم وهو ترجمة حرفية للمصطلح اليوناني Pronominal وعدلـوا عنه إلى المصطلح العربي الضمير، لأنه أقرب وأخف، فأصبح عندهم مصطلحان، وبعد ذلك يتهم فريحه العرب بأخذ هذا المصطلح عن السريان!!



أسئلة التقويم الذاتي (2)

اتهم أبو الأسـود الدؤلي بأخذ النّقط عن السـريان كيف يمكن تفنيد قول القائلين بذلك، تاريخياً وموضوعياً ؟



تدريب (2)

1. ضع تصوراً لنقط الإعراب الذي أملاه أبو الأسود علـى الكاتب الذي أتى به.
2. ما المقصود بالتعليلات النحوية الشكلية والمعنوية ؟

---

(1) انظر: عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم: ص ص75-85.

2.3 الدور اليوناني في مرحلة النشأة

إن توجيه الاتهام للعلوم الإسـلامية بشكل عام والفلسفة والنحو منهما بشكل خاص أنهما كانتا في نشأتهما ونضجهما عالة على فكر اليونان ومناهجهم هو نوع من التحامل، لأن نشـأة العلوم الإسلامية خاصة الشـرعية واللغوية منها، قد تحددت معالمها في عصر لـم يشـهد ذلك الاتصـال الوثيق بين هذه العلـوم وبين الفكر اليوناني. ومـن أجل أن نرد مواطـن الاتهام بانتظام ودون خلط وارتباك علينا أن نقسـم حديـث التأثير اليوناني في النحـو العربي إلى مرحلتين، مرحلة النشـأة، والمرحلة التالية وسـنفرد لكل منهما فصلاً خاصاً.

يغلب الاضطراب على الاتهامات الموجهة إلى النحو العربي في نشـأته، فتارة يوجه الاتهام إلى الفترة التي سـبقت كتاب سـيبويه، أي التأثير ناجم عن الاتصال المزعوم بين الخليل ابن أحمد وحنين بن اسـحق، وهو اللقاء الذي افترضه أو تخيله كثير من الدارسين العرب قديماً كابن أبي أصيبعة في "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"، والقفطي في "أخبار العلماء بأخبار الحكماء" وصاعد الأندلسي في "طبقات الأمم" ومن المستشرقين "أوليري في مسـالك الثقافة الإغريقية إلى العرب"، ومن العرب حديثاً أنيس فريحه في كتابه "في اللغة العربية وبعض مشكلاتها"، وإبراهيم مدكور في بحثه "في اللغة والأدب، وغيرهما. وقد أثبتنا من خلال المعطيات التاريخية، استحالة لقائهما للفارق الزمني بين سنـة وفاة الخليل وهي (170 هـ) أو (175 هـ) وبين سـنة ولادة حنين بن اسـحق وهي مقدرة في حـدود 194 هـ وكانت وفاته (264 هـ)؛ أي ولد حنين بعد وفاة الخليل بعشـرين سـنة، ويمكننا أن نضيف، عشـرين سـنة أخرى علـى الأقل قبل قدومه إلـى البصرة حيث يقول المؤرخون أنه بعد فشـله في دراسـة الطب توجه إلى الإسـكندرية وتعلم اليونانية هناك، ثـم رأى من الضروري أن يتعلم العربية إذا أراد أن يشـتغل بالترجمة فحضر إلى البصرة وتلمذ للخليل في العربية، وكل ذلك يتطلب مرحلة من العمر لا تقل عن عشرين عاماً، وبهذا تكون دعوى تأثر الخليل بالفكر باليوناني عن طريق حنين بن اسحق باطلة.

ومـع ذلك فإن بعضهم يصر علـى أن هناك تأثراً متقدماً بالفكـر اليوناني عن طريق آخـر معتمداً على أن هناك ترجمة عربية لكتب أرسـطو المنطقية مثل كتاب إيسـاغوجي، وقاطيغورياس، وأنالوطيقا قام بها محمد بن عبد الله بن المقفع وليس ابن المقفع الأديب المتوفى، سـنة 142 هـ، وكما يذكر بول كراوس الذي أثبت أن هذه الكتب ليسـت ترجمة لكتـب أرسـطو وإنما هي تلخيص لبعض شـروحها[1]، وهذا يدل علـى أنها ترجمت "بعد

(1) طلمون: مذهب المؤرخين العرب في نشأة علم النحو العربي، نقلاً عن كتاب المستشرقين ونظرياتهم : ص47.

تأليف كتاب سـيبويه بعقـود[1] ويدل كذلك كمـا يقول مهدي المخزومـي على أن مذهب "الخليـل في النحو قد رُسِـمَتْ حدوده، وبانـت معالمه قبل ظهور هـذه الترجمة"[2]، كل ذلـك يدحض ما قاله فيشـر من: "أن موقف الخليل في تطور النحـو قريب إلى حد ما من النحو اليوناني، في حين أن موقف سيبويه بعيد عنه[3] وفيشر هذا يرى في كتاب سيبويه بدايـة مرحلـة تخلص النحو العربـي من التأثيـرات اليونانية إذ يقول: "إن سـيبويه كان النحـوي الذي أبعد ما بقي فـي النحو العربي من آثار الفكر اليونانـي، وأقام بذلك النحو العربي على طريقة علمية مسـتقلة" [4] ويقف بهذا على النقيض مما قاله مستشـرق آخر وهو بروينلش الذي يعد الخليل ختاماً لمرحلة عربية خالصة وسـيبويه يمثل بداية اتصال الدراسـات اللغوية عند العرب بالمؤثرات الخارجية[5]، ومثل هذا التناقض يدل على حيرة المستشرقين وينقض آراءهم ويجعل أمر تفنيدها سهلاً ميسراً.

ولـم يكتـف المستشـرقون بما رموا به النحاة أنفسـهم مـن تأثرهـم بمناهج النحو اليوناني في أثناء بنائهم قواعد النحو العربي، بل اتجه بعضهم إلى النحو نفسه موضوعاً واصطلاحاً نحو:

(1) إن تقسـيم الكلام العربي إلى اسـم وفعل وحرف هو تقسيم إغريقي وينسب الدكتور إسماعيل عمايره[6] هذه المقولة إلى عدة دارسين من العرب والمستشرقين والرد عليها يأتي من المستشـرق ليتمان الذي يشـارك جوزيف بلانك رأيـه ويدحض هذا الادعاء ويثبت أصالة تقسيم سيبويه في نهاية حديثه يعد أن يمهد لذلك برأيه الوسطي فيقول: "أبـدع العـرب علم النحو في الابتـداء، وأنه لا توجد في كتاب سـيبويه إلا ما اخترعه هـو والذين تقدمـوه، ولكن لما تعلم العرب الفسـلفة اليونانية من السـريان في بلاد العراق تعلموا أيضاً شيئاً من النحو، وهو النحو الذي كتبه أرسطو طاليس الفيلسوف، وبرهان هذا أن تقسـيم الكلمة مختلف قال سـيبويه: فالكلام اسـم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، وهذا تقسيم أصلي أما الفلسفة فيقسم فيها الكلام إلى اسم وكلمة ورباط، أي الاسـم هو الاسـم والكلمة هي الفعل والرباط هو الحرف كما يقال فـي اللغات الأوروبية Conjunction أي ارتباط، وهذه الكلمات اسـم وكلمة ورباط،

---

(1) الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص62.
(2) المخزومي، عبقري من البصرة: ص88.
(3) عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم: س65.
(4) السابق ص66
(5) نفسه ص65
(6) نفسه: ص41.

ترجمت من اليوناني إلى السرياني ومن السرياني إلى العربي، فسميت هكذا في كتب الفلسفة لا في كتب النحو، أما كلمات اسم وفعل وحرف فإنها اصطلاحات عربية ما ترجمت لا نقلت[1]، ثم إن أقسام الكلام في اليونانية ثمانية وليست ثلاثة.

وأما كارتر فيشيد بتقسيم سيبويه ويبين انه قد صدر عن وعي منه وليس نقلاً أو اعتباطاً وبين سبب ذلك بقوله إن سيبويه "عند تحليله الكلام، قد قصر اللغة عن وعي وبانتظام على مجموعة من الوظائف.... فلقد وضع مبكراً، باعتباره نحوياً وظائفياً، أقسام أشكال العربية مع الفصل الأول من كتابه: فهي تنحصر في قسمين اثنين متميزين صرفياً ودلالياً ونعني بهما الأسماء والأفعال، وبالتالي فهو يعرف الأشكال الباقية تعريفاً سلبياً محضاً باعتبارها ليست (صرفياً) أسماء ولا أفعال وليس لها دلالياً معنى خاص، فيسميها الحروف، ولا يمكن بالتالي أن تعرف إلا بارتباطها بوظائف نحوية خاصة[2].

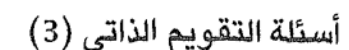
(2) ومن الاصطلاحات التي زعم بعض المستشرقين مثل روند غرين وفيرستيغ [3] أنها أخذت من اليونانية وما زالت في العربية: الإعراب، والصرف، والقياس، والحركة باعتبارها ترجمة للمصطلحات اليونانية على التوالي:

Hellensmos, Klisis, analogia, Kinesis ويأخذ جرار تروبو على عاتقه تفنيدها، وخلاصة كلامه أن هذه المصطلحات تستعمل في اللغة اليونانية بمفهوم مختلف عنه في اللغة العربية ويخرج في نهاية حديثه بنتيجة مفادها: "أنه من المستحيل أن تكون هذه المصطلحات منقولة عن اليونانية إلى العربية، لأن المفاهيم التي تدل عليها تتباعد في النظامين كل التباعد[4].

وهكذا نستطيع أن نقول عن النحو العربي في مرحلة نشأته أنه تحددت أصوله، وقنّنت قواعده بعد الكشف عن ظواهر اللغة بعيداً عن تأثيرات المنطق اليونانية وفلسفته، ويحسن أن نختم حديثنا بشهادة جيرار تروبو التي يقول فيها: "إن علم النحو أعرب العلوم الإسلامية وأبعدها عن التأثير الأجنبي في طوره الأول[5]. وهو على حق لأن التاريخ لم يقطع بشيء مما أثاره المستشرقون وغيرهم عن المراحل الأولى لتأسيس النحو العربي.

(1) أحمد أمين، ضحى الإسلام: ص293/2.
(2) كارتر، حوليات الجامعة التونسية، العدد 22، 1983: ص234.
(3) انظر: المستشرقون ونظرياتهم: ص42.
(4) انظر دراسته «نشأة النحو العربي في ضوء كتاب سيبويه» مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الأول، 1398هـ-1978م: ص ص 125-138.
(5) السابق: ص139.





أسئلة التقويم الذاتي (3)

لقد رمي النحو العربي في نشــأته بتأثره باصطلاحات النحو اليوناني، كيف تفنّد ذلك؟



تدريب (3)

1. ماذا تستنتج من وفاة الخليل سنة 175هـ وولادة حنين بن اسحق سنة 264هـ؟
2. لقد وقع الدارســون الغربيون في ارتباك وتناقض في اتهامهم النحو العربي بتأثره بالنحو اليوناني من أين تفهم ذلك؟

3.3 الدور اليوناني بعد القرن الثاني الهجري

يــكاد يجمع الدارســون على أن عهــد المأمون هــو البداية الحقيقية لتســرب الثقافة اليونانيــة بخصائصهــا المنطقية إلى العلــوم العربية الإســلامية، نظراً لرعايــة المأمون لحركتي الترجمة والاعتزال.

فحركــة الترجمة نقلــت أهم كتب التــراث اليوناني إلى الثقافــة العربية، خاصة كتب أرســطو التي يســودها الفكر المنطقي والبحث الفلســفي اللذان أمدّا الاتجــاه العقلي في الثقافة الإسلامية بقوة جديدة، جعلت منه تياراً فكرياً سائداً يسر للنحاة الاتصال المباشر بالمنطق الأرســطي. وأمــا حركة الاعتزال فخلقت تيــاراً مزدهراً من النظــر العقلي الذي اقتضــاه الجدال والنقاش والخلاف حول أهم القضايا التــي أثيرت وهي خلق القرآن التي وقف وراءها المأمون بتبنيه الاعتزال مذهباً للدولة.

فــي مثل هــذه البيئة لا بد أن تتســلل الاتجاهــات المنطقية وتترك أثرهــا في الدرس النحوي وأصول النحو وجوانبه، شيئاً فشيئاً ولم يعد بإمكان النحاة تجنب منطق أرسطو باعتباره وسيلة عقلية ضرورية، للمعرفة مثله مثل الاستعمال اللغوي باعتباره دليلاً نقلياً وهكــذا أخذ النحاة في تطبيق المنهج المنطقي الإرســطي فــي بحوثهم النحوية وقد حدد الدارسون الجوانب التي تأثرت بالفكر المنطقي[1]، وهي:

(1) التعريفات والحدود.

---

(1) انظر: أبو المكارم، تقويم الفكر النحوي، ص ص 82-105، عبده الراجحي النحو العربي والدرس الحديث، ص ص 69-105، تمام حسّان، الأصول، ص54.

(2) التعليل، الأرسطي بأنواعه المادية (ما الشيء ؟)، الصورية (كيف؟)، الفاعلية (من فعل؟)، الغائية (لِمَ؟) وظهرت للتعليل أضربه التي جاءت في "الإيضاح في علل النحو، للزجاجي وهي العلل التعليمية، والعلل القياسية والعلل الجدلية النظرية"[1]، مع أنها في أيام الخليل كانت تأتي مع السجية والطبع خالية من التعقيد والتنويع والتقسيم.

(3) القياس المنطقي الشكلي بأركانه: المقيس عليه والمقيس والعلة والحكم.

(4) التقسيمات العقلية للمسائل النحوية.

وقد أصبح تأثر المنهج النحوي بالفكر المنطقي في هذا الطور مسلّماً به، فلا حاجة للبرهنة على وجود هذه النزعة كما يقول أحمد أمين " المنطق اليوناني صبغ العلوم العربية صبغة جديدة في قالبه ووضعها على مناهجه"[2] ولكن النحو لم يتخل عن أصوله وأحكامه التي ظلت، ولم تنسلخ عنه خصائصه، وإنما الذي استجد عليه هو دخول نماذج من التعريفات والتعليلات في بحوثه مع استخدام القياس منهجاً لاستخلاص أحكامه.



أسئلة التقويم الذاتي (4)

ما الجوانب النحوية التي تأثرت بعد النشأة بالمنطق الأرسطي ؟



تدريب (4)

لقد كانت حركتا الترجمة والاعتزال من الأسباب التي يسَّرت تسرّب الفكر المنطقي اليوناني الى العلوم العربية، كيف تفسِّر ذلك؟

3.4 الدور الهندي

لم يستطع أحد ممن أثاروا احتمال تأثير هندي أن يثبتوا ذلك بل إنهم سرعان ما تراجعوا عن اتهاماتهم. وأول من ننقل عنهم مثل هذا التصرف John Haywood الذي يفترض على استحياء تأثيراً هندياً غير مباشر على الخليل بن أحمد[3] ثم يقوم بعرض موجز عن التأليف المعجمي في الهند ينفي في نهايته مثل هذا التأثير حيث يقول: "إن أقدم الأعمال المعجمية، في الهند، كانت من أجل تفسير النصوص الدينية، ولسد حاجة

(1) ص64-65.

(2) ضحى الإسلام: ص274، نقلاً عن كتاب الدكتور فتحي الدجني، النزعة المنطقية في النحو العربي.

(3) في كتابه: Arabic Lexicography: ص6.

الشـعراء مـن الألفاظ النادرة، وهذه الأعمـال عبارة عن مجموعات مـن الألفاظ المترادفة وكانت أكثر فترات النشـاط المعجمي لديهم هو القرن الثاني عشر في الوقت الذي سبقهم فيه العرب إلى إنتاج أضخم معاجمهم"[1]. وبهذه المناسـبة بدا له كذلك أو توهم أن هناك تأثيـراً صينياً معجمياً على العرب باعتبارهم، كما يقـول، أنهم قد اهتموا بلغتهم على قدر اهتمام العرب بلغتهم، ويثبت أنه عملهم المعجمي الذي بلغ أوجه سنة 1717 م لم يكن له أي تأثير على العرب على الرغم من العلاقات التي كانت بين الخلافة الإسلامية والصين عن طريق خراسـان وأواسط آسيا حتى إنه لإعجابه بالخليل يسمى المعجمي الصيني شو ون Shu wen " الذي ظهر له معجم في القرن الأول الميلادي بأنه خليل المعجمية الصينية[2]، ويقرر كذلك أن الفضل الأول، بلا شك يعود إلى العبقري العنيد، الخليل، الذي يتفوّق عقله على علمه"[3] فكأنه ينفي وبشـكل قاطع أي تأثير لغيره على المعجمية العربية، وهو بهذا يؤكـد الـقولـة التي قررها في موضع سـابق وهي: "في الحقيقـة أن العرب يحتلون في المعجميـة وكما هـو الحال في حقول أخرى، الموقع المركـزي ببعديه الزماني والمكاني بين الأمم القديمة والحديثة، في الشرق والغرب[4].

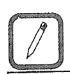
وأود كذلـك أن أهمـل كل حديـث عـن احتمـالات، أو مجـرد احتمال، كمـا يـقول أحدهـم[5]، تأثير هندي صوتي على الخليل لا يتجـاوز الترتيب الصوتي للحروف أو تأثير هنـدي في بعض جزيئات النحو ثم يقوم بالـرد عليها فنتبين أن ما أثير الحديث حوله هو من طبيعة اللغات، بما يعني أنها موضوعات أو اتهامات لا تستحق أن توجه أو تثار، لأنها من قبيل التصورات والافتراضات والاحتمالات التي تسـاق دون ضوابط علمية لأنها تبنى على مصادفات بين اللغات، فكل لغة في الدنيا، مثلاً، لا تخلو من اسم وفعل وحرف وكذلك تتعـدد مخارج الحروف بتعددها، وقد يصادف أن تترتب، بحسـب هذه المخارج في أكثر من لغة، فالسبق الزمني ليس دليلاً على تقليد اللاحق للسابق.



أسئلة التقويم الذاتي (5)

لقد حاول هيوود أن يثبت تأثر العرب في أعمالهم المعجمية بالهنود أو الصينيين، ولكنه أخفق فكيف توضح ذلك؟

(1) السابق: ص7.
(2) السابق نفسه: ص6.
(3) السابق نفسه: ص9.
(4) السابق نفسه: ص2.
(5) الدكتور أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب، ص34-343.



تدريب (5)

هل يمكن أن يكون السبق الزمني دليلاً على تقليد اللاحق للسابق ؟

4. أظهـــر الموضـــوعـــات الـــتي تـــنـــاولـــتـــها كتب فقه اللغة عند القدماء

4.1 نشأة اللغة

من الأسئلة التي ظلت تحيّر بني البشر، خاصة العلماء والمفكرين، كيف نشأت اللغة؟ وهل وضعها الإنسان بنفسه؟ أم ألهمها له خالقه؟ ومع أن مثل هذه الأسئلة لم تعد تشغل بال علماء اللسان الحديث؛ لأن الخوض في البحث عن إجابة لها لا يخضع إلى منهج علمي، ولا يوصل إلى نتائج مطمئنة باعتباره قائماً على افتراضات نظرية لا تخرج عن الحدس أو التخمين، وليست عاجزة عن كشف النقاب عن أولية اللغة فحسب، وإنما كانت محل خلاف قديم لم يحســم أمره إلى يومنا، وقد ظهر في كتب فقه اللغة القديمة عند العرب اتجاهان متضادان إزاء نشأة اللغة:

إحدهمـا: يرى أن اللغة توقيف أو الهام ووحي ويمثله ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة العربية ويعني التوقيف، أن الله الخالق أوحى إلى الإنسان الأول وأوقفه على أسماء الأشياء كلها -بكل اللغات- مباشرة أو بواسطة، بعد أن علمه النطق"[1].

وفي باب القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح يقرر ابن فارس أن لغة العرب[2] توقيف ويقدم أدلته بعد ذلك بقوله: ودليل ذلك قوله جل ثناؤه (وعلّم آدم الأسماء كلها)[3] وهو الدليل الذي احتج به أبو علي الفارسي كما يورد ابن جني في الخصائص بقوله[4]: إلا أنّ أبا علي رحمه الله قال لي يوماً، هي من عند الله واحتج بقوله سبحانه (وعلم آدم الأسماء كلهـا). وهذا دليل نقلي ويذكر السـيوطي دليلاً قرآنياً آخر وهو قولـه تعالى: (ومن آياته خلق الســموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)[5] وعلق بقوله "والألسنة اللحمانية

(1) توفيق شاهين، علم اللغة العام، ص50.
(2) الصاحبي : ص 36 .
(3)سورة البقرة- 31.
(4) جزء 1 / ص 40 .
(5) سورة الروم- 22.

غير مراده لعدم اختلافها، ولأن بدائع الصنع في غيرها أكثر، فالمراد هي اللغات[1] وليس الألسنة العضوية. ثم يسوق ابن فارس دليلاً عقلياً ثانياً هو قوله: "والدليل على صحة ما نذهب إليه إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم، ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق[2]، أي إنه يجعل من الاحتجاج اللغوي المقيد بزمان ومكان محددين دليلاً على أن اللغة توقيف، بمعنى أن ما وقفهم الله عليه هو المحتج به، ولا يستطيعون أن يتجاوزوه ويصطلحوا من عندهم على ما يحتجون به. ويسوق دليلاً ثالثاً يتصل بسبب من سابقه ويستمده من التاريخ بقوله" وخلة أخرى أنه لم يبلغنا أن قوماً من العرب في زمان يقارب زمانه (أي زمان أبي الأسود الذي ورد ذكره قبلها وفي طبعة الشويمي زماننا أي زمان ابن فارس) أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم، وقد كان في الصحابة، وهم البلغاء والفصحاء، النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به، وما علمناهم اصطلحوا على اختراع لغة أو أحداث لفظة لم تتقدمهم[3]، والحقيقة أن في كلامه الآنف الذكر نظراً؛ ففي نفيه اصطلاحهم على إحداث ألفاظ، تعميم لا يمكن الأخذ به إلا بعد عملية استقراء شاملة لجميع العلوم التي ظهرت، خاصة العلوم الشرعية والعربية، وهل يمكن أن تنشأ هذه العلوم دون أن يكون لكل علم مصطلحاته التي استجدت؟! وهذا يدل على تهافت هذا الدليل، والسابق عليه أيضاً لأن الاحتجاج اللغوي لم يقف عند عصر الرسول عليه السلام بل تعداه إلى 150 هـ في الحضر و (350 هـ) في البادية. وهناك دليل رابع عقلي فلسفي يذكره السيوطي يقول فيه "لو كانت اللغات اصطلاحية لاحتيج في التخاطب بوضعها إلى اصطلاح آخر من لغة أو كتابة ويعود إليه الكلام ويلزم إما الدور أو التسلسل في الأوضاع وهو محال، فلا بد من الانتهاء إلى التوقيف[4] يقصد لو كانت تواضعاً أو اصطلاحاً لاحتاج الواضعون إلى لغة سابقة يتفاهمون بها، ولو وجدت لكانت توقيفية، وهو أمر معقول.

ولكن ما المقصود بالأسماء؟ وهل كان وحي اللغة من عند الله دفعة واحدة؟ وما اللغة التي علمها الله لآدم عليه السلام؟ ويجيب عن هذه الأسئلة ابن فارس الذي يبين في

(1) المزهر 18/1.
(2) الصاحبي: ص37.
(3) السابق: ص38.
(4) المزهر السابق نفسه.

إجابتــه عن الســؤال الأول المقصود من الســماء في الآية الكريمة بقولــه:(كان ابن عباس يقول علمه الأســماء كلها هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وســهل وجبل وحمار وأشـباه ذلك من الأمم وغيرها، وروى خصيف عن مجاهد قال: علّمه اســم كل شيء، وقال غيرهما: إنما علّمه أسماء الملائكة، وقال آخرون: علّمه أسماء ذريته أجمعين. والذي نذهب إليــه فــي ذلك ما ذكرنـــاه عن ابــن عباس[1] ولما وجد ابن فــارس أن قوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها " قد تلاها مباشرة وفي الآية نفسها {ثم عرضهم على الملائكة} أدرك أن هناك تناقضاً ظاهرياً بين شرح أو تفسير ابن عباس الذي يشمل العاقل وغيره وبين قوله تعالــى {عرضهــم} حيث الضمير، هم يوجه في العربية لفئــة واحدة مما ذكره ابن عباس، فوجــه الآية على أنه من باب التغليب بقولــه: "فلما قال {عرضهم} عُلم أن ذلك لأعيان بني أدم أو الملائكة..... قيل له: إنما قال ذلك، والله أعلم، لأنه جمع ما يعقل وما لا يعقل، فغلّب ما يعقل، وهي سنة من سنن العرب، أعني باب التغليب"[2].

ولابن جني تفسـير لاختيار صيغة الأسماء دون غيرها من أنواع الكلام بقوله: "فإن قيل فاللغة فيها أسـماء وأفعال وحروف، وليس يجوز أن يكون الـمُعَلّم من ذلك الأســماء من دون غيرها، مما ليس بأســماء فكيف خص الأسماء وحدها ؟ قيل: اعتمد ذلك من حيث كانت الأســماء أقوى القُبُل الثلاثة، ولا بد لكل كلام مفيد من الاســم، وقد تســتغني الجملة المســتقلة عــن كل واحد من الحروف والفعل، فلما كانت الأســماء من القــوة والأولية في النفــس والرتبة، على ما لا خفاء به جاز أن يكتفي بها مما هو تال لها...[3]* وهذا تفســير يعتمد على اصطلاح النحاة في تقسـيمهم لأنواع الكلام. وعند الســيوطي تفســير أشمل وكأنه يرد على ابن جني يقوله: "فالأســماء كلهــا مُعَلّمة من عند الله بالنص، وكذا الأفعال والحروف، لعدم القائل بالفصل، ولأن الأفعال والحروف أيضاً أســماء، لأن الاســم ما كان علامــة، والتمييز من تصرف النحاة لا من اللغة، ولأن التكلم بالأســماء وحدها متعذر[4]*، وفي وقتنا الحاضر يفسر الدكتور إبراهيم أنيس الأسماء بالأعلام حيث يقول: " نرجح أن معظم الكلمات قد أخذت مدلولاتها بطريق المصادفة، أي إنها كانت أصواتاً مبهمة لا هدف منها ســوى اللعب والمتعة، ثم تصادف أن نطق بها في أثناء حدث من الأحداث فارتبطت به ارتباط العَلَمية، وتدرج العَلَم من معناه الخاص إلى معنى عام، فإذا فسرت الأسماء في قوله تعالى {وعلم آدم الأســماء كلها} بمعنى الأعلام ساير هذا التفسير أحدث ما ينادى به اللغويون في عصرنا الحاضر[5]. وعلى تساؤل إن كان وحي اللغة من عند الله دفعة واحدة

---

(1) الصاحبي: ص36.
(2) نفسه.
(3) الخصائص: 1/41-42.
(4) المزهر: 1/17.
(5) دلالة الألفاظ: ص37.

يجيب ابن فارس " ولعل ظاناً يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد، وليس الأمر كذلك، بل وقّف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمان، وانتشر من ذلك ما شاء الله، ثم علّم بعد آدم عليه السلام عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبياً ما شاء أن يعلمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم..." ثم قرّ الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت[1]، وهكذا يبسط ابن فارس مسألة تعلم اللغة فيجعلها على شاكلة تلقي الرسالات الدينية السماوية، وإن لم يبين كيفية تعلم الأنبياء للغات، ولكن الأمر لا يخرج عن الوحي أو الإلهام وبالتدريج كما هو الحال في الدعوات الدينية، واللغة الموحى بها أو الملهمة هي اللغة العربية؛ لأن الأمر انتهى إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد تلقاها عليه السلام واكتملت في عهده كما تلقى رسالة الإسلام.

ونجد عند ابن جني تفسيراً آخر لا يكون فيه الأنبياء هم الوساطة، ولا يقتصر التعليم على لغة واحدة بقوله: " قيل إن الله سبحانه علّم آدم أسماء جميع المخلوقات، بجميع اللغات: العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية، وغير ذلك من سائر اللغات، فكان آدم وولده يتكلمون بها، ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا، وعلِق كل منهم بلغة من تلك اللغات، فغلبت عليه، واضمحل عنه ما سواها، لبعد عهدهم بها"[2].

وله نص آخر يبين فيه أن السبب وراء التدريج في الوضع يكمن في الحاجة، بمعنى أن التقدم البشري يلازمه أو يرافقه وجود معان جديدة تستوجب وضع ألفاظ تناسبها أو تدل عليها وذلك في باب عنوانه: (باب في هذه اللغة: أفي وقت واحد وضعت أم تلاحق تابع منها بفارط ؟ ويقول في هذه الباب: (قد تقدم في أول الكتاب القول على اللغة أتواضع هي أم الهام، وحكينا وجوزنا فيها الأمرين جميعاً، وكيف تفرقت الحال وعلي أي الأمرين كان ابتداؤها فإنها لا بد أن يكون وقع في أول الأمر بعضها ثم احتيج فيما بعد إلى الزيادة عليه، لحضور الداعي عليه فزيد فيه شيئاً فشيئاً)[3].

وإذا كان ابن جني يرى أن آدم قد تعلم جميع اللغات وقد ذكر بعضها كالعربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية، فإن ابن فارس لم يذكر لها سوى اللسانين العربي والسرياني، وعبر عن اللغة بالكتاب وأن آدم قد ترك كتاباً لكل لغة حيث يقول: "يروى أن أول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها، (آدم) عليه الصلاة والسلام، قبل موته بثلاثمائة سنه، وكتبها في طين وطبخه فلما أصاب الأرض الغرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه، فأصاب إسماعيل عليه السلام الكتاب العربي، وكان ابن عباس

(1) الصاحبي: ص37.
(2) الخصائص: 1/41.
(3) السابق: 2/28.

يقول: أول من وضع الكتاب العربي (إسماعيل) عليه الصلاة والسلام وضعه على لفظه ومَنطِقه[1]، وهو تصور ساذج لا عمق فيه للمسألة.

أما الاتجاه الثاني فكان القول بأن اللغة مواضعه واصطلاح أي وضعها الإنسان بالاتفاق، ويتخيل ابن جني الكيفية التي يتم بها هذا الأمر إذ يقول:

"إنهم ذهبوا إلى أن اصل اللغة لا بد فيه من المواضعة، قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظاً، إذا ذكر عرف به ما سماه..... فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معنيُّها، وهلم جراً فيما سوى هذا من الأسماء والأفعال والحروف.... وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء: كالنجار، والصائغ والحائك، والبناء، وكذلك الملاح، قالوا ولكن لا بد لأولها من أن يكون متواضعاً بالمشاهدة والإيماء[2] ولكنه لا يقول لنا ما اللغة التي يتم التفاهم بها، بين المجتمعين ومن أين يأتون بالألفاظ التي يصطلحون عليها أسماء للأشياء؟

ويحتج أصحاب هذه النظرية على أن المواضعة تمت بين البشر بأمرين هما:

أحدهما استبعاد المواضعة من الله جل جلاله" والقديم سبحانه لا يجوز أن يوصف بأن يواضع أحداً من عباده على شيء، إذ قد ثبت أن المواضعة لا بد معها من إيماء وإشارة بالجارحة نحو المومأ إليه، والمشار نحوه، والقديم سبحانه لا جارحة له، فيصح الإيماء والإشارة بها منه[3]، فبطل عندهم أن تصح المواضعة على اللغة منه"، وهذا دليل عقلي.

والآخر: دليل نقلي وهو أنهم يستدلون من قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)[4] أن اللغة سبقت الرسالة ولو كانت اللغة توقيفية لجاءت بعثة الأنبياء قبل اللغة، وقد حاول السيوطي رد هذا الدليل بقوله: " لا نسلم توقف التوقيف على البعثة، لجواز أن يخلق فيهم العلم الضروري بأن الألفاظ وضعت لكذا وكذا[5] أي قد يلهم الله الأنبياء الأسماء بعد بعثتهم.

ويمكن أصحاب مذهب الاصطلاح كذلك أن يحتجوا بقوله تعالى: {وعلم آدم الأسماء كلها} بأن الله تعالى قد ألهمهم، وجعل فيهم القدرة على النطق بالألفاظ، وعلى حد قول

---

(1) الصاحبي: ص38.
(2) الخصائص: 1/44-45.
(3) السابق نفسه.
(4)إبراهيم 4 -.
(5) المزهر : 1/19.

ابــن جنــي [1](ذلك أنه لا يجــوز أن يكون تأويله أقدر: آدم علــى أن واضع عليها). وبقوله تعالى كذلك (إن هي إلا أســماء ســميتموها)[2] التي احتج بها أصحاب مذهب التوقيف بأن في الآية إشــارة ضمنية إلى أن هناك أسماء توقيفية، ويعني هذا من ناحية أخرى أن هناك أسماء من وضع الناس واصطلاحهم أيضاً.

ولــم يصل علماؤنا إلى رأي يحســم هذه المشــكلة بالاتفاق نظــراً لتردد بعضهم بين التوقيف والاصطلاح كابن جني وأســتاذه أبي علي الفارســي وأبي الحســن الأخفش مما أثبتــه ابن جني فــي الخصائص بقوله " غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضــع واصطــلاح، إلا أن أبا علي -رحمه الله- قال لي يوماً: هي من عند الله[3]، ثم يقول بعد ذلك عند تعليقه على الاحتجاج على التوقيف بقوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها).... وقــد كان أبــو علي رحمه الله أيضاً قال به في بعض كلامه وهذا رأي أبي الحســن (يقصد الأخفــش) علــى أنه لم يمنع قول من قال: إنها تواضع منــه [4]" والضمير في قوله " أنه " يعــود إلى الأخفش كما أفاد محقق الكتاب ويردف ذلك بقوله في الهامش " قد صرح (أي ابــن جني) بهذا في جــ . في إحدى مخطوطات الكتــاب) ففيها بعد ذكر القولين: " وكلا الأمريــن أجازه أبو الحســن وأبو علــي[5] ويصرح في موضع آخر بأنه قــد ثبت في روعه بــأن اللغة وحي وإلهام ويذكر الســبب من وراء ذلك بقولــه: " وذلك أنني تأملت حال هذه اللغــة الشــريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيهــا من الحكمة والدقة والإرهــاف والرقة، ما يملــك علي جانب الفكر حتــى يكاد يطمح به أمام غلوة الســحر... وانضاف إلى ذلك وارد الأخبــار المأثورة بأنها من عند الله جل جلاله، فقوي في نفســي اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه، وأنها وحي"[6].

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى وجود آية قرآنية يفهم منها التوفيق وقد تكون دليلاً على الاصطلاح وأخرى تفيد الاصطلاح ويفهم منها التوقف أيضاً كقوله تعالى: (وعلم آدم الأسماء كلها)، وقوله أيضاً (إن هي إلاّ أسماء سميتموها).

على أن هناك ما نســتطيع أن نعده وجهة نظر ثالثة في نشأة اللغات عند العرب وهي التي تدعى نظرية المحاكاة أي إن اللغة عند الإنســان نشــأت تقليــداً لأصوات الطبيعة من

---

(1) الخصائص 1/40/41.
(2) النجم - 23
(3) السابق : 1/41.
(4) السابق :1/41
(5) انظر السابق نفسه ، هامش رقم (1).
(6) السابق :1/47.

ريح أو ماء أو شجر أو أصوات الحيوان كالخيل وغيرها وهي النظرية التي تدل فيها الألفاظ من خلال أصواتها على معانيها أي إن هناك مناسبة طبيعية بين الألفاظ ومعانيها، أو علاقة بين الصوت والمدلول كالرنين والحفيف والخرير والأزيز وقد عبر عنها ابن جني بقوله: " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد، وهذا عندي وجه صالح، ومذهب متقبل[1] وهو بهذا يضيف رأياً ثالثاً وليس بديلاً للرأيين الذين جوزهما وهما التوقيف والاصطلاح وقد أفرد له ابن جني أيضاً باباً خاصاً سماه " باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني[2] يبدو فيه متبعاً للخليل وسيبويه ومما أورده فيه " قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداً فقالوا: صرَّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعاً فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفَعَلان: إنها للاضطراب والحركة، نحو الغليان والغثيان، فقالوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال، ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حدّاه، ومنهاج ما مثّلاه، وذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعَّفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة والقلقلة والصلصلة والقعقعة والجرجرة، ووجدت أيضاً (الفَعَلى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسرعة نحو الجَمَزَى[3]... ومن ذلك، وهو أصنع منه، أنهم جعلوا استفعل في أكثر الأمر للطلب نحو استسقى... فرتّبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال.... ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل فقالوا: كسَّر، وقطّع.... فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل.... فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب واسع...وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها.... من ذلك قولهم: خضم لأكل الرطب كالبطيخ... وقضم للصُلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها..."[4] وقد تبنى هذه النظرية في العصر الحديث أوتويسبرسن[5] وقد سماها نظرية Bow – wow ويرجح فيها أن تكون نشأة الألفاظ تقليداً للأصوات الطبيعية التي سمعها الإنسان وسمى الحيوان أو عبر عن الحيوان باسم الصوت الذي يصدر عنه وكأن صوته أصبح عَلَماً عليه فالكلب

---

(1) السابق : 1/46-47.
(2) السابق : 2/152.
(3) وهو حمار الوحش.
(4) الخصائص : 2:152-157.
(5) Language, Its nature, Development, and origin: PP: 412-422, Allen & Unwin, London, 1922.

يصبح نبَّاحاً مثلاً. وقد يحدث لهذه الألفاظ تطوير فتطلق على معان جديدة وقد ضرب الدكتور إبراهيم أنيس عدة أمثلة من هذا القبيل كالنباح والفحيح والثغاء وهي على التوالي للكلب والأفعى، والغنم، ولكن معاجم اللغة تضيف إليه معاني اعتبرها معاني اعتبرها تطويراً لمعاني الألفاظ[1] ويمكننا أن نجدها في لسان العرب كالتالي: " الثغاء صياح الغنم " ومن معانيها التي استجدت " أتيته فما أثغى ولا أرغى أي ما أعطاني شاة تثغو ولا بعيراً يرغو وما بالدار باع ولا راغ أي أحد،.... والثَّغْيَة: الجوع وإقفار الحي[2]وأما الفحيح فهو صوت الأفعى، ومن المعاني التي استجدت " فح الرجل في نومه وفَحْفح: أي نفخ والفحفاح: الأبحّ من الرجال، ورجل فحفاح: متكلم أو كثير الكلام، وفَحْفَح إذا صحح المودة وأخلصها "[3].

" والنُّبَاح، والنبح صوت الكلب... والنبَّاح الظبي الكثير الصياح، وكذلك الهدهد الكثير القرقرة..... والمنبوح: المشتوم، ونبحتني كلابك أي لحقتني شتائمك ورجل نبّاح: شديد الصوت...والنبوح، ضجة الحي أو أصواتهم أو الجماعة الكثيرة من الناس وقال الجوهري: ثم وضع موضع الكثرة والعز... والنَّبَّاح: صدف بيض صغار، أو مناقف يجاء بها من مكة تجعل في القلائد، ويدفع بها العين "[4].

وهكذا تطورت معاني هذه الألفاظ فبعد أن كانت أصواتاً تصدر عن حيوانات صارت أعلاماً على هذه الحيوانات، ثم اكتسبت معاني جديدة، أو تطورت دلالتها عن طريق التشبيه أو المجاز كما رأينا في النصوص آنفة الذكر. وأعتقد أن بين هذا التطوير وبين اللغة في نشأتها الأولى مسافة وفراغاً يتعذر على العلماء سده بأن يتخيلوا ويثبتوا الكيفية التي نشأت بها اللغة أو التي نطق بها الإنسان كلماته الأولى تعبيراً عن الأشياء والمفاهيم وأن ما جاء في المعاجم، مما ذكرناه، يصلح برهاناً على تطوير معاني الألفاظ تخصيصاً أو تعميماً أو نقلاً من معنى إلى آخر وقد يلقى الضوء على أسبابه الاجتماعية أو البلاغية من مجاز أو تشبيه ولا يصلح دليلاً على نشأة اللغة الأولى للبشر.

ويرى الدكتور علي عبد الواحد وافي أن هذه النظرية هي الأقرب إلى الصواب في نشأة اللغات لأنها في رأيه الأسلوب الذي سلكه الإنسان بإطلاقه الأسماء على الأشياء عن طريق الصوت الذي يصدر عنها وكذلك لم يقم دليل على خطئها من ناحية أخرى، حيث يقول مثنياً ومفسراً ومدللاً على صحتها: "وهذه النظرية هي أدنى نظريات هذا البحث إلى

(1) أنيس، دلالة الألفاظ، ص 21.

(2) مادة «ثغا».

(3) مادة : فحح

(4) مادة : نبح.

الصحة وأقربها إلى المعقول، وأكثرها اتفاقاً مع طبيعة الأمور وسنن النشوء والارتقاء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة الاجتماعية، وهي إلى هذا وذاك تفسر المشكلة التي نحن بصددها، وهي الأسلوب الذي سار عليه الإنسان في مبدأ الأمر في وضع أصوات معينة لمسميات خاصة والعوامل التي وجهته إلى هذا الأسلوب دون غيره، ولم يقم أي دليل يقيني على خطئها، ولكن لم يقم كذلك أي دليل يقيني على صحتها، وكل ما يذكر لتأييدها لا يقطع بصحتها، وإنما يقرب تصورها ويرجح الأخذ بها"[1].

بعد أن سجل قناعته في هذه النظرية أخذ يسوق أدلته وبراهينه على صدقها بقوله: " ومن أهم أدلتها أن المراحل التي تقررها بصدد اللغة الإنسانية تتفق في كثير من وجوهها مع مراحل الارتقاء اللغوي عند الطفل، فقد ثبت أن الطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام يلجأ في تعبيره الإرادي إلى محاكاة الأصوات الطبيعية (أصوات التعبير الطبيعي عن الانفعالات، أصوات الحيوان، أصوات مظاهر الطبيعة والأشياء...) فيحاكي الصوت قاصداً التعبير عن مصدره أو عن أمر يتصل به، وثبت كذلك أنه في هذه المرحلة وفي مبدأ مرحلة الكلام يعتمد اعتماداً جوهرياً في توضيح تعبيره الصوتي على الإشارات اليدوية والجسمية، ومن المقرر أن المراحل التي يجتازها الطفل في مظهر من مظاهر تمثل المراحل التي اجتازها النوع الإنساني في هذا المظهر[2] وفي هذا الدليل نظر فإذا قلّد الطفل صوت القط أو صوت السيارة أو نباح الكلب فإنه لا يقصد التعبير عن مصدره في الغالب وإنما قد يقصد التسلية أو اللعب أو التخويف، وكذلك لا ينتقل إلى تسمية الحيوان بصوته كذلك تلازم الصوت مع الإشارة اليدوية أو الجسمية قد يدل على معنى ما وليست الإشارة سوى عامل مساعد يقوم أحياناً مقام اللغة. وكل ذلك لا يعطينا الدليل على نشأة لغة ما وبداية الكلام بها، كذلك الأطفال غالباً ما يكونون مقلدين لما يسمعونه أو يحكى أمامهم من الكبار، ولا يرتجلون الكلمات حتى الناقص منها، أما التشابه بين الطفولة باعتبارها مرحلة عمريه وبين الفترة أو الحقبة المبكرة التي اجتازتها البشرية فهو مجرد نظرية لا تصل إلى مرتبة الحقيقة فلم يثبت أن طفلاً وحده طوّر أصواته إلى ألفاظ، في بيئة منعزلة عن البشر حتى نقيس نشأة اللغات البشرية أو نفسر هذه النشأة على ما حدث مع هذا الطفل. ثم يسوق دليلاً آخر يشبه فيه خصائص اللغة الإنسانية الأولى بما يحدث في لغة البدائيين من البشر حيث (تكثر في هذه اللغات المفردات التي تشبه أصواتها أصوات ما تدل عليه، ولنقص هذه اللغات وسذاجتها وإبهامها وعدم كفايتها للتعبير لا يجد المتكلمون بها مناصاً من الاستعانة بالإشارات اليدوية والجسمية في أثناء حديثهم

---

(1) وافي: علم اللغة: ص105.

(2) السابق: ص ص105-106.

لتكملة ما يفتقر إليه من عناصر وما يعوزه من دلالة، ومن المقرر أن هذه الأمم، لبعدها عن تيارات الحضارة وبقائها بمعزل عن أسـباب النهضة الاجتماعية تمثل إلى حد كبير النظم الإنسانية في عهودها الأولى "[1] ومع ذلك يبقى الأمر افتراضاً يمكن نقضه بأن هناك قبائل بدائية لغتها بسـيطة وأخرى لغتها معقدة، والاستعانة بالإشارات في الحديث يكون لأداء معنـى أو تأكيد آخر أو نفيه قد يبرهن على أن الإنسـان الأول اسـتخدم مثل هذه الطريقة للتفاهم، ولكنه لا يعطي دليلاً على نشأة اللغة وارتجال الألفاظ والاصطلاح على معانيها، وهو البديل الأرقى.

ولا بأس أن ننهى الحديث بأن نذكر بعض النظريات الحديثة في نشـأة اللغة بإيجاز عمـا أورده الدكتور إبراهيـم أنيس[2] مثل نظريـة Pooh – Pooh التي يرى أصحابها أن اللغة الإنسـانية بدأت في صورة شـهقات وتأوّهـات غرزية لتعبر عن انفعـال كالفرح أو الغضـب. ثـم نظرية Ding – Dong التي تذهب إلـى أن هناك صلة وثيقة بين ما ينطق به الإنسان من أصوات وبين ما يدور في خلده من أفكار.

ونظرية أخرى تدعى Yo he ho وخلاصتها أن النطق الإنسـاني قد بدأ جماعياً، أثناء قيام مجموعة من الناس بعمل شاق فإنهم كانوا يجدون راحتهم في إصدار أصوات موحدة كالتنهد مثلاً، وهذا يشبه إلى حد ما الأصوات التي تصدر عن العمال أو الصيادين حين أداء وظائف أو أعمال جماعية مشتركة فيما بينهم.

أسئلة التقويم الذاتي (6)

مـا النظريـات الثلاث في نشـأة اللغـة التي ظهـرت في كتـب فقه اللغـة العربية القديمة؟



تدريب (6)

1. ما المقصود بقولنا اللغة توقيف، أو اصطلاح ؟
2. لقد استشـهد أصحاب التوقيف والاصطلاح بالآية الكريمة "وعلّم آدم الأسماء كلها" فكيف توجه ذلك ؟

---

(1) السابق: نفسه.

(2) انظر: دلالة الألفاظ: ص ص 23-26، وانظر كذلك: أنيس فريحة: نظريات في اللغة: ص ص17-21، والدكتور توفيق محمد شـاهين، علم اللغة العام: ص ص55-57، والدكتور كاصد ياسر الزيدي: فقه اللغة العربية ص ص47-52.

2.4 الإعـــــــراب

الإعراب لغة هو الإبانة والإيضاح، وأعرب عنه لســانه، أبان وأفصح ويقال للرجل إذا أفصح بالكلام: أعرب، وروي عن النبي عليه الصلاة والســلام، أنه قال:" الثيِّب تُعْرِبُ عن نفسها، أي تفصح" [1].

واســتفاد النحاة من هذا المعنى اللغوي للفظ الإعراب، فاتخذوه اصطلاحاً وأطلقوه علــى الحــركات التي تظهر علــى آخر الكلمات وذلــك لأنهم " لما رأوا في أواخر الأســماء والأفعــال حركات تدل على المعاني وتبين عنها ســموها إعرابــاً أي بياناً [2] لذلك نجد ابن جنــي يعرِّف الإعــراب بأنه " الإبانة عن المعانــي بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا ســمعت، أكرم ســعيد أباه، وشــكر ســعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شــرجاً واحداً لاســتبهم أحدهما من صاحبه"[3] وفي الســياق نفسه، يقرر ابن فارس بأن الإعراب" هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أن القائل إذا قال: ما أحســن زيد لم يفرق بين التعجب والاســتفهام والذم إلا بالإعــراب، وكذلك إذا قال: ضرب أخوك أخانا ووجهك وجْهُ حرٍّ، ووجهك وجهٌ حرٌّ، وما أشــبه ذلك من الكلام المشــتبه [4] والإعراب فيه ناحية أخرى، في تقديري، هي التي جعلت الزجاجي يسمى النحو إعراباً والإعراب نحواً[5]، وهذه الناحية هي عدم اللحن ففي اللسان: " أعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب"[6] وهذا يعني أن كل حركة تلحق أواخر الأسماء أو الأفعال سواء أكانت معربة أم مبنية تعتبر إعراباً ؛ فالقــارئ أو المتحدث إذا أراد أن يعــرب فعليه أن يعطي آخر كل كلمة حقها من الحركة، بغــض النظــر عن قيمتها الدلالية، بمعنى أن مراعاة حركة البنــاء أيضاً تعتبر من الإعراب، وأن عدم مراعاتها يعتبر لحناً، فالاسم سيبويه -مثلاً- مبنى على الكسر فلو نطق ساكناً أو مضموماً أو مفتوحاً فإن هذا النطق يعتبر لحناً.

ويمكننا أن نســتنتج من قول ابن هشام "والأصل في الإعراب أن يكــون للفــرق بين المعانـــــي"[7] أن هنــاك دلالة أخرى، غير الأصل، لمصطلح الإعــراب وهي التغيير اللفظي الظاهــر الــذي يلحق أواخر الكلمــات عند تركيبها فــي جمل أو عبــارات ؛ وعليه فالحركة

---

(1) اللسان مادة عرب.
(2) الإيضاح في علل النحو: ص91.
(3) الخصائص: 1/35.
(4) الصاحبي : 66-65.
(5) الإيضاح : ص 91.
(6) السابق نفسه.
(7) شذور الذهب : ص 158 .

الإعرابية أو الإعراب وسيلة نحوية تؤدي غرضين في العربية:

(1) الغــرض المعنوي: وهو دلالة الحركات على المعانــي النحوية أو الوظائف التركيبية والعلاقــات النحوية بين ألفاظ التركيب كالفاعلية والمفعولية والاضافة وغيرها فكأن الحركة علامة مادية تشير إليها.

(2) الغــرض الشــكلي: الذي يتحقق بمراعــاة الحركة الواجبة على أواخر الكلمات ســواء أكانت معربة أم مبنية، وهو التغيير اللفظي الذي يلحق الكلمات، وهذا يتناســب مع ما جاء في كتاب ســيبويه على لســان الخليل بن أحمد من " أن الفتحة والكسرة والضمة زوائــد وهن يلحقن الحرف ليوصــل إلى التكلم به"[1] فهذه الحركات تيســر للفظ أن يتكيــف مع ما يجــاوره صوتياً بحيث يتيــح للناطق أن ينتقل من لفــظ إلى آخر دون توقف وبسهولة ومرونة.....

وفي الوقت الذي نصرّ فيه على أن يكون للحركات مثل هذا الدور في أواخر الكلمات المبنيــة والمعربة، لا نســتطيع أن ننســاق مع قطرب (ت 206 هـــ) في اقتصار حركات الإعــراب على هذا الــدور وإنكاره أن يكون لها دور آخر هو الدلالــة على المعاني النحوية وبيــان العلاقات فيما بيــن الألفاظ في العبــارة اللغوية بقوله: " لم يعــرب الكلام للدلالة علــى المعاني والفرق بين بعضها وبعــض... فلو كان الإعراب إنما دخل الكلام للفرق بين المعانــي، لوجــب أن يكون لكل معنــى إعراب يدل عليــه ولا يزول إلا بزوالــه "[2] وهكذا ينفــي أن يكون للأعراب دلالة وظيفية ويجعل حركات الإعــراب مقتصرة على دور واحد هــو وصل الكلام عند الإدراج ويســوق حجته: " إنما أعربتِ العرب كلامها لأن الاســم في حال الوقف يلزمه الســكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان فــي الوقف والوصل، وكانوا يبطئــون عند الإدراج فلمــا وصلــــوا وأمكـــنهم التحريك جعلـــوا التحريك معاقباً للإســـكان ليعتدل الكلام... "[3] وهكذا، في رأيه، كان للتحريك دور واحــد هو أن يكون بديلاً، للتســكين، لأن التحريك يســاعد المتكلم على وصل الكلام بعضــه ببعض، بحيث يتمكن من إدراج الكلمة بســرعة، حيث الســكون على آخر كل كلمة يجعل الحدث بطيئاً متقطعاً مما يفقده حسن وقعه في السمع.

ويتلقــف الدكتور إبراهيم أنيس هذه النظرية ويحاول بكل ما أوتي من قوة فكرية أن يجعــل منها حقيقة علمية فلم يكتف بنفي أن يكون للإعــراب دلالة على المعاني بقوله: "

---

(1) الكتاب : 4/241/242.
(2) الإيضاح في علل النحو : ص 69.
(3) السابق نفسه.

لــم تكن تلك الحركات الإعرابية تحــدد المعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة، بــل لا تعدو أن تكون حــركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيــان لوصل الكلمات بعضها ببعض" فحصــر الحركة الإعرابية في دور صوتي هو تســهيل نطــق الكلمات عند الإدراج مستنداً إلى ما نقله سيبويه عن الخليل بقوله " وقد قرر بعض المتقدمين من ثقات العلماء أن وظيفــة الحركــة الإعرابية لا تعدو أن تكون لوصل الكلمــات بعضها ببعض في الكلام المتصل لذلك جاز سقوطها في الوقف وجاز سقوطها في بعض المواضع من الشعر، وإن اعتبروا هذا من الضرورات الشــعرية، فيقول ســيبويه (وزعم الخليل أن الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به)[1].

ولم يقف عند هذا الحد، كما قلنا، بل إنه حاول هدم فكرة الإعراب من أساســها بنفي أصالتهــا عند العــرب وأنها لم تكن في متناولهم أو من معالم حديثهم الســليقية وإنها من صنــع النحاة حيث يقــول: "إن ظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة ســليقية في متناول العرب جميعــاً كما يقول النحاة، بل كانت صفــة من صفات اللغة النموذجية الأدبية، ولم تكن من معالــم الكلام العربي فــي أحاديث الناس ولهجــات خطابهم وإما أن ننكــر تلك الروايات (يقصــد روايات الكلامالملحون) في جملتها، وأن نقــول إنها من صنع بعض النحاة بعد أن أسســوا قواعدهم وأصولهم رغبــة منهم في أن يظهروا كل مــن عداهم بمظهر العجز، وأن ينفردوا هم بمعرفة تلك المقاييس الإعرابية... وحين استقرت لهم قواعدهم الإعرابية فرضوها على الفصحاء من العرب، وفرضوها على الفحول من الشــعراء، ثم فرضوها في آخر الأمر على أصحاب القراءات، فمن أين أتى لهم كل هذا السلطان؟ لا ندري.."[2].

وفي محاولة يســودها التشــويش والاضطراب يتجه إلى ما حدث في اللغات السامية أو فــي اللغات الهنديــة الأوروبية وما أصابها مــن تطور فقدت معه كثيــراً من ظواهرها فيزعــم: " لمــا وجدوا (في العبرية) أن هذه النهايات (الإعرابية) التي تصادف وجودها فــي عدد قليل من الكلمات لا تنطبق على مــا نعهده في النحو العربي من الربط بين الفتح والمفعولية، وبين الكسر والإضافة وبين الضم والفاعلية، زعموا أن تلك النهايات قد فقدت دلالتها (في العبريــة)[3]، ويقول كذلك " لا أكاد أتصور أن العربية تحتفظ بمثل هذا النظام الإعرابي الدقيق...ثم يندثر كل هذا في اللغات السامية الأخرى [4].

وخلاصة هذه التصورات وأدلتها التي يصوغها أحياناً في صورة أسئلة يمكن إيجازها بما يلي مع الرد عليها في ادعائه عدم أصالة الإعراب، ودلالته على المعاني:

(1) قولــه لم تحدد الحركات الإعرابية المعاني في أذهان القدماء من العرب: كلام مردود

---

(1) السابق نفسه.

(2) نفسه، ص203،209.

(3) نفسه: 214-215.

(4) نفسه .

عليــه من خلال أمثلة رويت عن العرب، فهذا أعرابي حينما يســمع المؤذن الذي أخطأ فقال: أشهد أن محمداً رسولَ الله بدل أن يقول رسولُ الله وظل الأعرابي يردد: ما بال محمد ويلك ؟! حيث المؤذن نصب كلمة رســول لم يخبر وإنما وصف وظل الكلام بلا خبر، وهذا ما أدركه الأعرابي ولا سبب لهذا الإدراك سوى الحركة الإعرابية.

وأعرابي آخر يســمع قوله تعالى: (إن الله بريء من المشــركين ورسولِه) بكسر كلمة رســول عطفاً على المشــركين، فما كان منه إلا أن قال إذا كان الله قد برئ من الرسول فأنــا بريء منه أيضاً، ترى من أين فهم هذا الأعرابــي هذا المعنى؟! ولا دليل على هذا الفهم ســوى العطف لوجود الكسـرة على آخر كلمة رسوله، أي من الحركة الإعرابية، ثــم هذا الحــوار الذي دار بين أبي الأســود الدؤلي وابنته، ألا يــدل دلالة واضحة على الفروق المعنوية التي أتاحتها الحركات الإعرابية من: ما أجملُ الســماءِ ؟ برفع أجمل وجر الســماء، الصيغة الإعرابية التي تدل على الاســتفهام فيجيبها بناء على هذا الفهم بأنها النجوم، فتقول له ابنته أردت التعجب فأمرها أن تقول: ما أجملَ السماءَ ! والأمثلة تفوق الحصر التي تفرق فيها الحركة الإعرابية بين المعاني قديماً، وما زالت كذلك إلى وقتنا، وأليســت دليلاً على أن القدماء قد فهمــوا من لغتهم ما نفهمه منها الآن ؟! وهم أولى منا بذلك.

(2)ادعاؤه أن الحركات يحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض معتمداً على ما نقله ســيبويه، ويظاهره في ذلك فؤاد ترزي بقوله " فإننا نعتقد بأنها (أي حركات الإعراب)، إنما وجدت في الأصل لغرض لفظي هو تيسير ارتباط الألفاظ بعضها ببعض، ولكنها استغلت من النحاة فيما بعد لأغراض معنوية في محاولة منهم لتقريــر حركة واحدة للوضع الواحد[1] وكلاهما يحتــج كذلك بأنهم كثيراً ما يلجؤون إلى التحريك عند التقاء الساكنين، وإننا قد أقررنا سابقاً بأن الحركة الإعرابية قد تأتى لتيســير وصل الكلام وتســهيل تلاحق الكلمات، ولكننا لا نقر أبداً بأن الغاية الوحيدة مــن وجودهــا مثل هذا الأمــر بدليل قول د. أنيس نفســه: يحتاج إليها فــي الكثير من الأحيــان، أي ليــس كل الأحيان، وكذلك تــرزي يقول قبل كلامه آنف الذكر مباشــرة: "قــد يصح الافتراض أن بعضاً منها (أي الحركات الإعرابية) ربما قام في عهد متقدم نســبياً على أســاس معنوي لإزالة الالتباس أو تقرير معنى كما هــو الحال في الفاعل والمفعــول..."[2] ولا أدري حقاً ما يمنع أن يظــل الذي تم في العهد المتقدم قائماً إلى وقتنا هذا وإلى يوم الدين ما دامت اللغة بقواعدها قائمة؟!.

وأمــا اعتماد د. أنيس على ما نقله ســيبويه عن الخليل فإنه لا حجة له فيه حيث النص

(1) في أصول اللغة والنحو: ص187.

(2) السابق نفسه.

على أنهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التكلم به " ولا يلحقن الكلمة ولا يمكن الاحتجاج بأن سيبويه قد يقصد بالحرف أحياناً الكلمة، لأن المقام الذي سيقت فيه هذه العبارة هو حروف البدل والإعلال، أي الحروف أو (الأصوات) التي يبدل بعضها من بعض داخل الكلمات، كالهمزة التي تبدل من الياء والواو في القضاء والشقاء، وأبدل الدال من التاء في مثل ازدجر وهكذا.... الخ، ودخول الحركات على الحروف أمر طبيعي لأنه لا يمكن في الكلمات العربية أن يتوالى حرفان ساكنان لا في كلمة واحدة ولا في كلمتين متواليتين، وعليه يكون قصد الخليل دخول الحركات على الحروف السابقة على الحرف الأخير ليمكن نطقها، ومن الطبيعي أن تلحق الحرف الأخير حركة الإعراب أو حركة البناء.

(3) افتراضه أن الأصل في الكلمات ألا تكون محركة الآخر وأن للإعراب أسساً أخرى غير أسس النحاة مستتراً بالبحث العلمي البحت، فقد فسره بظاهرة تتصل اتصالاً وثيقاً بوصل الكلام وهي ما يسمى التقاء الساكنين[1] ويقول كذلك والظاهر من أقوال النحاة أن التخلص من التقاء الساكنين كان شائعاً بين جميع القبائل، والتخلص من التقاء الساكنين إنما يكون بالكسر أحياناً وبالضم أحياناً وبالفتح أحياناً ولكنهم قصروا أمره على تلك الكلمات التي لا يعقل أن تنسب لها الفاعلية أو المفعولية ونحو ذلك[2]، وفي الحقيقة أن هذا حديث متهافت فليس كل حركة إعراب أو بناء في اللغة هي للتخلص من الساكنين، بل إنه في بعض الأحيان يتم بحذف حرف العلة أو كما يقال في علم الأصوات تقصير المد الطويل في مثل: لم يَبِع، لم يَقُل، لم يزَل، فالتخلص من الساكنين بين الكلمتين المتجاورتين ظاهرة جزئية في اللغة فلا يمكن تعليل وجود الحركات في أساليب اللغة على طريقة التخلص من الساكنين[3].

(4) يقرر خلو اللهجات من الحركات الحديثة والقديمة أيضاً حين يقول بعد روايته مجموعة من اللحون ليستدل على أن الإعراب ليست ظاهرة سليقة عند العرب في لهجات خطابهم وفي الوقت نفسه يعترف بوجوده في اللغة الأدبية بقوله: " وعلى هذا يمكننا أن نتصور أن ظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة سليقة في متناول العرب جميعاً كما يقول النحاة بل كانت صفة اللغة النموذجية الأدبية من صفات ولم تكن

---

(1) من أسرار اللغة: ص-248 ص249.

(2) السابق: ص253.

(3) انظر رد الدكتور داوود عبده في كتابه: أبحاث في اللغة العربية «الفصل العاشر حول حركات الإعراب، على الدكتور إبراهيم أنيس فيما قرره من أن السكون هو الأصل في العربية.

من معالم الكلام العربي في أحاديث الناس ولهجات خطابهم[1]، ويمكننا أن نرد عليه بأن ذكر اللحن وقلة المروي منه دليل على أنه خروج عن القاعدة الأصلية وليس دليلاً على أن العربي تكلم بغير لهجته أو باللغة النموذجية فأخطأ الصواب.

وينتقل إلى الحديث عن خلو اللهجات العربية الحديثة من الإعراب ليثبت أن العربية تخلو من ظاهرة الإعراب، لأنها لو وجدت فيها لتركت آثارها في اللهجات الحديثة إذ يقول: " أمام كل هذا أخذت أسائل نفسي كيف اختصت اللغة بهذا الإعراب ؟ وكيف فقدته كل لهجاتها الحديثة التي ليست إلا تطوراً لها ؟ كيف نتصور أن لهجات الكلام في كل البيئات العربية، في العراق وفي الشام وفي مصر وبلاد المغرب وفي اليمن وفي البيئة الحجازية مهد الوحي وحيث نزل القرآن الكريم وهو خير كتاب بالعربية أخرج للناس، أقول كيف نتصور أن ظاهرة الإعراب لا تترك في كل هذه البيئات أثراً، ولا تخلف فيها ما يوحي بأن الإعراب كان شائعاً على ألسنة الناس في العصور الإسلامية الأولى ؟ كما يحاول الرواة أن يفهمونا لو أن أمراً نزل من السماء ينهي الناس عن الإعراب وينذرهم بالجحيم وسوء المصير، إن استمسكوا به، ما كان هذا في رأيي، كافياً للقضاء على كل ظواهر الإعراب من ألسنتهم كما نرى الآن نتساءل بعد هذا كيف إذن نشأ هذا الإعراب الذي نظمه لنا النحاة، وألفوا لنا فيه المجلدات الضخمة ؟![2] إن هذا الكلام فيه مغالطة لأنه يعلم تمام العلم كيف تنشأ اللهجات فهو يقول في حديثه إن اللهجات ليست إلا تطوراً للغة ولا يأتي هذه التطور طفرة حتى نقول أنها تخلت عن ظاهرة الإعراب مثلاً دفعة واحدة، فالتطور اللغوي يأتي نتيجة لقانون طبيعي هو الميل إلى السهولة فتخففت لغة الخطاب شيئاً فشيئاً من قواعد الإعراب المتشعبة، وسادت روح التساهل والتجاوز لسبب لغوي آخر هو تداخل الحركات الإعرابية وتعاورها المكان الواحد، وتبادلها المواضع مما خلق سبلاً للتوسعة والتخفيف، ثم البناء الذي أصبح قرينة قوية لدى الناطقين بالعربية على أن الألفاظ يمكن أن تؤدي معانيها النحوية دون تحريك أواخرها بما تقتضيه العوامل فأصبح الترتيب أو التنغيم هو الذي ينوب مناب الحركة الإعرابية في أداء الوظائف النحوية في حالة الاسم المبني، ونستطيع أن نعتبر الوقف أحد العناصر الفعالة باتجاه حركة تسكين أواخر الكلمات في العربية والاستغناء عن الحركة الإعرابية، حتى إن المبرد[3]، لبعد نظره، منع التسكين في حركة الإعراب، في القراءات القرآنية ولحن

---

(1) من أسرار اللغة: ص203.
(2) السابق: ص215-216.
(3) البحر المحيط: 1/206.

أبـا عمرو بن العلاء على مثل هـذه القراءة. وهكذا اطرح النظام الإعرابي في اللهجات الحديثة بدلالته على المعاني واسـتعاضت عنه اللهجات بالموقعية أو التنظيم الخاص للمفردات للإبانة والإفهام.

ولكن كل هذا لا يعني أن العرب في أقطارهم تخلو لغتهم تماماً عن الحركات دون الانتباه لدلالتها أو قصدها فما زلنا نقول: السـلامُ عليكم، برفع السـلام، وخصوصاً، وصبـاحُ الخير، وفي المثل يقال: إمٍّ لسـان غلبت أمِّ فعال، وطبعـاً، ومثلاً، بدايةً، أهلاً وسهلاً، دايماً.... الخ.

ويختـم كلامه في هذا الشـأن بحديث خال مـن المنطق بافتراضـه أن النحاة قد اخترعـوا قواعد النحو ومعهـا علامات الإعراب طبعاً، وفرضـوه على الفصحاء حتى يثبـت أن الإعراب ليس أصيلاً فـي العربية؛ وانظر إليه كيف يتناقض مع نفسـه حين ذكـر أنهم اعتمدوا في اختراعهم على أسـاس نسـجوا على منوالـه وقاموا عليه حيث يقول: "ليس من المعقول أن نزعم أنه كان (أي الإعراب) كله من نسج خيالهم، وأنهم اخترعوه اختراعاً أو ارتجلوا قواعده ارتجالاً دون أسـاس اعتمدوا عليه ودون سـماع بعـض ظواهـره على الأقل، من أفواه الفصحاء من العرب في صدر الإسـلام على أننا ندرك تمام الإدراك أن النحاة قد ابتكروا ظواهر الإعراب وقاسـوا بعض أصوله، رغبة منهـم فـي الوصول إلى قواعد مطردة منسـجمة "[1]، " فرضوها علـى الفصحاء من العرب، وفرضوها على الفحول من الشـعراء... وعلـى أصحاب القراءات فمن أين كل هذا السلطان لا ندري؟!"[2] وتساؤله هذا يهدم أقواله لأنه لا سلطان لهم، ولا اختراع، بل هو بحث واستقصاء من علماء قاموا باستقراء للواقع اللغوي الذي عاشوه واستنبطوا قواعـده، لا يجـوز معه اتهامهم بالكـذب والاختراع الذي توهمه فـي تصور لم يثبته علمياً.

(5) ويدعـي الدكتور أنيس أيضاً انفراد العربية بظاهرة الإعراب دون أخواتها السـاميات بقولـه "لا أكاد أتصـور أن العربية وحدها تحتفظ بمثل هـذا النظام الإعرابي الدقيق، هذا النظام المعقد الذي أعيا السـابقين واللاحقين من أبناء العربية، ثم يندثر كل هذا في اللغات السامية الأخرى غير مخلف فيها إلا تلك الآثار الضئيلة النادرة التي يلمحها المستشـرقون في بعض هذه اللغات"[3] بعد أن يبدي في موضع سـابق شـكوكه في

(1)إبراهيم أنيس: السابق نفسه.
(2) السابق: ص209.
(3) السابق: ص215.

وجود هذه الظاهرة الإعرابية في اللغات السامية الأخرى مع أن المستشرقين لم يألوا جهداً في تلمس الإعراب فيها بقوله: " ولعل المستشرقين حين شاهدوا الإعراب في اللغة العربية وخلوّ اللغات الأخرى قد خضعوا لمبدئهم العام من أن العربية قد احتفظت بظواهر لغوية قديمة أكثر من غيرها، وظنوا الإعراب من بين تلك الظواهر التي ربما تعود إلى السامية الأولى، ولذا نراهم يجهدون أنفسهم وقرائحهم في تلمس آثار لظاهرة الإعراب في اللغات السامية الأخرى، ثم حدثونا عن تلك الآثار بما لمسناه من آراء لا تكاد تطمئن إليها نفس الباحث المنصف"[1]، وكأن الدارسين كلهم، من المستشرقين وغيرهم، الذين أثبتوا بما لا يدع مجالاً للشك في أصالة الظاهرة في اللغات السامية ومنها العربية، ليسوا من الباحثين المنصفين.

وليس أمامنا الآن إلا أن نقيم الحجة على الدكتور إبراهيم أنيس بأن الإعراب ظاهرة سامية مشتركة بقيت في بعض اللغات السامية كالأكدية والعربية، وما زال لها آثار في لغات أخرى وليس في إثبات هذا الأمر أي تلمُّس، وإنما هو لمس وإدراك للحقائق فهذا كارل بروكلمان بعد أن يذكر أن اللغة السامية الأولى كانت تفرق بين حالات الرفع والجر والنصب يقول: " وقد احتفظت العربية القديمة بحالات الإعراب الثلاث الرئيسية سالمة.... وفي الحبشية بقيت حالة الرفع في الأعداد لا غير... وفي العبرية لم تبق كذلك الاحالة النصب...وفي الآرامية لم يبق، فيما عدا حالة النصب في آرامية العهد القديم إلا بعض حالات الإعراب المتجمدة قبل الضمائر المتصلة... وفي البابلية القديمة (يقصد الأكدية)[2] لا تزال حالات الإعراب الثلاث... "[3] ويثبت الدكتور عامر سليمان[4] بأن اللغة الأكدية احتفظت بحالات الإعراب الثلاث في الاسم المفرد: الضمة للرفع والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجر: بيتُم، بيتَم، بيتِم، (البيت في العربية) أما المثنى فعلامة إعرابه الألف والنون في حالة الرفع والياء والنون في حالتي النصب والجر كما في أزنان في حالة الرفع، وأزنين في حالتي النصب والجر (وهي أذنان العربية) فهذا التشابه إلى حد التطابق بين الأكدية والعربية يدحض تشكيك الدكتور إبراهيم أنيس في أصالة الإعراب في الساميات. والأكدية من أقدم اللغات السامية وهي موجودة في العراق منذ القرن الألف الرابع قبل الميلاد، وأصبحت لغة الخطاب العامة في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد، وأخذت طريقها إلى التدوين بقيام الدولة الأكدية حتى بداية التاريخ الميلادي فقد عمرت

---

(1) نفسه.

(2) كان يطلق عليها اللغة البابلية الآشورية «ومنذ الخمسينيات من هذا القرن تعارف الباحثون على تسمية تلك اللغة باللغة الأكدية» انظر: ص8 من كتاب اللغة الأكدية للدكتور عامر سليمان.

(3) فقه اللغات السامية: ترجمة رمضان عبد التواب: ص ص100-102.

(4) اللغة الأكدية: ص ص206-207.

مــدة تزيــد على الألفي عــام حلت الآرامية محلهــا التي أصبحت بخطهــا الأبجدي هي لغة التدوين، وبدأت العربيـــة تحتــل مكــانها شيئــاً فشيئــاً حيث اكتمــل لها ذلــك بنـــزول القرآن الكريم وظهور الإسلام[1].

ويســوق الدكتور رمضان عبد التواب شــاهداً من الحبشـــة على أصالة الإعراب حيث يقــول: " إن اللغة الحبشــية، تكفي هي الأخرى للتدليل على أصالــة الإعراب، ودلالته على المعانــي فــي اللغة العربية إذ تظهر في الحبشــية حالــة النصب التي تطابــق من الناحية الإعرابيــة نظيرتها فــي اللغة العربية إلى حد كبير، ففي الحبشــية يقــال مثلاً: RE'IKU HATI'ATA " رأيــت خطيئــة "[2]. ونختتــم حديثنا في هــذا المقام بشــهادة يوهان فك علــى قدم الإعراب في العربية وأنه من الســمات الموروثة وليــس مخترعاً، حيث يقول: " لقــد احتفظت العربية الفصحى، في ظاهرة التصرف الإعرابي، بســمة من أقدم الســمات اللغوية التي فقدتها جميع اللغات الســامية - باســتثناء البابلية القديمة، قبل عصر نموها وازدهارهــا الأدبي، وقد احتدم النزاع حــول بقاء هذا التصرف الإعرابي في لغة التخاطب الحي، فأشــعار عرب البادية - قبل الإســلام وفي عصوره الأولى - ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان، كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين العرب كانوا - حتى القرن الرابع الهجري والعاشــر الميلادي على الأقل، يختلفون إلى عرب البادية ليدرســوا لغتهم، تدل على أن التصرف الإعرابي كان في أوج ازدهاره آنذاك "[3].

ويجب ألا يغيب عن بالنا أن بعض المستشرقين قد سبقوا الدكتور أنيس إلى التشكيك في حقيقة الإعراب، كالمستشرق "كارل فوللرز" الذي كان يرى أن النص الأصلي للقرآن، قــد كتب بإحــدى اللهجات الشــعبية، التي كانت ســائدة في الحجاز، والتــي لا يوجد فيها كمــا لا يوجد في غيرها، تلك النهايات المســماة بالإعراب، وأنه انتقــل إلى هذا النص فيما بعد، الشــكل الأدبي للغة العربية، الذي هــو عليه الآن. وهو يرى أن العربية الفصحى التي رواهــا لنا النحويون العرب، والتي توجد في القرآن، كما احتفظ بها الشــعر في موازينه، هــذه العربية يراهــا "فوللرز" مصنوعة، وهو ينكر على الإطلاق أن تكون هذه اللغة كانت حيــة فــي مكة، على عهد النبي صلى الله عليه وســلم، كما يشــك أن البــدو الذين خرج من بينهم الشــعراء، كانوا يتكلمون هذه اللغة[4]، ويخلــص باول كاله Paul Kahle إلى الرأي

---

(1) السابق: ص38 وما بعدها.

(2) فصول في فقه العربية: ص34.

(3) فِك، العربية: ترجمة رمضان عبد التواب: ص15.

* ونكتفي بما ذكرنـــاه من الأدلـــة والشـهـــادات ومن أراد أن يســـتزيد فبإمكانــه أن يرجع إلى: التطور النحوي لبر جشتر اسر ص116، وتاريخ اللغات السامية لمؤلفه ولفنسون ص15 وفقه اللغة المقارن للدكتور إبراهيم السامرائي ص ص118-124، وغيرها.

(4) رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص ص 333-334.

نفســه حين يقول: "... والنص القرآني الخالي من الضبط بالشــكل يعكس بوضوح اللغة العربية التي كانت تتكلم في مكة... وقد اتخذت المادة (يقصد الأشعار، والحكايات وأخبار الحروب التي جمعت تحت عنوان "أيام العرب")، أساساً للعربية النموذجية، التي ابتدعها النحويــون، ثم حذيت لغة القرآن علــى نمطها..."[1]. ويبدو أن الغاية من نفي الإعراب هي التشكيك في لغة القرآن الكريم وإعجازه، وما الإعراب إلا وسيلتهم لذلك وكان على الدكتور أنيس ألاّ ينســاق في هذا التوجه. وقد جاء الرد عليهم من مستشرق آخر وهو نولوكه الذي يقول:"من الخطأ الشــنيع، الاعتقــاد بأن اللغة الحية في عهد النبــي محمد صلى الله عليه وســلم، لم يكن فيها إعراب؛ فإن العلماء في عصر هارون الرشــيد قد وجدوا الإعراب بكل دقائقه لدى البدو..."[2] وفي موضع آخر يذكر أنه "لو كان النبي صلى الله عليه وسلم، أو أحد معارضيه من المؤمنين، قد نطق بالقرآن دون إعراب، لكان من غير الممكن أن تضيع الروايات الخاصة بذلك، دون أن يبقى لها آثار فيها"[3].



أسئلة التقويم الذاتي (7)

1. مــا معنــى الإعــراب لغــة واصطلاحــاً ؟ وما الغرضان اللــذان يؤديهما الإعراب في العربية ؟
2. حــاول أن يثبت الدكتور إبراهيم أنيس أن الإعراب ليس له دلالة على المعاني فســاق عدة أدلة، فما هي ؟ وكيف ترد عليها ؟



تدريب (7)

1. قال ابن فارس عن الإعراب بأنه هو الفارق بين المعاني ألا ترى أن القائل إذا قال: ما أحســن زيد لم يفرق بين التعجب والاســتفهام والذم إلاّ بالإعراب، كيف تفســرقوله هذا؟
2. اذكر طريقتين للتخلص من الساكنين في العربية.

---

(1) المرجع السابق: 334-335.
(2) السابق: ص337.
(3) السابق نفسه.

5. الخلاصة

قد بيناً في هذه الوحدة ما يأتي:

1. دوافع البحث اللساني عند العرب من قومية إلى دينية إلى ذاتية.
2. فندنا الاتهام الموجه إلى أبي الأسود من أنه أخذ النقط عن السريان، تاريخياً وموضوعياً.
3. فندنا كذلك اقتباس النحو العربي اصطلاحاته في نشأته من النحو اليوناني.
4. بيّنا وجهات نظر علمائنا الفكرية التي استفادها النحو العربي بعد نشأته من المنطق اليوناني.
5. بيّنا وجهات نظر علمائنا في نشأة اللغات والغرض من الإعراب في العربية.
6. فندنا وجهة نظر الدكتور إبراهيم أنيس في قوله إن الإعراب ليس له من غرض سوى وصل الكلام.

6. لمحة عن الوحدة الدراسية الثالثة

سنتحدث في الوحدة التالية عن تقسيم اللغات إلى أسر على أساسين تشكيلي وقرابة لغوية للغات السامية والحامية والهندية الأوروبية، وغيرهما ثم بيان خصائص اللغات السامية، وخصائص العربية وسنتحدث عن النقوش العربية القديمة للغات الثمودية والصفوية واللحيانية.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

هما: داخلي يتمثل في اللحن الذي فشا على ألسنة العرب فضلاً عن العجم. خارجي وهو مواجهة الثقافات الواردة والانتقاص من الجنس العربي في قدراته.

تدريب (2)

1. الفتحة نقطة بين يدي الحرف -َ/ الضمة نقطة على آخره:-ُ/

الكسرة نقطة تحت الحرف ـِـ/ التنوين (الغنة) بتكرار النقطة أي تنوين الفتح والضم والكسر يستدل عليه بنقطتين في الأماكن نفسها.

2. التعليلات الشكلية هي القائمة على الاهتمام بالضبط الإعرابي والصنعة النحوية على حساب معاني الكلام كإصرار البصريين على أنه لا يلي إذا أو إنْ إلا الجملة الفعلية في مثل "إذا السماء انشقت" فيعربون السماء فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل الموجود فيتكلفون التقدير إذا انشقت السماء انشقت، مراعاة للشكل بينما يعربها غيرهم مبتدأ أو فاعلاً مقدماً مراعياً المعنى دون الاهتمام بالشكل. أما التعليلات المعنوية فيمكننا أن نضرب لها مثلاً عدم دخول أن على خبر أفعال الشروع، لأن أفعال الشروع تعني أن الحدث قد بدأ، وأن تفيد أنه سيحصل في المستقبل وفي ذلك تناقض منع دخولها.

تدريب (3)

1. استنتج أنهما لم يلتقيا، وأن الأول لا يمكن أن يكون قد أخذ عن الثاني.
2. أفهم ذلك من أن بعضهم يتهم الخليل بالتأثر بالنحو اليوناني وينفي عمن وليه ذلك وبعضهم الآخر يتهم سيبويه وينفي عمن سبقه.

تدريب (4)

لأن حركة الترجمة اقتضت الانفتاح على الثقافة اليونانية بمنطقها وفلسفتها، وأما حركة الاعتزال فاحتاجت إلى الجدل والنقاش والنظر العقلي.

تدريب (5)

لا يمكن أن يكون دليلاً إلاّ إذا ثبت التأثر. أما إذا كان السبق الزمني مبنياً على التصورات والافتراضات والاحتمالات فلا يثبت شيئاً.

تدريب (6)

1. المقصود بالتوقيف: إنها إلهام من الله وبتعليم منه.

المقصود بالاصطلاح: أن البشر اتفقوا عليها وعيّنوا لكل لفظ معناه.

2. "وعلم آدم الأسماء كلها" أهل التوقيف: أن الله عز وجل قد علّم عباده، بطريقة ما، الألفاظ ومعانيها. أما أهل الاصطلاح فقد يرون أن الله قد خلق في عباده القدرة على وضع اللغة ومعانيها.

تدريب (7)

1. أ. ما أحسنَ زيداً ! (للتعجب).

ب. ما أحسنَ زيدٌ. (نفي للذم).

جـ. ما أحسنُ زيدٍ؟ (للاستفهام).

2. أ. تحريك الساكن الأول منهما - (لم يتأخرِ الطالب).

ب. تقصير العلة الطويلة - (لم يَتبِع، لم يَنم، لم يقُلْ).



8. المراجع

أ. المراجع العربية:

1. الإبراشي: محمد عطية، الآداب السامية، ط2، بيروت: دار الحداثة، 1984م.
2. أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ط9، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1979م.
3. الأنصاري، ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، شرح شذور الذهب، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر، بلات.
4. أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ط3، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1976م.
5. أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1976م.
6. بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم النجار، مصر: دار المعارف، 1961م.
7. ترزي، فؤاد حنا، في أصول اللغة والنحو، بيروت: 1969م.
8. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، بلات.
9. حسان، تمام، الأصول، مصر، بغداد: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988م.
10. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، ط2، القاهرة: دار الفكر، 1398هـ- 1978م.
11. الدجني، فتحي،النزعة المنطقية في النحو العربي، الكويت: وكالة المطبوعات، بلات.
12. رشدي، زاكية، السريانية نحوها وصرفها، ط2، القاهرة: دار الثقافة، 1978م.
13. رمضان، عبد التواب، فصول في فقه العربية، القاهرة: دار المسلم للطباعة والنشر، 1979م.

14. الزجاجـي، الإيضــاح في علل النحو، تحقيق مازن المبــارك، بيروت: دار النفائس، 1973م.
15. الزيدي، كاصد ياســر، فقه اللغة العربية، الموصل: جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1407هـ-1987م.
16. ســيبويه، أبو البشــر عمرو بن عثمان، كتاب ســيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
17. الســيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقه، دار الفكر: بلات.
18. شاهين، توفيق، علم اللغة العام، ط1، القاهرة، الاسكندرية: مكتبة وهبه، 1400هـ-1980م.
19. ظاظا، حسن، الساميون ولغاتهم، الاسكندرية: مطبعة المصري: بلات.
20. عامر، ســليمان، اللغــة الأكدية، الموصل: جامعة الموصــل: وزارة التعليم والبحث العلمي، دار الكتب للطباعة والنشر، 1412هـ-1991م.
21. عبـد الحميد، حســن، القواعد النحويــة، مادتها وطريقتهــا، ط2، القاهرة: الإنجلو المصرية، 1953م.
22. عبده، داوود، أبحاث في اللغة العربية، بيروت: مكتبة لبنان، 1973م.
23. عمايــرة، إســماعيل، المستشــرقون ونظرياتهــم فــي نشــأة الدراســات اللغويــة العربية،ط1، إربد: دار الملاحي للنشر والتوزيع، 1408هـ-1987م.
24. عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي، عند العرب، ط4، القاهرة: عالم الكتب، 1396هـ-1976م.
25. عون، حسن، اللغة والنحو، ط1، مصر: 1952م.
26. ابــن فارس، أحمــد، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومســائلها وســنن العرب في كلامها، تحقيق عمر الطبّاع، ط1، بيروت: مكتبة المعارف، 1414هـ-1993م.
27. فريحة، أنيس، نظريات في اللغة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، بلات.
28. فريحة، أنيس، نظريات في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، بيروت: 1980م.
29. فــك، يوهـــان، العربيـــة، ترجمـــة رمضان عبد التواب، مصر: مكتبة الخانجي، 1400هـ- 1980م.
30. ابن منظور، لسان العرب، مصر: دار المعارف، بلات.
31. المخزومي، مهدي، عبقري من البصرة، 1392هـ - 1972م.

32. أبو المكارم، علي، تقويم الفكر النحوي، بيروت: دار الثقافة، بلات.

33. ابن النديم، الفهرست، تحقيق فلوجل، بيروت: مكتبة خياط، بلات.

34. وافي،علـي عبـد الواحد،علم اللغـة،ط9، القاهرة:دار نهضة مصر للطبع والنشـر، بلات.

35. ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، بيروت: دار القلم 1980م.

36. حوليات الجامعة التونسية، العدد 22، 1983.

37. مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الأول، 1398هـ-1978-م.

ب. المراجع الأجنبية:

1. Haywodd, John: Arabic Lexicography, Leiden, Brill, 1965.

2. Jespersen,otto: Language, Itصs Nature, Development, and Origin, Allen and Unwin, London, 1922.

الوحدة الثالثة

أصـــول العربيـــة

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيـزي الدارس: أرحب بك لدراسـة الوحدة الثالثة من مقرر علم اللسـان العربي وعنوانها "أصول العربية" وهو عنوان أريد أن أثبت فيه موقع العربية من أسرة اللغات السامية، بعد بيان الأسر اللغوية التي تنتمي إليها اللغات وسأبين كذلك خصائص اللغات السـامية، مع التركيز على خصائص العربية صوتاً وصرفاً ونحواً، والصلة بينها وبين اللغات البائدة كالثمودية والصفوية من خلال النقوش العربية القديمة.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك بعد دراسة لهذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

1. توضح موقع العربية من أسرة اللغات السامية.
2. تبين أهمية الدراسات السامية في خدمة اللغة العربية.
3. تشـرح الصلـة بيـن العربيـة الفصحى والعربيـات البائـدة كالثموديـة والصفوية واللحيانية.
4. تشرح الصلة بين العربية واللغات الأخرى من غير الأسر السامية كالفارسية والتركية وبعض اللغات الأوروبية.
5. تحـدد خصائص العربية بخاصة وخصائص اللغات السـامية بعامة، وأثر ذلك على تاريخ العلاقة بين هذه اللغات وغيرها وبخاصة في مجال التعريب وتبادل المعاني والأساليب.

3.1 أقسام الوحدة

تقسم الوحدة إلى خمسة أقسام هي:

1. الأسر اللغوية ويغطي الهدف الرابع.
2. أسرة اللغات السامية ويغطي الهدف الأول.
3. خصائص اللغات السـامية أمثلة من الصوت والصـرف والنحو والمعنى ويغطي جزءاً آخر من الهدفين الأول والثاني.
4. خصائص العربية أمثلة من الصوت والصرف والنحو والمعنى ويغطي الهدف الثاني.
5. النقوش العربية القديمة، يغطي الهدف الثالث.

4.1 القراءات المساعدة

1. بروكلمان، كارل، فقه اللغات الســامية، ترجمة رمضان عبد التواب، الرياض. جامعة الرياض، 1397هـ-1977م.
2. ظاظا، حسن، الساميون ولغاتهم، الإسكندرية: مطبعة المصري، بلات.
3. عامر سـليمان، اللغة الأكدية، الموصل: دار الكتب للطباعة والنشـــر،1412 هـ-1991م.
4. نولدكـه، اللغات الســامية، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهــرة: مكتبة دار النهضة العربية، 1963م.
5. وافــي، علــي عبد الواحد، فقه اللغة، ط 8، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشــر، بلات.
6. ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، بيروت: دار القلم، 1980م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

1. دراسة الوحدة
2. تحديد أهم خصائص اللغات الســامية التي تدرسها في الوحدة وتبحث عن أمثلة لها في كتاب فقه اللغات السامية لكارل بروكلمان.
3. تحديــد أظهر خصائـص العربية وتبحث عن أمثلة لهــا خاصة في كتاب "خصائص اللغة العربية" للدكتور إسماعيل عمايرة.
4. قراءة بعض النقوش العربية من خلال كتابي الكتابة العربية السامية للدكتور رمزي البعلبكي وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون.

2. الأسر اللغوية

لم يتمكن العلماء من حصر اللغات التي يتكلمها البشر، ولكن الإحصاء التقريبي يقدر عدد اللغات الإنسانية بـ 2500 لغة، وبعضهم يقدرها بحوالي 3500 لغة.

وهناك نظريتان في تصنيف اللغات هما:

أولاً :الطريقة التشكيلية أو التصنيف على أساس وسائل بناء الكلمات وتوليدها[1] وهي نظرية شليجل في تقسيم اللغات إلى :

1- لغات تصريفية Inflectional وهي التي تدل فيها الكلمات على علاقاتها النحوية ووظائفها ومعانيها في الجمل عن طريق ما يدخل على بنيتها من تغيير داخلي ويتم الربط بين مفرداتها وجملها بالأدوات كحروف العطف والجر في العربية وفي اصطلاحنا نسميها اللغات الاشتقاقية ومن هذه اللغات العربية والفارسية واللاتينية والإغريقية والعبرية.

2- اللغات الإلصاقية Agglutinativeوهي اللغات التي تدخل على كلماتها سوابق في الصدر أو لواحق في العجز أو حشواً كما يحدث في الإنجليزية

Beauty + ful = Beautiful, Re+action = Reaction ويمكننا أن نضرب أمثلة لذلك من العربية، كإضافة الواو والنون والياء والنون، والألف والنون على المفرد لأداء معنى التثنية والجمع، أو حشو الياء بعد الحرف الثاني في التصغير، أو ياء النسبة على آخر الأسماء..... الخ، مما يعني أن الحدود بين القسمين الأول والثاني غير واضحة، وأنهما متداخلان وعليه نستطيع أن ندخل العبرية والإنجليزية مثلاً في هذين القسمين ومن اللغات التي ينطبق عليها وصف الإلصاق التركية واليابانية.

3- اللغات العازلة أو غير المتصرفة Isolating :أي تلتزم الكلمات صورة واحدة لا تتغير، ولها معنى ثابت، ولا تستعين بروابط تصل الكلمات أو الجمل بعضها ببعض ولكنها تؤدى المعاني فيها بالترتيب أو من خلال السياق كاللغة الصينية .

ولم تجد هذه النظرية تأييداً كاملاً من علماء اللسان، لأن هذه الأقسام قد تلجأ إليها لغة واحدة كالعربية فالنهج الغالب عليها التصريف والاشتقاق، ولكنها قد تلجأ إلى الإلصاق كما بينا، وفيها مفردات غير قابلة للتصرف كأسماء الإشارة وأسماء الموصول وضمائر الرفع المنفصلة.

---

(1) أسس علم اللغة: ص55.

ثانياً: نظرية القرابة اللغوية

من حيث وجوه الاتفاق والاختلاف في المستويات اللسانية في الصوت والنحو والصرف والدلالة، وتقسم اللغات بناء على هذه النظرية التي تنسب إلى ماكس مولر Muller إلى أسر لغوية كالتالي :

1- فصيلة اللغات الهندية الأوروبية وهذه أكثر الأسر اللغوية انتشاراً في العالم، حيث يتكلم بها الغالبية العظمى من شعوب أوروبا وأميركا وبعض شعوب آسيا والهنود والفرس وغيرهم وأستراليا وجنوب أفريقيا وقد حظيت لغاتها بالعناية لانتماء علماء اللغة الغربيين إليها ولما تتمتع به شعوبها من مستوى حضاري قديم أو حديث. والحقيقة أنه قد تضاءلت بين فروع هذه الأسرة أوجه الاتفاق وكثر الخلاف بينها لما حدث من اختلاف بين الشعوب التي تنطق بها. ويرجع هذا الاختلاف إلى أسباب سياسية واجتماعية وحضارية، وبعضها أصبح عالمياً كالإنجليزية والفرنسية؛ لما أخذت به شعوبها من أسباب التقدم العلمي وازدهار الحضارة في جميع مناحي الحياة.
وتنتمي إليها اللغات الهندية الإيرانية أو الآرية كالسنسكريتية في الهند والأردية وهي المسماة عند المسلمين في الهند أو الباكستان بالأوردو وتكتب بحروف عربية . والبنغالية في بنجلادش والبنجالية والسندية في الباكستان واللغة الفارسية (قديمة ووسيطة وحديثة) في إيران وتكتب حروفها بالعربية والأفغانية والخوارزمية والكردية والبلوشية والأرمينية أيضاً من فروعها، ومن فروعها . كذلك اليونانية القديمة والحديثة، والألبانية، واللاتينية، التي تشعبت إلى عدة لغات هي الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية، والرومانية . واللغات الجرمانية التي تتكون من : الألمانية والهولندية والإنجليزية والسويدية والدنماركية والأيسلندية والنرويجية . وكذلك اللغات السلافية : كالروسية والأوكرانية والبلغارية والبولندية، والتشيكية والصربية والكرواتية .

2- الفصيلة السامية – الحامية ، وهذه الأسرة سنفرد لها فصلاً خاصاً بها .

3- فصيلة اللغات الطورانية : وهي التي تسمى أيضاً[1] فصيلة اللغات الأورالية الألتائية، وتضم هذه الأسرة اللغات التي لم تدخل في الأسرتين السابقتين، وليس بين لغاتها تقارب تشابه بين الشعوب الناطقة بها، وإنما جعلت أسرة من أجل تسهيل دراستها[2]. ولم تبين المراجع العربية اللغوية المقصود بمصطلح الطورانية، لكن يبدو أنها إشارة إلى الجنس التركي الطوراني، فالطورانيون شعب يعتقد بعض الباحثين أن آربي أوروبا وآسيا تحدروا منه وإن الطورانية حركة ظهرت في تركيا

(1) حجازي، مدخل إلى علم اللغة: ص127، نقلاً عن بروكلمان.
(2) انظر : علم اللغة : للدكتور وافي: ص20، ودراسات في علم فقه اللغة، د. الصالح: ص42، والوجيز في فقه اللغة: للأنطاكي: ص75، وعلم اللغة العام: للدكتور توفيق شاهين: ص76، وفقه اللغة العربية: للدكتور الزيدي، ص: 61-62.

العثمانيـة، أوائل القرن العشـرين، ابتغاء توحيد جميع الشـعوب ذات التراث التركي المشـترك في ظل دولة واحدة بنيت على أسـاس النظرية القائلة بـأن اللغات التركية والمغولية والفنلندية والهنغارية وغيرها نشأت من أصل واحد[1] هو الطوراني، ولأن أكثر لغات هذه الفصيلة تتشكل من لغات الترك واللغات المجاورة ممن توزعت قبائلهم في منطقة واسعة تمتد من وسط آسيا إلى شرق أوروبا مما يعني أن المصطلح الذي نقلـه الدكتـور حجازي[2] أدق وهي اللغـات الأورالية الألتائية التي تنقسـم من خلال تسـميتها إلى فرعين : الأورالي نسـبة إلى جبال الأورال التي تفصل آسـيا عن أوروبا ولغـات هـذا الفرع أوروبيـة وأهمها الفنلندية التـي أصبحت لغة الثقافـة والعلم في فنلندا منذ استقلالها عن السويدية سنة 1809م وكذلك اللغة الأستونية في جمهورية أستونيا، وكذلك اللغة المجرية، المتأثرة باللاتينية والفرنسية والألمانية، فقد أصبحت لغة قومية للعلم والثقافة للشعب المجري أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

أمـا اللغـات الألتائية فتنسـب إلى جبال الألتآي في أواسـط آسـيا وبينها خصائص مشـتركة صوتية وصرفية ومعجمية وهناك مجموعة من المفردات الأساسـية المشتركة بينها كأسـماء الظواهر الطبيعية وأسـماء جسم الإنسان وأسـماء الحيوان وعلاقة القرابة أمـا لغات الترك على وجه الخصـوص منها فمتقاربة نحوياً ومعجمياً، ومن أهم لغات هذا الفـرع اللغة التركيـة العثمانية ولغة الجمهورية التركية، ويتلوها لغات الشـعوب التركية نحو: الأوزبكية في جمهورية ازبكسـتان واللغة التتارية في جمهوريتي التتار والبشكير، واللغـة القازاقيـة في جمهورية كازخسـتان واللغـة الآذرية في أذربيجـان، والتركمانية والشوباشية والباشـكيرية والقرغيزية، ويضم الفرع الألتائي أيضاً المغولية التي طورت لهجاتها إلى ست لغات.

أسئلة التقويم الذاتي (1)

هنـاك نظريتان في تصنيف اللغات اذكرهما، مع اللغـات التي تندرج تحت الأولى والثالثة؟



تدريب (1)

1. هل العربية ؟

أ- اشتقاقية ب- إلصاقية جـ- كلاهما.

(1) موسوعة المورد الحديث، بابا الشعوب، والعادات والمجتمع.

(2) انظر: مدخل إلى علم اللغة: ص127-144، وقد نقل مصطلح اللغات الأورالية الألتائية عن بووكلمان في فقه اللغات السامية: ص12.

3. اللغات السامية - الحامية

وهي لغات مجموعة من الشعوب التي انحدرت من سام وحام ابني نوح حسبما ورد في التوراة وأول من استخدم هذا المصطلح العالم الألماني "شلوتزر" Schlozerعندما كان يبحث في نهاية القرن الثامن عشر عن تسمية مشتركة للعبريين والعرب والأحباش الذين توجد بين لغاتهم صلات القرابة - أطلق عليهم اسم الساميين، لأن جدول الشعوب يرجع العبريين والآراميين والعرب إلى سام بن نوح[1] كما جاء في الإصحاح العاشر من سفر التكوين، أي إنهم سموا اللغات التي تتكلمها الأمم المنتمية إلى سام بن نوح حسب التوراة، اللغات السامية مفترضين أن هناك لغة هي الأم تفرعت عنه هذه اللغات وهي التي تكلم بها سام بن نوح ولم يجزم المؤرخون بالوطن الأول لهذه اللغة ولجميع الأمم السامية التي ارتبطت بعلاقات من العرق واللغة أهّلتها أن توصف بذلك، فمنهم من يفترض أن أرمينية هي المهد الأصلي للساميين والآريين كذلك، ثم تفرعت عنها جموع البشر ومنهم من أيد ما جاء في التوراة كجويدي وولفنسون من أن أرض بابل هي أقدم أرض عمرها بنو نوح ويقول ولفنسون (وقد تكون هذه النظرية أقرب إلى الحقيقة فقد أثبتت البحوث التاريخية أن أرض بابل هي المهد الأصلي للحضارة السامية) ويعارضهما نولدكه في أن يكون جنوب العراق هو الموطن الأصلي للساميين كما يذكر ولفنسون نقلاً عن نولدكه نفسه[2]، ويبدو أن كارل بروكلمان يميل إلى أن المهد الأصلي لهذه الأمم هي الجزيرة العربية مستنداً إلى حقائق تاريخية بقوله : " إنه قد لوحظ في العصور التاريخية كيف أن بلاد الحضارة في ما بين النهرين وسوريا كانت تكتسحها دائماً وأبداً موجات من القبائل البدوية القادمة من الصحراء العربية، حتى غمرت أخيراً إحدى هذه الموجات القوية، وهي المسماة بالموجة العربية كل صدر آسيا وشمالي أفريقيا - إذا تأمل المرء في كل هذا، فإنه يمكنه حقاً أن يعتقد أن الجزيرة العربية، هي المكان الذي يصلح لأن يكون مهد الساميين الأول[3] ويذكر الحقائق نفسها ولفنسون وكأنه يناقض نفسه حين يقول : " الذي يمكننا أن نجزم به هو أن أكثر الحركات والهجرات عند أغلب الأمم السامية التي علمنا أخبارها وأسماءها كانت من نزوح جموع سامية من أرض الجزيرة إلى البلدان المعمورة الدانية والقاصية في عصور مختلفة ... كذلك هاجرت البطون الكنعانية والآرامية تاركة بلاد العرب .... ولم تقف هذه الهجرات العربية عند العراق وسوريا وفلسطين بل جاوزتها إلى مصر أيضاً فقد توغلت قبائل سامية جاءت من ناحية الجزيرة في بلاد النيل وبسطت

(1) بروكلمان، فقه اللغات السامية: ص11.

(2) تاريخ اللغات السامية: ولفنسون، ص ص 4-5.

(3) فقه اللغات السامية: ص12، انظر ولفنسون كذلك، المرجع السابق.

سلطاتها على مصر[1]، والرأي الذي أصبح مقبولاً أكثر من غيره خاصة عند العرب هو أن الجزيرة العربية هي المهد الأصلي للأمم السامية، ولذلك نجد من اللغويين والمؤرخين في العراق من يسميها اللغات الجزَرَية بدلاً من السامية والإفريقية بدلاً من الحامية. وهذه التسمية دعا إليها طه باقر معللاً ذلك بأنه " أصبح حقيقة مجمعاً عليها من الباحثين الآن وهي أن الجزيرة العربية كانت مهد أولئك الأقوام الذين شملتهم تسمية الساميين، الذين هاجروا من الجزيرة بموجات مختلفة منذ أبعد العصور التاريخية إلى الأجزاء المختلفة من الوطن العربي، بحيث يصح القول أن الأصول العربية فيها تطغى على تركيب سكانها وعلى لغاتها "[2] ويؤيد الدكتور علي عبد الواحد وافي، أن المهد الأول للساميين كان القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية (بلاد الحجاز واليمن)، مبيناً رجحان هذا الأمر وأنه هو أصح الآراء وأقواها سنداً وأكثرها اتفاقاً مع آثار هذه الأمم وحقائق التاريخ ومن هذه الحقائق التي كانت السبب المباشر في حدوث هذه الهجرات من الجزيرة ما ينقله عن بروكلمان، مما ذهب إليه الأمير كيتاني دويتانو وأيده توينبي من أن هذا القسم كان في العصور السابقة للتاريخ كثيف السكان خصب الأرض موفور الخيرات، تخترقه ثلاثة أنهر كبيرة على الأقل، وإنه على أثر بعض الظواهر البحرية وانحسار جبال الثلج الكبيرة إلى الشمال فقد خصبه وجفت أنهاره فنزح معظم سكانه إلى جهات أخرى[3]. وقد ظهرت دعوات في سوريا تدعو إلى تسميتها باللغات العروبية أو العربية بدلاً من السامية، وللأسف لم يصل لغويونا أو مؤرخونا حتى الآن إلى تسمية تثبت أصالة هذه اللغات في نسبتها إلى الجزيرة العربية.

والبحث في اللغات السامية بحث قديم نسبياً، وقد ابتدأ عندهم في القرن السابع عشر وازدهر في القرن التاسع عشر. وقد سارت دراسة هذه اللغات على يد المستشرقين في اتجاهين: اتجاه تاريخي عام يتناول نشأة هذه اللغات وحياتها وتطورها في ماضيها وحاضرها، ومن أقدم الذين كتبوا في هذا الاتجاه الفرنسي رينان الذي ألف كتاب: التاريخ العام للغات السامية " في منتصف القرن التاسع عشر، ونحو كتابي تاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولفنسون، واللغات السامية لنولدكه، اللذين " اقتصرا على الناحية التاريخية ولم يتجاوزاها إلى مقارنة القواعد إلا في النزر اليسير " كما يقول الدكتور رمضان

(1) ولفنسون، السابق، صفحة 5-6.

(2) تراثنا اللغوي القديم: ص17، نقلاً عن فقه اللغة العربية للدكتور كاصد الزيدي، ص69، انظر كذلك: اللغة الأكدية للدكتور عامر سليمان، ص ص 67-68.

(3) وافي، فقه اللغة، ص ص 11-13.

عبـــد التـــواب[1]. أما الاتجاه الثاني فهو المقارنة بين هذه اللغات على مســتويات الصوت والصرف والنحو والدلالة؛ لبيان أبعاد العلاقة التي تربط بينها وقد بدأت في القرن الثامن عشر على يد الهولندي شلتنس بمقارنة العبرية بالعربية .... وفي عام 1890 م ألف " وليم رايت " كتابه " محاضرات في النحو المقارن للغات السامية " ...وألف "لاندبرج " كتابه : " النحو المقارن للغات السامية" وكذلك صنع تسمرن في كتابه الذي سماه النحو المقارن للغات السامية " ونشره في برلين عام 1898م ...وجاء بعد هؤلاء جميعاً عملاق هذا الفن المستشرق كارل بروكلمان فألف كتابه الضخم " الأساس في النحو المقارن للغات السامية " في جزأين[2] هذا غير كتابيه " فقه اللغات الســامية " الذي ترجمه الدكتور رمضان عبد التواب، ومختصر النحو المقارن للغات الســامية، ويجدر أن نذكر هنا كتاب برجشتراســر أقصــد التطور النحوي للغة العربية " الذي ألقاه محاضرات على طلبة الجامعة المصرية، عام 1929 م، وقارن فيه بين العربية وبقية الساميات .

أما الاهتمام بدراسة اللغات السامية عند العرب، فقد اعتمد على ما قدمه المستشرقون فــي صورة ترجمــة لكتبهم كما فعل الدكتــور رمضان عبد التواب فــي مصر حيث ترجم كتابيــن هما : اللغات الســامية " لنولدكــه، وفقه اللغات الســامية لبروكلمان، وفي صورة كتب صنفت نعد منها : غرامطيق اللغة الآرامية الســريانية للقس بولس الكفرنيسي صدر ببيروت، 1929، وتاريخ الأدب السرياني لمراد كامل ورفيقه، القاهرة 1949، المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية للدكتور عبد المجيد عابدين، مصر1951م، وقواعــد اللغــة المصرية للدكتور عبد المحســن بكيــر، مصــر 1954 م، المفــصــل فــي قواعــد اللغة الســريانية وأدابها، والموازنة بين اللغات الســامية لمحمد عطية الأبراشــي، ولــه مع مجموعة من زملائه: الأســاس في الأمم الســامية ولغاتها، وقواعــد اللغة العبرية وآدابها، وله الآداب السامية مع اهتمام باللغة العربية، والساميون ولغاتهم للدكتور حسن ظاظا، والســريانية نحوها وصرفها للدكتورة زاكية محمد رشدي، وللدكتور محمد سالم الجرح " المنهج المقارن في مبادئ اللغة العربية وفقه اللغات السامية"، وللدكتور السيد يعقوب بكر " في أصول اللغة العبرية، وللدكتور رمضان عبد التواب : اللغة العبرية قواعد ونصــوص، وقواعد الســاميات، وللدكتور عبــد الرازق قنديل : العبرية وللدكتور شــعبان سلام : اللغة العبرية، وفي العراق كان الأستاذ طه باقر من أوائل المهتمين بهذا الأمر فقد صــدر لــه " من تراثنا اللغوي القديم"، وللدكتور عامر ســليمان كتابــان : التراث اللغوي، حضارة العراق " و : اللغة الأكدية : وللأســتاذ ســامي ســعيد الأحمد " اللغات الجزرية "

---

(1) في مقدمة ترجمته لكتاب كارل بروكلمان: فقه اللغات السامية: ص5.

(2) المرجع السابق: ص6.

وظهر في أواخر الخمسينيات كتاب دروس اللغة العبرية للدكتور ربحي كمال لتدريسه في جامعتي دمشق وبيروت العربية .

ولا يفوتنا أن نذكر أن كثيراً ممن صنّفوا كتباً في فقه العربية قد خصصوا فصلاً أو أكثر فيها عن اللغات السامية وعلاقة العربية بها كما فعل الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابيه " علم اللغة " و " فقه اللغة " وكذلك الدكتور رمضان عبد التواب في كتابه "فصول في فقه العربية " والدكتور صبحي الصالح في كتابه : دراسات في فقه اللغة : والدكتور محمود حجازي في كتابه : مدخل إلى علم اللغة : والدكتور إبراهيم السامرائي في "فقه اللغة المقارن" والدكتور كاصد الزيدي في كتابه "فقه اللغة العربية" وقد جمع الدكتور إسماعيل عمايرة بحوثه في هذا المجال في كتابه الذي ظهر سنة 1996م تحت عنوان "بحوث في الاستشراق واللغة" وهو مجموعة من البحوث العلمية الأصيلة في المقارنات بين اللغات السامية وبيان خصائصها ومناهج المستشرقين ونظرياتهم في دراساتهم حولها. ومما يلاحظ على المصنفات العربية أنها قد ألفت غالبيتها في النصف الثاني من هذا القرن بعد أن استوى علم الساميات في الغرب ونضج على يد المستشرقين، وأن جل ما جاء فيها كان معتمداً على ما قرره المستشرقون، كذلك نجد في أيامنا هذه من[1] يرغب في إعادة النظر في تاريخ هذه اللغات وشعوبها، باعتبار أن هذا الأمر يخصنا أكثر من غيرنا الذي تركناه يكتب لنا تاريخنا.

واللغات السامية تنقسم جغرافياً إلى قسمين : شرقية وغربية .

والسامية الشرقية : هي اللغة الأكدية وهو الاسم الذي أطلق منذ الخمسينيات من هذا القرن[2] على ما كان يعرف باللغة البابلية الآشورية، أي كانت تتكون من لهجتين هما البابلية والآشورية .

والبابلية هي لغة الساميين الذين أقاموا، بعد هجرتهم من الجزيرة في الوسط الجنوبي من العراق واتخذوا، من العراق، بابلونيا عاصمتهم وأطلق على هؤلاء الساميين اسم البابليين وعلى دولتهم الدولة البابلية نسبة إلى عاصمتهم المذكورة .

---

(1) كالدكتور أحمد داوود الذي يتحدث في مناظرات تلفزيونية ويرى فيها أن العربية الأولى كانت موجودة في الجزيرة العربية، قبل سام بن نوح، وأنها انقسمت إلى ثلاث لهجات هي السريانية في الشرق والفنيقية في الغرب، والعربية العرباء التي بقيت في الجزيرة العربية ويرى أن اليونانية القديمة هي الفنيقية، ولا يوجد هنا مصطلح لغات سامية أو هندية أوروبية معتمداً في ذلك على الدراسات التاريخية والأثرية والبحوث اللغوية.

(2) عامر سليمان: اللغة الأكدية: ص8.

وأما الآشـورية فهي لغة السـاميين الذين أقاموا في مدينة آشـور شـمال العراق بعد هجرتهـم من الجزيرة فـي القرن الخامس والعشـرين قبل الميلاد، اتخذوا مدينة آشـور عاصمة لهم مع أنهم استبدلوا بها بعد ذلك بمدينة نينوى إلا أنهم اشتهروا باسم عاصمتهم آشـور فسموا بالآشـوريين ودولتهم بدولة آشـور ومعظم علماء اللغة المحدثين يطلقون كلمـة البابلية وحدها على الشـعبة الجنوبية من هذه اللهجـات أو على المجموعة كلها في العصـر الذي كانت فيه السـيادة لمناطق الجنوب، ويطلقون كلمة الآشـورية وحدها على الشـعبة الشـمالية من هـذه اللهجات، أو علـى المجموعة كلها في العصر الـذي كانت فيه السيادة فيه لمناطق الشمال(1)، وهذه اللغة أخذت تنتشر في العراق القديم المكون من بلاد سومر وأكد وبابل وآشور .

منـذ أواخـر القرن الرابع قبل الميـلاد، وأخذت تزاحم اللغة السـومرية، باعتبار أنها أصبحت لغة تخاطب في الوقت الذي كانت فيه السومرية لغة المكاتبات الرسمية، وكان لا بد أن يقوم الصراع بين اللغتين الذي ينتهي بغلبة الأكدية مع قيام الدولة الأكدية في القرن الرابع والعشـرين قبل الميلاد بـأن أصبحت لغة الخطاب والتدوين والمكاتبات الرسـمية والشـعبية، ولكـن لم ينتـه التعامل بالسـومرية التي ظلت تسـتخدم على نطـاق محدود وفـي نصـوص معينة ونتج عن ذلك ثنائية لغوية نشـأت عنه أولـى المحاولات في تأليف المعاجم اللغوية سجلت فيها قوائم من المفردات والمصطلحات السومرية وما يقابلها من الأكدية(2).

وقـد وصلت إلينا الأكدية بفرعيها البابلي والأشـوري مكتوبـة بالخط المعروف عند العرب بالمسـماري وعند غيرهم بالإسفيني وهو خط الشعب السومري الذي تغلب هؤلاء الساميون عليهم ولكنهم لم يستطيعوا أن يغلبوهم حضارياً فكانت الغلبة للثقافة السومرية التي يمثلها خطهم.

ولـم يبق من هذه اللغة سـوى النقـوش المكتوبة على ألواح من الطين، ومن أشـهر نقوشهم شريعة الملك البابلي حمورابي، ونقوش من عهد الملك نبوخذ نصّر .

وظلـت اللغة الأكدية بلهجتها البابلية الحديثـة لغـة للخطـاب والمكاتبـات حتـى عـام 539ق. م.، وهـو العام الذي وقعت فيه بلاد بابل وآشـور تحت الاحتلال الإخميني الفارسـي، الذي أصبحت تسـتخدم على أثره في نطاق ضيق ومحـدود النصوص الدينية والعلميـة. ويبـدو كذلك أنـه قد دخل عامل حضاري قـوي كان له أثر كبيـر في إنزياحها تدريجياً وهو عبور موجة سـامية ما بين القرنين الرابع عشـر والثاني عشـر قبل الميلاد

(1) علي عبد الوحد وافي: فقه اللغة: 27.

(2) المرجع السابق: ص38.

إلى بلاد الرافدين وهم الآراميون ولغتهم الآرامية بخطها الأبجدي البسيط الذي يمكن كتابة حروفه بالحبر على، أي سطح لين أو جاف كالرقاع والجلود وورق البردي؛ فلم تستطع الأكدية أن تقاوم هذا الغزو بخطها المسماري المعقد الذي يحتاج إلى ألواح طينية لكتابتها؛ يلزمها وقت حتى تجف بالنار أو بالشمس فدخلت طي النسيان في أواخر القرن الأول الميلادي حتى بطل استخدامها نهائيا[1] بعد أن عمرت مدة تزيد على ألفي عام في مساحة واسعة من الأرض ظلت خلالها لغة التفاهم والتدوين والمكاتبات الرسمية .

ومن الخصائص التي احتفظت بها اللغة الأكدية ظاهرة الإعراب فالأسماء ترفع وتنصب وتجر، وحركات الإعراب فيها الضمة والفتحة والكسرة، وقد تكون علامة الأعراب في المثنى الألف والنون في حالة الرفع، والياء والنون في حالتي النصب والجر إضافة إلى دلالتها على التثنية العربية كما نرى .

كذلك بسبب تدوينها بالخط المسماري السومري الذي كان يعتمد النظام المقطعي، وليس له رموز صوتية محدّدة ودقيقة، ومن عيوبه كذلك تعدد الطرق التي تكتب بها المقاطع؛ فقدت بعض الأصوات الحلقية[2] التي لا توجد في اللغة السومرية كالهاء والحاء والعين والغين وهي الحروف التي اختفت من نقوشها على الأقل، وبذلك تكون حروفها ثمانية عشر حرفاً: أ، ب، ج، د، ز، خ، ط، ك، ل، م، ن، س، پ، ص، ق، ر، ش، ت[3] وتكتب برموز بالابجدية الصوتية الدولية كالتالي:.,t,s,r,q,s,i/y ,b ,z,d,d ,s,n,m,1,k,t, وقد وضع ولفنسون حاء بدلاً من الخاء ونقله غيره عنه كذلك وهو غير صحيح لأن الحاء من الأصوات التي فقدت في الأكدية، ولم يدَّعِ أحد من المصنفين أن الخاء هي التي اختفت، ثم إني قد تتبعت كثيرا من الكلمات فيها فوجدت فيها خاء أما الحاء كالعين فيستعاض عنها بالكسرة الممدودة، كما في : تَلْقِ التي كانت تَلْقَح بمعنى أخذت، واشمي بمعنى اسْمَع وكانت اشمع.

واستعاضوا[4] عن الحروف التالية : ذ، ث، ظ، ض .

بالحروف : ز، ش، ص، ص، أما الألف($\bar{a}$) ، والواو ($\bar{u}$)، والياء($\bar{i}$)، فتُستعمل حركات أو عللاً طويلة كالفتحة a والضمة u والكسرة i التي هي علل أو حركات قصيرة .

أما القسم الغربي من اللغات السامية فيتفرع إلى شعبتين هما : الشمالية والجنوبية

(1) السابق نفسه: ص41.
(2) انظر: السابق: ص186، د. حجازي: مدخل إلى علم اللغة: ص87.
(3) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية: ص38.
(4) انظر: اللغة الأكدية: د. عامر سليمان، ص193.

أما اللغات الشمالية الغربية، فهي مجموعة اللهجات التي تفرعت عن الكنعانية، بالإضافة إلى الآرامية وهي :

1 - الفرع الكنعاني : ولغاته تتكلمها القبائل العربية التي استوطنت بلاد الشام فاللغة الكنعانية هي اللغة الأم لهذه اللهجات التي تحولت إلى لغات وهي الأوجاريتية وهي اللغة التي اكتشفت نقوشها 1929 [1]، في رأس شمرا على الساحل السوري للبحر المتوسط، وكانت قد دوِّنت سنة 1400 ق. م. وإذا كانت الأكدية أقدم لغة سامية شهدتها العراق فإن الأوجاريتية هي أقدم اللغات الكنعانية التي عرفتها سوريا الكبرى، ويرجع الفضل إلى الأوجارتيين في تطوير نظام الكتابة المسماري المقطعي إلى نظام أبجدي يعبر فيه الرمز الواحد عن الصوت الواحد؛ حيث كانت المسمارية الأكدية تأخذ المقاطع لترمز صوتياً، وهي مجتمعة بضمها، إلى اسم أو لفظ يدل على معنى بغض النظر عن معاني المقاطع التي تشترك في أدائه فكلمة حمورابي مثلاً اسم يجمع عدة مقاطع، كل منها له معنى وهي[2] : Ha (بمعنى سمكة) mu (بمعنى اسم) Ra (بمعنى ضرب) bi (بمعنى شراب)، أي خَ، مُو، را، بي، وهي كما نرى مقاطع تتألف من صوت صحيح وعلة قصيرة أو طويلة وكل مقطع يؤدي بمفرده معنى مختلفاً، ولكن عند ضمها تؤدي كلمة واحدة هي اسم العَلَم حمورابي. أما في الكتابة الأوجاريتية فأصبحت كلمة حمورابي مؤلفة من الحروف الأبجدية التالية هي :

الخاء + الفتحة + الميم + الضمة الطويلة + الراء + الفتحة الطويلة + الباء + الكسرة الطويلة - صوت صحيح + علة + صوت صحيح + علة + صوت صحيح + علة + صوت صحيح + علة .

وبهذا التبسيط للكتابة، انتشرت هذه الطريقة بين باقي الشعوب .

2- اللغة الفنيقية : وقد عرفناها عن طريق النقوش التي عثر عليها في مواطن الفينيقيين في المدن على ساحل بلاد الشام وهي صور، صيدا، جبيل، وفي جزر البحر المتوسط مثل قبرص ومالطا، وفي شمال أفريقيا في قرطاجنه التي شاعت فيها اللهجة البونية. وأبجدية هذه اللغة متأثرة بالأبجدية الأوغاريتية، ولكنها لم تكن متطورة. وتؤرخ النقوش الفنيقية للفترة ما بين 1200 ق. م. إلى 100 م .

(1) إسماعيل عمايرة، المستشرقون ونظرياتهم، ص28.

(2) عامر سليمان، اللغة الأكدية، ص125.

3- اللغــة العبرية : ويرفض ولفنســون أن تكون العبرية فرعــاً من الكنعانية أو أنها لهجة كنعانية[1]، وهي في رأيه شقيقة لها حين يقول : كانتا لغة واحدة لهجت بها تلك الأمم التي كانت تســكن فلســطين وطور ســينا في مدى قرون فلما تفرقــت تلك وتباعدت اختلفــت لهجاتهــا وتميزت فكانت إحداهمــا العبرية وكانت الأخــرى الكنعانية وذلك ســبب التشــابه بين هاتين اللغتيــن[2] وهو بهذا الرأي "يســتند على مــا ترويه الكتب المقدســة عن تاريخ الإســرائيليين"[3] ، كما يقول الدكتور ربحي كمال، بينما الدكتور عبد الرازق قنديل يذكر أن من "أصحاب هذا الرأي اليعازر بن يهودا اليهودي الروسي الأصل الذي هاجر إلى فلســطين واهتم اهتماماً كبيــراً بإحياء اللغة العبرية باعتبارها من مقومات القومية اليهودية .... التي كان يدعو إليها هو وغيره ... في بدايات القرن العشــرين والنصف الثاني من القرن التاسع عشر[4]. والحقيقة أن نشأة اللغة العبرية يكتنفهــا الغمــوض فلو أراد أحــد أن يحاكم الأخبــار والتواريخ التــي وردت عن بني إســرائيل منذ اللحظة التي ســموا بها بذلك فلن يصل إلى نتيجة يقينية واعتقد أنه قد حدث هذا في مصر بعد أن أحضر إليها ســيدنا يوســف إخوتــه " وإن مكوثهم قد بدأ باســتقرار يوسف بن يعقوب وإخوته بمصر"[5] وقد "ظهر اسم إسرائيل قبل موسى بكثير أي قبله بعديد من مئات الأعوام وكون أن نرى الاســم مذكوراً على نصب يرجع تاريخــه إلى فرعون منبتــاح أمر لا يدهش ...وإن النصب يشــير إلى جماعة يســميها "إسرائيل" فإنه لا يستطيع أن يشير إلى جماعة مستقرة، حيث أن هذا التسجيل يرجع إلى نهاية القرن الــ 13 قبل الميلاد وحيث أن مملكة إســرائيل لم تتكون إلاّ في القرن العاشــر قبل الميلاد[6] واسم إسرائيل كان اســماً لشخص وهو سيدنا يعقوب، وليس لوطن. ولكن ما اللغة التي كان يتكلم بها نســل إســرائيل في مصر؟ وللإجابة لا بد أن نضع في اعتبارنا أن خروج بني إسرائيل مع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، كان في أواخر القرن الثالث عشــر قبل الميلاد، حيث إن الفرعون منبتاح حكم بين ســنتي 1224-1204 ق.م. "وإن اليهــود كانوا مســتقرين بأرض كنعــان في العام الخامس

(1) تاريخ اللغات السامية: ص79.
(2) السابق نفسه.
(3) دروس اللغة العبرية: ص36.
(4) العبرية: ص9.
(5) موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم: ص254.
(6) المرجع السابق: موريس بوكاي: ص266.

من حكم منبتاح وأن خروج العبريين من مصر قد كان وقع قبل ذلك الوقت"[1] وإنهم كذلك قد "مكثوا بمصر طيلة 400 سنة أو 430 عاماً دون المجازفة بالوقوع في خطأ كبير"[2] كل ذلك يعني أن يوسف وأخوته قد حضروا إلى مصر في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وقد أكد ذلك بوكاي بقوله: "إن المتخصصين يقولون حالياً بعد النظر إلى كل الاحتمالات بتواكب حركة الهكسوس نحو مصر في القرن الـ 17 ق. م. مع وصول يوسف وآله، وإنه في مدينة أفاريس، بالدلتا، استقبل عاهل هكسوسي يوسف وإخوته استقبالاً حسناً "[3] ويستخلص من كل هذا أن بني إسرائيل قد خرجوا من أرض ميعادهم إلى مصر وعادوا ثانية عليها في أثناء وجود الكنعانيين الذين كان نزوحهم من جزيرة العرب قبل 2500 ق. م. حين جرت سيول القبائل الكنعانية إلى بلاد سورية وفلسطين"[4] وهناك إشارة أخرى تدل على أن عبور إبراهيم النهر إلى أرض كنعان "قد وقع في بداية الألف الثاني قبل الميلاد"[5] أي قبل رحيل أحفاده إلى مصر بثلاثمائة سنة، ويسمون على أثر هذه الرحلة بالعبريين. وهذه المعطيات التاريخية إذا أضفتها إلى معطيات لغوية تقول: "إن العبرية تشبه اللغة الفنيقية التي هي لغة صور وصيدا كل التشابه فهما من مصدر واحد (يقصد الكنعانية) .... وتشبه قواعد اللغة الفنيقية قواعد اللغة العبرية، وتتفق اللهجتان العبرية والفنيقية في الحروف الصحيحة .... وتشبه مجموعة الكلمات الفنيقية مجموعة الكلمات العبرية[6] فإني سأخلص إلى نتيجة مفادها أن العبرية ما هي إلا الكنعانية التي حرّفها اليونانيون في لغتهم إلى الفنيقية، أي إن الكنعانية والفنيقية ما هما إلا اسمان لمسمى واحد ودليلنا ما نقله الأبراشي حين يقول: "قد أثبت (سنكين يتن) الكنعاني أن كنعان هو أول من سماه اليونان فينقس (Phoenix) من غير أن يظهر أنهما اسمان مفترقان، ولم يكن في لغة اليونان القديمة اسم آخر للدلالة على الكنعانيين، ولم يخطر لهؤلاء أن في تسميتهم بالفنيقيين خطأ من اليونان، وقد آل بهم الأمر أخيراً إلى استعمال هذه التسمية كأنها اسمهم الحقيقي، ولو أنه مشوه بالتصحيف والتحريف، من هذا يتضح

---

(1) المرجع السابق: ص265.

(2) السابق : ولكن المؤرخين اليهود يرون أن بني اسرائيل قد مكثوا في مصر 210 سنوات. وهو الشائع في الأدبيات الإسرائيلية.

(3) نفسه: ص255.

(4) ولفنسون: ص54.

(5) الساميون ولغاتهم: ص72.

(6) الآداب السامية: ص ص40-39.

أن اسم الفنيقيين لم يكن في الأصل إلاّ تحريفاً لاسم الكنعانيين السامي "[1] يقوّي ذلك ما ذكره ولفنســون " وكان الإغريق يسمون الكنعانيين بالفنيقيين ولكن سواء أكانت هذه التســمية خاصة بأهل الشاطئ أم كانت عامة تشمل جميع الكنعانيين؟... تشملهم جميعاً ..... "[2] وهذه الفنيقية انتقلت إلى شمال أفريقيا وسميت في قرطاجنة بالبونية؛ نظراً لما أصابها من تطور أبعدها عن الفنيقية في صور وصيدا أو عن الكنعانية، وهذا يحملني على القول أنه كان في سوريا الكبرى لغة واحدة في الداخل تسمى الكنعانية، وعلى الشاطئ تسمى الفنيقية، وفي قرطاجنة سميت البونية.

ويتوصل (ولفنسون) إلى أن الكنعانية والعبرية لغة واحدة، وقد فوجئت بما توصل إليــه حين وقع عليه نظري مصادفة حيث يقول : "وأما شــدة القــرب بين اللغتين (يقصد الكنعانيــة والعبرية) فلا يمكن أن يدل إلاّ على شــيء واحــد هو أن اللغتين في الواقع لغــة واحــــدة "[3] ويضيف ســبباً آخــر لذلك بقوله : "ويعــد الكنعانيون من أقــرب أقرباء بني إسرائيل لاشتراكهم معهم في اللغة ومشابهتهم لهم في أخلاقهم وحضارتهم القديمة "[4] بدليل أنه " ما كاد يوشع بن نون (قائدهم بعد سيدنا موسى) يموت حتى سادت الفوضى في بني إسرائيل وارتد كثير منهم إلى وثنية الكنعانيين وعبادة الأصنام وفي مقدمتها بعل وعشــتروت "[5]، وكأنه إرث قريب لهم ارتدوا إليه يعد الجهود التي بذلها ســيدنا إبراهيم وأحفــاده للابتعاد عنه. ولا صحة لما ردده أكثر من مرة محمد عطية الأبراشــي في كتابه الآداب السامية من أن لغة اليهود في مصر كان الآرامية[6] لأكثر من سبب، ومن حيث المبدأ فإن إطلاق اســم اليهــود وهم في مصر غير صحيح أيضاً فالتســمية بهذا الاســم متأخرة فالديانة التي أتى بها ســيدنا موســى في التوراة ليســت اليهودية وإنما هي ديانة التوحيد باللــه عــز وجل، خالق الكون ورب الســموات والأرض والإله الواحد للبشــر وإن كانت قد نزلــت علــى بني اســرائيل. وأما الديانة اليهودية فهي التي نســبوها إلى مــا ادعوه أنه إله خاص بهم وهو يهوه .

ولــو كانت الآرامية لغة بني إســرائيل العائدين لما ســمي بعد ذلــك كتابهم المقدس بالترجوم أي المترجم عن العبرية، كما يفترض، إلى الآرامية، ثم إن التاريخ يسجل أن بني

---

(1) السابق ص ص 38-39.

(2) تاريخ اللغات السامية: ص56.

(3) السابق: ص55.

(4) نفسه: ص54.

(5) الساميون ولغاتهم: ص80.

(6) انظر الآداب السامية: ص29، ص44، ص48، ص49.

إسرائيل كانوا من ألد أعداء الآراميين ..... والحرب بينهم كانت سجالاً "[1].

وقد ذكرنا آنفاً أن سيدنا إبراهيم قد دخل أرض كنعان سنة 2000 ق. م. وأن أحفاده أي يوسف وأخوته قد ارتحلوا إلى مصر سنة 1700 ق. م. أي قبل ظهور الآراميين على مسرح الأحداث الذي كان في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، مع أن هجرتهم من الجزيرة إلى سوريا قد حدثت حوالي القرن الخامس عشر قبل الميلاد أي بعد مرور ألف عام على استقرار الكنعانيين في أرض العمران[2]؛ وعليه فالأولى بالأخذ به أمام هذه الحقائق التاريخية أنهم هاجروا إلى مصر ولغتهم الكنعانية ورجعوا بها لمحافظتهم عليها ففي سفر أشعيا (18:19) "عندما دخل الموسويون أرض كنعان تحدَّثوا الكنعانية في بلاد الشام"، لأنهم عاشوا في مجتمع منفصل عن المصريين الذين اعتبروهم أجانب وراحوا يضطهدونهم على هذا الأساس ويفرضون عليهم السخرة والضرائب ويمعنون في قتلهم حتى قرروا ترك البلاد بزعامة سيدنا موسى[3]. وأستشهدُ على صحة ذلك بما ذكره الأنطاكي من أن " اللسان العبري شديد الشبه باللسان الكنعاني، بل إنه في الأزمنة القديمة لم يكن يعرف بهذا الاسم، فصحف العهد القديم تسميه مرة باللسان اليهودي، ومرة أخرى باللسان الكنعاني"[4].

ولم تذكر التوراة "اللغة العبرية نصاً" رغم إشارتها الواضحة إلى لغات قديمة أخرى كالآرامية ويشير الباحث الإسرائيلي حديثاً وهو موشيه ديفيد كاسوطو إلى أن "اللغة العبرية ليست سوى لهجة انفصلت من الجذع الكنعاني، وهذه الفرضية لا يمكن دحضها"[5] في رأيه.

واستقرت العبرية باعتبارها لغة العبريين، إذ صارت تنسب لهم بعد أن كانت تسمى الكنعانية التي يتكلم بها كل من سكن أرضها، فلا بد من تميزهم لغوياً باعتبارهم شعب الله المختار، الذي تميز دينياً بالشرائع والتعاليم التي تلقاها سيدنا موسى، لأن ذلك من المقومات التي سيعتمدون عليها في إقامتهم دولتهم المستقلة التي ستضمن لهم الكرامة والتحرر من سيطرة الآخرين، وقد تحقق حلمهم طبعاً قديماً بإقامة مملكتهم التي ما لبثت أن انقسمت فيما بعد إلى دولة في شمال فلسطين وأخرى في جنوبها الأولى إسرائيل

(1) ولفنسون: ص ص 116-117.

(2) السابق: ص115.

(3) الساميون ولغاتهم: ص75.

(4) الوجيز في فقه اللغة: ص ص 91-92.

(5) نقلا عن مقالة للباحث جودت السعد في الدستور الثقافي الأردنية عدد الجمعة بتاريخ 28/3/1997 : ويثبت الباحث نفسه أنه كلما وردت لفظة الكنعانية القديمة وضع الباحثون التوراتيون بعدها العبرية القديمة بين أقواس للإيحاء بالتطابق، وعلى رأس هؤلاء وليم أولبرايت.

والثانيــة دولــة يهوذا أو الدولــة اليهودية، ويتم تدميــر الأولى ســنة 722 ق. م. والثانية بالسبي البابلي 586 ق. م. على يد نبوخذ نصر .

وقــد مرت العبرية بطورين وكل طور يمكن قســمته إلــى فترتين[1]، أما الطور الأول فقد بدأ حوالي القرن الثالث عشــر قبل الميلاد أي منذ دخول بني إســرائيل أرض كنعان، بعد خروجهم من مصر، إلى عام 70 م حيث ينتهي بهدم الهيكل على يد تيطس الروماني، وهــذه هي التي يطلــق عليها عبريــة العهد القديم والفتــرة الأولى من هــذا الطور تنتهي بالســبي البابلي ســنة 586 ق. م. حيث أقاموا كيانهم السياسي المستقل بقيام أول مملكة لهم بلغت أوجها في عهدي داود وســليمان وقد انعكس إيجابياً على لغتهم التي بلغت فيه منزلة رفيعة في بلاغة أســاليبها، وصارت فيما بعد أنموذجــاً للمحاكاة من قبل مفكريهم وأدبائهم، وقد تم في هذه الفترة تدوين أهم أسفار العهد القديم التكوين والخروج والتثنية ويوشــع والقضاة بما فيه القصيدة الحماسية الدينية " قصيدة دبورة "وصموئيل وأمثال ســليمان ومزامير داود، وكتب الأنبياء المتأخرين كأرميا وأشعيا واختلفت في هذه الفترة لغة الشعر بتراكيبه وصيغه ومعانيه عن لغة النثر.

أمــا الفترة الثانية فتبدأ بعد الســبي البابلي الذي أعقبه اضمحــلال وزوال المملكتين الإسرائيليتين الشمالية والجنوبية وتم نفيهم - أي بني إسرائيل - إلى أرض بابل وقد عاد ذلك على لغتهم بالوهن والضعف لأنها لم تعد لغة الحديث، بل انحســر استخدامها وصار محصوراً في إقامة شعائر العبادات بالطقوس الدينية، فقد تغلبت عليها اللغة الآرامية التي أخذ يمتد نفوذها شيئاً فشيئاً حتى أصبحت لغة الكتابة والحديث لجميع الشعوب من بلاد فارس والرافدين إلى ساحل البحر المتوسط، وما كاد ينتهي القرن الرابع قبل الميلاد حتى أصبحت العبرية في عداد اللغات الميتة شعبياً، واقتصرت على التعامل بها في أمور الحياة على النصوص الدينية، وأهم ما وصلنا من عبرية هذه الفترة هو نص المشنا، وهو كتابهم المقدس الثاني، ويتضح فيه التأثير الآرامي كما يتضح في سفر دانيال .

الطور الثاني : ويبدأ في أعقاب خراب الهيكل منذ عام 70 م على يد تيطس الروماني حيث زال الكيان السياســي لبني إسرائيل الذين تفرقوا وأصبحوا يشكلون تجمعات دينية ســواء في العراق أو في فلســطين وشــمال إفريقيــا والأندلس في عهد الدولة الإســلامية ويقسم هذا الطور أيضاً إلى فترتين :

الأولــى : فتــرة العصور الوســطى : التي ازدهــرت فيها العبرية في إطــار الحضارة العربية الإســلامية فكتبت بها النصوص الأدبية والدينية والفلسفية، وبدأ اليهود يدرسون لغتهم متأثرين بما حدث للعربيــة فوضعوا لها نظام التنقيط والحركات والنظام النحوي

(1) مستندين في ذلك على ما جاء في كتاب العبرية للدكتور عبد الرازق قنديل: ص ص 12-39.

والمعجمي. وتعد هذه الفترة في العبريـة فترة خصبة في تاريخ الفكر اليهودي وثقافته خاصة بعد انتقال نشاطهم من العراق إلى الأندلس وشمال أفريقيا فقد ازدهرت الدراسات اللغوية العبرية والإنتاج الشعري والفكر الفلسفي، حتى يمكننا القول إن العبرية قد بلغت عصرهـا الذهبي في الأندلـس خاصة في ظل الدولة الإسـلامية وحضارتها، وتنتهي هذه الفترة بخروج العرب من الأندلس حيث اتجه اليهود إلى الدول الأوروبية المجاورة .

والفتـرة الثانية : هي الفتـرة العبرية الحديثة التي بدأ يحـرص كتابهم وأدباؤهم أن يكتبـوا بها باعتبارها لغتهم القومية خاصة بعـد ظهور الحركة الصهيونية التي دعت إلى إحياء العبرية في الصحافة والقصة والرواية والشعر، وبدأت الهجرة إلى فلسطين تتوالى وبدأت محاولات إحياء العبرية لغة للخطاب والحديث بين أوسـاط اليهود فيها، ومن أهم ما حدث في سبيل إحيائها المعجم الذي قام : اليعازر بن يهودا بجمعه من مفردات العبرية قديمها ووسـيطها واسـتمرت الجهود الفردية والجماعية في إحيائها حتى أصبحت اللغة الرسـمية لليهـود في أعقاب قيام دولة إسـرائيل في فلسـطين، وأهم مـا يلاحظ في هذه الفتـرة هو تهاونهم في الأصول الصوتية والصرفية والنحوية التي تشـترك فيها العبرية مع خصائص اللغات السـامية، وحاولوا أن يطبقوا فيها ما جري في اللغات الأوروبية من استخدام السوابق واللواحق في الكلمات من أجل مسايرة مخترعات العلم الحديث .

ويبقى من اللهجات الكنعانية المؤابية التي يدل عليها نقش ميشع ملكهم الذي يصف فيـه انتصارهم على ملك إسـرائيل، ولا يتجـاوز هذه النقـش 900 ق. م. ويقال أن هؤلاء المؤابيين من نسل لوط ابن أخي إبراهيم الخليل .

ب - الفـرع الآرامـي : ويتفرع إلـى الآرامية وهي لغة القوم من ذرية آرام بن سـام الذين اسـتقروا في سـوريا بعد هجرتهم من الجزيرة العربية حوالي القرن الخامس عشـر قبل الميلاد ويبدو أنهم كانوا مجموعة من القبائل التي ظلت على بداوتها في صحراء الشـام وأطـراف العراق ولم تتحدث فيما بينها حتـى إذا تكونت لديها عدة ممالك كما في دمشـق وحوران أو غيرهما ظلـت تتنافس فيما بينها وتنـازع غيرها من الممالك المجاورة كمملكة آشـور ومملكة إسرائيل ورغم سقوط الدولة الآرامية في سوريا لم يكفوا عن التدخل في شؤون الدول المحيطة بهم وكان لهم دور حضاري مثلته لغتهم التي أصبحت اللغة الشـائعة والمشـتركة بين جميع شـعوب المنطقة من بلاد فارس إلى البحر المتوسط وقد حلت في فترة تاريخية طويلة محل الأكدية والعبرية؛ لخطها الأبجدي البسيط بحيث حل محل الخط المسماري.

ويقسمها المستشرقون إلى شرقية في العراق تنقسم إلى شمالية وجنوبية وإلى غربية وتطلـق على لهجاتها في سـوريا وفلسـطين وقد كتب التلمود الفلسـطيني بالآرامية الغربية والترجوم وسفر دانيال وأما التلمود البابلي فنصوصه بالآرامية الشرقية .

2- السـريانية : وهي لغة المسيحيين من اليعاقبة والنسـاطرة، وهي امتداد للغة الآرامية التـي دخلت بلادها المسيحية في القرن الثانـي الميلادي فأنف أهلها اسـم الآرامية المرادف للوثنية بعد أن تنصروا، وسـارعوا بالأخذ بكلمة سـريان تلك التسـمية التي أطلقهـا عليهـم اليونان الذين كانوا يحتلون بلادهم كما سـموا لغتهم السـريانية"[1]. وعليه فالسريانية هي لغة السريان المسيحيين في الرها، وترجم إليها الكتاب المقدس والآداب اليونانيـة وعلومهـا وفلسـفتها حتى أصبحت وسـيلة التعبيـر الفكري لدى نصـارى مصـر والشـام والعـراق وإيران[2]، وتحولت من لغة شعبية إلى لغة أدبية .

والسريانية شرقية قديمة، وغربية حديثة يتكلم بها في سوريا والعراق.

وقد قامت هذه اللغة بدور كبير ومهم في خدمة الثقافة العربية فقد كانت وسيلة نقل التراث اليوناني إلى اللغة العربية فقد قام بهذا الدور الجليل المترجمون السـريان كحنين بن إسحق وزملائه.

ومـن اللهجـات الآرامية الأخـرى المندعيـة أو المندائية وهي لهجـة للصابئـة في جنوب العراق[3] وما زالـت يتحدث بها إلى اليوم، وهم قوم ديانتهم خليط من المسيحية واليهودية[4]. واللهجة التدمرية[5] لغة أهل تدمر المملكة العربية التي تربعت على عرشـها زنوبيـا التـي دارت بينها وبيـن الرومان حروب خلدهـا التاريـخ وكادت أن تقضي على نفوذهـم، ووجدت هذه النقوش على الصخور والمغاور والكهوف . كذلك النبطية[6] وهي لهجة النبط وهم عرب أيضاً وخط نقوشها حروفه متصلة، والأنباط والتدمريون " ينتمون إلى أصول عربية ولكنهم كانوا يستخدمون الآرامية لغة كتابة"[7].

وبدأت العربية تحتل مكانة الآرامية والسريانية شيئاً فشيئاً حتى أصبحت لغة الخطاب والتدوين سـاعدها على ذلك نزول القرآن الكريم بها وما تبع ظهور الإسـلام من فتوحات تغلبـت فيها العربية وورثت الآرامية في انتشـارها الذي فاق انتشـار الأكدية وغيرها من اللغات السامية التي سادت وبادت.

الشعبة الغربية الجنوبية من اللغات السامية وتتفرع إلى :

أ - العربية الجنوبية أو اليمنية القديمة أو القحطانية وأحياناً تسمى الحميرية أو السبئية

---

(1) زاكية رشدي، السريانية، نحوها وصرفها: ص ص 9-10.

(2) المرجع السابق: ص12.

(3) ظاظا، الساميون ولغاتهم: ص117.

(4) ولفنسون، تاريخ اللغات السامية: ص145.

(5) وافـي، فقه اللغـة: ص63-64، كاصد الزيدي، فقه الغة العربية: ص86، ونولدكه: اللغات السـامية، ص54.

(6) نولدكه: نفسه، وافي: نفسه، و كاصد: نفسه: ص87.

(7) وافي: فقه اللغة: ص65.

باسم إحدى لهجاتها وهي مختلفة عن العربية الشمالية في الصوت والدلالة ونحوها وصرفها، وأهم لهجاتها :

1- اللهجة المعينية : وتنسب إلى المعينيين الذين أقاموا دولتهم في جنوب اليمن في القـرن الثامن قبل الميلاد، وقد عرفت هـذه اللهجة عن طريق النقوش التي عثر عليها .

2- اللهجة السـبئية : وهي لهجة دولة سبأ التي قوضت أركان الدولة المعينية وكانت عاصمة مملكة سـبأ مدينة مأرب وقد وصلت هذه اللهجة عن طريق نقوش أيضاً وجد كثير منها في منطقة مأرب .

3- اللهجـة الحضرمية : وهـي لهجة مملكة حضر موت التي أقامت حضارة ازدهرت في حضر موت ولكن نزاعها مع مملكة سبأ انتهى بها إلى الزوال .

4- اللهجـة القتبانية : وهي لهجة منطقة قتبان التي أنشـئت فيها مملكة انتهى أيضاً نزاعها مع مملكة سبأ بانقراضها واندماجها فيها.

ب- اللغة الحبشية : وهي التي " نشأت في الحبشة نتيجة لهجرة عربية جنوبية من جزيرة العرب إلى شرق أفريقيا وتنقسم إلى اللهجات الآتية :

1- اللهجة الجعزية : باسـم الشعب الجعزي الذي نزح من الجزيرة إلى الحبشة وهي أقدم لغة سـامية دخلتهـا وقد ترجم إليهـا الكتاب المقـدس وبعض النصوص الدينية فأصبحت مرتبطة بالمسيحية، ولم تعمر هذه اللهجة طويلاً وما لبثت أن أصبحت لغة الطقوس الدينية في الحبشة وما زالت كذلك .

2- اللغـة الأمهريـة : وهي اللغة الرسـمية الآن فـي الدولة الحبشـية ليس في ميدان المكاتبات والدواوين بل في ميادين المحادثة والخطاب، وأصبحت لغة الصحافة والإعلام.

3- التجرينيـة والتيجريـة : اللهجتان المتفرعتـان عن الجعزية ولا تسـتخدمان في الكتابة بل في المشـافهة، وتسـتعمل الأولـى في تيجرينيا ومـن ضمنها مدينة أكسوم والثانية في المنطقة الواقعة شمال منطقة تيجرينيا، " وهما أكثر اللغات انتشاراً في أرتيرية " [1].

---

(1) السابق نفسه.

- ومن اللهجات المتفرعة من الأمهرية : الجوراجية لغة منطقة جوراجيا، اللهجة الهررية ويتكلم بها أهل مدينة هرر[1].

ويبدو أن هذه اللغات حديثة مختلطة من السامية والحامية.

الشعبة الغربية الشمالية من اللغات السامية التي تنقسم إلى قسمين :

أ - العربية البائدة: وهي عربية النقوش الموجودة في النقوش اللحيانية والصفوية والثمودية، وسنفرد لها فصلاً خاصاً .

ب - العربيـة الباقية : وهي العربيـة التي نزل بها القرآن الكريم، لغة القبائل العربية في تميم وما جاورها في وسط الجزيرة وشرقها، والحجاز وما جاورها واليمن، وما زالت باقية باعتبارها لسان أمتنا العربية في الأدب والعلم والمحادثة.

وأمـا اللغـات الحاميـة: فهي اللغـة المصرية القديمـة واللغة البربريـة واللغات الكوستية كالصومالية واللغة التشادية ومنها لغة الهوسا.



أسئلة التقويم الذاتي (2)

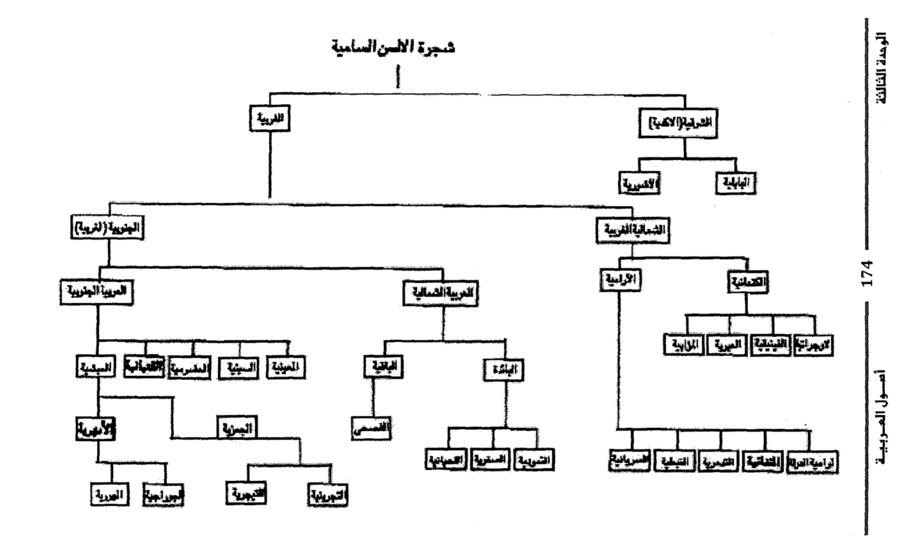
1. لِمَ سميت اللغات السامية بهذا الاسم؟ ومن سمّاها بذلك؟
2. اذكر اللغات التابعة لفصيلة اللغات السامية. وأي الشعوب التي تتكلمها؟
3. اذكر بعض اللغات التابعة لفصيلة اللغات الحامية؟



تدريب (2)

1. لقد كان للخط المسماري السومري أثر سلبي على اللغة الأكدية وضحه.
2. ماذا نقصد بقولنا العربية الباقية ؟

(1) وافي: فقه اللغة، ص95.


شجرة الألسن السامية
الغربية
الشرقية (الأكادية)
البابلية
الآشورية
الجنوبية (العربية)
الشمالية الغربية
العربية الجنوبية
العربية الشمالية
الآرامية
الكنعانية
السبئية
القتبانية
الحضرمية
السبئية
المعينية
الباقية
البائدة
الأوجاريتية
الفينيقية
العبرية
المؤابية
الحبشية
الجعزية
الفصحى
الصفوية
الثمودية
السريانية
النبطية
التدمرية
الهررية
الجوراجية
التيجرية
التيجرينية

4. خصائص اللغات السامية

إن أهم ما يميز فصيلة اللغات السامية عن غيرها ما يلي :

1- تعتمد اعتماداً كبيراً على الأصوات الصامتة في أداء المعاني الرئيسة للكلمات[1]، فمثلاً نجد الحروف : ج، م، ل هي التي تؤدي معنى الجمل المعروف بغض النظر عن الحركات القصيرة أو الطويلة المصاحبة لهذه الأصوات الصامتة [2]:

عربي	أشوري بابلي	عبري	آرامي	العربية الجنوبية بما فيها الحبشية
جَمَلٌ	جَملو	جَمَل	جَمْلا	جَمَل
رَكِب	ركب	رَكب	رْكب	ركب
دَم	دَمُو	دَمْ	دْما	دم
قَرُبَ يَقْرب	قرب يقْرب	قْرب يِقْرب	قْرب	قرب

2- تغلب على اللغات السامية الأصوات الحلقية كالعين والغين والحاء والخاء والهاء والهمزة والأصوات الطبقية كالصاد والطاء[3]، وهي موجودة بدرجات متفاوتة طبعاً، فالأصوات الحلقية والطبقية موجودة كاملة في العربية الجنوبية والشمالية بينما الأمهرية تخلو من العين وفي الأكدية الهمزة والخاء فقط .

3- تتألف الكلمات السامية في الغالب من جذر ثلاثي من الأصوات الصحيحة أو الساكنة نحو : ح ف ر، زرع، طحن، فتح، نفخ، وقر .

هذا طبعا بغض النظر عن حروف المعاني والضمائر وأسماء الشرط والإشارة .

4- إن دلالة الأفعال على الماضي والحاضر والمستقبل من وجهة النظر الموضوعية؛ من ناحية انتهائه في الماضي أو عدم انتهائه (المضارع والأمر) وليس من وجهة نظر الإنسان[4]؛ لذلك نجد أن العربية تستخدم أدوات أخرى للدلالة على الزمن بصورة أدق نحو لم، ولن، والسين وسوف ولذلك نجد بريجستراسر يعد العربية أدق من اللغات الأخرى في التعبير عن الوقت إذ يقول " فاللغة العربية أكمل اللغات السامية وأتمها

(1) انظر: فقه اللغات السامية: ص14، تاريخ اللغات السامية: ص14، فصول في فقه العربية: ص30.

(2) عن تاريخ اللغات السامية: ص285، 287، 286، 291، وتمثل العبرية اللهجات الكنعانية والعبرية، والسريانية جميع اللهجات الآرامية، والجعزية تمثل لهجات العربية الجنوبية.

(3) فقه اللغات السامية: 15، فصول في فقه العربية: ص31.

(4) السابق: نفسه.

في هذا الباب أي باب معاني الفعل الوقتية وغيرها "[1].

5- لا تعرف اللغات السامية تركيب الكلمات[2] أي إدغام كلمة في أخرى حتى تصير الاثنتان كلمة واحدة تدل على معنى مركب من معنى كلمتين مستقلتين[3]، كما في العربية الحديثة نحو، أفرو آسيوي (أفريقيا وأسيا)، شمطرية (شمسية) من الشمس والمطر، ورأسمالي (رأس ومال) والحقيقة أنّ مثل هذا التركيب موجود في العربية منذ القدم. وإن كانت أمثلته قليلة وقد يختلط بما يطلق عليه حديثاً اسم النحت نحو: عبشمي، وعبدري ومرقسي وعبقسي وتيملي في النسب إلى عبد شمس، وعبد الدار، وأمرىء القيس وعبد القيس، وتيم اللات .

6- تتشابه اللغات السامية في كثير من المفردات خاصة الدالة على أعضاء الجسم نحو أذن والضمائر وصلة القرابة[4] نحو أب وأم وابن وأخت، والأعداد من 2 – 10 والجهات، ونسوق أمثلة من تاريخ اللغات السامية لولفنسون[5]، كالتالي :

عربي	أشوري وبابلي	عبري	آرامي	العربية الجنوبية
أبُ	أبو	أب	أبا	أب
ابن	بُنو	بن	بْرَا	بن
أخ	أخو	أح	اخا	أخو
أذن	أزنُو	أزن	أُودنا	ازن
أمّ	أُمُوُ	أم	اما	أمّ
أُربْعُ	أرْبَعُو	أربّع	أربّع	أربّع
يوم	أمُنُو	يوم	يَومًا	يومْ

7- يحدث في الغالب تأنيث الاسم والصفة في اللغات السامية بإضافة تاء إلى المذكر واختص الدكتور وافي[6] بهذه الخصيصة ولم يذكر مثلاً، ولعله يريد ما يمكن أن نمثل له بـ : عادل : عادلة، وقاض : قاضية، وحسن : حسنة، وجميل : جميلة.

(1) التطور النحوي: ص90.

(2) فصول في فقه العربية: ص31.

(3) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية: ص15.

(4) فقه اللغة: د. وافي ص21، واللغات السامية، نولدكه: ص10.

(5) تاريخ اللغات السامية: ص283، 294، ورمز e ، للدلالة على الفتحة الممالة، و 5 للضمة المفتوحة، نحو: سولم في سالم وانظر كذلك التطور النحوي لبرجستراسر، المشترك السامي من المفردات من صفحة 208-210.

(6) فقه اللغة: ص21.

8- أمـا في بناء الجملة فكانت الجمل في اللغات السـامية قديماً قصيرة وترتبط ببعضها بالواو، وهي ما يسمى بظاهرة التوازي[1]، ولكن هذه الظاهرة افتقدت حديثاً.

أسئلة التقويم الذاتي (3)

ما أهم خصائص اللغات السامية ؟

تدريب (3)

اذكر ضميرين مشتركين بين العربية والعبرية ؟

5. خصائص العربية

اتسـمت العربية الفصحى بخصائص، انفردت ببعضها وشـاركتها في بعضها الآخر غيرها من اللغات السامية نذكر منها ما يلي :

1- تمتاز اللغة العربية في مجموع أصوات حروفها، بسعة مدرجها الصوتي حيث تدرج وتتوزع في مخارجها ما بين الشفتين من جهة وأقصى الحلق من جهة أخرى[2]، مما يؤدي إلى التوازن والانسجام فيما بين الأصوات في اللفظة الواحدة وذلك لأن العرب كانت تستبعد أن تنطق الألفاظ التي تتآلف حروفها فكما قال الجاحظ " فإن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تأخير والزمن لا يقارب الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير " [3].

2- ومن الخصائـص الصوتية كذلك للكلمة العربية ثبات أصوات الحروف فيها على مدى العصـور والأجيـال[4]، حيـث حافظت الأصـوات العربية في الفصحـى على صفاتها ومخارجهـا وبقيـت على وضوحها وخيـر ما يمثل ذلك الأصوات فـي قراءات القرآن الكريم.

3- وكذلـك الألفاظ العربية لا تبدأ بسـاكن لذلك كان العـرب يأتون بهمزة الوصل لتتحمل الحركة إذا كان الحرف الأول سـاكناً كذلك لا يجتمع سـاكنان في كلمة عربية ولا بين كلمتين متجاورتين كغيرها من اللغات.

(1) محمود حجازي: أسس علم اللغة العربية: ص149.

(2) محمـد المبارك: فقـه اللغة وخصائص العربيـة: ص ص 249-250 وانظر كذلـك صبحي الصالح: ص319.

(3) البيان والتبيين: 1/69.

(4) محمد المبارك: السابق، ص251.

4- ومــن أخص الخصائص التي تميـز العربية ظاهرة الإعراب وقد شــاركتها فيها قديماً الأوجارتية والأكدية وبها تؤدي العربية غرضين هما: الإبانة عن المعاني بالألفاظ[1]، لأنه هــو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفـظ[2]، وإن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها[3]، ولوصل الكلام بعضه ببعض عند الإدراج[4].

5- الاشــتقاق، وإن لم تنفرد به، يعتبر الوســيلة الأولى والرئيســية في نمو اللغة العربية واتساعها، ويجعلها قادرة عل استيعاب ما يستجد من ألوان الحضارة ومظاهر المدنية وتقـدم العلـم بتوليد الأبنيــة والأوزان التي تكـون وعاء للمعانــي بأنواعها وتعددها ويتجلى ذلك في اختلاف المشــتقات وأوزان الأفعال وصور المصادر فكأنها القوالب التي تصب فيها المعاني والأفكار والاصطلاحات والمفاهيم .

6- يعتمد الاشتقاق في العربية على أصول ثلاثية في الغالب، وأن الألفاظ التي تنتمي لهذا الأصل لا بد من توافر هذه الأصول فيها من أجل المحافظة على أصل المعنى.

7- ومــن خصائــص العربية كذلك أن القلب والإبدال من وســائل تنميــة العربية وهما من سنن العرب في كلامهم[5] ويقصد بالقلب المكاني كجذب وجبذ وبالإبدال إقامة حرف مكان آخر ســواء قاربه مخرجاً أم لم يقاربه نحو فلق وفرق، ومدحه ومدهه، وعنوان وعلوان أراق وهراق.

8- ومن خصائص العربية في التركيب ما تحدث عنه برجستراسر[6] في ثلاث مسائل:

الأولى : ضمير الشــأن : حيث يقول : " ومــن خصائص العربية، إن مبتدأ الجملة الحركيــة، ربمــا كان ضميراً للغائب، لا علاقة له بالجملــة الخبرية ولا راجع إليه فيها، وهذا ما ســماه النحويون : ضمير الشــأن نحو : "إنه لا يفلح الظالمون"[7] وأكثر ذلك بعــد إنَّ كمــا هو في هذا المثال أو بعد أنّ، على الجمــل الفعلية نحو: لا يفلح الظالمون فهذا مما يشــهد بمزية العربية شــهادة مبينــة، فغيرها من اللغات الســامية، قد يقدم أمثال (إنّ) على الجمل الفعلية وإن كان موضعها أول الجمل الاســمية فقط، والعربية أعدمت الشــواذ، وأقصت قاعدة إلحــاق إن وأخواتها بالجمل الاســمية فقط، وهي مع ذلك اخترعت وسيلة لقلب الجملة الفعلية، اسمية، بغير تغيير تركيبها، وكثرة ذلك من خصائص العربية مع كون أصله سامياً شائعاً في غير العربية أيضاً.

---

(1) الخصائص: 1/35.
(2) الصاحبي في فقه اللغة: ص75.
(3) دلايل الإعجاز: ص23.
(4) الإيضاح في علل النحو: ص69.
(5) الصاحبي: ص208-209، وفقه اللغة للثعالبي: ص347.
(6) التطور النحوي: ص ص 139-140.
(7) إنها فاصلة لآيات كثيرة في سور عدة منها: سورة الأنعام 6-21.

الثانيــة :نائـب الفاعل : حيـث قال: "والجملة الفعلية أبسـط تركيبـاً من الجملة الاســمية ولا ينبغي لنا أن نتكلـم هنا تفصيلاً، بل يكفي الكلام عن مسـألة واحدة من مســائلها وهي مسـألة الفعل المعدوم أو المسـند إليه، أما الأول فهو فعل ما لا يسمى فاعله نحو ضُرِبَ زيدٌ فهو معدوم الفاعل، ليس بمعدوم المسـند إليه فنراه أسـند إلى زيد وهو مفعوله، فإذا نقلنا جملة ضربت زيداً إلى ما لم يسـمى فاعله صار المفعول وهو زيد مسـنداً إليه وحذف الفاعل، وفي العربية قد يسـند فعل ما لم يسمَّ فاعله في بعض الأوقات إلى ما لم يكن مفعولاً بل كان منصوباً غير مفعول نحو: سير فرسخان، أصلها ساروا فرسخين، وصيم رمضان أصلها صاموا رمضان، ولا نظير لذلك في غير العربية".

الثالثة :إسناد الفعل أو الخبر إلى ظرف زمان حيث قال: "ومن غرائب العربية التي تتميز بها، ليس عن سـائر اللغات السـامية فقط بل عن أكثر اللغات على العموم، إسناد الفعل أو الخبر إلى ظرف زمان نحو: إذا ما نام ليل الهَوْجَل(1)

أي إذا نام البطيء والأحمق ليله، ومن مثل ذلك : أخذ وصف الزمان بالفعل نحو "يوم عاصف"، وإضافة الفعل إليه، نحو : "بل مكر الليل والنهار"(2).

9- ومن أبرز السمات التركيبية في العربية التقديم والتأخير مع الاستفهام والهمزة كقولك: أفعلت؟ فيكون الشك في الفعل نفسه لتقديمه، أما إذا قلت: أأنت فعلت؟ سيكون الشك في الفاعل لتقديم الاسم وكقوله تعالى: "أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟" (3).

كذلك التقديم والتأخير مع النفي كقولك: ما قلت هذا، وما أنا قلت هذا، في الأولى تنفي عن نفسـك فعلاً لم يثبت أنه حاصل، وأما الثانية فتنفي عن نفسـك ما ثبت أنه قد حصل.

هذا غير التقديم والتأخير بين المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، مما قد يكون له أسـباب أو أسـرار تعود إلـى انفعال المتكلـم أو حرصه على الموسـيقى أو للاهتمام بالمتقـدم أو للضـرورة الشـعرية أو للتبّـرك أو التعجـب أو التفـاؤل أو التشـوق أو التخصيـص أو التنبيه أو لتمكين الخبر في ذهن السـامع أو لتعجيل المسـرة أو غيرهـا أو لتقويـة الحكـم أو تعميمـه(4).

---

(1) البيت لأبي كبير الهذلي في ديوان الهذليين: 3/1073، وصدره: فأتت به حـوش الجنان مبطّناً: سهداً...الخ.

(2) سورة سبأ: 33.

(3) سورة إبراهيم: 18.

(4) اللغة العربية والوعي القومي: من خصائص اللغة العربية، أحمد مطلوب: ص-136 ص142.

10- ممـا يميّـز العربية أنها تعبـر عن أحوال أمتهـا وخصائص طبيعة الحيـاة فيها مما يجعلها لغة حية في رأي العقاد[1] والعربية لغة معبرة بهذا المعنى الواسع كدلالتها على الروابط الاجتماعية وعن طبيعة الحياة في المجتمع وضرب أمثلة على ذلك:
فالأمة هي الجماعة التي تؤم مكاناً واحداً أو تأتم بقيادة واحدة، والشعب هو الجماعة التي تتخذ لها شـعبة واحدة من الطريق ... والجيل من الناس هم الذين يشتركون في مجـال واحد ...والنفر من القوم من ينفرون معاً للقتال أو لغيره، والقوم في جملتهم هم الذين يقومون قومةً واحدة للقتال خاصة .... والوطن وهو المكان يسـتوطن فيه والمنـزل حيث ينزل الإنسـان والبيت حيث يبيت بالليل .... والصاحب هو من يمشـي معك في السـفر والقريب الذي يقترب من منزلك ...وتطلق السيرة على الترجمة وهي من سار يسير، وتطلق القصة على الحكاية وهي من قص الأثر ".

11- وتتميز العربية بالمجاز وتبلغ مدى واسـعاً في استعماله وفي الجمع فيه بين الدلالة على المحسوسـات والدلالـة على المجردات في كثير من المسـائل الفكرية والصفات الخلقيـة التي تجتمع في مادة واحدة كالفضيلة والفريضة والحكمة والعقل والعظمة والعزة والنبل والشـرف والرحمة، فالفضيلة مثلاً كل بقية أو زيادة وهي الخلق الذي يـدل على فضـل أو زيادة عند صاحبـه، والعظيم هو الكبير العظـام أو كبير الأخلاق والمزايا .

12- واذا كانت اللغات السـامية لا تتجاوز حروفها اثنين وعشـرين في رسـمها فإن اللغة العربية تزيد عنها بستة حروف تجمعها في الترتيب الأبجدي الكلمتان "تخذ، ضظغ" التي تسـمى الـروادف؛ لأنها تأتي رادفة للحروف الاثنين والعشـرين المشـتركة في اللغات السامية.
وهكذا تتميـز "العربية في مجال الوحدات الصوتية "الفونيمات"... ولا تضاهيها في ذلك أي لغة من اللغات السـامية، وحسـبك أن تعلم أن الأبجديـة العبرية والآرامية، لا تتجاوز، عملياً، اثنين وعشرين حرفاً"[2].

13- كمـا إن اللغـة العربية غنية بأصواتهـا، كذلك هي غنية بمفرداتها، بـل إنها من أغنى اللغات الحية بثروتها وكثرة المترادفات فيها. "لا مراء في أن العربية أوسع، من حيث الثروة اللفظية، من أيٍّ من أخواتها السـاميات"[3]. هذا غير ظاهرتي الاشتراك اللفظي التـي يدل فيها اللفظ على معنييـن فأكثر والتضاد التي يدل فيهـا اللفظ على معنيين متضاديـن، عـدا أن قواعد النحو فيها مرتبة بصورة منطقية فللشـرط جوابه وللفعل فاعله وللمبتدأ خبره.

---

(1) اللغة الشاعرة، انظر ص ص 67-60، في فصل عن مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية.
(2) عمايرة، خصائص العربية: ص23.
(3) المرجع السابق: ص41.

14- يتوافـر للغــة العربية "قَدْر من المرونة في التوســع، ومرونة فــي التقلص"[1] على الصعيديــن النحوي والبلاغي، كالحذف والإطناب. وأما على الصعيد الصرفي فيكون التوسع بزيادة الحروف في الصيغ الصرفية. ومن المرونة كذلك ما استحدثته العربية من صيغة المبني للمجهول إلى جانب صيغ المطاوعة التي اكتفت بها اللغات السامية الأخـرى، مع اختصــاص العربية بوزن "فَعُل" اللازم نحو: كَـرُم وَخبُثَ وجَدُرَ، وهو وزن تـكاد تســتأثر به العربية. عدا مــا تتفوّق به العربية على أخواتها الســاميات من تعــدد أوزان الأفعال العربية مع القدرة على توظيفها وهو ما عجزت عنه الأكدية مثلاً التــي تفوق العربية في أوزان أفعالها. إضافة إلى خصوبــة العربية في تنوّع مصادر الثلاثــي والمصــادر الصناعية مما تفتقر إليه اللغات الســامية الأخــرى. وكذلك صيغ المثنــى في الســاميات يطلق على ما كان كذلك في الطبيعــة كاليدين والأذنين، أما في العربية فقد أطلق كذلك على التثنية للشــيء نفســه كالرجليـن، وعلى المتلازمين في ظاهرة التغليب كالقمرين للشمس والقمر مثلاً[2].

وهنــاك من يرى أن في العربية ســمة ظاهرة وهي ما نســميه بالقيمة التعبيرية للحرف العربي التي تربط الأصوات (الحروف) بدلالات معينة Sound Symbolism وما ترتب عليها من تناســب بين الصوت والدلالة وقــوة المعنى بقوة اللفظ وهو باب تحدثنا عنه في باب سابق عن علم الأصوات في العربية .

أسئلة التقويم الذاتي (4)

ما أهم خصائص اللغة العربية ؟

تدريب (4)

يتوافــر للغة العربية قدر من المرونة في التوســع ومرونــة في التقلص. ما معنى ذلك؟ اضرب أمثلة لذلك.

---

(1) السابق، ص21.

(2) انظر المرجع السابق: ص ص 21،22،25،40،61،64.

6. نقوش العربية البائدة

والمــراد بالعربيــة البائدة هي لهجــات القبائل العربية التي بادت قبل الإســلام وهي الثموديــة والصفويــة واللحيانية التي لم تصل إلا عن طريق نقوش عثر عليها في شــمالي الجزيرة العربية، وأما زمانها فيتراوح بين القرنين الخامس قبل الميلاد والرابع الميلادي .

وقســمت النقوش المكتشــفة إلى ثــلاث مجموعات بناءً على معاييــر متكاملة أهمها: أماكن وجــود هذه النقوش، الخصائص اللغوية، وخصائــص الكتابة فيها، ومجموع هذه المعايير يحدد لنا كون نقش بعينه صفوياً أو ثمودياً أو لحيانياً.[1]

النقــوش الثموديــة : وقد وجدت في منطقــة مدائن صالح في شــمال غرب الجزيرة العربية، في أعالي الحجاز في ونجد ويرى Grimme أن النقوش الثمودية الحجازية أقدم من النقوش الثمودية النجدية[2]، وفي العلا وشرقي الأردن وسيناء، وأكثر النقوش الثمودية تتناول أشــياء شخصية لا ترتبط بقرائن تاريخية أو أحــداث هامــة[3]، وقد ذكر الدكتور بعلبكي[4]، "إن النقوش الثمودية تتضمن ســتة أشــكال غير موجودة في الكتابة الســامية الشمالية، وهي للأصوات S, G, D, D, H, T والصوت الأخير هو حرف الصفير".

أمــا الدكتــور رمضـــان عبــد التـــواب[5] فينقـــل عـــن الدكتــور عبــد الرحمــن الأنصــاري أن مــا يســمى بالخط الثمودي ليس إلا مخربشات من خطوط البادية قلد فيها أصحابها خط المسند، وقد قصد بذلك أن هذه القبائل المتموجة في الجزيرة العربية كانت تذهب إلى مواطن سبأ ومعين وقتبان وحضرموت وكانت تذهب إلى ديدان (يقصد العلا) والحجــر، وترى هذه الخطوط جميلة ثم تحاول تقليدها، عندما تعود إلى مضاربها، وهذا ماكنــا نشــاهده منذ زمن ليس بالقصير يأتي أحد أبناء الباديــة، ومعه ابنه، إلى الحاضرة، فيترك ابنه في أحد الكتاتيب لمدة أسبوع أو أسبوعين ريثما يبيع ما لديه، ويشتري ما يريد ثم يأخذ ابنه معه إلى البادية، وقد علقت بذهنه صور بعض الحروف أو بعض الكلمات، ثم يطلب الأب من ابنه، كتابة رسالة إلى عمه في مكان آخر، أو التاجر الذي اشتريت منه بعض الســلع، وهكذا يحاول الابن تقليد ما علق بذهنه من حــروف وكلمات، فالكتابات الثمودية فــي اعتقادي، هي من هذا النوع، نــوع كتابات البادية، ولذا لا نجد فيها معلومات تاريخية

---

(1) حجازي: أسس علم اللغة العربية: ص221.

(2) رمزي البعلبكي: الكتابة العربية السامية: ص107.

(3) حجازي: السابق ص222.

(4) السابق: نفسه.

(5) فصــــول فــي فقه العربيــــة: ص ص 38-39، عن محاضــرة للدكتــور الأنصـــــاري بعنــوان : «لمحات عن القبائل البائدة في الجزيرة العربية».

قيمـة، وإنمـا هي عبارة عن فلان بن فـلان نزل في هذا المكان، أو فلان بن فلان اشـتري جمـلاً مـن فلان، كتابات لا يمكن أن تعطى حقائق تاريخيـة واضحة، ذات حوادث أو ذات طابع حضاري " .

ومـن هذه النقـوش الثمودية التي يمكن أن تفك رمـوزه بالحروف العربية نصه كما يلي:

"دنـه قبور صنعه كعبو بر حرثت للقص برت عبـد منوتي أمه دي هلكت في الحجر شـنة ماه وشـتين وترين بيرح تموز ...."[1] وترجمته بالعربية : " هذا القبر صنعه كعب بن حارثه للقيض بنت عبد مناة، أمه، التي هلكت في الحجر سـنة مائة واثنتين وستين من شهر تموز " ويعلق عليه الأستاذ ليتمان أنه يتضح من النقش أن كاتبه ما كان يعرف اللغة الآرامية معرفة صحيحة؛ لأنه أراد أن يستعمل ألفاظاً آرامية فخانه الجهل بها واضطر إلى أن يضعها في قالب عربي وأن يسـتعمل معها بعض الكلمات العربية[2]. وفي تقديري أنه وضع بقالب عربي لأن أكثر كلماته عربية وليس بعضها، وهذا يعني أن العربية الشـمالية بدأت تأخذ طريقها إلى الانتشار، وأن الآرامية قد آلت إلى الاندثار واحتلت العربية مواقعها من قبل ظهور الإسلام، فالثموديون عرب والأصل أن يتكلموا بالعربية ويمكن أن يخلطوها ببعض الكلمات الآرامية، وانظر إلى نقش آخر بحروف ثمودية صورتها كالتالي:

ذ ن ل ق ض ب ن ت ع ب د م ن ت

ذ ن ل ق ض ب ن ت ع ب د م ن ت

ويقابلها بالعربية : ذن / ل ق ض / ب ن ت / ع ب د / م ن ت .[3]

---

(1) انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية: ص178.

(2) السابق نفسه.

(3) نفسه.

		سبئي	لحياني	ثمودي	صفوي
ا	א				
ب	ב				
ج	ג				
د	ד				
ذ	ד̄				
ه	ה				
و	ו				
ز	ז				
ح	ח				
خ	ח̄				
ط	ט				
ظ	ט̄				
ي	י				
ك	כ				
ل	ל				
م	מ				
ن	נ				
س	ס				
ع	ע				
غ	ע̄				
ف	פ				
ص	צ				
ض	צ̄				
ق	ק				
ر	ר				
ش	ש				
ت	ת				
ث	ת̄				

أي ذيـن لقيـض بنت عبد مناة (هذا قبر لقيض بنت عبـد مناة)[1]. ولا أدري حقاً على أي أسـاس اسـتخلص منها ولفنسـون " أن اللغة الأدبية في ذلك الحين كانت لم تزل هي اللغة الآرامية " فالكلمات عربية وتركيبها عربي؛ ويشـهد لذلك قوله في موضـع سـابـق عـن النقـوش الثموديـة "[2] وهي على غموضها هذا عربية وقريبة من الأسـلوب العربي في عصر ظهور الإسـلام أكثر مـن غيرها". وكذلك بناء على ما نشـره في كتابه " تاريخ اللغات السامية " عن الحروف الثمودية واللحيانية والصفوية أن هناك خطأين في ترجمته للعبـارة: أولهمـا أن حرف I في أول الجملة ليس ذالاً وإنما هو ألف؛ لذا فهي ليسـت (ذن) وإنمـا (أن) أي أنـا لأنها لا تسـجل هذه الخطوط الحـركات الطويلة بدليـل ترجمتهم ذن ولقض ومنت بأنها ذين لقيض مناة، ولأنهم يعتمدون (أقصد الثموديين واللحيانيين) في كتاباتهـم على الحروف الصامتـة التي يكتبونها من غير الحـركات على اختلاف أنواعها، وأما الآخر فقد رسـم الدال ( )، ومن ينظر إلى لوحة الخطوط نفسها يجد أن الدال يجب أن تكـون هكذا ( ) وهـي تذكرني بحرف d في اللاتينية واللغات الأوروبية، والسـابقة بحـرف b فيها . وقد تكون السـابقة من الخـط الصفوي، لأنها في الخـط الصفوي ليس لها شـكل ثابت أو مكان ثابت، وهو ما توضحه اللوحة السـابقة . ويبدو أنها للدال أقصد الشـكلين بدليل أنها جاءت في نقوش أخرى هكذا ( ). ويبدو أن هناك أيضاً تناقضاً آخر وقـع فيه ولفنسـون حيث يقـول :" وحرف (هـ) الـذي جاء في صدر كلمـة علم هو أداة التعريـف (أل) لأن أصحـاب النقوش الثمودية لم يكونوا يسـتعملون أل للتعريف كما هي الحال في العربية ولكن استعملوا حرف الهاء للتعريف كما هي الحال في العبرية[3]، وكما هي الحال في بعض اللهجات العربية الحديثة التي نسمع فيها، هالولد هالشارع مع الشك أنها اسـم إشـارة مختصر أو هي هاء التنبيه من اسم الإشـارة، ويناقض نفسه في موضع آخر " والهاء في صدر كلمة رضو جاءت مكان ياء النداء (في نقش : يا رضو سـاعد لهم أو سـاعد شخصاً عرف باسـم لهم أولهيم)[4]، مع أن الترجمة الأوضح في تقديري يحسن أن تكون: (الرضا والسعد، اللهم أولاهمَّ) لما ذكره : (هر ر ض و، س ع د، ل هـ م) كل ذلك من أجل أن يثبت أن هناك صنماً للثموديين نسـبه للعرب بعد الإسلام اسمه (رضو أو رضى). واعتبار الهاء للتعريف بمثابة أل يتّسق مع ما ذكره سابقاً ؛ لأن كثيراً من الظواهر السـامية قد يأتي في إحـدى فروعها ويبقى أثره في بعض اللهجـات العربية، وهذا أولى من اعتبار الهاء حرف نداء مرة، وأداة تعريف مرة أخرى. كذلك أن نقول اللهم يتسـق مع

(1) نفسه.
(2) نفسه: ص181.
(3) نفسه: ص180.
(4) نفسه: ص182 .

أســاليب العربية والنداء لأن الميم تسـد مسـد حرف النداء مع لفظ الجلالة، وهو أوفق من أن نقول لهم أو لهيم على أنها اسـم لشـخص. ولنا سند في ذلك من ورود صيغة لا همَّ عن العرب بدلاً من اللهم في قول أحدهم:

لا همَّ إن كنتَ قبلتَ حَجَّتج فلا يزال شاحِجٌ يأتيك بج[1]

النقـوش الصفويـة :وهي النقوش التي تنسـب إلى أراض مرتفعـة تتكون من حمم بركانيـة تقع في جنوب شـرق دمشـق، ووجد في المناطـق المجاورة لهـا نقوش أيضاً، وسميت جميعها بالنقوش الصفوية لأنها تتفق في الخط وفي الخصائص اللغوية[2]، وظلت هذه النقـوش يكتنفها الغموض حتى ذهب ليتمان المستشـرق الألماني إلى هذه المنطقة وجمع ما تيسـر له من نقوشـها وصل إلى 1400 نقش ودرسـها وكشف أن عدد حروفها 28 كالعربيـة وأن خطها قـريـب مـن الـثـمـودي وأن أصـحـابـهـا مـن الـعـرب، وألـف فـي لـغـة هـذه الـنـقـوش كـتـابـاً سـنـة 1901م[3]. ومما لاحظه كذلك ليتمان وجود ألفاظ تدل على حياة أصحابها الصحراوية كأسـماء الحيوانات، وكثرة أسماء الأصنام الصفوية، وأن النقوش تخلو من حروف العلة [4].

النقـوش اللحيانية:وهي نسـبة إلـى قبيلة عربية فرع من هذيل كانت مسـاكنها قبل ظهور الإسـلام شمالي شـرق مكة . وقد عثر على نقوش تبين أنه كان لهذه القبيلة مملكة حيـث يذكر في هذه النقوش أسـماء ملـوك لحيان، وخط هذا النقوش أقرب إلى المسـند، وتاريخه يعود من 400 إلى 200 ق.م.

ويمكننا أن نجمل ما تتصف به هذه النقوش بما يلي:

1- أن خطها يقوم على أساس الخط العربي الجنوبي القديم؛ أي مأخوذ من الخط المسند أو الخط السـبئي والمعيني وتعتبر خطوطها المرحلة الأولى في تطور الخط العربي وانتشاره[5].
2- تتفـق النقوش كلها فـي تدوينها الأصوات الصحيحة (الصوامـت)، ولكل صوت منها حرف متميز وتهمل، باتفاق، تدوين الصوائت، الحركات الطويلة منها والقصيرة.
3- لغـة النقـوش عربية لمـا ورد فيها من أسـماء أعلام أو أفعال أو حـروف أو حيوانات صحراويـة ومنهـا ما يدل على البيئـة العربية الجاهلية خاصة من أسـماء الأعلام أو أسماء الحيوانات، نحو:

---

(1) ورد في شرح المفصَّل: جـ10/ ص50.
(2) حجازي، أسس علم اللغة العربية: ص222.
(3) فصول في فقه العربية: 36.
(4) ولفنسون: ص183، 186، 188.
(5) انظر: حجازي السـابق ص224، ورمضان، فصول في فقه العربية السـابق نفســه، دراسات في فقه اللغة: الصالح، ص56، وافي: فقه اللغة: ص100، ولفنسون: ص188.

الـلات، رضـو، ودّ، عبد مناة، لقيض، كعـب بن الحارث، يغوث، أنعـم (من الأعلام)، وشـتى، وحل، سـاعد، سـرت، صنع : أعِن (من الأفعال)، وفي، على، من . .... الخ من الحروف.

وجمـل، أسـد، غنـم، غـزال، ضـب، ورل، مهـر، الـخ ... مـن أسـماء الحيوانـات الصحراوية.

4- ومـن الملاحـظ فيها كذلك وجود اسـم الموصول (ذ) والهـاء للتعريف، والأولى من اللهجة الطائية والثانية في العبرية وفي العامية العربية. وقد عثر المستشـرقون على نقـوش أخرى عربية في مادتها وأسـلوبها، وأقرب من النقـوش الثمودية والصفوية واللحيانية إلى العربية في المفردات والقواعد وخطها النبطي الشبيه بالخط الكوفي، أي حروفـه متصلـة وأول هـذه النقوش، نقش العمارة نسـبة إلى قصـر العمارة في الجانب الشرقي من جبل العرب (الدروز). وقد وجد في مدفن امرئ القيس بن عمرو ملك الحيرة، ويشـتمل هذا النقش الذي دوّن سـنة 328 م، على خمسة أسطر ونصها بالحروف العربية:

1- تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج .

2- وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجا .

3- بزجي في حبج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .

4- الشعوب وكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

5- عكدي هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول بالسعد ذو ولده، وترجمته إلى العربية كالتالي :

1- هذا قبر امرئ القيس بن عمرو، ملك العرب كلهم، الذي حاز التاج.

2- وملك الأسدين ونزاراً وملوكهم، وهزم مذحجاً اليوم أو بالقوة، وجاء.

3- بغنائم في مجتمع نجران[1] (أو إلى نزجي أو بزجي في حبج نجران)[2] مدينة شمر، وملك صعداً، وأنزل بنيه (بمعنى قسم بينهم).

4- الشعوب، ووكله الفرس والروم، فلم يبلغ ملك مبلغه .

5- اليوم (أو في القوة أو في الحول)[3] سنة 223، يوم 7 من كسلول (كانون أول) ليسعد الذين ولدهم .

(1) عن رمضان عبد التواب: فصول في فقه العربية، ص40، وكذلك بغنائم في مجتمع نجران.

(2) عن ولفنسون، ص190، وتابعه، وافي: فقه اللغة، ص104.

(3) السابق نفسه.

والنقوش الثلاثة الأخرى هي :

1- نقــش زَبَدَ وتاريخه 512 م، مكتوب بثلاث لغات هي اليونانية والســريانية والعربية. وزيد طلل في الجنوب الشرقي من مدينة حلب بين قنسرين والفرات، وهو مكون من ســطرين تحتوي على أسماء عربية نحو الإله ســرجو، امرئ القيس، وسعدو وسترو وشريحو.

2- نقش حران : وتاريخه ســنة 568 هـ، واكتشــف في منطقة تقع شــمال جبل الدروز ونصه من أربعة أسطر باللغتين اليونانية والعربية وقراءة النص العربي هي:

- أنا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول.
- سنت 463 بعد مفسد.
- خيبر.
- بعام.

وترجمته بالعربية " أنا شــراحيل بن ظالم بنيت هذه الكنيســة ســنة 463 بعد مفسد خيبر بعام".

يبدو هذا النقش أنه أقرب إلى عربيتنا من النقشــين الســابقين، أما النقش الرابع فهو نقــش أم الجمال الثاني العربــي ويرجع إلى أوائل القرن الســادس الميلادي لأن نقش أم الجمال الأول آرامي.

أسئلة التقويم الذاتي (5)

ما أهم خصائص النقوش العربية القديمة ؟

تدريب (5)

ما المقصود بالنقوش؟ وأي اللغات التي نقصدها بهذا الوصف ؟

7. الخلاصـــــة

لقد تكلمنا في هذه الوحدة عن:

1. تصنيف اللغات حسـب تشـكيلها إلى لغـات تصريفية وإلصاقية وعازلة ، وحسـب نظريـة القرابة إلى لغات هندية أوروبية وسـامية وطورانية . وذكرنا اللغات التي تندرج تحت كل هذه التصنيفات.
2. وقمنا كذلك ببيان:

أ- خصائص اللغات السامية

ب- والخصائص التي تنفرد بها العربية .

3. وبينا ما تتميز به النقوش العربية البائدة وهي الثمودية واللحيانية والصفوية .

8. لمحة عن الوحدة الدراسية الرابعة

وهي بعنوان العربية الفصحى واللهجات ، ونعرف اللغة واللهجة ونتعرف سمات اللهجات العربية القديمة كتسـهيل الهمز ، والكشكشـة والكسكسـة والعنعنة ... الخ ، وسـنبين مصادر الاحتجاج العربية القديمة كالقرآن الكريم والشعر والحديث الشريف وكلام العرب المنثور ، وسـنعّرف الازدواجية وسـنبين طرق الخـلاص منها إن أمكن ذلك .

9. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1- تصنّف العربية بأنها اشتقاقية، ولكنها تلجأ إلى الإلصاق أحياناً خاصة في صيغ الجمع والتثنية.

2- تستمد اللغة عالميتها أحياناً من التقدم العلمي الذي يحرزه أهلها، خاصة المساهمة في مجالات التقنية والاختراعات والبحث.

تدريب (2)

1- فقدت الأكدية الحروف التي لم تجد ما يمثلها في الحروف السومرية مثل الأصوات الحلقية وهي: الحاء والهاء والعين والغين.

2- العربية الباقية هي العربية الشمالية، التي نزل بها القرآن الكريم، وما زلنا نتعامل بها إلى يومنا هذا على مستويين: الفصيح والعامي.

تدريب (3)

هما أنا ونحن مثلاً.

تدريب (4)

المرونة في التوسع تتمثل مثلاً في الإطناب البلاغي، وفي زيادة الحروف والحركات وتغييرها في الصيغ الصرفية لأداء المعاني في المشتقات مثلاً كحروف المضارعة، وألف فاعل، والميم وفتح ما قبل الآخر أو كسره في اسم المفعول واسم الفاعل. فضلاً عن زيادة المعاني بزيادة المباني.

أما مرونة التقلص كالايجاز البلاغي، والحذف النحوي الجائز والواجب، والحذف في الصيغ الصرفية.

تدريب (5)

النقوش هي الخطوط العربية المنقوشة على الحجارة أو غيرها. واللغات التي وجد لها نقوش هي الثمودية والصفوية واللحيانية.

10. المراجع



1. الابراشي، محمد عطية، الآداب السامية، ط2، بيروت: دار الحداثة، 1984م.
2. الأنطاكي، محمد، الوجيز في فقه اللغة ، بيروت: دار الثقافة، بلات.
3. باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، طرابلس: ط جامعة طرابلس، 1973م.
4. برحشتراسر، التطور النحوي، إخراج وتعليق رمضان عبد التواب، القاهرة: الرياض: مكتبة الخانجي، دار الرفاعي.
5. بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، الرياض: جامعة الرياض، 1397هـ-1977م.
6. البعلبكي، رمزي، الكتابة العربية السامية، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1981م..
7. بوكاي، موريس، القرآن الكريم والإنجيل والتوراة والعلم، القاهرة: دار المعارف، بلات.
8. الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وأسرار العربية، بيروت: منشورات، دار مكتبة الحياة، بلات.
9. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين،، ط4، بيروت: ط محمد فاتح الداية، بلات.
10. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الاعجاز، تصحيح محمد عبده والشنقيطي، مصر:1321هـ.
11. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت، دار الهدى للنشر، بلات.
12. حجازي، محمود فهمي، أسس علم اللغة العربية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979م.
13. رشدي، زاكية، السريانية نحوها وصرفها، ط2، القاهرة: دار الثقافة، 1978م.
14. الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، 1973م.
15. الزيدي، كاصد ياسر، فقه اللغه العربية، الموصل: جامعة الموصل، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي 1407هـ-1987م.

16. السكري، ديوان الهذليين وشرحه، تحقيق عبد الستار فراج، القاهرة: 1965م.

17. الصالح، صبحي، دراسات في فقه اللغة، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1973م.

18. شاهين، توفيق، علم اللغة العام، ط11، القاهرة، الاسكندرية: مكتبة وهبة، 1400هـ-1980م.

19. ظاظا، حسن، الساميون ولغاتهم، الإسكندرية: مطبعة المصري، بلات.

20. عامر، سليمان، اللغة الأكدية، الموصل: جامعة الموصل، وزارة التعليم والبحث العلمي، دار الكتب للطباعة والنشر، 1412هـ-1991م.

21. العقاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1960م.

22. ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق عمر الطباع، ط1، بيروت: مكتبة المعارف، 1414هـ-1993م.

23. قنديل، عبد الرازق، العبرية، 1983م.

24. كمال، ربحي، دروس اللغة العبرية، بيروت: دار النهضة العربية، 1978م.

25. المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، ط7، دار الفكر، 1401هـ-1981م.

26. نولدكه، تيودور، اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، القاهرة: مكتبة دار النهضة العربية، 1963م.

27. وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ط9، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلات.

28. وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط8، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلات.

29. ولفنسون، إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، بيروت: دار القلم، 1980م.

31. مركز دراسات الوحدة العربية مع المجمع العلمي العراقي ومعهد البحوث والدراسات العربية، ندوة اللغة العربية والوعي القومي، ط1، بيروت: 1984م.

الوحدة الرابعة

العربية الفصحى واللهجات

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس :

أرحب بك لدراسة الوحدة الرابعة من مقرر علم اللسان العربي، وعنوانها : العربية الفصحى واللهجات.

وهو عنوان أريد به بيان الخصائص الأساسية التي تتميز بها العربية الفصحى عن اللهجات والفرق بين اللغة واللهجة وأظهر خصائص اللهجات العربية القديمة، وصلة الفصحى باللهجات ومصادر الاحتجاج اللغوي في الفصحى، والازدواجية بين الفصحى والعامية.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك، عزيزي الدارس، بعد دراسة الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

1. تحدد الخصائص الأساسية التي تتميز بها العربية الفصحى عن اللهجات.
2. تحدد الفروق العامة بين اللغة واللهجة بشكل عام .
3. تبين أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة والحديثة.
4. تحدد مصادر الاحتجاج اللغوي، والأطر الزمانية والمكانية للاحتجاج اللغوي.
5. تذكر أظهر خصائص اللهجات العربية القديمة كالشنشنة والكشكشة والكسكسة والعجعجة، ومدى امتدادها في اللهجات العربية المعاصرة.
6. تشرح الصلة بين العربية واللهجات وآثار ذلك سلباً وإيجاباً على الناطقين بالعربية.

3.1 أقسام الوحدة

تقسم الوحدة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول تعريف اللغة واللهجة، وما تتميز به احداهما عن الأخرى، يغطي الأهداف الأول والثاني والثالث والخامس والسادس.

القسم الثاني مصادر الاحتجاج اللغوي، ويغطي الهدف الرابع.

القسم الثالث الازدواجية، ويغطي الهدف السادس.



4.1 القراءات المساعدة

1. الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، ط3، دمشق: مطبعة جامعة دمشق، 1964م.
2. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ط6، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1984م.
3. بدوي، السعيد، مستويات العربية المعاصرة في مصر، مصر: دار المعارف، بلات.
4. تيمور، أحمد، لهجات العرب، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، العدد 29، 1393هـ-1973م.
5. الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1384هـ-1965م.
6. رمضان، عبد التواب، فصول في فقه العربية، القاهرة: دار المسلم للطباعة والنشر، 1979م.
7. الفيصل، سمر روحي، المشكلة اللغوية العربية، طرابلس: جروس بروس، 1992م.
8. الموسى، نهاد، قضية التحول الى الفصحى في العالم العربي الحديث، ط1، عمان: دار الفكر: 1987م.
9. يعقوب، إميل، فقه اللغة العربية وخصائصها، بيروت: دار العلم للملايين، 1982م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

1. دراسة الوحدة.
2. تكليف الدارس بتتبع بعض الظواهر اللهجية القديمة في عصور لاحقة من تاريخ العربية.

2. اللغة واللهجة وما تتميّز به إحداهما عن الأخرى

اللهجة في الاصطلاح العلمي هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشـترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة[1] التي قد تكون مدينة أو قرية، أو حياً من مدينة ما. وكل لهجة لا بد أن تكون جزءاً من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشـترك جميعاً في مجموعة الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفـراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وتلك البيئة الشـاملة التي تتألـف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسـميتها باللغة[2]، وهكذا لكل مجموعة بشـرية قلّت أو كثرت، عاداتها الكلاميـة المشـتركة التي تتواصل وتتفاهـم بها، ويطلق على هذه العـادات الكلامية التي نشـأت واعتادت عليها هذه المجموعة، اسـم اللهجة. ومن مجموع هذه العادات الكلامية، بسـماتها وخصائصها المشـتركة، تتكون اللغة أو اللسـان، كالعربية التي تتوزع لهجاتها قديمـاً على عدة قبائـل، وحديثاً على عدة بيئات في الوطـن العربي يصعب حصرها وهي العاميـات. ويترتـب على ذلك وبشـكل منطقي أن ترتبـط اللغة واللهجـة بعلاقة العموم والخصوص، حيث اللغة، بما تشتمل عليه من عدة لهجات، هي التي تمثّل العام، وكل لهجة من لهجاتها تعتبر جزءاً منها وتمثل الخاص بالنسبة لها.

وكان العـرب قديماً يعبرون عن اللهجة باللغة فقد ورد عنهم، لغة قريش ولغة تميم، واللغـة العليا، واللغة السـفلى، واللغة الرديئة، واختلاف اللغـات وكلها حجة كما ورد في الخصائص: "باب اختلاف اللغات وكلها حجة .... ألا ترى أن لغة التميميين في ترك أعمال ما يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك ...."[3] وفي الصاحبي " باب القول في اختلاف لغات العرب .... وباب اللغات المذمومة"[4]. وفي الوقت نفسـه يطلقون مصطلح اللغة على المعنى الشـامل أي اللسـان الذي ينضوي تحته عدة لهجات كما في الخصائص كذلك: باب في هذه اللغة ...أتواضع هي أم إلهام؟[5]، بالإضافة إلى مصطلح اللسان أي اللغة بمعناها الشـامل، كما في قوله تعالى: (وما أرسـلنا من رسـول إلا بلسان قومه)[6] وقوله تعالى: (ومن آياته خلق السـموات والأرض واختلاف ألسـنتكم وألوانكم)[7] وبالضرورة يجب أن يكون لكل لغة أو لسـان سمات وصفات تميزها عن اللغات الأخرى ولو كانت من فصيلتها، كالعربية التي عرفنا أهم خصائصها التي تميزها عن بقية الساميات في الوحدة

---

(1) أنيس، اللهجات العربية: 16.
(2) المرجع السابق.
(3) ابن جني: 2/10.
(4) ابن فارس: ص50، ص56.
(5) ابن جني: 1/33، 2/28.
(6) سورة إبراهيم- آية 14.
(7) سورة الروم- آية 30.

السـابقة ومما يجدر ذكره أن اللغة مر عليها عهد كانت فيه لهجة ثم أخذت بسـبب ظروف تاريخية أو جغرافية أو اجتماعية تنفرد بخصائص تميزها عن أخواتها من اللهجات، حتى استقلت شيئاً فشيئاً وأصبحت لغة.

أما الصفات الكلامية التي تتباين فيها اللهجات وتتمايز فيما بينها من ناحية، وتخالف فيها اللغة التي تفرعت عنها أو انبثقت منها من ناحية أخرى، فيمكن توزيعها على الجوانب اللغوية التالية:

1.2 الاختلاف المتعلق بالجانب الصوتي

مـن حيث طبيعة الأصوات وكيفيـة نطقها أي ما يتعلق بصفات الأصوات ومخارجها ويقصد بذلك " الصفات الصوتية التي كانت عليها اللهجات العربية، وهو ما كان سببه إبدال صوت بآخر، سـواء أكانا صوتين صامتيـن، أم كانا صائتين، أم كان أحدهما صائتاً طويلاً والآخـر صائتـاً قصيراً، متفقين في المخرج أم متقاربيـن "[1]، ويقصد بالصائت الطويل الألـف، والواو واليـاء إذا كان مداً، والصائـت القصير قد يكون فتحة أو ضمة أو كسـرة، ويختـص هذا الجانب بأكثر الظواهر اللهجية العربية، بروزاً وانتشـاراً قديماً وحديثاً؛ بما تحـدِّده من خصائص في اللهجات العربية القديمة يمكـن أن نجد لها امتداداً في اللهجات الحديثة على امتداد الوطن العربي، وبيان هذه الخصائص اللهجية كالتالي :

1.1.2 الشنشنة

فـي لغة اليمن تجعل الكاف شـيناً مطلقـاً كلبيش اللهم لبيـش[2] أي لبيك اللهم لبيك. ولكـن ابن جنـي يحصر الإبدال في كاف المؤنث ولم يسـمها شنشـنة حيث يقول: "ومن العرب من يبدل كاف المؤنث في الوقف شـيناً حرصاً على البيان، لأن الكسـرة الدالة على التأنيث فيها تخفى في الوقف، فاحتاطوا للبيان بأن أبدلوها شـيناً فقالوا : عَلَيْش، ومِنش، ومررت بِشْ [3]" وهناك خلط بين هذه الظاهرة وظاهرة الكشكشـة، مع أن الأخيرة ليست قلب الكاف شـيناً وإنمـا هي صوت آخر مزجي بين الجيم والشـين مما سـنوضّحه تالياً. والشنشـنة خاصة باليمن وهي قلب الكاف شـيناً صريحة وهذا لا شـك عندي فيه؛ لأنني سـمعته في مدينة تعز، حيث سـمعت أحدهـم وهو حضرمي يخاطب طفلـة تبكي يقول: مالِش، مالِشْ، أي مالِكْ، وسـمعت أحدهم يذكر في غناء شعبي يقال ترحيباً بالعروس : ألا يا مرحبا بِش، وبهلِش (أي يا مرحباً بِك، وبْهَلِكِ، وبالجمل ذي رحل بِش (أي بالجمل الذي

---

(1) كاصد الزيدي، فقه اللغة العربية: ص210.
(2) السيوطي، المزهر: 1/222، الاقتراح: 201.
(3) ابن جني، سر صناعة الإعراب: 1/206.

رحـل بك)، وقد سـمعت كذلك رجلاً من قرية تسـمى بَعْدان في لـواء إب يقول : " أبوش، أمـش، خالِش، اختِش، أخـوش، في : أبوك، أمك، خالك، أختك، أخـوك، وهذا يعني أن هذه اللهجة القديمة ما زالت ممتدة إلى يومنا هذا في اليمن، ولكن للأمانة العلمية لم أسمع هذه الشين إلاّ بدلاً من كاف المؤنثة المخاطبة.

2.1.2 الكشكشة

وقد تابعت كتب اللغة القديمة ما ذكره سـيبويه الذي وصف هذه الظاهرة وفسّـرها بأنهـا واحد مـن أمرين أو كلاهما معاً، وهما : إبدال الكاف شـيناً، أو إلحاق الكاف شـيناً، بقولـه : " فأمـا ناس كثير من تميم وناس من أسـد فإنهم يجعلون مـكان الكاف للمؤنث الشين، وذلك أنهم أرادوا البيان في الوقف، لأنها ساكنة في الوقف فأرادوا أن يفصلوا بين المذكـر والمؤنث بهذا الحرف كما فصلوا بين المذكـر والمؤنث بالنون حين قالوا : ذهبوا وذهبن وأنتم وأنتن، وجعلوا مكانها أقرب ما يشبهها من الحروف إليها، لأنها مهموسة كما أن الكاف مهموسة، ولم يجعلوا مكانها مهموساً من الحلق لأنها ليست من حروف الحلق، وذلك قولك : إنشِ ذاهبة، وما لِش ذاهبة، تريد إنكِ ومالكِ ... وقوم يلحقون الشين، ليبينوا بها، الكسـرة في الوقف كما أبدلوها مكانها للبيان، وذلك قولهم : أعطيتكش وأكرمتكش فإذا وصلوا تركوها ... "[1]، والغريب أن سـيبويه لم يسـمِّ هذه الظاهرة مع أن اسمها كان معروفاً، ويظهر أنه لم يكن شـائعاً لدى النحاة، وقد سـماها بهذا الاسـم رجل من جلساء معاوية بن أبي سفيان وكما رواها المبرد في الكامل[2] عن الأصمعي أن معاوية قال : من أفصـح الناس ؟ فقام رجل من السـماط فقال : قوم تباعدوا عن فراتيـة العراق، وتيامنوا عن كشكشـة تميم، وتياسروا عن كسكسـة بكر، ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حميـر، فقال له معاويـة، من أولئك ؟ فقال : قومي يا أمير المؤمنين، فقال له معاوية : من أنـت ؟ قـال : أنا رجل من جَرَمَ، قال الأصمعي : وجَرَمَ من فصحاء الناس، ورويت في درة الغـوّاص بفروق واضحة تسـتحق الذكر حيث جاء " قوم تباعـدوا عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء وكشكشـة ربيعة ...قـال : قومك يا أميـر المؤمنين "[3] والاختـلاف بين الروايتين يقع في إسـناد العنعنة لتميم والكشكشة لربيعة وإضافة التلتلة لبهراء، ثم نسب الفصاحة لقوم معاوية وهم قريش، بعكس رواية المبرّد التي تنسـب الكشكشة لتميم وليس لربيعة

(1) الكتاب: 4/199-200.

(2) المبـرد، الكامـل فـي اللغـة والأدب: 1/370-371 (ط بيروت) وانظر كذلك شـرح المفصل جـ9/ ص48، وخزانة الأدب 11/464.

(3) الحريري، درة الغواص في أوهام الخواص: ص250.

وأضاف فراتية العراق وحذف العنعنة والتلتلة ونسب الفصاحة لجَرَمَ وليس لقريش.

وقد نسبت الكشكشة لربيعة، كما رأينا في رواية الحريري، وهو مسبوق بهذه النسبة من ابن جني في الخصائص[1] ، وقد نسبها السيوطي في الاقتراح[2] لربيعة ومضر، وأما في المزهر فينقل نسبتها عن أمالي ثعلب إلى هوازن فقد ورد فيه: "قال ثعلب في أماليه: ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم .... وكشكشة هوازن .... "[3] وفي موضع آخر ينسبها نقلاً عن ابن فارس في فقه اللغة إلى تميم[4] مع أن ابن فارس في الصاحبي ينسبها إلى أسد فقد جاء فيه " وأما الكشكشة التي في أسد ..... "[5] وفي لهجات العرب لأحمد تيمور ينقل نسبتها كذلك إلى : سليم[6] وبكر[7] وتغلب[8] وقضاعة[9] " .

نخلص إلى أن الكشكشة لهجة عربية قديمة، وهي لغة لبعض العرب، ويبدو أن من ذكرها من اللغويين لم يسمعها بنفسه أو لم تجرِ على لسانه وإلاّ لما اختلفوا في دلالتها (إبدال الكاف شيناً أو إلحاقها شيناً) وكان اعتمادهم في الدلالة على الإبدال، على بيت شعر لمجنون ليلى ...يخاطب فيه ظبية ويشبهها بليلى:

فعيناشِ عيناها وجيدشُ جيدها   سوى أن عظم الساق منش دقيق

وله في رواية أخرى دون إبدال الكاف بالشين، والبيت لشاعر من بنى عامر ولم يذكر أي من اللغويين أنها من المتحدثين بهذه اللغة. كذلك اعتمدوا على شواهد أخرى من القراءات القرآنية ومن كلام العرب. وأما إلحاق الكاف شيناً فضربوا له مثلاً وهو قولهم : رأيتكش وبكش وعليكش، وأعطيتكش "[10].

وإذا كان لنا من رأي في هذه الظاهرة فمن الأَوْلى أن نقول إنها قلب الكاف صوتاً مزدوجاً هو " تش " وليس قلبها شيناً أو إلحاقها شيناً؛ لأن قلب الكاف شيناً صريحة

(1) ج 2/11.
(2) ص199.
(3) المزهر: 1/211.
(4) انظر: المرجع السابق، 1/ص222.
(5) الصاحبي في فقه اللغة: ص56.
(6) أحمد تيمور، لهجات العرب: ص66.
(7) السابق: ص70.
(8) نفسه: ص74.
(9) نفسه: ص78.
(10) الخصائص: 2/11، الاقتراح: ص199.

أطلقنا عليه مصطلح الشنشنة وإنه من قبيل الخلط والبلبلة لو أطلقنا مصطلح الكشكشة عليه أيضاً، وإذا كانت الكشكشة هي التي ما تزال باقية فيما نسمعه اليوم في شرقي الجزيرة العربية والخليج العربي والعراق وفي فلسطين والأردن وسوريا فإنها يقيناً وحقيقة، صوت مزدوج " تش " وهو ما يمكن أن نصوره كتابة بالصوت الانجليزي ch تلفظ كما في: Child, Church ومن هنا جاء اللبس لدى اللغويين القدامى عندما أرادوا تصوير هذا الصوت كتابة لم يجدوا ما يقابله في الأبجدية العربية فرمزوا له بالشين لأنه صوت بين الجيم والشين كما ذكر ابن دريد في جمهرته " وإذا اضطر الذي هذه لغته قال : جيدش وغلامش بين الجيم والشين "[1] ، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإن هذه الظاهرة حديثاً ليست خاصة بإبدال كاف المؤنثة المفردة، وإنما قد يحدث الإبدال لأية كاف أخرى في بيئة الكلمة فإننا نسمع في الخليج من يقول : كذي ويلفظ الكاف صوتاً مزجياً " تش "، ونسمع هذا الصوت في العراق وفلسطين والأردن في مثل احكي، كيف حالك، كذّاب، سكر، وفي اليمن تسمع في المحويت " أهلاً بش"[2] أي أهلاً بك. وشاهدنا على أن قلب الكاف صوتاً مزجياً ليس محصوراً قديماً أيضاً في كونها كاف خطاب للمؤنث، قول الراجز فيما نقله البغدادي في الخزانة عن : أبي العباس ثعلب:[3]

عليَّ فيما أبتغي أَبْغِيشِ	بيضاءُ ترضيني ولا ترضيشِ
وتطلبي وُدَّ بَني أبيشِ	إذا دَنَوْتِ جَعَلتْ تُنْئِيشِ
وإن نأيتِ جَعلتْ تُدْنِيشِ	وإن تكلمْتِ حَثَتْ في فيشِ

حتى تنقي كنقيق الديش

حيث قلب كاف الديك صوتاً مزجياً وهي ليست كاف خطاب، وهذا دليل على أن العربي قديماً قد نطق الكاف صوتاً مزجياً، بغض النظر عن موقعها وإلا كيف نفسر تفشي هذه الظاهرة حديثاً في مواطن عدة من بلاد العرب تمتد من الخليج إلى ساحل البحر المتوسط ؟! سوى أنه امتداد لما كان يحدثه بعض العرب في أصواتهم من قلب أو إبدال مثل تميم وأسد وبكر الذين كانت مواطنهم قديماً هي المواطن نفسها التي يحدث فيها مثل هذا القلب أو الإبدال أي وسط الجزيرة أو شمالها، وشمالها الشرقي كالعراق وبلاد الشام .

3.1.2 الكسكسة

نسبت لبكر كما في النص الذي نقلناه عن الكامل للمبرد[4] ونسبت لربيعه ومضر في

---

(1) الجمهرة: جـ1/ص5.
(2) لهجات اليمن قديماً وحديثاً: ص84، والمحويت اسم مدينة في اليمن.
(3) البغدادي، الخزانة: جـ11/ص461، وسر صناعة الإعراب: 1/207.
(4) 1/370-371 فقه اللغة للثعالبي، 73 درة الغواص، ص:250.

الاقتـراح[1] والمزهر[2] ولهوازن في الخصائـص[3]. وهي أن يجعلوا بعد الكاف أو مكانها في المذكر سيناً كأن تقول في أبوك وأمك: أبوس وأمّس، وفي عليك: عليس أو في أعطيتك: أعطيتـس، ومنكس، وعنكـس، ولعل إنك، إنكس، منهم من جعلها في الكاف المكســورة لا غيـر[4]، وقد ذكـر الدكتور رمضان عبد التـواب، أنه " ما تزال هذه الكسكســة حية في مناطـق نجد من الجزيرة العربية، فقد سـمعتهم يقولون مثلاً تسـيف حالك[5]؟ في كيف حالك " ويلاحظ على ما سمعه أن الكاف تحولت إلى صوت مزدوج "تس"، إضافة إلى أن الكاف المقلوبة صوتاً مزدوجاً ليسـت كاف خطاب، كما اشترط اللغويون في الكاف التي تقلب شـيناً أو سـيناً أو صوتاً مزدوجاً. كذلك يُثْبِت ما سـمعه الدكتور رمضان في ظاهرة الكسكســة، وما أثبتناه آنفاً عن ظاهرة الكشكشـة؛ من أنها عبارة عـن نطق الكاف صوتاً مزدوجـاً هـو " تـش "، وأن هذا الإبدال " تـش أو تس " ما هو إلا الإبـدال الصحيح الذي يحصل للكاف ويصدق عليه مصطلحا الكشكشـة والكسكسة، وهو الذي ما زال ممتداً في العاميات الحديثة. ونجدها في عامية بني صخر خاصة بطون الخريشا والزبن في الأردن حالياً فيقال للفتاة عساتس طيبة! شو أخبارتس؟ وهذا التغيير خاص بكاف المؤنثة وليس فـي كل كاف. ويمكننـا اعتباره دليلاً حياً وباقياً في شـرق الجزيرة العربية ودول الخليج العربية والعراق وسوريا وفلسطين والأردن. علاوة على أن هذه الأصوات المزدوجة أقصد (تش، تس) منطوقة في لغات أخرى كالإنجليزية والألمانية وليس بمستغرب أن تنطق هذا الأصوات في العربية في لهجاتها القديمة وعاميتها الحديثة، وقد سـبقني إلى هذا التوجه الدكتور إبراهيم أنيس؛ أي التماس تفسـير الظواهر اللهجية القديمة من اللهجات الحديثة حيث يقول " والذي يجعلنا نرجِّح أن ما سـمعه الرواة ليس شـيناً وإنما هو تش، شـيوع هذه الظاهرة في اللهجات العربية الحديثة على صورة " تش "[6] وهو في رأيي يغنينا عن تصورات اللغويين في كتابة هذه الكاف شـيناً مرة، وكش مرة أخرى في مثل أعطيتش أو أعطيتكش، وهو أمر يداخلني شك قوي في أن تكون العرب قد نطقت به على هذه الصورة فهـو انتقـال إلى النطق الأصعب، والأصل الانتقال إلى الأسـهل، لذلك فإن هذا النطق ليس شـيناً صريحة، وإن الشـين الصريحة هي النطق الشـائع لها في وسط اليمن (تعز وإب) وجنوبها (حضر موت) وهي التي يصدق عليها مصطلح الشنشنة.

(1) ص199.
(2) ص211.
(3) كما في الخزانة: 11/462.
(4) فصول في فقه العربية: ص127.
(5) السابق نفسه.
(6) إبراهيم، أنيس، في اللهجات العربية: ص125.

4.1.2 الاستنطاء

وهو من سمات لهجات " سعد بن بكر، وهذيل، والأزد، وقيس، وفي الأنصار[1]، وفي هذه الظاهرة " تجعل العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء كأنطى في أعطى "[2] وقد قريء بها " إنا أنطيناك الكوثر "[3]، وجاءت في حديث للرسول (صلى الله عليه وسلم): "واليد المنطية خير من اليد السفلى المنطاة " وفي حديث آخر " اللهم لا مانع لما أنطيت ولا منطي لما منعت"، ويحاول الدكتور إبراهيم السامرائي أن يعطي تفسيراً لإبدال النون من العين بقوله " أنطى، من أتَّى، بتشديد التاء وفك الإدغام في العربية وفي غيرها من اللغات السامية، يستدعي تعويض أحد الحرفين المتجانسين بالنون كثيراً وربما كان بحرف كالياء أو الراء، فيحصل من ذلك " أنتى " ثم يبدل بالتاء طاء فتصير أنطى "[4] ويبدو أن هذه السمة اللهجية قديماً وحديثاً خاصة بكلمة أعطى فقط وليس في كل عين وهي شائعة في فلسطين وفي الأردن وفي العراق وفي لغة الأعراب بصحارى مصر[5].

5.1.2 التلتلة

وهي كسر حرف المضارعة كقولهم، تِعلم، تِدري، ونسبت في تفسير أبى حيان إلى قيس وتميم وأسد وربيعة[6] حيث قريء "نِستعين" بكسر النون، وعزاها الحريري[7] إلى بهراء.

وهذه السمة اللهجية ما زالت ممتدة في العاميات الحديثة فيقال في فلسطين مثلاً، إنت تِدري ...، وتِعرف إنك شاطر، أنت لازم تِسْري من الصبح وتِشْتْرِي من السوق.

6.1.2 الطمطمانية

تعرض في لغة حِمْير كقولهم طاب امْهواء، يريد طاب الهواء[8] والسيوطي يقول: "وقد تخلفه (أل)، أم في لغة عزيت لطيء وحِمْيَر "[9] وأما ابن يعيش فيفسر الطمطمانية

---

(1) الاقتراح: ص201، والمزاهر 1/222.
(2) السابق نفسه.
(3) الكوثر 1-.
(4) إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن: ص95.
(5) انظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية: ص103، حفني ناصف، مميزات لغات العرب: ص13.
(6) البحر المحيط: 1/23.
(7) درة الغواص: ص250.
(8) الثعالبي، فقه اللغة: ص73.
(9) الهمع: 1/79.

بأن يكون الكلام مشتبهاً بكلام العجم يقال رجل طِمطِم أي في لسانه عجمه لا يفصح "[1] ، وأما الهمداني فيذكر مواطن هذه السمة غير الفصيحة حين يتكلم عن لغات أهل الجزيرة ويبدأ باليمن فيقول : " سرو حِمْيَر وجعدة ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير ...فيقولون يابن معم في يابن العم ... وبلد سفيان بن أرحب فصحاء إلاّ في مثل قولهم أم رجل ... ويشــركهم في إبدال الميم من اللام في الرجل والبعير وما أشــبهه، الأشــعر وعك وبعض حكم من أهل تهامه "[2] وقد خاطب الرســول (عليه الصلاة والســلام) وفداً يمنياً بهذه اللهجة حين قال لهم:" ليس من أمبر امصيام في امسفر، أي ليس من البر الصيام في الســفر" وفي اللسان مادة سلم حين استشــهد للسَّلِمَة، واحدة السَّلَم، وهي الحجارة بقول الشاعر الطائي بجير بن عنمه:

وإن مولاي ذو يعاتبنــــي — لا إِحْنَـــة عنـده ولا جَرِمَـــهْ

ينصرني منك غير معتذر — يرمي ورائي بامْسهم وامْسَلِمَهْ

(وأراد والسَّلِمَه، وذو في البيت هذه هي الطائية التي بمعنى الذي).

وهذه الســمة اللهجية ظاهرة عامة في مناطق يمنية، وهي موجودة في ســهل تهامة علــى وجه الخصوص، وفي لــواء تعز خاصة في ميناء المَخَا، وفي لــواء إب خاصة جِبْلَه، وفي لواء الحديدة، وربما لها وجود في ألوية البيضاء ومأرب وحجة حسبما أفادني طلابي في جامعة صنعاء، وقد ســمعت أحد طلابي وهو من قرية جِبْلَة يقول: امســجد، امدرســه أي المســجد والمدرسة" ويشــيع حديثاً في بعض البلاد العربية قولهم "إمبارح" كما في مصر وبلاد الشام.

7.1.2 العَجْعَجة

وجاء وصفها نســبة دون اسمها في الكتاب بقول صاحبه : " وأما ناس من بني سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف "[3] كقولهم تميمج بدلاً من تميمي وفي اللسان وصفها ونســبها وســمّاها[4] بقوله " والعَجْعَجَة في قضاعة ..... يحولــون الياء جيماً مع العين يقولون هذا راعِجٌ خرج معج أي راعي خرج معي كما قال الراجز :

خالي لُقيطٌ وأبو علجٍّ — المطعمانِ اللحمَ بالعَشجِّ

وبالغداةِ كِسَر البَرْنِجِّ — يُقْلَعُ بالوَدِّ وبالصِّيصِجِّ

(1) شرح المفصل: 49/9.

(2) الهمداني، صفة جزيرة العرب: ص284، ص250.

(3) سيبويه: 182/4.

(4) مادة عجج.

أراد : علي والعشـــي والبَرْنِي والصيصـــي " والبَرْني من أجود أنواع التمر أو هو ثمر الشجر وهي فارســية الأصل، والود هي الوتد، والصيصي، هي قرون البقر كانوا يقلعون التمر المرصوص بالوتد والقرن .

ولم تقيد الياء بالتشــديد مع أن الياء في الأبيات المستشــهد بها، مشددة كما نص ابن يعيش، والســيوطي[1] على ذلك، ولكن ابن يعيش[2] ينقض ما نص عليه بقوله : وقد أبدلت من غير المشددة في قوله :

لا هم إن كنت قبلتَ حجَّتَجْ فلا يزال شاحِجٌ يأتيك بج

يقصد حجتي وبي، وهي أمثلة أو شواهد لياء المتكلم وهي غير مشددة. كذلك اشترط في اللسان تحويل الياء جيماً مع العين، والشواهد تنقض ذلك فالبرني والصيصي وحجتي وبــي وغيرهــا لا وجود للعين فيها، ولم يذكر هذا القيــد غيره إلا حفني ناصف في العصر الحديث، ويســتغرب الدكتور رمضان عبد التواب ذلك فيتســاءل بقوله: "ولست أدري من أين نقله[3]؟! ويبدو أنه لم يطلع على نص اللسان، وإلاّ لما استغرب وحاول تفسير هذا القيد بقوله: "على أن هذا القيد (يقصد وقوع الياء المبدلة جيماً بعد العين) ليس له ما يبرره من الناحية الصوتية، اللهم إلاَّ تبرير اللقب الذي وصفت به تلك الظاهرة "العجعجة"[4]!.

وهنــاك قيــد آخر ورد عند ســيبويه وهو أن يكــون إبدال الجيم من اليــاء في الوقف، ويشترطه ابن يعيش كذلك بقوله : " والجيم أبدلت من الياء المشددة في الوقف "[5] ويؤيد ذلــك إبراهيــم أنيس من أجل قبول تحول الياء إلى جيم، لأنهــا لو كانت مداً فلا تبدل، وفي الوقــف لا تكون كذلك، فيقول: "ويظهر أن الياء فيما ســاقوه مــن أمثلة، لم تكن في نطق القضاعيين ياء مدّ، بل كانت صوتاً ساكناً أي إنه كان ينطق الراعيْ، حتى يمكن أن نتصــور قلبها إلى جيم "[6].

ويبدو أن الاشــتراك الصوتــي بين الجيم واليــاء من حيث الجهــر والمخرج جعلهما يتبادلان المواقع، فقد ورد إبدال الجيم من الياء عند بني تميم حيث يقولون في الصهريج وجمعــه الصهاريــج : الصهــري والصهاري، كما روى أبــو زيد أن بعض بنــي تميم قال

---

(1) شرح المفصل: 10/50، الاقتراح: ص201، والمزهر: 1/222.

(2) المفصل: 10/50.

(3) فصول في فقه العربية: 115.

(4) المرجع السابق نفسه.

(5) شرح المفصل: السابق نفسه.

(6) في اللهجات العربية: ص126.

"شَيَرة" للشجرة وعلى ذلك أنشدت أم الهيثم :

إذا لم يكن فيكنَّ ظِلٌ ولا جَنَىً   فأبعدكُنَّ الله من شيرَات[1]

تريد شجرات ". وهذه الظاهرة شائعة عند عرب الخليج في عصرنا الحاضر، وتنسب هذا السمة اللهجية إلى قضاعة وبني سعد كما سبق عند سيبويه وفي اللسان وفي الاقتراح والمزهر. وأما في شرح المفصل فقد نسبت إلى بني حنظلة فقد أتى فيه: " قال أبو عمرو: قلت لرجل من بني حنظله ممن أنت ؟ فقال: فقيمج، فقلت : من أيِّهم ؟ قال : مُرِّجٌ "[2] يقصد فقيمي ومُرِّيّ.

8.1.2 العنعنة

وهي في اللسان[3] إبدالهم العين من الهمزة، كقولهم (عن) يريدون (أن) .... وقال ذو الرمة :

أعَن ترسَّمْتَ من خرقاءَ منزلةً   ماءُ الصبابةِ من عينيك مسجـوم

أراد أَأَنْ ترسمت

وقال جِران العَوْد :

فما أُبْنَ حتى قُلْنَ يا ليت عنَّنا   ترابٌ وعَنَّ الأرضَ بالناس تُخْسَفُ.

وينقل عن الفرّاء نسبتها إلى تميم وقيس وأسد ومن جاوره : " يجعلون ألف أَنَّ إذا كانت مفتوحة عيناً يقولون : أشهد عَنَّك رسول الله، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف ..... وابن الأعرابي لعنَّك لبني تميم "[4]. ويبدو أن هذا النطق للهمزة هو نوع من أنواع تسهيلها فالهمزة صوت صامت شديد وعملية النطق بها شاقة حيث تنطق عندما ينطبق الوتران الصوتيان بإحكام في فتحة المزمار فينحبس الهواء، وهو هواء النَّفَس الآتي من الرئتين وكأن نطقها عملية اختناق قصيرة لأن الهواء يُمْنَع من الخروج. فإنهم في البيئات الحضرية كالحجاز كانوا يسهِّلونها بقلبها مداً من جنس حركة ما قبلها أو بإسقاطها لتسهيل خروج الهواء فيقال ضان في ضأن، ثار في ثأر، آمن في أأمن، وأوثر في أؤثر، وإيمان في إإمان، ونبي في نبيء، والمري في المريء. وأما في البيئات الأكثر بداوة في نجد فكان النجديون يميلون إلى تحقيقها، وهذا الأمر صحيح بإجماله ولكن عند تفصيله

(1) القلب والإبدال لإبن السكيت: ص29، والإبدال لأبي الطيب: 261/1، نقلاً عن فصول في فقه العربية، ص113.

(2) ابن يعيش: السابق نفسه.

(3) مادة عنن.

(4) المصدر السابق.

لا بد أن نعثر على من كان يسهل منهم بالحذف أو بتحقيق للهمزة من نوع آخر ليس فيه شدة نطقها فتنطق عيناً لأن أقرب الأصوات إليها هو العين، وكما يقول ابن دريد: إن بني تميم عندما يحققون الهمزة يجعلونها عيناً[1] فالعين لا ينحبس معها الهواء خلف الوترين الصوتيين اللذين ينفرجان فيندفع الهواء ويتبدد في فراغ الحلق. وبهذا يكون نطقها عيناً نوعاً من أنواع التحقيق الذي أرى أنه أسهل من نطق الهمزة بصفتها ومخرجها المعروفين، فيجمع بذلك بين السهولة والوضوح في النطق.

وهذه السمة اللهجية ما زالت باقية في العاميات العربية الحديثة فنجد في صعيد مصر وفي أرياف فلسطين من يسمعه يقول: لع في لأ، وسعال في سؤال، وبدي أسعلك أي أريد أن أسألك.

9.1.2 الفحفحة

في لغة هذيل يجعلون الحاء عيناً[2] وقد قُرِئ بها قوله تعالى: (حتى حين)[3] عتى حين، ويلاحظ الدكتور رمضان عبد التواب، أن هذا الإبدال خاص بكلمة حتى، معتمداً على ما نقله ابن السكيت عن أبي عبيدة وهو " قوم يحولون حاء حتى فيجعلونها عيناً كقولك: قم عتى آتيك "[4] وعلى ما نقله أيضاً عن أبي الطيب اللغوي" ويقال: اصبر حتى آتيك، وعتى آتيك"[5] ، ولكن ابن الأنباري ينقل في كتابه إيضاح الوقف والابتداء[6] :ذُبِعَ بدلاً من ذُبِحَ، بعد نقله العكس عن لهجة هذيل وهو إبدال العين حاءً في: "رُبَح بدلاً من رُبَع وهو الفصيل.

10.1.2 الغمغمة

وهي أن تسمع أصواتاً ولا تحدد منها الحروف ولا يبين الكلام، وقد ذكر صاحب الخزانة أن الغمغمة أن لا يتبين الكلام وأصله أصوات الثيران عند الذعر وأصوات الأبطال عند القتال"[7] وتنسب لقضاعة[8].

(1) الجمهرة: 1/237.
(2) الاقتراح: ص200، المزهر: 1/222.
(3) سورة يوسف: 35.
(4) الإبدال: 1/295.
(5) القلب والإبدال: ص23.
(6) ص13.
(7) الخزانة: 11/465.
(8) انظر: الكامل للمبرد 1/370-371، ولهجات العرب لأحمد تيمور ص130 معتمداً على العقد الفريد 2/48.

11.1.2 العجرفية

وهي الجفاء وتنسب لضبَّة. ومما ينسب في اللسان[1] لقبيلة طيء القُطعة أنها كانت تميل إلى قطع اللفظ قبل تمامه فيقال مثلاً : يا أبا الحَكَ بدلاً من (أبا الحكم).

12.1.2 اللخلخانية

يظهر أنها تعني حذف الأصوات من الكلام من خلال المثل الذي تضربه كتب اللغة وهو قولهم: مشا الله في ما شاء الله وتعرض هذه السمة في لغة أعراب الشِّحر وعُمان[2].

13.1.2 الوتم

وهو قلب السين تاء، لغة لبعض العرب[3]، كقولهم : النات في الناس وأكيات في أكياس، كما جاء في قول علباء بن أرقم اليشكري[4] :

يا قبح الله بني السِّعْلاة   عمرو بن يربوع شِرار الناتِ

غير أعفَّاءِ ولا أكياتِ

14.1.2 الوكم

في لغة ربيعة وهم قوم من كلب يقولون عليكِم وبكِم حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة[5]، فيقال : السلام عليكِم، ويذكر أن مثل هذه اللهجة موجودة في فلسطين فيقال: زقاقيمْكِم (جمع زُقُم)، الحاكِم (جمع لحية) بشرط أن تلفظ الكاف صوتاً مزجياً " تش".

وقد نسبها سيبويه إلى بكر بن وائل وحدد موقع الضمير بعد الكسر وجاء في الكتاب: " وقال ناس من بكر بن وائل : من أحلامِكم، وبكِم شبهّها بالهاء لأنها عَلَمُ إضمار وقد وقعت بعد الكسرة، فأتبع الكسرة بالكسرة حيث كانت حرف إضمار، وكان أخف عليهم من أن يضم بعد أن يكسر، وهي رديئة جداً، سمعنا أهل هذه اللغة يقولون : قال الحطيئة:

وإن قال مولاهم على جلِّ حادث   من الدهر ردوا فَضْلَ أحلامِكم ردوا[6]

---

(1) اللسان مادة قطع، وفي اللهجات العربية: ص134.
(2) فقه اللغة للثعالبي: ص73، والمزهر 1/223.
(3) اللسان: نوت، أنس.
(4) النوادر لأبي زيد/345، سر الصناعة: 1/155، الاشتقاق لابن دريد: 277، شرح المفصل: 1/36، والسعلاة هي الغول والأكيات هي الأكياس.
(5) المزهر: 1/222.
(6) الكتاب: 4/197.

ويبدو أن الوكم خاصٌ بضمير الكاف فقط.

15.1.2 الوهم

وهــو خاص على ما يبدو بضمير الهاء ففي باب ما تكسـر فيـه الهاء التي هي علامة الإضمــار يقــول ســيبويه : فالهاء تكســر إذا كان قبلها ياء أو كســرة "..... وقال بعضهم : عليهِمُو ... وأعلم قوماً من ربيعة يقولون : مِنْهِم، أتبعوها الكسرة ولم يكن المُسَكَّن حاجزاً حصيناً عندهم "[1].

وقد نسبت هذه السمّة اللهجية في المزهر والاقتراح لقبيلة كلب، حيث قال السيوطي : " الوهم في لغة كلب بقولون: منهِم وعنهِم وبينهِم، وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا الكسرة[2] بعكس ما اشترطه سيبويه من وجوب أن يكون قبل الهاء ياء أو كسرة.

16.1.2 تسهيل الهمز

والهمزة كما يقول إبراهيم أنيس صوت شــديد لا هــو بالمجهور ولا بالمهموس، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً ... ولا شـك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباساً تامــاً ثم انفراج المزمار فجأة عمليــة تحتــاج إلى جهــد عضلي... مما يجعلنــا نعد الهمزة أشــق الأصوات "[3] لذلك نجد في بعض اللهجــات العربية من يفر من نطقها، وقد جاء في اللســان بيان لمواطن في الجزيرة العربية يتخفف الناطقــون من الهمز فيها فقد نقل عن أبي زيد : " أهل الحجاز وهذيل، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون، فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا قال : وقال أبو عمر الهذلي قد توضّيت، فلم يهمز وحولها ياءً "[4] ويقصد بالنبر الهمز وتحقيق الهمزة، وأصحابه هم التميميون ومن جاورهم من البيئات البدوية. وأما الذين لا ينبرون ولا يحققون الهمزة، أي الذيــن يتخففون من نطقها فهم الحجازيــون وبيئاتهم الحضرية في المدن الحجازية، ولا غرابة في ذلك؛ فالتســهيل مساير للتيســير الذي تميل إليه الطبيعة البشرية، " إذ التخلص من الهمزة نوع من الميل إلى الســهولة والبعد عن التزام التحقيق في النطق بالأصوات[5].

---

(1) السابق: 4/195-196.
(2) المزهر: 1/22، الاقتراح: 200.
(3) الأصوات العربية: ص90.
(4) لسان العرب: طبعة دار المعارف، جـ1، ص26.
(5) في اللهجات العربية: ص77.

وأوضــح صورة لهــذا النهج اللهجي نجدها في القراءات القرآنيــة " فما أحد من القراء إلاّ ورد عنه تخفيف الهمزة .... وقد أفرد له علماء العربية أنواعاً تخصه وقسموا تخفيفه إلى واجب وجائز .... إذ من المحال أن يصح في القراءة ما لا يسوغ في العربية، بل قد يسوغ فــي العربيــة ما لا يصح في القــراءة ..... وقال بعضهــم : لغة أكثر العــرب الذين هم أهل الجزالة والفصاحة ترك الهمزة الســاكنة في الدرج، والمتحركة عند السكت"[1] ففي البحر المحيـط أن " الماضــي (رأى) عينه همــزة تحذف في مضارعه والأمر منــه ...تقول يرى وترى ونرى وأرى، ورَ زيداً .... ولغة تميم إثبات الهمز فيما حذف منه غيرهم فيقولون يــرأى وأرأى .... "[2] أي أرأى ويرأى لغة تميم وما ســبقتها يرى وترى ونرى وأرى، ورَ هي لغة الحجازيين أو البيئات الأكثر حضارة، ومثل هذا التخفيف في لغة الحجازيين كثير حيـث يقومون بحذف الهمزة في حيـن يثبتها التميميون، فأهل الحجــاز يقولون جَنَبَنِي، هي خفيفة وأهل نجد يقولون أجنبني شره وجنَّبني شرّه "[3] وأهل الحجاز يقولون فتنت الرجل، وأهل نجد يقولون : أفتنته[4].

وقد يكون التســهيل أو التخفيف بإبدال الهمزة فيه حرف مد بحســب حركة ما قبلها فلفظ "بؤس " تصبح " بوســاً " في البيت الذي رواه ابن الســكيت ونقله صاحب اللســان لبيهس الفزاري حيث يقول:

أَلبسْ لكلِّ حالةٍ لَبُوسَها إما نعيمَها وإما بوسَها

وقد كان هذا يحدث كثيراً في قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع وهو بهذا يمثل بيئة الحجازيــة لأنه قارئ المدينة فقد قرأ بقلــب الهمزة مداً من جنس حركة ما قبلها[5]، نحو : يُومنون، يُوتي، موتفكة، لولو : في يؤمنون ويؤتي ومؤتفكة ولؤلؤ.

- بيس، جيت، شيت، نبي : في بئس، وجئت، وشئت، ونبيء.

- فاتوهن، فاذنوا، ماوى، إيتنا في فأتوهن، فأذنوا، مأوى، ائتنا.

- يــوده، يواخــذ، موذن في يــؤده، يُؤَاخذ، مُــؤَذِّن، (الهمزة مفتوحة ومــا قبلها مضموم فقلبت واواً)[6].

(1) النشر في القراءات العشر: 1/429.
(2) أبو حيان: 1/294.
(3) الفراء، معاني القرآن: 2/78.
(4) المرجع السابق: 2/394.
(5) النشر: 1/390.
(6) المرجع السابق: 1/395.

- رياء، خاسياً، ناشية : في رئاء، خاسئاً، ناشئة (الهمزة مفتوحة وقبلها مكسور فقلبت ياء)[1].

- مستهزون / الصابُون، متكُون : في مستهزئون، الصائبون، متكئون، وهي هنا مضمومة بعد كسر، وبعدها واو فإن أبا جعفر يحذف الهمزة ويضم ما قبلها من أجل الواو[2] وهكذا تكون الأمثلة التي سقناها من القراءات القرآنية قد عكست واقعاً لهجياً ألا وهو تسهيل الهمز.

وأما تسهيل الهمزة في العاميات الحديثة فأمره ظاهر نحو : جيت في جئت، اطفى الضوء في أطفئ الضوء، المره في المرأة، لا باس عليك في لا بأس عليك، ذيب في ذئب، ميذنه في مئذنة ... الخ .

وهناك ظواهر لهجية صوتية لم يعرف لها اسم كإبدال القاف حرفاً بين القاف والكاف تماثل الصوت G في كلمة God الإنجليزية، وهي لغة نسبها السيوطي إلى تميم[3] وقد ذكر ابن خلدون أيضاً أنها لغة مضر الأولين ولعلها لغة النبي ﷺ بعينها "[4]. وأما ابن فارس فيصف هذا اللهجة وينسبها ويضرب لها شاهداً شعرياً بقوله " فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف باللهاة حتى تغلظ جداً فيقولون " القوم" فيكون بين الكاف والقاف وهذا لغة فيهم قال الشاعر:

ولا أكَول لكَدرِ الكَوم قد نضجت   ولا أكَول لباب الدار : مكَفول .[5]

أي : ولا أقول لقدر القوم قد نضجت، ولا أقول لباب الدار : مقفول، وهذا الصفة الصوتية للقاف منتشرة في الوطن العربي في وقتنا هذا، في الجزيرة العربية، والخليج العربي واليمن والعراق، والأردن وفلسطين خاصة في بدوها وفي قرى الخليل وغزة وشمال أفريقيا وصعيد مصر.

ومنها أيضا إبدال القاف كافاً كما في قراءة ابن مسعود[6] وأما اليتيم فلا تكهر"[7]، وقد جاء في صحيح مسلم[8] أن رجلاً تكلم في صلاته وكان يتوقع أن يؤنبه النبي ﷺ ولكنه نصحه بما يتوافق مع طبعه ﷺ فقال الرجل :

---

(1) السابق: 1/395.
(2) السابق: 1/396.
(3) المزهر: 1/222.
(4) المقدمة: 4/1274.
(5) الصاحبي: ص57.
(6) مختصر في شواذ القرآن: ص175.
(7) الضحى: 9.
(8) باب تحريم الكلام عند الصلاة: 2/70.

" فوالله ما كهَرَني ولا ضربني ولا شتمني " يريد ما قهرني.

وهذا صفة صوتية ممتدة إلى يومنا هذا في كثير من قرى فلسطين خاصة محافظات نابلس وطولكرم وقلقيلية.

هـذا عـدا الإمالة التي كانت الصفة الشـائعة بين قبائل وسـط الجزيرة وشـرقيها[1] وشـاعت الإمالة كذلك في القراءات القرآنية في البيئة العراقية خاصة في الكوفة لشـيوع اللهجات فيها من القبائل التي أقامت فيها أو نزحت إليها أو كانت قريبة منها.

فقد ذكر الداني[2] أن حمزة والكسـائي كانا يُميلان كل ما كان من الأسـماء والأفعال من ذوات الياء نحو: موسـى وعيسى، الهدى، العمى، يخفى، يرضى، أنّى، متى .... وكذلك جميع ذوات الواو من الأسماء والأفعال نحو: الصفا، عصا، خلا، دعا، بدا ... الخ.

وهناك روايات أخرى متناثرة في كتب اللغة والأدب تنسـب صفات صوتية إلى قبائل عربية، ولكن هذا الروايات، للأسف، ناقصة تحتاج إلى تتبع دقيق في دراسة لهجية متكاملة للصفات في اللهجات القديمة والعاميات الحديثة، لأن الارتباط بينهما وثيق.

2.2 الاختلاف اللهجي في بنية الكلمات

فقد تتباين الأبنية بين اللهجات بتغير أو باختلاف الحركات، أو أصوات اللين القصيرة، أي يكـون المبنى واحداً ولكـن يحصل الاختلاف بين اللهجات عن طريق تغيير حركة أحد حـروف هذا المبنـى. وأظهر ما يكون هـذا المميِّز اللهجي في حركة عيـن المضارع في الأفعال الثلاثية نحو : قَنَط يْقنِط ويَقْنُط قُنوطاً .... وقال ابن جني : قَنَط يقْنُط، كأبَى يأبَى، وفيـه لغة ثالثة: قَنِط يقْنَط قَنَطاً ... وقال الأزهري: وهمـا لغتان : قَنَط يَقْنُط وقَنطَ يقْنِط قنوطاً في اللغتين[3]، ومثله : هَلَك يهلِك ويهلَك وكل ذلك لغات[4]. ومنه نزف ينزِف وينُزف ونزغ ينزَغ وينزِغ ونشَـل ينشُل وينشِـل وطعَن يطعُن ويطعَن[5]، ومنه : ركِن إلى الشيء وركَـن يركَـن ويركُن، قال الجوهري وهو على الجمع بين اللغتين وقال كُراع : ركِن يركُنُ ولغة أخرى ركَن يركُن وليست بفضيحة[6].

---

(1) في اللهجات العربية: ص63.
(2) التيسير في القراءات السبع: ص46.
(3) انظر اللسان: مادة قنط.
(4) اللسان مادة هلك.
(5) انظر اللسان في أبوابها.
(6) السابق: باب ركن.

وقد عقد السيوطي باباً في المزهر سماه ذكر ألفاظ اختلفت فيها لغة الحجاز ولغة تميم[1] ومنه : أهل الحجاز يقولون يَبْطِش وتميم يَبْطُش. وفي البحر المحيط[2]: نَفْرُغ لغة الحجاز ونفرَغ تميمية ونِفرغ لغة مضر. ويمكننا أن نلاحظ أن حركة العين هذه غير مستقرة في اللهجات العربية لأنها غير قياسية. وقد أدرك لغويونا القدامى مثل هذا، فقد ورد عن أبي زيد الأنصاري أنه قال : " طفت في عليا قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن هذا الباب، لأعرف ما كان بالضم أوْلى، وما كان بالكسر أولى، فلم أجد لذلك قياساً، وإنما يتكلم كل امرئ منهم على ما يستحسن ويستخف لا على غير ذلك "[3].

وقد يكون الخلاف بين اللهجات مبنياً على تغيير صوت اللين الطويل وليس الحركة في البناء الواحد فأهل الحجاز يقولون : أَقْلُوه للبُرِّ وتميم أقليه[4] ومثله : حاز يحوز ويحِيز وحاك يحُوك ويحيك وطغى يطغَى ويطغو[5]. ويقع كذلك في أبنية الأسماء " تنحرف الصيغة واللفظ واحد نحو قولهم : الطِنْفِسَة والطنْفُسة، وكذلك رَغوة اللبن ورُغوته ورِغْوته ورُغاوته ورُغايته، وكقولهم الذُّرُوح[6] والذُّرُوح والذُّرِّيح والذُرَّاح والذرَّح ... روينا ذلك كله "[7] وقد يكون انحراف الصيغة في الأسماء بتغيير أحد الحروف، وفي رأي ابن جني ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات نحو : اختلف رجلان في الصقر فقال أحدهما: الصقر (بالصاد)، وقال الآخر: السقر ...وقال الثالث، إنما هو الزَّقْر أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة، كيف أفاد في هذه الحال إلى لغته لغتين أخريين معها، وهكذا تتداخل اللغات "[8] ومن ذلك قولهم: بغداد وبغدان والصيدلاني والصيدناني للذي يبيع العطر والعقاقير والقَلَنسُوة والقُلَنْسِية[9] وقالوا أيضاً بغداد وبغدان ومغدان، وطبرزل وطبرزن[10] وقالوا للحَيَّة : أَيْم وأَيْن "[11] فالأيِّم هو الثعبان عند هذيل وفي الحجاز بالتخفيف، وفي تميم أين "[12] وما أشبه هذا بما يقال في العامية الفلسطينية: علوان

---

(1) جـ2/ص275 ص276.
(2) أبو حيان: جـ8/194.
(3) المزهر: 1/207-208.
(4) السابق: 2/272.
(5) انظر اللسان في أبوابها.
(6) هو دويبه أعظم من الذباب شيئاً.
(7) الخصائص: 1/373.
(8) المرجع السابق: 1/372، 374.
(9) فصيح ثعلب: ص83.
(10) هو السكر الأبيض معرب عن الفارسية.
(11) الخصائص، 1/372.
(12) في اللهجات العربية: 160، واللسان مادة أيْم وأيْن.

وعنوان جبريل وجبرين واسماعيل واسماعين وفي البيئات الريفية منها يقال : سيلة في سيرة، وسرطة في سَلَطة.

3.2 الاختلاف اللهجي في الجانب النحوي

وأظهر ما يكون ذلك في الإعراب خاصة إعمال الأدوات، فكثير من الخلافات النحوية ردّت إلى خلافات في لهجات القبائل والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

1- إهمال ليس إذا اقترن خبرها بإلا عند بني تميم حملاً لها على "ما" التي ينتقض نفيها فتكف عن العمل في مثل : ليس الطيبُ إلا المسكُ " حكى ذلك أبو عمرو بن العلاء فبلغ ذلك عيسى بن عمر الثقفي فجاءه فقال : يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك؟ ثم ذكر له، فقال له أبو عمرو، نمت وأدلج الناس، ليس في الأرض تميمي إلاّ وهو يرفع ولا حجازي إلاّ وهو ينصب، ثم قال لليزيدي ولخلف الأحمر: اذهبا إلى أبي مهدي فلقناه الرفع فإنه لا يرفع وإلى المنتجع التميمي النصب فإنه لا ينصب، فأتياهما وجهدا بكل منهما أن يرجع عن لغته فلم يفعل، فأخبرا أبا عمرو وعنده عيسى فقال له عيسى: بهذا فُقْتَ الناس".[1]

2- إعمال ما عمل ليس فقد ذكر ابن جني في باب اختلاف اللغات وكلها حجة " اعلم أن سعة القياس يتيح لهم ذلك ولا تحظره عليهم؛ ألا ترى أن لغة التميمين في ترك إعمال ما يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك، لأن لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به "[2] فاللغة الأولى أقيس والثانية أفصح[3] وبها ورد الكتاب العزيز قال الله تعالى : " ما هذا بشراً "[4]. وكذلك (لا) تشبَّه بليس، وهو خاص أيضاً بلغة الحجاز دون تميم[5]. ويظهر أن النحاة لم يتفقوا على إعمالها عمل ليس، فقد ذكر السيوطي: " قال أبو حيان لم يصرح أحد بأن إعمال لا عمل ليس بالنسبة إلى لغة مخصوصة، إلاّ صاحب المقرب ناصر المطرزي فإنه قال فيه بنو تميم لا يعملونها وغيرهم يعملها، في كلام الزمخشري أهل الحجاز يعملونها دون طيء، وفي البسيط : القياس عند بني تميم عدم إعمالها ويحتمل أن يكونوا وافقوا أهل الحجاز على إعمالها"[6].

(1) مغني اللبيب: 1/325-326.
(2) الخصائص: 2/10.
(3) شرح المفصل: 1/108.
(4) يوسف 31.
(5) شرح الأشموني: 1/473.
(6) همع الهوامع: 1/125.

3- أما لعل حرف الترجي المشبّه بالفعل، فقد ورد " الجر بها لغة لعُقيل ومنه قول كعب الغنوي[1] : فقلت :

ادعُ أخرى وارفعِ الصوت جهرةً　　　لعل أبي المغوار منك قريب

وقول شاعر آخر :

لعل اللهِ فضّلكم علينا　　　بشيء أَنْ أمّكُم شريمُ

4- وقد جاءت متى جارة على لغة هذيل ومن كلامهم : " أخرجها متى كمِّه، ومنه قولهم:

شربْنَ بماء البحر ثم ترفعتْ　　　متى لـُجَجٍ خُضْرٍ لهن نئيجُ .[2]

5- عمل إذن الناصبة للمضارع وقد سجل ذلك السيوطي بقوله : " وإلغاء إذن مع اجتماع الشروط لغة لبعض العرب حكاها عيسى بن عمر وتلقاها البصريون بالقبول ووافقهم ثعلب"[3].

6- إنْ النافية التي تعمل عمل ليس عند الكسـائي والمبرد، وهي غير عاملة عند سـيبويه والفرّاء والإهمال عند ابن هشام هو لغة الأكثرين[4].

وأمـا في التركيب فأول الخلافات اللهجية نجدها في لغة أكلوني البراغيث أي إسـناد فاعليـن لفعل واحـد وقد جاء على مثال هـذه اللغة قوله تعالى: "وأسـروا النجوى الذين ظلمـوا"[5]، وعلى هـذه اللغة روى قوله ﷺ "يتعاقبون فيكـم ملائكة ..."[6] وجاءت هذه اللغة عند عدد من الشعراء نذكر منهم قول أمية بن أبي الصلت:

يلومونني في اشتراء النخـ　　　ـيل قومي فكلهم ألوم.

وقول الفرزدق :

ولكن ديافي أبوه وأمه　　　بحوران يعصرن السليط أقاربُه.

وقول عبد الله بين قيس الرقيات :

تولى قتال المارقين بنفسه　　　وقد أسلماه مُبْعَدٌ وحميمُ

(1) المغني: 317/1، شرح ابن عقيل: 4/2.
(2) شرح ابن عقيل: 6/2 والنئيج هو الصوت العالي، والمغني: 372/1.
(3) الهمع: 2:7، وانظر كذلك الكتاب: 16/3.
(4) المغني: 19/1-20.
(5) الأنبياء: 3.
(6) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة.

وقد نسبت هذه اللغة لأكثر من قبيلة عربية نحو أزد شنوءة وبلحارث بن كعب وطيء وضبة[1].

وهذه السمة اللهجية القديمة هي السمة الأبرز بعد الاستغناء عن الحركات الإعرابية، في العاميات العربية الحديثة. ويبدو أن هذه الظاهرة اللغوية قد انتقلت من السامية الأم إلى اللهجات التي تفرَّعت عنها واستقلت، فأصبحت لغات : كالعربية والسريانية والعبرية؛ بدليل ظهورها في هذه اللغات، خاصة في العربية، وهي أقرب إلى اللغة السامية الأم؛ حيث ظهرت في لهجاتها القديمة وامتدت في عاميتها الحديثة، حتى إن مجمع اللغة العربية بالقاهرة أجازها في أحد قراراته الذي لم يلبث أن تراجع عنه .

وقد وقع الاختلاف اللهجي في مثل تثنية زيد عسى أن يقوم، وجمعه وتأنيثه فيقال على لغة الحجاز : الزيدان عسى أن يقوما، والزيدون عسى أن يقوموا، وهند عسى أن تقوم، والهندان عسى أن يقوما، والهندات عسى أن يقمن، ويقال على لغة تميم : الزيدان عسيا أن يقوما، والزيدون عسوا، وهند عست، والهندان عستا، والهندات عسين "[2].

4.2 الاختلاف اللهجي في الجانب الدلالي

فالسدفة في لغة تميم : الظلمة وفي لغة قيس : الضوء ... ولمقت الشيء إذا كتبته في لغة بني عقيل وسائر قيس يقولون: لمقته : محوته[3].

وينقل كذلك السيوطي عن الجمهرة : الشَّعْب : الافتراق، والشَّعب : الاجتماع وليس من الأضداد وإنما هي لغة لقوم[4]. فليس ذلك من الأضداد فإذا جاء الحرف إلى معنيين متضادين فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحيٍّ من العرب والمعنى الآخر لحي غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء، قالوا: فالجَوْن الأبيض في لغة حي من العرب، والجَوْن الأسود في لغة حي آخر "[5].

وفي اللسان "أهل الحجاز يقولون الهِجرس القِرد، وبنو تميم يجعلونه الثعلب"[6] وفيه أيضاً السِّرحان والسِّيد الأسد بلغة هذيل والذئب في لغة غيرهم[7] وفيه أيضاً القينة

(1) انظر: شرح الأشموني: 1/171، شرح التصريح على التوضيح: 1/275، الهمع:1/160، والمغني: 1/404، ورابين: Ancient West Arabian P. 97:

(2) شرح الأشموني: 1/525.

(3) المزهر: 1/389-390.

(4) المرجع السابق: 1/396.

(5) السابق: 1/401.

(6) مادة هجرس.

(7) مادة سرح.

المتزِّيـن باللباس مـن الرجال وهي كلمة هذلية وعند غيرهم الأَمَـة[1]، ومن تتبع مثل هذه الخلافات في كتب اللغة والأدب فإنه سـيحظى بقدر وفير من الألفاظ التي تختلف دلالتها باختلاف ورودها لدى القبائل العربية.

وبنـاء على ما تقدم فإن اللغة الفصحى المشـتركة يجب أن ترتفع عن مسـتوى هذه اللهجات، وعن مسـتوى العامة لأنها لغة الثقافة والأدب، فلا تتضمن شـيئاً من خصائص اللهجات التي مر ذكرها.

فهي اللغة النموذجية الأدبية للعرب التي يكتب بها شعرهم، دون أن تكون لغة سليقة لعامـة العرب قديماً وحديثاً فهي أعلى من مسـتواهم، لأن لغة السـليقة هـي اللهجة التي تتضمن خصائص محلية تميمية أو حجازية مثلا ينطق بها المتكلم دون شـعور منه بهذه الخصائص ويؤديها بآلية اكتسبها على مر الأيام منذ طفولته.

وقـد نشـأت اللغة المشـتركة في مكة لأسـباب دينيـة وسياسـية واقتصادية جعلت منهـا مركـزاً للوحدة اللغويـة ؛ بحيث لا يمكن الادعـاء بأنها لغة قريـش وحدها، ويعتقد أنها اسـتخلصت من لغات العرب فقـد " كانت قريش مع فصاحتها وحسـن لغاتها ورقّة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهـم، فاجتمع مـا تخيّروا من تلك اللغات إلى نحائزهم، وسـلائقهم التي طبعوا عليها، فصـاروا بذلك أفصح العرب "[2]، فخلت لغتهم من خصائص اللغات أو اللهجات المذمومة عليهـا كالعنعنة والكشكشـة وغيرهما، وضمت إليها ما استحسـنته مـن صفات اللهجات الأخرى ما استحقت معه أن يطلق على هذه اللغة، اللغة العربية الفصحى التي كان عمادها لغـة قريش للغـات ويمكنني أن أصوغ الأمر بشـكل آخر، أرى أنه يتوافـق مع المعطيات التاريخية السـامية ومع ما حصل في اللغات الأوروبية الحديثة والتصوُّر لدي أن العربية كانـت موحدة ومشـتركة بيـن العرب جميعاً كغيرهـا من اللغات، وبفعـل عوامل التطور الاجتماعية والسياسـية والجغرافية تفرعت وتوزعت، إلى ما سـمي عند اللغويين العرب، إلـى لغات، أو لهجات، كما في اصطلاحنا، لم تسـتطع أن تتخلى تماماً عن النظام اللغوي القياسـي والمعياري للغة الأولى بنظمها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بل ظلت محتفظـة بكثير من هذه الملامـح أو النظم الفرعية، وكان أكثرها التزاماً بذلك لغة قريش، حسب الأوصاف التي وردت عنها في كتب اللغة القديمة كالصاحبي وابن جني وغيرهما ؛ فكانت أشبهها باللغة الأم وأقربها لذلك ؛ فكان من الطبيعي أن تكون عماد اللغة المشتركة الأدبيـة التي يكتب بها الشـعر لضيق الشـقة بينها وبين اللهجات الأخـرى، وينزل القرآن

(1) مادة قين.
(2) الصاحبي: ص55.

الكريـم الذي يحمل من معالمها وملامحها الكثير فيعزز مكانتها، وإذا أضفنا ما كان لمكة وقريـش من مكانة اقتصادية ودينيـة واجتماعية بين العرب باتفاقهم، مما قد يترتب عليه مكانـة لغوية فائقة جعلت من لغة مكة مركزاً للتوحيد اللغوي بين العرب كاتفاق الإنجليز فـي وقتنا هذا على لهجة لندن، والفرنسـيين علـى لهجة باريـس والإيطاليين على لهجة رومـا، والألمان على لهجة هانوفر التـي تُرجم إليها الإنجيل دون غيرها من لهجات المدن الألمانية، وهذا التفسـير الذي ارتـاح إليه لأنه يعيد للعربية الأولـى وحدتها التي ارتضى العـرب أن تكون لغتهـم الأدبية الفصحى التي يتبينون فيهـا لهجاتهم بوضوح وليس في إمـكان أحدهم أن ينكرها أو يتنكر لها أمام إجماع الآخريـن عليها محتجاً بأن عمادها لغة قريش، خاصة أن القرشيين، كما ذكر ابن فارس، كانوا يتخيرون من لغات العرب الآخرين ويضيفون إلى لغتهم مما يعطي انطباعاً أنها كانت اللهجة المألوفة لدى العرب فإذا انتقلوا إليها فإنهم لا يفارقون مسـتواهم إلى مسـتوى غريب بعيد الشـقة عنهم، ويبدي الدكتور تمـام حسـان اعتراضه على مثل هذا التوجه الذي أصبح مسـتقراً فيقـوم بنقل ثلاثة آراء في اتخاذ اللغة المشـتركة عند الأمم حيث يقول : " وفي الحق إن اتخاذ لغة مشـتركة لأمة تتعـدد فيهـا اللهجات ربما دعا إلـى إيجاد صورة جديدة من الاسـتعمال تتجاوز اختلاف اللهجات، وقد تكون هذه الصورة المشـتركة مبنية على إحدى اللهجات الهامة (كما رأينا من دعوى البعض بالنسـبة للهجة قريش)، ولكنها قد تكـون محاولة مقصورة لخلق لغة جديدة يتمثل فيها الكثير من الخواص المشتركة بين عدد من اللهجات، وفي حالات أخرى يكون بواسطة الجهد والتعمد (كما رأينا العبرية المعاصرة) ومن الطبيعي أن يشتمل جهد اتخاذ لغة عامة لأي أمة على إيجاد معيار كتابي في صورة نظام أبجدي مع ما يصحب ذلك من نشر معجم للغة المشتركة، وإنشاء نحو لها نستعين به على إرساء قواعدها. ومع ذلك قد يحدث إيجاد اللغة المشـتركة في مجتمع لا يعرف الكتابة كما حدث بالنسبة لملحميات هوميـروس التي ألفهـا في صورة لغوية فوق اللهجات الإغريقيـة"[1]، فلا تمثل أية لهجة منهـا بعينها وكان ذلك قبـل اختراع الكتابة الإغريقية ويعلق مؤيـداً التوجه الأخير قائلاً: ولو نظرنا إلى العربية في ضوء هذا المثال الإغريقي لسـهل علينا أن نتصور مدى الخطل الذي تشـتمل عليه أن هذه الفصحى كانت في أصلها لغة قريش"، وقد جانبه الصواب، في تقديري، لأكثر من سـبب أولها تناسـيه بأن اللغات الأوروبية اسـتقلت معتمدة على لهجة إحدى المدن فالفرنسـية اتخذت لهجة باريس نموذجاً والإيطالية لهجة روما، والإنجليزية لهجـة لندن والألمانية لهجة هانوفر، والأسـبانية لهجة مدريـد ولماذا لا يصح في العربية اعتماد لهجة مكة أي قريش؟!.

(1) الأصول: ص78، نقلاً عن كتاب New Invitation To Linguistics P:95.

وثانيهما: إن اليونانية اعتمدت نصاً واحداً هو أشعار هوميروس بينما العربية الفصحى بنيت على ائتلاف من عدة صفات احتفظت بها لهجة قريش واللهجات العربية الأخرى من العربية الأولى وشكلت الملامح الرئيسية لها أي للفصحى ونسج الشعراء على منوال يخلو من الخصائص المذمومة في لهجاتهم وهو ما يحصل في وقتنا إذا جلس مجموعة من المتعلمين فإن كل واحد منهم يحاول أن يتحدث بلغة تخلو من السمات المحلية فيكون اتفاقهم عرضاً على لغة يتفاهمون بها وهو ما يؤيده بنفسه حيث يقول في موضع سابق "وكذلك كان العرب الأقدمون فيما يبدو مع فارق هام هو أن العربي الأول كانت له سليقة في الفصحى إذ يأخذها ويكتسبها مع لهجته القبلية أثناء النشأة "[1] وتهيأ لهذه الفصحى الانتشار في الأسواق الأدبية، وبنزول القرآن الكريم الذي تحمل أساليبه ملامحها ومعالمها، تحقق لها الثبات والانتشار.

وخلاصة الأمر عندي أنه كانت هناك لغة عربية مشتركة، وكانت في وقت ما من لغة البدو ولغة الحضر من شرق الجزيرة ووسطها وغربها، وتفرّعت عنها لهجات القبائل، التي قسمت أحياناً بإجمال إلى لغات عربية شرقية مركزها لغة تميم ولغات عربية غربية ومركزها لغة الحجاز ؟! أما كيف تفرعت ؟ فسؤال يجيب عليه الدكتور علي وافي بقوله: "والعامل الرئيسي في تفرّع اللغة إلى لهجات هو سعة انتشارها ...فتتكلم بها جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من الناس، يستحيل معها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمداً طويلاً فلا تلبث أن تتشعب إلى لهجات ... وذلك بفعل عوامل اجتماعية وسياسية وجغرافية... "[2]، وفي اعتقادي أن هذه العوامل قد تكون مشتركة أيضاً فيكون التشابه فيما بينها أكثر من الاختلاف، فتكون عامل توحيد أقرب منها إلى أن تكون عامل تفريق فلا يصل التباعد فيما بينها إلى درجة الانفصال الذي يؤدي إلى تميزها وتشكيلها لغات مستقلة.

ومع أن الدكتور إبراهيم أنيس[3] يتحدث عن العوامل الجغرافية والاجتماعية وأثرها في تشعب اللغة الواحدة إلى لهجات إلاّ أنه يوجز نشأة اللهجات في العالم ويردها إلى عاملين هما:

أ – الانعزال بين بيئات الشعب الواحد

ب – الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات

وقد تحقق هذان الأمران للهجات العربية قديماً فقد انقسمت بيئات الجزيرة العربية إلى بيئات بدوية وحضرية، وجهات شرقية وغربية ووسط الجزيرة وأطرافها، وانتقل

---

(1) تمام حسان، الأصول: ص77.

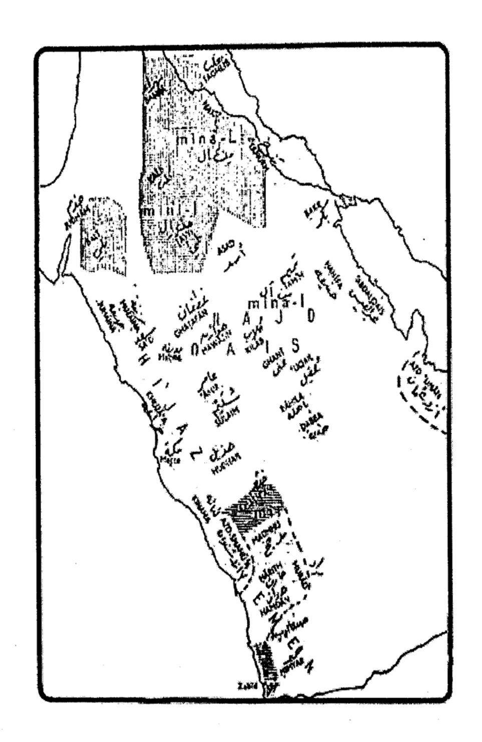
(2) دوافي، علم اللغة: انظر ص ص172-175 بشيء من التصرف.

(3) في اللهجات العربية: ص21.

العـرب بلهجاتهم إلى البلاد المفتوحة وتأثرت بلغة هذه البلاد وأثرت فيها فكان ذلك أحد الأسـباب الرئيسة في نشـأة العاميات العربية حيث حدث، بعد خروج العرب إلى الأمصار أن تلاقت لهجاتهم بلغات البلاد المفتوحة التي تركت فيها آثاراً كدخول كثير من المفردات إلـى هذه اللهجات من الفارسـية والآرامية والقبطية والبربريـة واليونانية والتركية، مما سـاهم في تطوير هذه اللهجات، ومع طـول الزمن وبفعل العوامـل اللغوية والاجتماعية والسياسـية، تشـكّلت العاميات أو لغات الأمصار من تلك اللهجات التي كان لها الغلبة في كل قطـر على حـدة وعلى حد قول الجاحظ صـار:" كل مصر يتكلم علـى من نزل به من العرب ".

وإذا كانت الدراسـات اللهجية التي عنيت باللهجات العربية الحديثة مشـوبة بشـبهة سياسية لأنها بدأت على يد المستشرقين وخوفاً على الفصحى من أن تحل محلها العاميات العربية، فإن هذا الأمر مسـتبعد لأسباب تاريخية ودينية وقومية حالت دون نجاح الدعوة إلى العامية في فترات ضعف الأمة. فما بالك في هذا الوقت التي بدأت فيه الأمة بالنهوض ويتسـلم أبناؤها زمام شـؤونهم، وأصبح مطروحاً ضمن التخطيـط اللغوي أن نتجه إلى تقريـب هذه العاميـات من الفصحى نظـراً لأصالة هذه العاميات وعمـق صلتها بالعربية الفصحـى الأم باعتبارهـا امتداداً للهجات القديمـة، وبهذا الاعتبار أيضـاً يمكن التخطيط لتحويل العامية إلى الفصحى بوسائل يمكن وضعها، وهكذا يمكن إقامة الدراسات اللهجية من أجل أحد غرضين أولهما باعتبارها موروثاً اجتماعياً يحمل في ثناياه كثيراً من عاداتنا وتقاليدنا وثقافتنا وأدبنا، ومكارم أخلاقنا وصور كرمنا.

وثانيهمـا : باعتبارها ميراثـاً حضارياً علمياً حياً بما فيها من نظـم لغوية أو مظاهر فصيحـة يربط بين هـذه العاميات وأصلهـا الفصيح مما يمكن الإفادة منـه في التخطيط التعليمي.





أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. عرّف اللغة واللهجة ؟
2. اذكـر بإجمال الصفات الكلامية أو الجوانب اللغوية التـي تختلف فيها اللهجات عن اللغة الأم. ثم فصّل القول في الاختلاف الأوّل.



تدريب (1)

1. ما الفرق بين الكشكشة والشنشنة وأين موطنهما ؟
2. مـا الصفتـان الصوتيتـان اللتـان تصيبـان الهمزة؟ وأين تشـتهر كل صفـة قديماً وحديثاً؟
3. ما السَّليقيّة في اللغة؟ وهل يمكننا أن نقول إن اللغة الفصحى لغة سليقة ؟

3. مـصادر الاحتجاج اللـغـوي

لقـد أقيـم وصف العربية ووضعـت نظمها الصوتيـة وأبنيتها الصرفيـة وتم تقنين أساليبها التركيبية وضبط قواعدها الإعرابية وبيان معاني مفرداتها ودلالات عباراتها، بل إنهـا حافظت على وجودها، من خلال اعتماد لغويينا على القرآن الكريم والشـعر العربي والحديث الشـريف وكلام العرب المنثور وهي الأصول النقلية، التي قام عليها الاحتجاج والاستشـهاد والتوثيق اللغوي، من الناحية النظرية. ولكن الاحتجاج بها كان متفاوتاً من الناحية العملية ولم يكن الاعتماد عليها بدرجة متسـاوية ؛ ففي حين كان للشـعر الصدارة في الاستشهاد، لقي الحديث صدوداً من جمهرة النحاة. ولم يأخذ النص القرآني وقراءاته المكانـة اللائقة به باعتباره أوثق الأصول، مما سـنتناوله بالحديث عن كل أصل منها على حدة.

1.3 القرآن الكريم وقراءاته

لـم يقُـمْ خلاف بيـن النحوييـن على أن القـرآن الكريـم أصل من أصـول الاحتجاج والاستشـهاد في اللغة والنحو، بوصفه أفصح أساليب العربية على الإطلاق الذي لم يطرأ عليه تعديل وتغيير، وبناؤه المحكم يعتبر، مع قراءاته، سجلاً لظواهر الفصحى. "وكل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج به في العربية سـواء كان متواتراً، أم آحاداً، أم شـاذاً، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة العربية، إذا لم تخالف قياساً معروفاً، بل ولو

خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه، وإن لم يجز القياس عليه، كما يحتج بالمُجْمَع علـى وروده ومخالفته القياس في ذلك الـوارد بعينه ...وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة، لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة...."[1].

وكان علـى النحاة بناء على ما تقدم أن يجعلوا القرآن الكريم الأسـاس الأول في الاستشهاد، وأن يعتمدوا نصوصه وقراءاته قبل غيرها لتقعيد القواعد ؛ فروايته أوثق، بل هي الأوثق على الإطلاق مما نقله إلينا الرواة من شـعر أو نثر، فأسـاس القراءات السـماع والمشـافهة، كما هو معروف، ومع ذلك لم يكتفِ علماء القراءات والنحاة واللغويون بهذا الحـد وقاموا بجمع القراءات ؛ للمحافظة عليها ؛ ووضعوا لها أصولاً وحدوداً وميزوا بين الصحيح المتواتر والشاذ الفريد واشترطوا للقراءة الصحيحة المتواترة أن توافق العربية ولـو بوجه، وأن توافق أحـد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وأن يصحّ سـندها[2]. وأول مـن نهـض بهذا العبء كما يقول شـوقي ضيف هو ابـن مجاهد الذي اختـار، بعد البحث والفحـص الطويل، سـبعة من أئمة القراءات حمل عليهم المسـلمين فـي جميع أقطارهم، وأمصارهم وبذلك لـمّ الشعث، وأدرك الأمة قبل أن يتسع بينها الخلاف في قراءات كتابها السـماوي على أنه عاد فألف كتاباً في ذكر الشـواذ من القراءات"[3] وقام تلميذه أبو علي الفارسـي بوضـع كتابـه " الحجة في علل القراءات السـبع " وفيه كمـا يذكر في مقدمته " وجـوه قراءات القراء الذيـن تثبت قراءاتهم في كتاب أبي بكـر أحمد بن مجاهد"[4]، أي يذكر الوجوه النحوية والعلل الإعرابية مسـتعيناً على ذلك بالشواهد الشعرية، مع تسجيل تحفظـي علـى هذا النهج ؛ لأننا نحتـج ونعلل للأثبت في النقل والأوثق في الإسـناد وهي القراءات المتواترة بما هو أدنى منه ثقة في الرواية وصحة إسناد وهو الشعر الذي قد يكون مجهول القائل أو مصنوعاً أو ما فيه من الضرورة والشـذوذ ما فيه، وهذا منطق معكوس وقلب للحقائق قامت عليه حركة علمية وأصبح نهجاً شائعاً ومقبولاً خدمة للقرآن الكريم. وأما ابن جني تلميذ أبي علي فقد قام بذكر الوجوه النحوية والتعليلات الإعرابية واللغوية للقراءات الشاذة التي ألف فيها ابن مجاهد، فقد ذكر ابن جني في تقديمه: "وأنا، بإذن الله، بادئ بكتاب أذكر فيه أحوال ما شـذ عن السبعة....وعلى أننا ننحي فيه على كتاب أبي بكر أحمد بن موسـى بن مجاهد، رحمه الله، الذي وضعه لذكر الشـواذ من القراءة"[5] ويسير على نهج أسـتاذه في الاسـتعانة بالشواهد الشعرية مضيفاً إليها شواهد من لغات العرب، أقصد لهجات قبائلهم، وقامت حركة علمية كبيرة لتوثيق القراءات وتعليلها، المتواتر منها والشـاذ؛ فيضاف إلى فصاحة السـماع صحة القياس، ويجمع بين الرواية والدراية وبين

(1) الاقتراح: ص48. (2) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 1/9.

(3) كتاب السبعة في القراءات: ص15، وابن مجاهد هو أبو بكر بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، كان حافظاً للقرآن وتفسـيره ومعانيه وقراءاته بطرقها ورواياتها المتواترة والشـاذة، ت 324هـ.

(4) الفارسي، الحجة في علل القراءات السبع: جـ1/ص3. (5) ابن جني، المحتسب: 1/34-35.

النقـل والعقـل، مع أن القراءة سـنّة متبعة تعتمد على الأثبت في الأثـر والأصح في النقل والرواية[1]. وبهذه المثابة تبلغ الغاية في الفصاحة لقوة إسـنادها، فلا يردها قياس بل لا تحتاج له لاعتمادها، وأين النص اللغوي الذي يتوافر له مثل هذا الضبط والتوثيق؟!.

ولكن جاء الأمر عند معظم النحاة على عكس ما هو متوقع أو مفترض، وعلى رأسهم سـيبويه الذي كان عليه أن يجعل القرآن الكريم أساسـاً لوضع القواعد النحوية ...ثم تأتي بقية الشـواهد في المرتبة الثانية ...ولكنه عكس الوضع فجاء الهرم مقلوباً عنده ومعظم النحاة بعده ...ولعلها واحدة من الآثار السـلبية التي خلفها كتابه "[2]،وقد لخص الدكتور أحمد مكي الأنصاري وجهة نظر سيبويه من القراءات في أربعة مواقف هي :

1- موقف المعارضة لبعض القراءات.

2- موقـف المعارضة الخفية آخر بحيـث يضع القاعدة النحوية التي تصطدم بالآية، دون أن يصرح بالآية نفسها.

3- موقف التأويل والإخضاع للآيات التي تتعارض مع القاعدة البصرية.

4- موقف الموافقة التي تندرج تحت القواعد النحوية.

ويمكننـي أن أزعم أن هـذه المواقف توزعها النحاة فيما بينهم على درجات متفاوتة، حسب اقتناع كل منهم بالموقف. ويمكننا أن نمثّل للموقف الأول بقراءة عبد الله بن عامر وهـو مـن القراء السـبعة التي فصل فيها بين المضـاف والمضاف إليه فـي الآية الكريمة التالية : "وكذلك زيّن لكثير من المشـركين قتلُ أولادَهم شركائِهم"[3] فجمهور البصريين يمنعونهـا، متقدموهـم ومتأخروهـم، ولا يجيـزون ذلك إلا فـي ضرورة الشـعر[4] ومن ضمنهم طبعاً سـيبويه فهو من متقدّميهم ولا يرى الفصل بغير الظرف[5]، وأنكرها كذلك أبو علي الفارسـي والزمخشـري وابن الأنباري[6]. وهي مؤيدة بالضـرورة من الكوفيين لأنهم يجيزون الفصل بين المتضايفين في السعة وهي النثر وضابطها أن يكون المضاف إما اسـماً يشـبه الفعل وأن يكون الفاصل بينهما معمولاً للمضـاف وأن يكون منصوباً ... وإحداهـا أن يكـون المضاف مصدراً والمضـاف إليه فاعله والفاصل إمـا مفعوله كقراءة

(1) النشر: 11/1.

(2) انظر: أحمد مكي الأنصاري، سيبويه والقراءات: ص241، وكذلك حسن عون تطور الدرس النحوي: ص56.

(3) الأنعام -137.

(4) البحر المحيط: 4/229-230.

(5) البغدادي، خزانة الأدب: 2/416.

(6) الخزانة: جـ4/ص422،423 .

ابن عامر، وهو الحق عند الكوفيين كما وصفه الأزهري[1]، ويؤيده ما ذكره ابن الأنباري يقوله : " ذهب الكوفيون إلى أنه يجور الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف وحرف الخفض بضرورة الشعر"[2] وتأييد القراءات منهج عام عند الكوفيين وهو أمر طبيعي، فرأس المدرسة الكوفية، وهو الكسائي، كان أحد القراء السبعة، فعقدوا كثيراً من أحكامهم على ما جاء فيها.

وجاء في شرح الكافية للأستراباذي " وقد جاء في السعة الفصل بالمفعول إن كان المضاف مصدراً والمضاف إليه فاعلاً له كقراءة ابن عامر ... أنكر أكثر النحاة الفصل بالمفعول وغيره في السعة[3] فكأنه لا ينكر القراءة ولكن يذكر من ينكرها .

ودفاع أبي حيان الأندلسي عن القراءة[4] يعني تأييده لها، وهكذا اتخذ النحاة من قراءة ابن عامر السبعية موقفين متعارضين، الموافقة الصريحة من الكوفيين، إلا الفراء[5]، وأبي حيان الأندلسي والاستراباذي والأزهري والبغدادي[6]. والمعارضة الصريحة من سيبويه والبصريين، وأيّدهم الفراء وأبو علي الفارسي والزمخشري وابن الأنباري. وهو موقف يصعب تفهمه مع إيراد النحويين شواهد شعرية ومن كلام العرب عدا أنها قراءة سبعية وابن خالويه يقول في القراءات السبع : " إنني تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل، وإتقان الحفظ، المأمونين على تأويل الرواية واللفظ فرأيت كلاً منهم قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهباً من مذاهب العربية لا يدفع، وقصد من القياس وجهاً لا يمنع فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار"[7].

وليت النحاة استقرؤوا قواعد النحو من القرآن الكريم، فالكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر كما يقول الفراء[8] وكان عليهم أن يعوا أن النحو العربي ثمرة من ثمرات الدراسات القرآنية، والقرآن نصوصه محصورة بين دفتي المصحف، محكم في اختيار ألفاظه وانتقاء أساليبه، لا يلحقه نقض أو نقص أو اختلاف ويمثل لغات العرب جميعاً. وإننا مع الفخر الرازي في تعجبه من النحاة وإنكاره عليهم في بحثهم عن حجة من الشعر أو كلام العرب لإثبات ما خالفت قياسهم الذي وضعوه، بقوله: "إذا جوّزنا إثباتها بالقرآن العظيم أولى، وكثيراً ما نرى النحويين متحيزين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن،

---

(1) شرح التصريح على التوضيح: جـ2/ص57.
(2) الإنصاف، المسألة 60: جـ2/ص427.
(3) شرح الكافية للأستر اباذي: جـ1/293.
(4) البحر المحيط: السابق.
(5) خزانة الأدب: 4/420-421.
(6) المرجع السابق.
(7) الحجة في القراءات السبع: ص61.
(8) معاني القرآن: 1/14.

فإذا استشــهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شــديد التعجب منهم، فإنهم إذا جعلــوا ورود القــرآن دليلاً على صحتهــا كان أولى "[1]، لأن الأصل فــي القرآن أن يقاس عليه وأن يستشهد به فنصه صحيح ثابت متواتر، ومن الأئمة من يرى أن قراءاته توقيفية وليست اختيارية "[2]. وقد دعا الأستاذ سعيد الأفغاني إلى " أن يمعن النحاة في القراءات الصحيحــة فما خالف منهــا قواعدهم صححوا به تلك القواعد ورجعــوا النظر فيها، فذلك أَعْوَد على النحو بالخير ... "[3].



أسئلة التقويم الذاتي (2)

اذكر موقف كل من البصريين خاصة سيبويه والكوفيين من القراءات القرآنية.



تدريب (2)

اذكر أسماء القراء السبعة ومواطنهم.

3.2 الحديث الشريف

والحديــث عنــد النحــاة واللغويين هو قول الرســول العربي محمــد ﷺ، وإنما يهتم النحويون بالقول لأنه موضوع النحو ومنبع اســتدلالهم ومرجع أحكامهم[4]، وأضاف إليه الشــيخ محمد الخضر حســين : الأقوال المنســوبة إلى الصحابة والتابعين متى جاءت من طريــق المحدِّثين تأخذ حكم الأقوال المرفوعة إلى رســول الله ﷺ من جهة الاحتجاج بها في إثبات لفظ لغوي أو قاعدة نحوية[5].

ولم تكن فصاحة الرســول ﷺ، محل شــكّ يوماً ما، لا قديمــاً ولا حديثاً، ولكن إجازة روايــة أحاديثــه ﷺ بالمعنى جعل بعض النحاة يترددون في الاستشــهاد بها، لأن الأصل أن تُــروى هذه الأحاديث بلفظه ﷺ، وقد حرص الرواة على نقله بحرفه ولكن ثبت جواز نقله بالمعنى بشروط تمنع أن يتطرق الخلل إلى لفظه أو معناه، ولكن السيوطي يشك في

(1) الرازي، التفسير الكبير: 3/193 (سورة النساء).
(2) الزركشي، البرهان في علوم القرآن: 1/321.
(3) الأفغاني، في أصول النحو: ص32.
(4) أصول النحو السماعية: للشيخ محمد رفعت: ص48، نقلاً عن كتاب: النحاة والحديث النبوي للدكتور حسن الشاعر.
(5) دراسات في العربية وتاريخها: ص167.

هـذا الأمر ويرى " أن ما روي باللفظ نادر جـداً وأن غالب الأحاديث مروي بالمعنى، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها، فرووها بما أدت إليه عبارتهم، فزادوا ونقصوا، وقدموا أوجه شـتى، بعبارات مختلفة، ومن ثـم أنكر على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفـاظ الواردة فـي الحديث "[1]، ونفهم من كلامه ما يلـي، وهو ما يمكن أن نلخص به قضية الاستشهاد بالحديث :

1- ندرة الأحاديث المروية بلفظه ﷺ، مما يبعث الشك في الاستشهاد بمجمل أحاديثهﷺ، أي إن الندرة لا تشفع ولا تعطي شرعية الفصاحة لغيرها من الأحاديث.
2- أغلـب الأحاديث مرويـة بالمعنى، وهنا تعـددت الروايات بتعدد الـرواة، وقد تتداخل الروايـات التي قـد تخلو من الضبط والالتـزام ؛ فتكون هنا زيـادة وهناك نقص مما يشكك في بلاغتهم ويفرغها من الفصاحة وهي مُعتَمدُ الاستشهاد.
3- رواية الأحاديث من غير العرب قبل تدوينها أوقع اللحن فيها، وهذا يتنافى مع فصاحته ﷺ.
4- اسـتنكار إثبات القواعد النحوية، بناء على ما تقدم، بألفاظ الحديث، وإيقاع اللوم على من فعل ذلك كابن مالك.

وقد يكون السيوطي في كلامه المتقدم قد ترسم خطى أبي حيّان الأندلسي الذي نقل إنـكاره في الاقتراح على ابن مالـك بقوله: "قد أكثر هذا المصنِّف من الاسـتدلال بما وقع فـي الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسـان العرب، وما رأيـت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سـلك هذه الطريق غيره، على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المسـتقرئين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين والكسائي والفراء، وعلي بن المبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين، وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحـاة بغداد وأهـل الأندلس ..."[2] وهذا حديث يبعث الدهشـة والاسـتغراب في النفس، والشـك كذلك؛ فهو مرسـل، في تقديـري، على عواهنـه دون تحرٍّ للحقيقـة؛ فقد دحضه بنفسـه عملياً: فلو تصفحنا كتابه تذكرة النحاة وأحصينا المواضـع التي اسـتشـهد فيها

(1) الاقتراح: ص52.
(2) المرجع السابق نفسه.

بالأحـاديث فسـنجدها أربعة وعشرين[1]. وأما ادعاؤه على سـيبويه فيرده أنه استشهد بثمانيـة أحاديـث في الكتاب كما جاء في فهرسـه[2]. وأما الفراء فقـد أثبت الدكتور أحمد مكي الأنصاري أنه انتهج منهجاً جديداً في الاستشـهاد بالحديث الشريف وذلك أنه اعتمد الحديث واحتج به في النحو واللغة احتجاجاً مباشراً ...."[3].

كذلك من المانعين لاستشـهاد بالحديث أبو الحسـن بن الضائع، بل قد يكون أولهم، الذي يمكن أن يكون السيوطي قد تأثر به، محتجاً (أقصد ابن الضائع)، بالرواية بالمعنى كمـا نقل عنـه البغدادي حيث جاء: قال أبو الحسـن بن الضائع في شـرح الجمل : تجويز الرواية بالمعنى هو السـبب عندي في ترك الأئمة، كسيبويه وغيره، الاستشهاد على إثبات اللغـة بالحديث، واعتمدوا فـي ذلك على القرآن وصريح النقل عـن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأوْلى في إثبات فصيح اللغة كلام النبيﷺ، لأنه أفصح العرب ... "[4]، وقد بينّا آنفاً أن سـيبويه قد استشـهد بالحديث الشـريف، وهذا ينفي ما ادعاه.

وفي العصر الحاضر لم يجد الاستشـهاد بالحديـث معارضة، ووجدنا اهتماماً بهذه القضية عند اللغويين ومنهم من استوفاها بحثاً كالشيخ محمد الخضر حسين الذي ناقش أدلـة المانعين وتحدث عـن تدوين الحديث، مع ظهور اللحن وفسـاد لغة المتحدثين ومع ذلك يقرر أن قسـماً كبيراً من الأحاديث دوّنه رجال يحتج بأقوالهم في العربية، وأن كثيراً من الرواة كانوا يكتبون الأحاديث عند سـماعها؛ وذلك مما يسـاعد على روايتها بألفاظها، بالإضافـة إلى التشـديد في رواية الحديـث بالمعنى، وما عرف من احتيـاط أئمة الحديث وتحريهـم في الروايـة، فيحصل الظن الكافـي لرجحان أن تكون الأحاديـث المدونة في الصدر الأول مروية بألفاظها ممن يحتج بكلامه "[5].

وتحت عنوان تفضيل وترجيح[6] يقسـم الأحاديث من حيث الاستشـهاد إلى أقسام ثلاثة هي:

1- من الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف في الاحتجاج به وهي ستة أنواع:

أولها: ما يروى بقصد الاسـتدلال على كمال فصاحتـه ﷺ كقوله "حمي الوطيس، ومات حتف أنفه".

(1) انظـر: تذكـرة النحاة لأبي حيـان، أرقام الصفحات التي وردت فيهـا الأحاديث كما جاءت في فهرس الأحاديث الشريفة: ص ص 756-775.
(2) انظر منه: 32/5، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.
(3) انظر: أبو زكريا الفراء: ص394.
(4) خزانة الأدب: 10/1.
(5) دراسات في العربية وتاريخها: ص175.
(6) المرجع السابق: ص177.

ثانيهــا: مــا يروى من الأقــوال التي كان يتعبــد بها أو أمــر بالتصبر بها كألفــاظ القنوت والتحيات.

ثالثهــا: ما يروى شــاهداً على أنه كان يخاطب كل قوم من العــرب بلغتهم (نحو: ليس من امبر إمصيام في إمسفر).

رابعها: الأحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت ألفاظها.

خامسها: الأحاديث التي دوَّنها مَنْ نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة كمالك بن أنس وابن جريج والشافعي.

سادسها: ما عرف من حال رواته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة.

2- ومن الأحاديث ما ينبغي الاختلاف في عدم الاحتجاج به وهي الأحاديث التي لم تدون في الصدر الأول، وإنما تروى في كتب بعض المتأخرين.

3- والحديث الذي يصح أن تختلف الأنظار في الاستشهاد بألفاظه هو الحديث الذي دون في الصدر الأول، ولم يكن من أنواع المنبه إليها آنفاً وهو على نوعين:

حديث: يرد لفظه على وجه واحد، وحديث: اختلفت الرواية في بعض ألفاظه .

وخلاصــة البحث كما ذكرها، أنّا نرى الاستشــهاد بألفاظ مــا يروى في كتب الحديث المدونــة فــي الصــدر الأول وإن اختلفت فيه الرواية، ولا نســتثني إلا الألفــاظ التي تجيء في رواية شــاذة أو يغمزها بعض المحدثين بالغلط أو التصحيف غمزاً لا مرد له. ويشــد أزرنا في ترجيح هذا الرأي أن جمهور اللغويين وطائفة عظيمة من النحويين يستشهدون بالألفاظ الواردة في الحديث وعلى بعض رواياته "[1].

أما الأستاذ سعيد الأفغاني فمن رأيه أن يتقدم الحديث سائر كلام العرب من نثر وشعر فــي بــاب الاحتجاج في اللغة وقواعد الإعراب، إذ لا تعهــد العربية في تاريخها بعد القرآن الكريــم بيانــاً أبلغ من الكلام النبوي ؛ ولا أروع تأثيــراً ولا أفعل في النفس ولا أصح لفظاً ولا أقَــوَم معنى ؛ ولكن ذلك لم يقــع كما ينبغي؛ لانصراف اللغويين والنحويين المتقدمين إلى ثقافة ما يزودهم به رواة الأشعار، انصرافاً استغرق جهودهم، فلم يبق لرواية الحديث ودرايتــه بقية، فتعللوا لعدم احتجاجهم بالحديث بعلل، كلها وارد بصورة على ما احتجوا به هم أنفسهم من شعر ونثر"[2].

(1) السابق: ص180.

(2) في أصول النحو: 49-50.

ويعلل، كما نرى، انصراف النحاة عن الاستشهاد بالحديث بانشغالهم بالشعر ولقلة درايتهم برواية الحديث. والنحاة لم ينصرفوا عن الاستشهاد به فسيبويه والفراء قد فعلا ذلك أي استشهدوا به، وقد أثبت الدكتور حسن الشاعر هذا الأمر في كتابه النحاة والحديث النبوي وقال الكلمة الفصل؛ فهو لم يكتف بجمع آراء المانعين والمؤيدين والمتحفظين قديماً وحديثاً. وذكر على سبيل الخصوص ابن الضائع وأبا حيان الأندلسي أنهما قد استشهدا بالحديث مع أنهما من منكري ذلك. بل قدم دراسة إحصائية بلغة الأرقام الدامغة تتبع فيها عشرين كتاباً من أشهر كتب النحو لمتقدمي النحاة كسيبويه ومتأخريهم كالأشموني وقام بإحصاء الأحاديث التي استشهد بها في كل كتاب، وقد رأيت أن أوردها كالتالي [1]:

الرقم	الكتاب ومؤلفه وتاريخ وفاته	عدد الأحاديث فيه
1-	الكتاب - سيبويه (180 هـ)	10
2-	المقتضب - المبرد (285 هـ)	3
3-	الجمل - الزجاجي (337 هـ)	2
4-	معاني الحروف - الرماني (384 هـ)	4
5-	الأزهية في علم الحروف - الهراوي (415 هـ)	4
6-	المرتجل - ابن الخشاب (567 هـ)	3
7-	أسرار العربية - الأنباري (577 هـ)	3
8-	الإنصاف - الأنباري (577 هـ)	10
9-	شرح المفصل - ابن يعيش (643 هـ)	40
10-	المقرب - ابن عصفور (669 هـ)	3
11-	عمدة الحافظ - ابن مالك (672 هـ)	47
12-	شرح الكافية - الرضي (688 هـ)	66
13-	رصف المباني - المالقي (702 هـ)	13
14-	الجنى الداني - المرادي (749 هـ)	22
15-	شذور الذهب - ابن هشام (761 هـ)	35
16-	أوضح المسالك - ابن هشام (761 هـ)	27
17-	مغني اللبيب - ابن هشام (761 هـ)	95
18-	شرح ابن عقيل - ابن عقيل (796 هـ)	14
19-	همع الهوامع - السيوطي (911 هـ)	155
20-	شرح الأشموني - الأشموني (929 هـ)	86
	المجموع	642

(1) عن الدكتور حسن الشاعر: النحاة والحديث النبوي: ص93، وجزى الله الدكتور حسن خير الجزاء؛ لأنه، في تقديري، أشبع هذه القضية ولم يُبقِ لمستزيد فيها قولاً، فقد ألمَّ بجميع أطرافها.



أسئلة التقويم الذاتي (3)

مـن النحاة الذين اعترضوا على الاستشـهاد بالحديث الشـريف؟ وما حجتهم في ذلك؟ وكيف تدحض مقولتهم؟ وكيف قسّـم الشيخ محمد الخضر حسين الأحاديث من حيث الاستشهاد بها؟ وما موقفك من الاستشهاد بالحديث الشريف؟



تدريب (3)

ما الفرق بين الحديث النبوي والسُّـنَّة؟ وماذا أضاف الشـيخ محمد الخضر حسين إلى الحديث النبوي؟ وما سبب الخلاف بين النحاة حول الاستشهاد به؟

3.3 الكلام العربي

بشـعره ونثره هو المصدر الأول والرئيس الذي اعتمده النحاة واللغويون في تقعيد نحـو العربية وهو كما قـال ابن الأنباري " هـو الكلام العربي الفصيـح، المنقول بالنقل الصحيـح، الخارج عـن حد القلة إلى حد الكثرة، وعلى هذا يخـرَّج ما جاء من كلام العرب من المولدين، وما جاء شـاذاً في كلامهم[1]، وهو بهذا يشترط في الكلام أن يكون فصيحاً وتتحقق هذه الفصاحة بما يلي :

1- أن يكون نقل الكلام صحيحاً عن الموثوق بعربيتهم بالتواتر وأن يكون ناقله عدلاً ولو كان الناقل واحداً[2].

2- لا يحتج بكلام المولّدين مما يعني وضع حدود زمانية للاحتجاج.

3- أن لا يكون شاذاً أي خارجاً عن القياس والسماع.

وأمـا الفصحاء الموثوق بعربيتهم، فهم عند اللغويين، كما يذكر ابن جني، أهل الوبر، أي الفصاحـة تكـون مـع البداوة. ففـي باب ترك الأخذ عـن أهل المدر كمـا أخذ عن أهل الوبر، يقول "وعلة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل.... وكذلك أيضاً لو فشـا في أهل الوبر ما شـاع في لغـة أهل المدر من اضطراب بالألسنة وخبالها، وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها[3].

(1) الخصائص: 2/5، الاقتراح: ص84.
(2) المرجع السابق: ص86.
(3) الخصائص: 2/5.

وهكذا اشــترط ابن جني للاستشــهاد بالكلام العربي حدوداً مكانية حصرها بسكان الباديــة، ولكنــه لم يذكر القبائــل البدوية التي يحتــج بكلامها وترك لغيــره على ما يبدو تحديدها فقد سبق القول منه أن اللغات على اختلافها كلها حجة[1].

وقــد أخذ الفارابي علــى عاتقه أمر تحديــد القبائل البدوية الفصيحــة الذي حصرها بقوله " ... متى تأملت أمر العرب فإن فيهم ســكان البراري وفيهم سكان الأمصار، وأكثر ما تشــاغلوا بذلك يعني تتبع اللغة ودراســتها - من سنة تســعين إلى سنة مائتين - وكان الــذي تولى ذلك من بين أمصارهــم أهل الكوفة والبصرة من أرض العراق، فتعلموا لغتهم والفصيح منها من ســكان البراري منهم دون أهل الحضر، ثم من ســكان البراري من كان فــي أوســط بلادهم ومن أشــدهم .... جفاء، وأبعدهــم إذعاناً وانقياداً وهــم : قيس وتميم وطيء ثم هذيل، فإن هؤلاء هم معظم من نقل عنه لسان العرب، والباقون فلم يؤخذ عنهم شــيء، لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم مطبوعين على ســرعة انقياد ألســنتهم لألفاظ ســائر الأمم المطيفة بهم من الحبشة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر "[2] وإن هناك اختلافاً بين نص الفارابي في كتابه الحروف والنص نفسه الذي نقله السيوطي[3] في المزهر والاقتراح، فنص الفارابي لا ذكر فيه لقريش التي وصفت لغتها في بداية نص الســيوطي " بأنها أجــود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ، وأســهلها على اللســان عند النطق، وأحسنها مســموعاً وأبينها إبانة عما في النفس "[4] ثم أضاف الســيوطي للقبائل بعــض كنانه وبعض الطائيين وليس القبيلــة كلها كما جاء في نــص الفارابي الذي خلا أيضاً من بعض كنانة. وقام الســيوطي أيضاً بتفســير وتفصيل مــا ذكره الفارابي في آخر نصه بإجمال حين قال : والباقون فلم يؤخذ عنهم شــيء لأنهم كانوا في أطراف بلادهم مخالطين لغيرهم من الأمم .... المطيفة بهم من الحبشــة والهند والفرس والسريانيين وأهل الشام وأهل مصر " حيث قال (أقصد السيوطي) : " وبالجملة فإنــه لــم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن ســكان البراري ممن كان يســكن أطراف بلادهم المجاورة لســائر الأمــم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخــم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاعة وغسان وإياد، لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقــرؤون بالعبرانية ولا من تغلــب واليمن، فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ؟! ولا مــن بكر لمجاورتهم القبط والفرس، ولا من عبد قيــس وأزد عمان، لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة

---

(1) المرجع السابق: 2/10.

(2) الفارابي: كتاب الحروف: ص147.

(3) انظر: المزهر: 1/211-212، والاقتراح: ص56.

(4) انظر: المرجع السابق نفسه.

وسـكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف، لمخالطتهم تجار اليمن المقيمة عندهم، ولا مـن حاضرة الحجاز، لأن الذين نقلـوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطـوا غيرهم من الأمم، وفسـدت لغتهـم ...."[1] وهكذا تتقيد قائمـة الفارابي بالإيغال فـي البداوة مـع الابتعاد عن العجمة. وأما ابن خلدون فيزيـد عليها قيداً آخر وهو اقتراب القبيلـة من قريش عندما يقول: "ولهذا كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها، لبعدهـم عـن بلاد العجم من جميـع جهاتهم، ثم مـن اكتنفهم من ثقيـف وهذيل وخزاعة وبنـي كنانـة وغطفان، وبنـي تميم، وأما من بعـد عنهم من ربيعه ولخم وجذام وغسّـان وإيـاد وقضاعة، وعـرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشـة، فلم تكن لغتهم تامّة الملكة بمخالطتم الأعاجم، وعلى نسـبة بُعْدهم من قريش، كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحـة والفسـاد عند أهل الصناعة العربية"[2].

وهذه الحدود والشـروط وقائمة القبائل التي حددت على أساسها، يبدو أنها بصريّة، كذلـك يبـدو أنها خاصة بالنثـر من كلام العرب ولـم يفرقوا بين اللغـة الأدبية واللهجات الخاصة.

أمـا الكوفيون فلم يكن لهـم قائمة محددة فاللغات على اختلافهـا كلها حجة عندهم، فكأنهم سبقوا ابن جني في مقولته تطبيقاً، فالكسائي رأس مدرستهم " كان يسمع الشاذ الـذي لا يجوز إلا في الضرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه، واختلط بأعراب الأبلّة فأفسـد بذلك النحو"[3] كما قال ابن درستويه، وإنهم أي الكوفيين" لو سمعوا بيتاً واحدا فيه جواز شـيء مخالف للأصـول، جعلوه أصلاً وبوّبـوا عليه، بخلاف البصرييـن "[4]، وكما يقول عنهم الأسـتاذ سـعيد الأفغاني "جعلوا من عدم المنهج في سـماعهم منهجـاً خاصاً لهم، فسـمعوا الشاذ واللحن والخطأ، وأخذوا عمن فسدت لغته من الأعراب وأهل الحضر، حتى أصبحت لهم قواعد بعد ما جمعوا من الشواهد"[5] فكأن الشاهد أو المثال هو الأصل الذين يبنون عليه بغض النظر عن قائله.

أما الحد الزماني فيبدأ بمنع الاحتجاج: بكلام المولدين والمحدثين في اللغة العربية... وأول الشـعراء المحدثين بشار بن برد.. ونقل ثعلب عن الأصمعي خُتِم الشعر بابن هرمة، وهو آخر الحجج[6]، وقد قسـم العلماء الشـعراء إلى طبقات أربـع من أجل تحديد المحتج بشعره منهم وهي[7]:

---

(1) السابق نفسه والنص فيه بعض المغالطات من مثل اقتران تغلب واليمن في الجزيرة، وأين بكر من القبط؟! فبكر جنوب العراق في شرق الجزيرة، والقبط في مصر.

(2) المقدمة: ص49 (فصل في أن اللغة ملكة صناعية).

(3) السيوطي، بغية الوعاة: 2/164.

(4) الاقتراح: ص202.

(5) الأفغاني، من تاريخ النحو: ص71.

(6) الاقتراح: ص70.

(7) انظر: الخزانة: جـ1/ ص ص 5-6.

الطبقة الأولى : الجاهليون، وهم قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى.

الطبقة الثانية : المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسّان.

الطبقة الثالثة : المتقدمون ويقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق.

الطبقة الرابعة : المولّدون، ويقال لهم المُحْدَثون وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبي نواس.

فالطبقتان الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعاً، وأما الثالثة فالصحيح الاستشهاد بكلامها ... وأما الرابعة فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامها مطلقاً وقيل يستشهد بكلام من يوثق به منهم " واستشهد الزمخشري بشعر أبي تمام في الكشّاف وتبعه البغدادي في الخزانة[1]. وأما أبو عمرو بن العلاء فيبدأ المولّد عنده من الطبقة الثالثة وكان يقول : " لقد حَسُن هذا المولد حتى لقد هممت أن آمر صبياننا برواية شعره، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق، فجعله مولّداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان من المتقدمين، قال الأصمعي : جلست إليه عشر حجج، فما سمعته يحتج ببيت إسلامي "[2]، وأبو عمرو هذا كما أنّ له حدوده الزمانية التي تنهي الاحتجاج بنهاية الطبقة الثانية، له حدوده المكانية الخاصة كذلك، حيث جاء في المزهر عن السيوطي عن أبي عمرو: أفصح الشعراء ألسناً وأعربهم أهل السروات: هذيل، ثقيف، وأزد شنوءه وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث."[3].

على أننا يمكن أن نلاحظ أن الحدود الزمانية رسمت للشعر وليس للنثر، كما أن الحدود المكانية رسمت للنثر أكثر من كونها للشعر، حيث اهتم اللغويون ببيان أسماء القبائل التي يؤخذ عنها القول والخطبة والمثَل والحكمة؛ بينما اهتموا في الحدود الزمانية بتوزيع الشعراء وتقسيمهم إلى طبقات مراعين الفترات الزمنية التي عاشوا فيها دون العناية والاهتمام بذكر القبائل ومواطنها؛ وقد سبب ذلك خلطاً بين اللهجات والعصور والمستويات لذلك تجد النحاة يحتجون بشعر لشعراء من عدة بيئات في الجزيرة العربية من جميع جهاتها فاستشهدوا بشعر امرئ القيس في جنوب الجزيرة وعمر بن أبي ربيعة من المدينة وأحتجوا بشعر عدي بن زيد الذي عاش في بلاط كسرى، وأبي دؤاد الإيادي، وقبيلته إياد كانت تعيش على تخوم دولة الفرس في شمال الجزيرة، وكذلك استشهدوا بشعر مجهول القائل، وهكذا ارتضوا كل نظم من شعر في جميع أنحاء الجزيرة العربية، كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب[4]: عدا أن الشعر كان لدى النحاة هو الأصل في

(1) المرجع السابق: 1/ 6-7.

(2) السابق نفسه: 6/1، نقلاً عن ابن رشيق في العمدة والنص موجود في 56/1 منه.

(3) المزهر: 483/2.

(4) فصول في فقه العربية: ص85.

الاحتجاج والمقدم في الاستشــهاد على الأصول كلها وكما يقول الدكتور محمد عيد : " إن الظاهرة الواضحة في كتب النحو العربي هو الاعتماد الأساسي على الشعر، إذ يكون وحده العنصر الغالب في دراســات النحاة المتقدمين والمتأخرين، من بين مصادر الاستشــهاد، وذلك باستثناء ابن مالك الذي اعتمد على الحديث، وأبي حيان الذي اهتم بإيراد الكثير من لغــات القبائل في كتابه ارتشــاف الضَّــرَب من كلام العرب، وابن هشــام الذي وجه عناية خاصة لنصوص القرآن "(1).

وقد كانت الحدود الزمانية للاحتجاج 150 هــ، للبيئة الحضرية أو نهاية القرن الثاني الهجــري، وفي البيئات البدوية 350هـــ أو أواخر القرن الرابع الهجري كما ورد في قرار لمجمــع اللغــة العربية فــي القاهرة ونصــه " إن العرب الذين يوثق بعربيتهم ويستشــهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع(2)".

والحقيقــة التــي يجب أن نواجههــا أن اللغة الفصيحة الســليمة لا ترتبــط بمكان أو زمــان ولا يجنس طبعاً؛ بــل الدربة والمعاناة هي التي تنتج لغة ســليمة خالية من الخطأ؛ لذلك فإنني أضم صوتي إلى صوت الدكتور عبد الصبور شــاهين في أننا يجب " أن نطلق مقاييــس الاستشــهاد اللغوي إطلاقاً موضوعيــاً لا يتقيد بالزمن بل بالمــادة اللغوية التي أنتجتها أقلام عُرِف عنها الحرص على اللغة والتعصب لها والتنوع في استعمالها والتنزه عن إســفاف العاميات وبذلك نجدد للغة شــبابها"(3) وهو أقرب إلى منهج الكوفيين قديماً الذين يقوم منهجهم على أسس ثلاثة:

1- قياسهم على المثال الواحد، لأنهم " إذا سمعوا لفظاً في شعر أو نادر كلام جعلوه باباً " كأنهم يشعرون بأن ما يقوله الأعرابي أو الأعرابية إنما يمثل بيئة لغوية.

2- حرصهم على أن تكون الأصول خاضعة للأمثلة المسموعة، فما يكادون يسمعون مثالاً يشــذ عن أصل موضوع حتى يســرعوا إلى إعادة النظر في هذا الأصل وتغييره، حتى يتلاقى مع هذا المثال.

3- إمعانهم في التتبع اللغوي، واســتبعادهم أســاليب المنطق، ومجافاتهم للتأويلات التي يخالفهــا الظاهر، ومــن أجل هذه كانوا يمتــازون بفهم العربية فهماً يســتند إلى فقه الطبيعــة اللغويــة لا إلى تكهنات تمحلية .... وكان مذهبهــم أقرب إلى تصوير العربية تصوراً واقعياً، ونحوهم أكثر تمثيلاً للغة العربية بلهجاتها المخلفة"(4) وأعتقد أننا لو

(1) محمد عيد، الرواية والاستشهاد باللغة: ص38.

(2) عباس حسن، اللغة والنحو: ص24.

(3) عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية: ص83.

(4) مهدي المخزومي: مدرسة الكوفة: ص396.

اتخذنا الأعمال الأدبية الحديثة وما قدمته حركة الشعر الحديثة من نماذج رصينة في الفكر والتعبير لمجموعة من الكتاب والشـعراء التي يتجلى، فيما قدموه، روح البيان العربـي وروح التطور اللغوي المعاصـر فإننا لا نجد لدى هؤلاء انحرافاً عن مقاييس الفصاحـة، أكثر مما نجد لدى بعض من يستشـهد بأقوالهم[1]، عند الكوفيين، بل أكاد أجـزم أن أصحاب الكتابات الرصينة والإبداعات الشـعرية الأصيلة كالعقاد والرافعي وطه حسـين والزيّات وغيرهم في الوطن العربـي مما يمكن أن يكون أدبهم أنموذجاً في فكره وأسلوبه، قد بلغوا مرحلة في إتقان اللغة وتمثّلها تفوق أعراب قطربل الذين كان الكوفيون يأخذون عنهم؛ وعيبوا عليه كما يعرف كل دارس للعربية.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

ما الحدود الزمانية والمكانية للاستشـهاد بالـكلام العربي؟ مبيّنا رأي البصريين والكوفيين فيمن يؤخذ عنهم .

تدريب (4)

1. ما الفرق بين القياسي والفصيح من الكلام ؟
2. ما شروط الفصاحة عند ابن جني والفارابي؟ وماذا أضاف إليها ابن خلدون ؟

(1) انظر: عبد الصبور شاهين: المرجع السابق: ص82.

4. الازدواجية

إن انتشـــار اللغات في مناطق واسعة، واستعمالها من طوائف مختلفة يجعلها عرضة إلى التشـعب والانقســام، لأنها لا تسـتطيع أن تحتفـظ في رحلتها عبر الزمــان والمكان، بوحدتها؛ ولا بد أن تدخل في دور من التطور تتشعب فيه إلى لهجات متباينة بحيث تتميز عن بعضها في كثير من المظاهر اللســانية. وينشــأ عن هذا الوضع ظاهرة لســانية تتعدد فيها المســتويات اللســانية التي تعمل فيها اللغة، فإلى جانب النمط اللغوي الأساس، وهو المستوى الرفيع الذي يبقى في العادة للاستعمال الكتابي الرسمي والأدبي، هناك مستوى آخــر أو أكثــر تتطور عنه تطور الفرع عن الأصل. وغالباً ما يســتعمل في الحديث اليومي، وهو أمر طبيعي وهي الظاهرة اللســانية التي يطلق عليها فــي العربية غالباً، الازدواجية، ومنهم من يطلق عليها الثنائية، كالدكتور إميل يعقوب[1].

والازدواجية، كما يقول ديفيد كريستال[2]، من مصطلحات علم اللغة الاجتماعي تشير إلى اســتعمال لهجتين في المجتمع الواحد، ولكل منهما اســتعمالاتها الخاصة. وإذا كانت إحداهما تســمى الفصحى فإن الثانية تســمى العاميّة. ويجري تعلــم الأولى في المدارس وتستخدم في الأغراض الدينية والبرامج الإذاعية والأدب الجاد، وبالتالي فهي تحتل مكانة اجتماعية مرموقة. أما الأخرى العامية فتعتبر غير رســمية؛ لاستخدامها في الحديث العام اليومي، وضرب مثلاً لذلك اليونانية والعربية وبعض اللهجات الألمانية .

وأول مــن تكلــم عن هذه الظاهــرة هو اللغــوي الألماني كارل كرمباخــر، في حديثه عنهــا في اليونانية والعربيــة ونصحه اليونان والعرب بترك الفصيــح في لغتيهما وتبني إحدى اللهجات بديلاً عن الفصيح فيها. وأول مصطلح نحت لها كان في الفرنســية هو La diglossie على يد العالم الفرنســي وليم مارســيه، وعرّفه فــي مقالة له عن هذه الظاهرة فــي العربيــة بقوله: "هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شــائعة للحديث"[3]، وأما في اللســان العربي فيرى الدكتور نهاد الموســى أن هذا الاصطلاح يســتعمل للدلالة علــى تقابل شــكلين أو مظهرين أو مســتويين في إطــار أي لغة، وفي إطــار العربية بين العربيــة ولهجاتها، أو الفصحى وعاميّاتهــا"[4] حيث أصبحت الفصحى في وقتنا الحاضر

(1) إميل يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها: ص146.

(2) انظر: مادة . A Dictionary of Linguistics And Phonetics: Diglossia

(3) انظر: دراسة الدكتور محمد راجي الزغول وعنوانها: ازدواجية اللغة في كتاب: دراسات في اللغــة: ص95.

(4) قضية التحول إلى الفصحى: ص29.

قسيم العامية، إذ المستوى الفصيح يمثل لغة الكتابة بينما العامية تمثل لغة الحديث. أما الفصحى المؤلفة من اللهجات العربية القديمة المحتج بها، فلا تكوّن مع هذه اللهجات وضعاً ازدواجياً، فالفروق بينها وبين اللهجات التي تألفت منها ليست شاسعة لأن هذه اللهجات، على اختلافها، حجة وإن تفاوتت درجة فصاحتها. وإنني مع من ذهب إلى هذا الرأي، ففي تقديري أن الذي حصل في اللغة المشتركة هو عملية تخلص أو استبعاد الصفات المذمومة للهجات، وبعبارة أخرى إن اللغة المشتركة هي اللغة النقية الخالية من شوائب اللهجات التي ألفت منها وكان يعرفها الجميع ويقولون بها شعرهم الذي كانت تظهر فيه أحياناً مثل هذه الشوائب أو الصفات المذمومة ولا نستطيع أن نعد مثل هذا الشعر الذي تظهر فيه سمة لهجية ما، من اللهجة العامية، إنه شعر عاميّ كما درجت تسمية أي شعر يصدر بلهجة بلده المحلية في عصرنا؛ وإن لم يتقيد بأعلى درجات الفصاحة فهو ما زال في مستوى من الفصاحة لتقيده بسمات أخرى من الفصحى كالإعراب والتركيب العربي الصحيح في بناء مفرداته وتكوين عبارته، وإن ضعفت السليقة عند بعضهم بدليل إحصائهم للحون، مما يدل على أن المعدود هو المخالف للأصل.

ولسنا مع الدكتور السعيد بدوي فيما ذكره من وجود ازدواج لغوي عند العرب قبل الإسلام؛ مستدلاً على ذلك بأن الفصحى سليقة للعرب بدليل السمات اللغوية الخاصة التي تظهر موافقة للهجة قبيلة ومخالفة للفصحى أو اللغة المشتركة كرفع خبر ما عند بني تميم وكأنه يريد أن يقول أن هذا الأمر خارج عن الفصاحة مع أن النحاة يجمعون على أن القياس هو الرفع، أي إن الأقيس في اللغة هو رفع خبر ما النافية، وإن خالف الأفصح ولكنه موافق للفصيح أي لا يخرج عن الفصاحة بحال. وقد ورد في القراءات القرآنية ما يؤيد ذلك إذ قرئت الآية التالية بالرفع { ما هذا بشرٌ } وكذلك الآية { ما هنَّ أمهاتُهم} وهكذا أعربت ووافقت وجهاً من وجوه العربية، ولو كانت في إعرابها مخالفة للأفصح وهذا يدلل على أن الإعراب في حد ذاته سليقة، فالنصب لخبر ما سليقة لأغلب العرب، ورفعه سليقة أيضاً لبعضهم، والسليقتان ليستا متنافيتين لأنهما فصيحتان متكاملتان وليس مفروضاً أن تلغى إحداهما الأخرى، إذ السليقة في النهاية أن يتمثل المتكلم لغته ويدرك خروجه عنها إذا خالف قواعدها. وفي اعتقادي لو أن التميمي نصب خبر ما لخرج عن سليقته، ولا يعد خارجاً عن الفصاحة بل قد يكون قد دخل في درجة أعلى من الفصاحة ولا يمكننا أن نقول أن وجود الفصيح والأفصح منه قبل الإسلام يعني وجود مستويين للغة كما يذكر الدكتور بدوي[1]، وهو بهذا يضع الفصيح قديماً في منزلة العاميّ في عصرنا وهو أمر جانَب فيه الصواب؛ إذ الازدواجية تعني أن إحدى المستويين يكون الأصل والثاني متفرع

(1) بدوي، مستويات العربية المعاصرة في مصر: ص21، ص22.

عنه وليس الأمر كذلك هنا فالفصيح هنا شـقيق للأفصح، وهما ليسـا متنافيين يزاحم كل منهمـا الآخـر فـــي مجتمع واحد، ليس لكل منهما اسـتعمال خـاص مختلف عن الآخر فكلاهما يردان في أفصح نص كالقرآن الكريم وفي الشعر العربي المحتج به، وأن وضع رسـالة في لحن العامة كالتي صدرت عن الكسـائي لا يعني أن لغـة العامة هي العامية[1] التي تقابل الفصحى في ذلك الوقت، بل إنه يسجل الأخطاء التي وقع فيها الناس في زمانه وهذا يعني بوضوح أنها خروج عن الأصل لدرجة يمكن عدها في رسـالة شـك محققها الراجكوتي في نسبتها للكسائي بقوله " وأما مضمون الكتاب (يقصد ما تلحن فيه العوام) فجلّـه لا يلائم ما رواه اللغـــويون عن الكسائي[2] " عدا أن الألفاظ التي وردت ملحونة تتركـز حول اللحن في حركـة البناء الصرفي نحو: " تقول قد نفذ المالُ والطعام بكسـر الفاء"[3] ويقال عندي درهم بكسر الدال وفتح الهاء"[4] تقول فسد الشيء بفتح السين"[5] ولم يتكلم عن ضوابط الإعراب والأخطاء فيها ولا تفسير لذلك إلا أنهم لم يكونوا قد تحللوا من الإعراب بعد، وهو الخصيصة الأولى للعربية الفصحى، وعليه فلم تكن لغة العوام هي العاميـة فـي اصطلاحنا الحديث : أي اللغة الخاصة بالخطاب الشـفوي التـي تقابلها لغة الكتابة الفصيحة .

ولا يفوتنـي أن أذكـر أن اصطلاح الازدواجية أكثر صلاحية مـن الثنائية من الناحية اللغوية فهي مصدر صناعي للازدواج الذي هو في اللغة التزاوج التزويج والزواج بمعنى الاقتران[6]، وفي المعجم الوسـيط " مزدوج الثمر هو النبات الذي يحمل نوعين من الثمار مختلفي الصفات "[7] والاقتران يقتضي إطاراً مكانياً وزمانياً موحداً وهذا ينطبق بوضوح علـى اقتران الفصحـى وهي لغة الكتابة وعاميتها على سـاحة الوطـن العربي، وهي لغة الخطاب الشـفاهي في مرحلة معينة من الزمان. وتبقى الثنائية Bilingualism مصطلحاً دالاً على الإجادة التامة للغتين كما يعرفها بلومفيلد فيما نقلته الدكتورة شادية التل[8] التي ذكـرت إن الاتفـاق الوحيد بين الباحثين في هذا الميدان هو أن هذه الظاهرة تعنى بمعرفة الفرد واسـتخدامه للغتين كالعربية والإنجليزية. فلا ترادف بيـن الثنائية والازدواجية إذ المصطلح الثاني يتكلم عن مستويين لغويين في إطار اللغة الواحدة. أي ينتمي المستويان

(1) ابراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن: 29.
(2) ثلاث رسائل، ومن ضمنها «كتاب ما تلحن فيه العوام» للكسائي: ص19.
(3) المرجع السابق: ص20.
(4) السابق: ص44.
(5) نفسه: ص46.
(6) اللسان: مادة زوج.
(7) مادة زوج.
(8) مجلة اليرموك، العدد التاسع والعشرون، 1990: ص26.

إلى لغة واحدة، وأحد المستويين رفيع والآخر عامي منحرف أو متطور عن النمط السابق، وهذا ما لا يتوفر في تعريف الثنائية التي تقتضي أن يكون المستويان اللغويان لسانين مختلفين ولا يتعلق الثاني بالأول تعلق الفرع بالأصل، ولا يشترط في أحدهما علو المستوى اللغوي والآخر تدنيه. وهي ظاهرة عالمية تدل على الارتقاء الحضاري باعتبارها وسيلة لتبادل الآراء والأفكار ومسايرة التطور العلمي والثنائية التي يمكن أن تقود إلى وجود لغة مهجنة من اللغتين المتحدث بهما لكنها لا تصل في سلبيتها إلى أن تصبح مشكلة كالازدواجية، بما فيها من تنوُّع لهجي له آثاره السلبية التي تشمل الفكر والتربية والشخصية والأخلاق والفنون الجميلة[1] خاصة لغة الفن المسرحي حيث أثير جدل لم يهدأ بعدُ حول أي المستويين أقدر على التعبير عن الجوانب العاطفية والنفسية والاجتماعية، الفصحى أم العامية ؟ فمنهم من رأى في العامية شفافية أكثر ومرونة وحرية رشاقة في التعبير لا تتيحها الفصحى باعتبارها أوثق بحياة الناس، ومنهم من رأى أن العامية تطمس الشخصية وتخفيها أكثر مما تفصح عنها وتبديها، ومنهم من فصّل القول ففضل أن تكون الفصحى للمسرحية المكتوبة المقروءة، خاصة إذا كانت تاريخية أو مترجمة، أما الممثَّلة فالعامية أولى بها.

وينبه أنيس فريحة على التأثير السلبي للإزدواجية على التعبير عن النفس والفكر بقوله: "فاللغة هي قالب الفكر، فمن كان لديه ازدواج لغوي فإنه يفكر بمستوى لغوي معين وغالباً ما يكون المستوى الذي لا يحتاج إلى عناء وهو العامي الذي يكثر الخطاب فيه، وبعد أن تستقيم له الفكرة بقالبها العامي يحتاج تحويلها إلى قالب فصيح مكتوب، إلى جهد فكري آخر، وعوضاً عن أن ينصب الجهد الفكري في المعنى ينصرف إلى الشكل الذي يظهر فيه المعنى"[2] ومن المواقف التي تعرض في حياتنا،مع التلميذ حين يريد أن يعبر عن نفسه في موضوع إنشائي أو خطاب فكري فيظهر عجز بعضهم عن إقامة جملة سليمة، وكذلك المذيع والمعلم والواعظ والخطيب والمحاضر،وهكذا تصبح الازدواجية عائقاً للتعليم والتوصيل الفكري.

وتفيض عبارات الدكتور أنيس فريحة[3] بالمرارة، والتحامل والمبالغة في الوقت نفسه على الفصحى باعتبارها مشكلة الازدواجية، من وجهة نظره، وليست العامية، حيث تَعَلُّم الفصحى له أثاره الاقتصادية ؛ لأنه يقتضي الانتقال من لغة إلى لغة وهذا يحتاج إلى زمن طويل وتكاليف اقتصادية يبذلها المتعلم والدولة لإتقانها كذلك يوضع في الحساب

---

(1) انظر: د. أنيس فريحة، نحو عربية ميسرّة: ص134- ص166.

(2) المرجع السابق: ص137.

(3) السابق: ص159 وما بعدها.

ما يحتاجه أبناؤها من وقت في بناء شخصيتهم من خلال تنمية قدراتهم اللغوية وترقيتها، ويعتبر د. فريحه الازدواج اللغوي هو العائق في الوصول إلى المستوى اللائق الثقافي أو الاجتماعي أو التوجيه التربوي. وتبدو انفعالاته في أشد حالتها حين ينسب إلى اللغة التأثير في الأخلاق والسلوك والعادات، والعكس في تقديري هو الصحيح فاللغة لا تملي التصرف الإنساني، وإنما مُثُل الإنسان ومستواه الخلقي والاجتماعي والعلمي هي التي تعكس لغته، والمهارة اللغوية نتيجة وانعكاس وليست سبباً أو عاملاً، ولا ندري حقاً على أي المستويين تُلقى التبعة في موقف الناس الاجتماعي والروحي ؟!.

فالتحيات فارغة من أي مضمون، في نظره؛ لأنها تُلقَى في قوالب لغوية تقليدية، من العامية نحو : صبحكن الله بالخير يا مشايخ، كيف حالكن، كيف أشغالكن، كيف عيالكن، إن شاء الله الجميع مبسوطين "، لأنها تقال بدون تفكير في المعنى من وجهة نظره مع أنه لا يشك في إخلاص الناس ومحبتهم وكأنه يريد أن يقول العلة في قوالب اللغة التي لا تؤدي معنى وليس في الناس الذين اختاروها حين يعقب بعد ذلك بقوله، وإنما أنا متيقن من أن للغة بقوالبها، بتعابيرها، بمفرداتها أثراً في الأخلاق، وكلما ارتفع مستوى اللغة ارتفع مستوى الناس الخُلُقي والروحي "[1]، إنه يلوي عنق الحقيقة ليصل إلى هدفه الحقيقي حين يلقي اللوم على اللغة دون أن يحدد المستوى فيها في تحديد سلوك الناس ومواقفهم، ولا نشك في أنه أخطأ التعبير عن فكرته، إذا كان حسن النية فاللغة تعكس المستوى الأخلاقي أو الاجتماعي أو الثقافي للمتكلم، فكلما ارتقى مستوى المتكلم ارتقت لغته لذلك نجد الآن في العربية مستوى ثالثاً مزيجاً من الفصحى والعامية، بلوره المثقفون العرب، يقل في مستواه عن الفصحى، ويرتفع عن العامية يمكن أن نسميه عربية وسطى تظهر في المواقف الثقافية كالندوات والمؤتمرات العلمية والمحاضرات الجامعية والخطب السياسية والدينية وهكذا طوّعوا اللغة لتعكس مستواهم اللغوي والفكري في مخاطباتهم ومحاوراتهم. وإذا كنا مع د. فريحه في تلمسه الآثار السلبية للازدواجية فإننا لا نوافقه على كثير من التوجيهات والتحليلات غير الموضوعية التي ساقها في البرهنة على وجودها؛ لما نلمسه في التعليلات من تحامل على اللغة نفسها، لا على مشكلة الازدواجية أو العامية؛ يترك إحساساً لدى القارئ أنه يرى الحل والخلاص من هذه الإشكالية، بتبني العامية واستبعاد الفصحى. وقد أجمل الأستاذ سمر الفيصل المشكلات التي نبعت عن الازدواجية، أرى أن نسوقها ونضمها إلى ما ذكره، د. فريحه من سلبيات لها، وهي[2]:

أ- مشكلات تعليم اللغة العربية للعرب والأجانب .

(1) السابق: ص162.

(2) سمر روحي الفيصل، المشكلة اللغوية العربية: ص10.

ب- مشكلات الترجمة والتعريب في العصر التقني الحديث .

جـ- مشكلات اللغة في وسائل الإعلام .

د- مشكلات الحوار في الأدب المسرحي والروائي والقصصي .

عدا خطرها السياسي الأشمل والأعم على التماسك القومي وعلى اللغة نفسها وما قد تثيره من صراع اجتماعي.

وبدأ استشعار الخطر الحقيقي للازدواجية عند العرب حين بدأت الدراسات الأكاديمية تتوالى من المستشرقين وغيرهم، وتنصب في الغرب والشرق على العاميات العربية بدعوة صريحة إلى إحلال العامية محل الفصحى خاصة في مصر في بداية القرن العشرين، بحجة أن الأخيرة (أي الفصحى) هي المسبب الأساسي في عدم وجود قدرة الاختراع لدى المصريين[1] في رأي الانجليزي ولكوكس وقد ذهب كرومر الحاكم الإنجليزي في مصر الى أبعد من هذا بفرضه كتابة المناهج المدرسية باللغة الإنجليزية بحجة عدم قدرة اللغة العربية على التعبير عن العلوم الحديثة لافتقارها إلى المصطلحات العلمية الدالة على المخترعات والمبتكرات الحديثة [2].

وانقسمت آراء الباحثين العرب حيال هذه المشكلة فكانت كالتالي:

1- منهم من رأى أنها ظاهرة ليست خاصة باللغة العربية وإنها السُّنة الطبيعية في اللغات .... ولا شذوذ في اختلاف لغة الكتابة عن لغة التخاطب[3] حتى نلتمس لها علاجاً، ففي كل لغة لسان عامي ولسان فصيح، وإن هذه الظاهرة من دلائل تحضر الإنسان[4]، وأصحاب هذه الرأي لا يرون، طبعاً، في الازدواجية عبئاً ثقيلاً أو مشكلة تحتاج إلى حل، وهم يسلِّمون بها. والتسليم بهذا الرأي والركون إليه؛ دون الأخذ بتدابير معينة للحيلولة دون استفحاله وتوسع الشقة بين المستويين فيه من السذاجة والدعوة إلى الخمول وعدم مواجهة المشكلة، خاصة في العربية، فلا يمكننا أن نقول دع الأمور تجري في أعنتها وننام؛ لأن التطور اللغوي والميل إلى السهولة واليسر قد يصل بلغتنا إلى ما وصلت إليه اللاتينية التي لم تجد من يحميها ويدفع عنها غائلة الانقسام إلى لغات، كانت في الأصل لهجات تمادى أهلها في الابتعاد والانفصال والتطور حتى أصبحت لغات للكتابة وأصبحت قسيمة للاتينية بعد أن كانت قسماً منها وهي الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية والرومانية. صحيح أن ارتباط العربية بالقرآن

(1) نفوسه زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية: ص4.

(2) فتحي يونس، تصميم منهج لتعليم اللغة العربية للأجانب: ص134.

(3) وافي، فقه اللغة: ص160-161.

(4) كمال الحاج، في فلسفة اللغة: ص222.

الكريم وبالدين وبرصيد ثقافي ضخم يوفر لها قداسة تحول دون تعرضها لما آلت إليه اللاتينية، ولكن الحذر واجب، فلغتنا الفصحى ليست كغيرها من اللغات فهي جزء من عقيدتنا ووعاء ديننا وعنوان وجودنا ومقوم أساس من مقومات وحدتنا، وفي الوقت نفسه، وهنا مكمن الخطر، إنها يجري عليها ما يجري على اللغات من عوامل التطور، ولا يعلم أحد إلا الله ما تخبئه الأيام، فلا بد من تخطيط مستقبلي لحمايتها من غزو العامية التدريجي نظراً لسهولتها ويسرها على الألسنة، وحين تبدأ في الانزواء والتلاشي، يتسع الخرق على الراتق، فلا ينفع الندم؛ وعليه يجب أن نتحفظ على مثل هذا الرأي.

2- الهبوط بلغة الكتابة إلى لغة الحديث، باستخدام العامية في المواضع التي تستعمل فيها الفصحى، أي إحلال العامية محل الفصحى، وهذه الدعوة ظهرت مبكرة(1881م) على يد ولهلم سبيتا المستشرق الألماني أمين دار الكتب المصرية حينذاك، وصنف، من أجل أن يكون خطوة عملية على أول الطريق، كتاباً بعنوان " قواعد اللغة العربية العامية في مصر " الذي يقول في مقدمته، مبدياً حرصه وإشفاقه على مصر وشعبها من الازدواجية وكتابة الفصحى العقيمة المعقدة فهي السبب في شل نشاطهم وتخلف أدبهم: "وأخيراً سأجازف بالتصريح بالأمل الذي راودني على الدوام طول مدة جمع مادة هذا الكتاب، وهو أمل يتعلق بمصر نفسها ويمس أمراً بالنسبة لها وإلى شعبها، يكاد يكون مسألة حياة أو موت، فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يرى إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة ...وطريقة الكتابة العقيمة بحروف الهجاء التي يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم في كل هذا وبالتزام الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي وبتطور"[1] ومن الحبّ ما قتل حقاً فهو لشدة حبه للمصريين وحرصه على نشاطهم العقلي والأدبي يدعو إلى قتل لغتهم واغتيالها في عقر دارها ليتخلصوا من الخمول ويطوروا أدبهم: لنتصور ذلك؟!!. ولم يكن لدعوته أثر لأن كتابه باللغة الألمانية.

وفي عام (1893 م) دعا المهندس الإنجليزي وليم ولكوكس في محاضرة إلى استخدام اللغة العامية في الكتابة الأدبية بحجة أن الفصحى في مصر تقف حائلاً دون الاختراع والابتكار حيث يقول: "إن من جملة العوامل في فقد قوة الاختراع عند المصريين استبقاءهم اللغة العربية الفصحى، لذلك لا بد من إغفالها واستبدالها باللغة العامية اقتداء بالأمم الأخرى، وخاصة الأمة الإنجليزية ... "[2]، فكأن استعمال الفصحى هو سبب التخلف

(1) نقلاً عن الدكتوره نفوسه زكريا.

(2) نقلاً عن أنور الجندي في الفصحى لغة القرآن الكريم: ص128.

العلمي وبمجرد أن نعتمد العامية نقضي عليه، ويتبعه سنة (1901م) القاضي ولمور في دعوته إلى الاقتصار على العامية أداة للكتابة والحديث ووضع كتاباً بعنوان "العربية المحلية في مصر"[1].

ويحاضر لويس ماسينيون في باريس (1929 م)، وفي بيروت (1931م) من أجل الدعوة إلى العامية وإلى كتابتها باللاتينية أيضاً. وانجر وراء هذه الدعوات من أعلام العرب لطفي السيد وقاسم أمين، وسلامه موسى الذي حمل على الفصحى حملة شعواء مردها لسببين في رأيه أولهما : صعوبة تعلمها وعجزها عن تأدية أغراضنا الأدبية والعلمية .. إننا نتعلمها كما نتعلم لغة أجنبية، وإن أحسن كتّابنا يخطئ فيها .... الثاني : أنها تبعثر، على حد قوله، وطنيتنا المصرية وتجعلها شائعة في القومية العربية فالمتعمق في اللغة الفصحى يشرب روح العرب ويعجب بأبطال بغداد بدلاً من أن يشرب الروح المصرية ويدرس تاريخ مصر، فنظره يتجه أبداً إلى الشرق وثقافته كلها عربية شرقية، ليس من مصلحة الأمة المصرية أن ينزع شبابها نحو الشرق، وأنه لا نفع للشرق أن ينزع إلينا لا أن ننزع نحن إليه ...أرى بعد اختمار الرأي أن نهضتنا لا تقوم إلا باتباع آراء قاسم أمين ولطفي السيد وويلكوكس باتخاذ اللغة المصرية العامية أو بإيجاد ما يشبه التسوية بينها وبين اللغة الفصحى بحيث تتمصر هذه اللغة وتصطبغ بألوان بلادنا"[2]، وهكذا الروح الإقليمية الحاقدة المتعصبة هي الدافع الحقيقي وراء الدعوة إلى العامية لما تمثله العربية من روح قومية للعرب ومعين ثقافتهم وتراثهم ولو كان تعلمها صعباً لما عبّر عن فكرته بهذه اللغة الرصينة الدقيقة.

وفي لبنان يدعو أنيس فريحة إلى ما يسميه اللهجة العربية المحلية المشتركة في دعوة صريحة لا مواربة فيها إلى جعل العامية بديلاً عن الفصحى المشتركة، وهي الوجه الآخر للمحلية المشتركة " التي يعتبرها لغة الحياة، والفصحى هي لغة أجيال مضى عهدها وهي بالتالي عاجزة عن أن تعبر عن الحياة، وأما العامية فلغة حية متطورة نامية تتميز بصفات تجعل منها أداة طيعة للفهم والإفهام، وللتعبير عن دواخل النفس "[3] وهذه دعوة نلمس فيها الحقد على الفصحى لهدمها والتخلي عنها، لأنه، ببساطة، لا وجود للهجة العربية المحلية المشتركة، ولا وجود مشتركاً إلا للغة الفصحى الأدبية .

فلا يمكننا في العربية أن نضع قضية الإحلال هذه بمعزل عن ارتباطاتها القومية

(1) نفوسة، تاريخ الدعوة إلى العامية: ص109.

(2) أنور الجندي، اللغة العربية بين حماتها وخصومها: ص67.

(3) نحو عربية ميسرة: ص150، ص117، كذلك، إميل يعقوب: فقه اللغة العربية وخصائصها: ص ص 153-154، الهامش.

والدينية والفكرية والاجتماعية والثقافية، ولا محل هنا للموضوعية العلمية والنظر العقلي المجرد من حيث السهولة والواقعية ومتابعة سنة التطور، إذ اللغة ليست وسيلة اتصال آني فحسب حتى نتغاضى ونضرب صفحاً عن السلبيات، فالأضرار والأخطار التي ستحل بالعربية من استبدال الفصحى بالعامية لا يمكن تبسيطها بنعتها بأنها سلبيات بل هي عملية هدم منهجية لمعين ثقافتنا وديننا وقوميتنا، ويمكننا تفنيد هذه الدعوة وردها بما يحيط بالعامية نفسها من سلبيات، وبما يجره استخدامها من أخطار نفصلها كالتالي :

1- ضيق العامية ومحدوديتها وفقرها في المفردات وعدم وجود نظام كتابي يمنعها من استيعاب الإنتاج الأدبي والعلمي، فهي مضطربة كل الاضطراب في قواعدها وأساليبها ومعاني ألفاظها، وتحديد وظائف الكلمات في جملها، وأداة هذا شأنها لا تقوى مطلقاً على التعبير عن المعاني الدقيقة، ولا عن حقائق العلوم والآداب والإنتاج الفكري المنظم"[1].

2- تغيُّر العامية السهل وتطورها المستمر، فلا تثبت أصواتها على حال واحدة ولا دلالات مفرداتها، لذلك كثيراً ما نجد عامية الشباب مختلفة عن عامية الشيوخ، وعامية النساء مختلفة عن عامية الرجال، وعامية كل جيل تختلف في سمة ما أو مظهر ما عن الجيل السابق أو اللاحق، فمن عايشوا الحكم العثماني مثلاً نجد في عاميتهم ألفاظاً تركية، ومن عاشوا في عهود الاحتلالات البريطانية والفرنسية والإيطالية اكتسبت عاميتهم مفردات من لغات هؤلاء المستعمرين، تماماً كما نجد في العامية الفلسطينية مفردات من اللغة العبرية فرضها التعامل مع سلطات الاحتلال ؛ " وسيفضي بنا التسليم للعامية إلى الاسترسال معها في أطوارها المتلاحقة المتغيرة على تعاقب الأزمان بلا نهاية، وستصبح كل عامية من العاميات المتفرقة في المدى العربي الحاضر، عاميات متغايرة على تراخي الزمن "[2]، فالعاميات رمال متحركة بسرعة متفاوتة محكومة بظروف الزمان والمكان والأحوال الاجتماعية ومعنى ذلك أننا نضطر على رأس كل خمسين سنة أو كل قرن على أكثر تقدير إلى تغيير لغة الكتابة بلغة أخرى، وهذا هو أقصى ما يمكن أن تصل إليه الفوضى في شعب إنساني[3].

3- تعدد العاميات واختلافها إلى درجة التباين أحياناً وهذا يؤدي إلى :

أ- إضعاف التواصل بين الدول العربية[4] فتصبح العاميات عامل تفكيك لا عامل توحيد

(1) وافي: فقه اللغة: ص156.
(2) نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى: ص193.
(3) وافي: فقه اللغة: ص158.
(4) إميل يعقوب، فقه اللغة العربية: ص170.

بما تمثله من خصوصية عشـائرية أو إقليمية تدعو، في بعض النُّذر والاحتمالات، إلى التدابر أو الفتنة أو التقوقع "[1].

ب- الاختـلاف الحتمـي حـول أي اللهجات يمكـن اعتمادها للقضاء علـى الازدواجية فاعتمـاد لهجة ما قد يخلصنا من الازدواجية في المنطقة أو الوطن السـائدة فيه، ولكـن الازدواج يظـل قائماً فيما عداها، ومـا أكثر العاميات على مسـاحة الوطن العربـي، وعليه تصبح الدعـوة إلى العامية موجهة إلـى كل قرية، وكل حي، وكل مدينة، وكل قطر في الوطن العربي.

4- إن اصطناع العامية بديلاً، يعني الانقطاع عن تراثنا الحضاري المشـترك ويقطع صلة أجيالنـا بماضينا الذي نعتز به ويحول دون الانتفاع به منهم. وقد يصل بنا الأمر إلى جفـوة وغربـة بيننا وبين قرآننا الكريم، قد تؤدي بنا إلى عـدم الالتزام بتعاليم ديننا، وعلـى اهتزاز جميع الثوابت الفكرية والثقافية وربما الدينية؛ لارتباط كل ذلك باللغة؛ ففك الارتباط بين لغتنا وبين القرآن الكريم والفكر الديني والتراث الثقافي سـيفقدها تلك القداسة التي تحفظها لها النفوس فتحافظ عليها، ولو تحقق ذلك لكان فيه الطامة الكبرى التي نخسـر معها دنيانا وآخرتنا؛ بضعف الشـعور القومـي والوازع الديني الذي قد يسببه فقدان الفصحى فنصبح كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، ولا أظن أن هناك عاقلاً واحداً يرضى أن يتخلى عن تراثه الغني الذي يعطي لوجوده معنى.

5- أما الضرر السياسي على الصعيد القومي بفقدان الوعاء الثقافي، وضياع دعامة رئيسة من دعامات الوحدة والقومية العربية، وهي العربية الفصحى التي تعد الرابطة الأقوى بين شـعوب أمتنا، ثقافياً ودينياً، وعرقياً أيضاً بقوله: ﷺ "إنما العربية لسـان، فمن نطق بالعربية فهو عربي " فالعربية هنا العروبة .

ثالثاً : الصعود بلهجة الحديث إلى العربية الفصحى أو التحول إلى الفصحى على حد تعبير الدكتـور نهاد الموسـى، بالارتقاء بالعامية تدريجياً إلـى أن تتوحد بالفصحى، لأنه لا يمكن إطراحها بقرار مفاجئ .

وقد وضع الدكتور نهاد الموسى[2] مجموعة من التدابير التي يمكن أن تقدم مساهمة فعّالة فـي التحول إلى الفصحى وتعميمها تدريجياً وضمن ظروف طبيعية نأمل أن تضع القطار في مساره الصحيح ولاقتناعنا بها نرى أن نوجزها فيما يلي:

1- درس اللهجـات القديمة والحديثـة: بخطوات منهجية توجه إلى معرفة وجوه التقارب

(1) نهاد الموسى: قضية التحول إلى الفصحى، ص193.

(2) ارجع إلى قضية التحول إلى الفصحى: ص ص 224-231، كذلك: الازدواجية العربية (ضمن كتاب ندوة الازدواجية في اللغة العربية) (2-3) نيسان 1987م: ص ص 98-103.

والاختلاف بينها وبين الفصحى، والبحث عن طريق لاستثمار المشترك بينها، ورصد مظاهر التحول التي طرأت على اللهجات، من أجل تشخيص عملي نتبين الصحيح فنرده إلى أصوله ونبذ الدخيل ومحاربته، ولا يكون ذلك إلا بوضع فهارس شاملة للسمات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية الخاصة بكل من اللهجات العربية القديمة، والحديثة ولا بأس كذلك من إجراء دراسة مقارنة بين اللغة الوسطى من جهة، وبين العامية والفصحى من جهة أخرى.

2- التعليم : وهو ما يجمع عليه الدارسون كافة، حيث ستتم، في رأيهم، الغلبة للفصحى بالتعليم والثقافة، على أن يلتزم المعلمون، قدر الإمكان بالفصحى في دروسهم ومخاطباتهم، خاصة معلمي العربية، حتى يكونوا قدوة صالحة لتلاميذهم. ويحتاج الأمر، في الحقيقة، إلى إصلاح جذري شامل في وسائل التعليم وطريقة التعليم وتأليف الكتب، مع وضع برنامج كامل لمحو الأمية .

3- الفنون الأدبية : حيث أصبح من المتعارف عليه أن لغة السرد هي الفصحى في المسرحيات المترجمة والتاريخية خاصة، ولم يتفق على لغة حوار مسرح المجتمع وقد وفّق الحكيم إلى ما سمي باللغة الثالثة أو الوسطى وهي لغة صحيحة لا تجافي قواعد الفصحى، وفي الوقت نفسه يمكن أن تنطلق بها شخوص المسرحيات وممثلوها وهي لغة سليمة تفهمها الأجيال، ويمكن أن تجري على الألسنة بسهولة .

4- الإعلام : وهو في لغته يرواح بين مستويات العربية الفصحى والوسطى والمحلية، فلغة الأخبار مثلاً بالفصحى، والمقابلات الشخصية الجادة كذلك. وأما لغة الإعلام فتراوح بينهما، والصحافة تمثل الفصيح المكتوب، والتعويل على وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة لتحقيق التقارب بين المستويات، فأطفالنا يقضون الساعات الطوال في مشاهدة التلفاز وهي وسيلة إعلام مؤثرة، وقد صادف برنامج افتح يا سمسم في تقديري نجاحاً ملموساً فقد بدأ الأطفال يرددون ما يسمعونه من عبارات بسيطة سهلة ترد على ألسنة شخصية هذا المسلسل .

5- العقائد الفكرية : فقد يكون الالتزام العقدي أو القومي أو المذهب الفكري من الحوافز على التحدث بالفصحى والتمسك بها، هذا بالإضافة إلى اقتراحات أخرى قد تساهم في ردم الهوة بين العامية والفصحى لتعريب اللافتات وأسماء المحال، ووضع مقابلات عربية لكل ما يستجد من مخترعات ومن أجهزة وبضائع واشتراط إتقان الفصحى من الموظفين وتحرير المكاتبات بها، ونقل التحدث بالفصحى من الإطار الفردي إلى المجال الاجتماعي بإنشاء ناد للتحدث بها في كل مدرسة وكلية وحي وقرية ومصنع ومزرعة.

وفي اعتقادي أن خيارنا الأمثل هو التخلص من العامية، وباعتناق الفصحى كإيماننا بربنا وامتثالنا لأوامره، سيكون أول إنجاز لنا في تقديري ،على طريق لمّ الشمل والعودة إلى القوة فإن ذلك يبعث الثقة فينا ويقوي عزيمتنا ويضعف تيار الفشل الذي يحيط بنا والإحباط الذي يملأ نفوسنا .

أسئلة التقويم الذاتي (5)

1. ما الازدواجية؟ وما الثنائية؟ وما الآراء التي تشكلت إزاءها؟
2. ما التدابير التي اقترحها نهاد الموسى للتحول إلى الفصحى؟



تدريب (5)

ما الأخطار المتوقع حدوثها من اصطناع العامية بديلة للفصحى ؟

5. الخلاصة

1- قمنا بتعريف كل من اللهجة، واللغة وبيّنا العلاقة بينهما، وبيّنا أبرز ما تتصف به اللهجات وتختلف به عن اللغة في الجانب الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.

2- بيّنا موقف سيبويه والبصريين من الاحتجاج بالقراءات القرآنية.

3- أما الاحتجاج بالحديث الشريف ففصّلنا القول فيه ودحضنا أقوال المعارضين بما برهن عليه أحد الباحثين وهو الدكتور حسن الشاعر، وذكرنا تقسيم الشيخ محمد الخضر حسين للأحاديث المستشهد بها.

4- بيّنا الحدود الزمانية والمكانية للاحتجاج بالكلام العربي شعره ونثره.

5- وعرّفنا الازدواجية والثنائية وذكرنا الحلول المقترحة للخلاص من مشكلة الازدواجية، وفنّدنا أقوال الداعين إلى إحلال العامية محل الفصحى، واقتبسنا التدابير التي اقترحها الدكتور نهاد الموسى للتحول إلى الفصحى، فقد أعطاها حقها من البحث والدراسة أكثر من غيره في كتابه قضية التحول إلى الفصحى الذي يستحق الشكر والثناء بلا حدود .

6. لمحة عن الوحدة الدراسية الخامسة

عزيزي الدارس، سنتناول في هذه الوحدة وهي بعنوان "العربية والتطور اللغوي"، الثابت في العربية الذي لا يخضع لمبدأ التطور وعن التطور الصوتي والدلالي، وعن التطور الحضاري عبر العصور وأثره في ازدياد الثروة المعجمية، وعن وسائل النمو اللغوي كالاشتقاق والنحت والترادف والاشتراك اللفظي والتضاد.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1. الكشكشة هي نطق الكاف صوتاً مزدوجاً "تش" وموطنها قديماً شرق الجزيرة العربية ووسطها وحديثاً بلاد الخليج والعراق وفلسطين والأردن بينما الشنشنة نطقها شيئاً صريحة، وموطنها اليمن.
2. التسهيل والتحقيق، والتسهيل نطقها حركة طويلة من جنس حركة ما قبلها، وموطنه الحجاز قديماً وحديثاً هي السائدة في العامية العربية الحديثة. وأما التحقيق فيكثر في البيئات البدوية في وسط الجزيرة العربية وشرقيها.
3. السليقية اللغوية تتمثل في اللهجات التي تتضمن خصائص محلية حيث ينطق بها المتكلم دون شعور منه بهذه الخصائص، وتؤدى بآلية.

والفصحى ليست لغة سليقة لعامة العرب، لأنها اللغة النموذجية الأدبية التي لا تتضمن شيئاً من خصائص اللهجات.

تدريب (2)

القراء السبعة هم: قارئ المدنية:

نافع (أبو عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن أبي نُعَيْم).

قارئ مكة: ابن كثير، عبد الله. ويطلق على القارئين: الحِرْميَّان.

قراء الكوفة: عاصم بن أبي النجود، وحمزة الزيات، الكسائي.

قارئ البصرة: أبو عمرو بن العلاء.

قارئ الشام: عبد الله بن عامر اليحصبي.

تدريب (3)

الحديث النبوي هو أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم أما السُّنَّة فهي أقواله وأفعاله وما أقره من أقوال وأفعال. وما أضافه الخضر حسـين أقوال الصحابة والتابعين. وسبب الخلاف هو رواية الحديث بالمعنى.

تدريب (4)

1. القياس يجب أن يوافق القاعدة، أما الفصيح فلا يشترط فيه ذلك، بل قد يخالفها.
2. شرطها عندهما البداوة فالأول ذكر أنها تتوافر عند أهل الوبر والثاني ذكر القبائل التي تسكن البوادي. وقد أضاف اليهما ابن خلدون قرب القبيلة من قريش.

تدريب (5)

الأخطار هي:

- تقسم لغتنا إلى عدة لغات، على عدد اللهجات فيها.
- الانقطاع عن تراثنا الحضاري والفكري والثقافي والديني.
- سيكون ذلك خطوة أولى إلى تخلينا عن الالتزام بتعاليم ديننا وعن كتابنا الكريم، دستور حياتنا في الدنيا والآخرة.
- سيحرمنا من التطلع إلى نهضة أدبية أو علمية إذ لا يتوافر للعامية نظام كتابي. عدا ضيق العامية ومحدوديتها وفقرها.

8. المراجع



أ- المراجع العربية :

1. الأزهري، خالد، شرح التصريح على التوضيح، دار الفكر، بلات.
2. الأســتراباذي، الرضي محمد بن الحسن، شرح الكافية في النحو، بيروت: دار الكتب العلمية، بلات.
3. الأشموني، أبو الحسن علي نور الدين بن محمد، منهج السالك الى ألفية ابن مالك، شرح محمد محيي الدين عبد الحميد، ط3، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية،1970م.
4. الأفغاني، سـعيد، في أصول النحو، ط3، دمشـق: مطبعة جامعة دمشق، 1383هـ-1964م.
5. الأفغاني، سعيد، من تاريخ النحو، دار الفكر. بلات.
6. الأنبـاري، أبو البـركات عبد الرحمن بـن محمد، الإنصاف في مسـائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، شرح محمد محيي الدين عبدالحميد، مصر: المكتبة التجارية، بلات.
7. الأنصاري، أحمد مكي، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، القاهرة: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1962م.
8. الأنصـاري، أحمـد مكـي، سـيبويه والقـراءات، مصـر: دار المعـارف، 1392هـ-1972م.
9. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1975م.
10. أنيـــس، إبـراهيـم، فـي اللهجـات العربيـة، طـ6، القـاهـرة: مكتبـة الإنجلو المصرية،1984م.
11. بـدوي، السـعيد، مسـتويات العربية المعاصرة فـي مصر، مصـر: دار المعارف، بلات.
12. البغـدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، تحقيق وشـرح عبد السـلام هارون، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي 1402هـ-1981م.
13. التل، شادية، ثنائية اللغة، مجلة اليرموك، العدد 29، 1990م.
14. تيمـور، أحمـد، لهجات العرب، القاهـرة، الهيئة المصرية العامـة للكتاب، المكتبة الثقافية، العدد 29، 1393هـ-1973م.
15. الثعالبي، أبو منصور، فقه اللغة وأسرار العربية، القاهرة: دار المعارف، بلات.
16. ثعلب، أبو العباس، الفصيح، تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، ط1، القاهرة: مكتبة التوحيد، 1368هـ-1949م.
17. ابن الجزري، أبو الخير محمد الدمشـقي، النشر في القراءات العشر، تصحيح علي الضباع، دار الكتاب العربي، بلات.
18. الجنـدي، أنـور، الفصحـى لغة القرآن، بيـروت، دار الكتاب اللبنانـي، 1402هـ-1982م.
19. الجنـدي، أنور، اللغة العربيـة بين حماتها وخصومها، القاهرة: مطبعة الرسـالة، بلات.

20. ابـن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيـق محمد علي النجار، ط2، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر.
21. ابـن جنـي، أبو الفتح عثمان، سـر صناعـة الإعراب، تحقيق حسـن هنداوي، ط1، دمشق: دار القلم، 1405هـ-1985م.
22. ابن جني، أبو الفتح عثمان، المحتسـب في تبيين شـواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي ناصف ورفاقه، القاهرة: المجلس الأعلى للشـؤون الاسلامية، 1386هـ.
23. الحريري: القاسـم بن علـي، درّة الغوّاص في أوهام الخـواص، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.
24. حسّـان، تمام، الأصول، مصر، بغداد: الهيئة المصرية العامة للكتاب، دار الشؤون الثقافية العامة، 1988م.
25. أبـو حيان، محمد يوسـف الأندلسـي الغرناطـي، البحر المحيـط، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، 1398هـ-1978م.
26. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، تذكرة النحاة، تحقيق عفيف عبد الرحمن، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1406هـ-1986م.
27. ابـن خالويـه، أبـو عبد الله الحسـين بـن أحمد، مختصر في شـواذ القرآن، نشـر برجشتراسر، دار الهجرة، بلات.
28. ابن خلدون، المقدّمة، القاهرة: ط المكتبة التجارية.
29. الداني، أبو عمرو، التيسير في القراءات السبع، بيروت:دار الكتاب العربي، بلات.
30. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسـن، الاشـتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، بيروت: دار السير، 1399-1979م.
31. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، جمهرة اللغة، تحقيق كرنكو، حيدر أباد الدكن بالهند: 1344هـ-1351هـ.
32. الراجحـي، عبده، اللهجـات العربية في القـراءات القرآنية، مصـر: دار المعارف، 1969م.
33. الرازي، الفخر، التفسير الكبير، المطبعة الشرقية، 1308هـ.
34. رفعت، الشيخ محمد، أصول النحو السماعية، رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية- جامعة الأزهر، مخطوطة 8351، لسنة 1363هـ.
35. رمضـان عبـد التـواب، فصول فـي فقه العربيـة، القاهـرة: دار المسـلم للطباعة والنشر،1979م.
36. أبـو زيـد الأنصاري، النوادر في اللغـة، تحقيق محمد عبد القـادر أحمد، ط1، دار الشروق، 1401هـ-1981م.
37. الزغول، محمد راجي، دراسات في اللغة، سلسلة كتاب المورد، رقم1، بغداد: دائرة الشؤون الثقافية والنشر، 1986م.
38. السـامرائي، إبراهيم،،فقـه اللغـة المقـارن، ط2، بيـروت: دار العلـم للملاييـن، 1978م.

39. سـعيد، نفوسـة زكريا، تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر، الاسـكندرية: دار الثقافة، 1964م.
40. ابن السـكيت، القلـب والإبدال، (ضمن الكنز اللغوي في اللسـان العربي)، بيروت: نشر هفنر 1953م.
41. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.
42. السـيوطي، جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق أحمد محمد قاسم، ط1، القاهرة: 1396هـ-1976م.
43. السـيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقـات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: 1384هـ- 1965م.
44. السـيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقه، دار الفكر، بلات.
45. السـيوطي، جـلال الدين، همع الهوامع شـرح جمع الجوامـع، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، بلات.
.46 الشـاعر، حسـن، النحاة والحديث النبـوي، ط1، الأردن: وزارة الثقافة والشـباب 1400هـ-1980م.
47. شـاهين، عبد الصبور، دراسـات لغوية، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة 1406هـ-1986م.
48. شرف، حسين، لهجات اليمن قديماً وحديثاً، القاهرة: مطبعة الجبلاوي، 1970م.
49. عباس حسن، اللغة والنحو، مصر: دار المعارف، 1966م.
50. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله الهمذاني، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بلات.
51. عون، حسـن، تطور الدرس النحوي، القاهرة: معهد البحوث والدراسـات العربية، 1970م.
52. عيد، محمد، الرواية والاستشهاد باللغة، القاهرة: عالم الكتب، 1972م.
53. الفارابـي، أبو نصـر محمد بن محمد بن طرخان، كتاب الحروف، تحقيق محسـن مهدي، بيروت: دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، 1970م.
54. ابن فارس، أحمد، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق عمر الطباع، ط1، بيروت: مكتبة المعارف، 1414هـ-1993م.
55. الفارسـي، أبـو علي، الحجة في علل القراءات السـبع، تحقيق علي النجدي ناصف ورفيقـه، القاهرة: مصوّرة عن الطبعة الأولـى، الهيئة المصرية للكتاب 1403هـ-1983م.
56. الفـراء، أبـو زكريا يحيي بـن زياد، معاني القـرآن، تحقيق أحمد يوسـف نجاتي ورفيقه، بيروت: مكتبة السرور.
57. فريحة، أنيس، نحو عربية ميسرة، بيروت: دار الثقافة، 1955م.
58. الفيصـل، سـمر روحـي، المشـكلة اللغويـة العربيـة، طرابلس: جـروس برس، 1992م.

59. القيرواني، ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، القاهرة: 1907م.
60. الكسائي، علي بن حمزة، كتاب ما تلحن فيه العوام (ضمن ثلاث رسائل)، تصحيح وتعليق، عبد العزيز الميمني الراجكوتي، القاهرة: المطبعة السلفية مكتبتها،1387هـ.
61. اللغوي، أبو الطيب، الإبدال، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق: 1960م.
62. المبرد، أبو العباس، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: 1956م.
63. ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى التميمي، السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، ط2، مصر: دار المعارف.
64. محمد الخضر حسين، دراسات في العربية وتاريخها، ط2، دمشق، 1960م.
65. المخزومي، مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مصر: مكتبة البابي الحلبي، 1377هـ-1958م.
66. ابن منظور، لسان العرب، القاهرة: دار المعارف، بلات.
67. الموسى، نهاد، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، ط1، عمّان: دار الفكر، 1987م.
68. ناصف، حفني، مميزات لغات العرب، القاهرة: 1957م.
69. ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك ورفيقه، ط2، دار الفكر، 1969م.
70. الهمداني، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء، بيروت: مركز الدراسات والبحوث اليمني، ودار الآداب.
71. وافي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ط9، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلات.
72. وافي، علي عبد الواحد، فقه اللغة، ط8، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلات.
73. يعقوب، إميل بديع، فقه اللغة العربية وخصائصها، بيروت: دار العلم للملايين، 1982م.
74. ابن يعيش، علي، شرح المفصل، بيروت، القاهرة: عالم الكتب، مكتبة المتنبي، بلات.
75. يوسف الحاج، كمال، في فلسفة اللغة، ط1، بيروت: دار النشر للجامعيين، بلات.
76. يونس، فتحي علي، تصميم منهج لتعليم اللغة العربية للأجانب، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.

ب- المراجع الأجنبية :

1. Crystal (David): Dictionary of Linguistics and Phonetics, 2nd ed. Basil Blackwell, B. U. K, 1980.
2. Green (Joseph): New Invitation to Linguistics, Anchor Books, Anchor Press, Doubleday, Gardea City, N. Y. 1977.
3. Rabin (Chaim): Ancient West Arabian, Tailors Foreign Press London, 1951.

الوحدة الخامسة

العربية والتطوّر اللغوي

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس:

مرحباً بك إلى هذه الوحدة، وهي الوحدة الخامسة، من مقرر علم اللسان العربي، وهي بعنوان العربية والتطور اللغوي، الذي أرجو أن يصبح المقصود به واضحاً بعد الفراغ من دراستها.

ومن أجل الوصول إلى مفهوم واضح للتطور اللغوي الذي يصيب العربية سنتحدث عن المتغيرات في اللغة في الجانبين الصوتي والدلالي أما الجانب النحوي والصرفي فهما ثابتان نسبياً وسنتحدث عن وسائل تنمية اللغة وازدياد ثروتها المعجمية عن طريق الاشتقاق والنحت والتعريب وأما ثراؤها اللغوي فيظهر من خلال تعدد المعاني للفظ الواحد في الاشتراك اللفظي والتضاد أو تعدد الألفاظ للمعنى الواحد في الترادف.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك، عزيزي الدارس، بعد فراغك من دراسة الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

1. تبيّن مدى خضوع العربية لمبدأ التطوّر.
2. تحدد أسباب ثراء المعجم العربي بفعل عوامل التنمية اللغوية.
3. تميّز بين وسائل العربية في النمو اللغوي كالاشتقاق والتعريب والنحت.
4. تميّز بين إيجابيات الثراء اللغوي وسلبياته من خلال الترادف والاشتراك والتضاد.

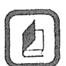
3.1 أقسام الوحدة

تقسم الوحدة إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: من مظاهر التطور اللغوي في العربية، ويحقق الهدف الأول.

القسم الثاني: من طرق النمو اللغوي في العربية، ويغطي الهدفين الثاني والثالث.

القسم الثالث: من مظاهر تعدد المعنى في العربية، ويغطي الهدف الرابع.



4.1 القراءات المساعدة

1. أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ط6، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1957م.
2. رمضـــان، عبد التواب، التطوّر اللغوي، مظاهره وعللـــه وقوانينه، القاهرة، الرياض: مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، 1401هـ-1983م.
3. السـيوطي، جـلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعهـا، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، والبجاوي وأبي الفضل ابراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بلات.
4. شـاهين، توفيـق محمد: عوامل تنميـة اللغة العربيـة، ط1، القاهـرة: مكتبة وهبة، 1400هـ-1980م.
5. عمـر، أحمد مختار: دراسـة الصوت اللغوي،ط1، القاهـرة: عالم الكتب، 1402هـ-1982م: علم الدلالة، ط1، الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، 1402هـ-1982م.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

1- دراسة الوحدة.

2- بيـان طـرق العربيـة القديمة في تعريـب الألفاظ مـن اللغات الفارسـية والهندية واليونانية والسريانية.

3- بيـان طرق تعريـب الألفاظ في الوقـت الحاضر كالاقتـراض والتوليـد التعريبي، والتعريب على طريقة القدماء.

4- الاستماع أو المشاهدة للبرامج الإذاعية والتلفازية المتعلقة بموضوع الوحدة.

2. من مظاهر التطور اللغوي في العربية

اللغـة، باعتبارهـا ظاهرة اجتماعية، تخضع ككل نشـاط إنسـاني إلى سـنة التطوّر والتغيّـر. وقد تكون حركة التطوّر اللغوي شـاملة وعامة؛ كأنْ تتطـوّر اللغة إلى لهجات، واللهجـات تتحول إلى لغات كالذي حصل للغـة اللاتينية التي تحولت لهجاتها في إيطاليا وفرنسـا وأسـبانيا ورومانيا إلى لغات وقد تصل حركة التغير مداها إلى حد أن تنحسـر اللغة ويتراجع اسـتعمالها، بحيث لا تقوى على الصمود أمام لغة أخرى تهيأت لها ظروف وعوامل وفّرت لها أسـباب الغلبة والانتصار كالذي حصل مع اللغة السـومرية التي حلت محلهـا الأكدية، التي تراجعت بدورها أمـام الآرامية ووصل الأمر بالآرامية والسـريانية أن يندثـرا أمـام العربية، التـي حلّت أيضاً محـل القبطية في مصر، والبربرية في شـمال إفريقيا.

وقد يكون التغير جزئياً، وهو الذي يطرأ على أصوات في اللغة أو على دلالة مفرداتها، أي العناصـر اللغوية التي تكون قابليتها للتطوّر قريبة الملاحظة والإدراك، واسـتخدامها بيّنـة وواضحـة. وأمـا العناصر اللغويـة التي لا تسـتجيب لعوامل التغيـر، وتحفظ للغة جوهرها، فهي قواعد التركيب وأبنية المفردات، وهي من الثوابت النسبية التي قد يعتريها التغير النسـبي علـى تطاول الأزمان، وربمـا لا يلمح ذلك في عمر الجيـل ولا الجيلين ولا الثلاثة، وقد يُلْمَح بيسر، كالذي حدث في قواعد اللغة الأنجليزية[1] يؤكد ذلك أولمان بقوله "فالأصـوات والتراكيب، والعناصـر النحوية، وصيغ الكلمات ومعانيهـا، معرَّضة للتغيُّر والتطوُّر، ولكن سرعة الحركة والتغيُّر فقط، هي التي تختلف، من فترة زمنية إلى أخرى، ومـن قطـاع إلى آخر من قطاعـات اللغة"[2] وتلزم الإشـارة هنا إلـى أن العربية في هذه المسار تختلف عن سواها من اللغات بارتباطها بكتاب مقدَّس هو القرآن الكريم، فما يمكن تطبيقه على غيرها، ينبغي ألاّ ينسحب عليها "فالتطور فيها لا يأتي بأشكال جديدة، كما هو الحال في اللغات الأخرى، وإنما يبيح للمرء أن يتنقل بين أشـكال الجواز الائتلافي على ألاّ يخـرج عليها، فإن خرج عدّ الخروج لحناً وبدعه مرفوضة ... فالتغيير في الثوابت اللغوية مسموح به في حدود الانتقال من وجه لغوي مشروع الى وجه لغوي آخر مشروع"[3].

ويحسـن قبل الدخول في دراسـة التطورات الجزئية في اللغة العربية أن نبيِّن بعض الأحـكام العامـة ذات الصلـة بالتطوّر اللغـوي، كعوامله وأسـبابه أو الظـروف المكانية والزمانيـة وما شـابهها التي تقـف وراءه، فقد "طبَّـق العالم الجيولوجـي "ليل" نظرية

(1) إسماعيل عمايرة، بحوث في الاستشراق واللغة: ص248.

(2) أولمان، دور الكلمة في اللغة: ص156.

(3) عمايرة، المرجع السابق: ص249.

المذهب الطبيعي في التطـوّر لداروين على اللغة فقرر أن الأنواع فـي الطبيعة، واللغات فـي التاريخ تتغير تبعاً لنواميس متشـابهة "[1] ويخالفه سـتيفن أولمان في كون قوانين الأصـوات مطردة اطراد قوانيـن العلوم الطبيعية بقوله: "من المعـروف أن القوانين في العلوم الطبيعية تصدق دائماً بقطع النظر عن الزمان والمكان، فالتيار الكهربائي إذا وقع تحت ظروف معينة سوف يحلل الماء إلى أوكسجين وهيدروجين في أي مكان وأي زمان، وسـوف يكون في اسـتطاعتنا أن نتنبأ ببعض النتائج الأخرى إلى حـد معيّن. أما قوانين الأصوات فليسـت لها هذه الخواص، إنها تنبئ عن قدر معين من الاطراد في حدود معينة مـن حيـث الزمان والمكان، أي إنها تشـير إلـى أنَّ صوتاً معيناً قد تطـوّر إلى صوت آخر بذاتـه في فترة كذا وفي لغة كذا، تحت ظروف معينة، ومحددة تحديداً دقيقاً"[2] فقوانين الأصوات، في نظره أقل اطراداً من قوانين العلوم، إنها تحتاج الى قيود أخرى منها الحدود الزمانية والمكانية وعوامل أخرى تقلّل من فرصة انتشارها وقد أجملها كلها الدكتور علي عبد الواحد وافي[3] بقوله:" تتأثر اللغة في تطورها وارتقائها بعوامل كثيرة يرجع أهمها الى أربع طوائف:

إحداها: انتقال اللغة من السلف الى الخلف: فقد تختلف لغة الخلف عن لغة السلف في المظاهـر الصوتيـة؛ لما يصيب بعض الأفراد من عيوب صوتيـة، أولِمَا يصيب الأفراد من تطوّر طبيعي مطرد لأعضاء النطق يترك صدى في الأصوات اللغوية. ومنه كثرة استخدام الكبـار في جيل ما لبعض المفردات في غير ما وضعت له فتنتقل هذه المفردات بمعانيها الجديدة إلى الجيل اللاحق وتستقر.

ثانيتهـا: تأثـر اللغـة بلغـة أو بلغات أخـرى فـإنَّ أي احتكاك بيـن لغتيـن أيّا كانت أسـبابه،ومهما كانت درجته، يؤدي لامحالـة إلى تأثر كل لغة بالأخرى. وأهم ناحية يظهر فيها التأثر هي الناحية المتعلقة بالمفردات حيث يكثر تبادلها واقتباسها كالذي حدث بين العربيـة والفارسـية والتركية، وكثيراً ما ينال معنى الكلمـة أو أصواتها تغيير أو تحريف عند انتقالها من لغة الى لغة.

ثالثتها: عوامل اجتماعية ونفسية وجغرافية: فاللغة مرآة تنعكس فيها مظاهر النشاط الاقتصادي للأمة، وشـؤونها الاجتماعية وتقاليدهـا، وخصائصها العقلية، ومظاهر البيئة الجغرافية، حيث تكتسـب المفردات خواص صوتية ودلالات تتناسـب مع هذه المظاهر، التي ستترك أثرها بلا شك.

---

(1) عن إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي: ص228.

(2) أولمان، دور الكلمة في اللغة: ص183.

(3) وافي، علم اللغة: ص ص 249-284.

رابعتهـا: عوامل أدبية، تتمثل فيمـا تنتجه قرائح الناطقين باللغـة، وما تبذله معاهد التعليـم والمجامـع اللغويـة، فالتعبيـر عـن الأمـور المسـتحدثة يقتضي الدقة فـي أداء المصطلحات، ومن الوسـائل التي تتبع في مثـل هذا الأمر هو إخضاع الألفاظ إلى تطوير صوتـي أو دلالي؛ فـلا يمكن للمفردات أن تبقـى في حالة جمود في مواجهة مسـتجدات الحياة والحضارة؛ لأن في ذلك انتحاراً لغوياً، إن جاز التعبير.

مجالات التطور اللغوي في العربية:

إن أنظمة اللغة كلها معرّضة للتطوّر والتغيير بنسـب متفاوتة، فأكثرها ثبوتاً وأقلها اسـتجابة للتغير هما نظاما التركيب والتصريف. فأساليب التركيب، وصيغ التصريف في العربيـة الفصحـى مازالت محكومة بقوانيـن الفصاحة ومعاييرهـا المحفوظة منذ زمن الاحتجـاج اللغـوي وما يحصل في العاميات من اسـتغناء عن الحـركات الإعرابية، أو من تغيير في الأبنية الصرفية لا ينسحب على الفصحى ويبقي من أنظمة اللغة مما يقبل حركة التغيير المسـتمر وسرعة التطور واطراده نسـبياً، نظاما الأصوات والدلالة، وسنخصهما بالدراسة فيما يلي:

1.2 التطوّر الصوتي Phonetically Changes

ويتصف بخواص كثيرة أهمها ما يلي[1]:

1- إنه يسير ببطء وتدرّج، فإن تطوّر الأصوات لا يحدث فجأة بل يحتاج إلى جيل أو أكثر لملاحظتـه من جيل الى آخـر، فإدراك التغيير يحتاج إلى دراسـة فيها بحث ومقارنة ومقابلة حتى يظهر بصورة جليّة.

2- إنـه تلقائي وغير متعمـد ولا دخل لإرادة المتكلم في التغيير، فالقاف مثلاً تلفظ همزة فـي المدينـة، وكافاً في القرية مـن غير إرادة مـن أبنائهما بل كل منهمـا ينطق على سجيته.

3- إنه غير فردي، فقد "سـاد شـطراً طويلاً من الزمن الاعتقاد بأن كل تغير صوتي إنما يصدر عن الفرد، وإنه لم يكن إلاّ تغيّراً فردياً عُمِّم، وهذا إدراك للأشـياء غير صحيح، فليس في وسـع فرد أن يفرض على جيرانه نطقاً تنبو عنه فطرتهم. وليس هناك من قسـر جدير بتعميم تغيُّر صوتي. فلأجل أن يصير تغيُّر ما قاعدة لمجموعة اجتماعية، يجب أن يكون لدى كل أفراد هذه المجموعة ميل طبيعي لتحقيقه من تلقاء أنفسهم"[2]

---

(1) انظر: وافي، علم اللغة: ص ص 285-288، والتطور اللغوي، للدكتور رمضان عبد التواب: ص ص 15-17، واللغة لڤندريس ص ص 62-80.

(2) ڤندريس: اللغة. ص69.

بينما نرى عند ستيفن أولمان[1] وجهة نظر أخرى يميل فيها إلى أن التغيير يبدأ فردياً أحيانــاً مع تجويزه أن يكــون جماعياً عندما يقول: " وكل التغيُّرات التي تصيب اللغة- مهما اختلفت في طبيعتها أو سرعتها ومجالها- تسير وفقاً لقاعدة أساسية واحدة هي أنها دائماً وأبداً تقع على مرحلتين، المرحلة الأولى: مرحلة التغير نفسه أو الابتداع.... في الكلام الفعلي، وهو لذلك عمل فردي كالكلام نفسه، ولكن هذا لا يعني أنه مقصور على فرد واحد، فقد يتصادف أن يتفق أفراد لاحصرلهم مع الابتداع في وقت واحد، بل قد يحس عدد آخر من الجماعة اللغوية المعنية بأن هذا الابتداع كان حاضراً بأذهانهم" وقــد يصدق هذا القول على بعض طلاب أو طالبــات الجامعات الذين يتعمدون تغيير لهجاتهم القروية نظراً لضغوط نفســية أو اجتماعية. ثــم يوجز رأيه بعد ذلك مظهراً ميلــه إلى البداية الفردية بقوله: "وهكذا نــرى أن المرحلة الأولى فردية Individual والثانية اجتماعية Social معتمدة في أساسها على قوة التقليد".

4- إنــه مطرد، وجبــري وليس اختيارياً فإن "القوانين الصوتية تســير في صورة عمياء، وبحتمية عمياء[2] بمعنى " أنه يتم في اتجاه محدّد بالتغييرات الســابقة. وأنه يتحقق في صورة تامة لامرد عنها"[3] وأن أي تغيير يصيب صوتاً ما ســيلحقة هذا التغير في الكلمات التي تشــتمل عليــه " وإذا حدث لأي تغيُّر صوتي أن صــار فعّالاً، في منطقة معينــة، وزمن معيّن، فإنة يتوقع له أن يكون تأثيرة عاماً، إلاّ إذا تدخلت عوامل أخرى أجنبيــة ...مثل التأثيرات التعليميــة، أو الاقتراض الأجنبي أو اللهجــي أو القياس"[4]. نحــو نطق المصريين للظاء في ظالم زاياً، وفي نظاره ضاداً أي نضارة. وهذا ما حدا بنا أن نذكر أن التغير غالب وليس دائماً وكنطقهم القاف همزة في العادة أما في لفظ القاهرة فتبقى قافاً.

5- إنــه محدود بمكان وزمــان معَّينين، أي علــى بيئة خاصة "ولانــكاد نعثر على تطور صوتي لحق جميع اللغات الإنســانية في صورة واحدة، فتحوّل صوت القاف مثلاً إلى همــزة، لم يظهر إلاّ في بعض المناطق التي تتكلم العربية"[5] وأما من الناحية الزمنية فيكون انتشــاره خلال فترة زمنية محدودة وهذا مايــراه ڤندريس بقوله: "الواقع أن التغيــرات الصوتيــة محدودة بالزمان، فمــا دام التغيُّر قد أصاب جميــع الكلمات التي تقع تحت طائلته، يصبح القانون الذي يفســره، وكأنه قد نســخ ويمكن للغة أن تخلق

(1) دور الكلمة في اللغة: انظر ص ص 153-154.
(2) جملة قالها عالم الماني هو اللغوي: هيرمن ستوف، جاءت في كتاب ڤندريس، اللغة: ص71.
(3) المرجع: ص65، بتصرف.
(4) ماريو باي، أسس علم اللغة: ص140 وقد عده قانوناً صوتياً في حين سماه غيره تغيراً صوتياً.
(5) وافي، علم اللغة: ص286.

مركّبات صوتية جديدة مشابهة كل الشبه للمركّبات التي كان التغيّر يعمل فيها سابقاً، هذه المركّبات تبقي دون تغيُّر، فيقال إنها لم تعد واقعة تحت سلطة القانون[1]. وإن أهم القوانين والعوامل التي تتحكم في التطوّرات الصوتية[2]:

1- قانون جرامونت: اللغوي الفرنسي الذي صاغ قانوناً سماه "قانون الأقوى" أي الصوت الأقوى يؤثر في الصوت الأضعف، في الفرنسية الصوامت الشديدة المهموسة قوية والصوامت المجهورة ضعيفة، وهذه فعلاً حالة عدد كبير من اللغات .... وإن الصامت الضعيف يفقد غالباً جهره أمام صامت مهموس[3].

ويبدو أن هذا القانون لاينطبق على أصوات العربية فالسين المهموسة تشدّها الباء المجهورة قبلها فتغيرّها زاياً مجهورة في مثل أسبوع التي تنطق أزبوعاً في مصر (القاهرة والإسكندرية مثلاً)، وهكذا الجهر كان أقوى. وكذلك الأمر في "أصدق" التي تلفظ "أزدق" حيث أثرت الدال المجهورة في الصاد المهموسة قبلها فقلبتها زاياً مجهورة. وقد يحدث العكس أيضاً فإن "اجتمع" تنطق "اشتمع" وهذا يعنى أن التاء المهموسة أثرت في الجيم المجهورة فانقلبت الأخيرة معها الى شين مهموسة. وفي "اصطلح " يؤثر مهموس مفخّم وهو الصاد على مهموس مرقّق وهو التاء فيحوّله إلى مهموس مفخم وهو الطاء. وهكذا تثبت الأمثلة في العربية أنه لا المهموس أقوى من المجهور ولا المجهور أقوى من المهموس، فقد يهمس المجهور وقد يجهر المهموس، دون تسلط أحدهما على الآخر بميزة القوة الدائمة، إلاّ ما نلمحه من تواتر غلبة المفخَّم على المرقق من الأصوات في مثل: اصطلح، أضطرب، اظطلم، اطّرد، "فإن أصوات الإطباق تمد نفوذها إلى ما يسبقها وتبعها من أصوات"[4]، كما ينقل الدكتور أحمد مختار عمر وهو ما يورده عن العاني أيضاً "حينما يوجد صوت ساكن مفخم في داخل المقطع فإن كل المقطع يضخم.." ويشترط اللغويون[5] في الأصوات التي تتغير:

أ- تقارب المخرج أو اتحاده: كأن يكون الصوتان لثويين كالسين والزاي، أو التاء الطاء.

ب- كون الصوتين إما من الصوامت أو من الصوائت، فلا يبدل صائت من صامت أو العكس.

---

(1) اللغة: ص74.
(2) انظر، أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي: ص319 وما بعدها، والدكتور إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ص 231-256.
(3) مالبرج: علم الأصوات: ص108.
(4) أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي: ص329.
(5) عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية: ص210.

2- قانـون الجهـد الأقـل: أي الاقتصاد في الجهـد العضلي في الأصـوات المنطوقة، وقد أشـار سـيبويه الى هذا العامل بوضوح حيـن قال في باب[1] "الحـرف الذي يضارع بـه حرف مـن موضعه... وإنما دعاهم إلـى أن يقرّبوها ويبدلوهـا (أي يقرِّبوا الصاد مـن الزاي ويبدلوا الصاد زاياً (في قولهم فـي التصدير: التزدير، وفي الفَصْد، الفَزْد) أن يكون عملهم من وجه واحد. وليسـتعملوا ألسـنتهم في ضرب واحد..." ويؤيد هذا العامل ماكس مولرMax Muller ووتنيWhitney حيث يريان "أن التطور الصوتي يتجه نحو تسـهيل النطق ويعمل على تحقيق الاقتصاد في المجهود[2] ومن اللغويين مـن عارضه واعتبر أنه كلام أجوف يرفضة العلم الحديث"[3] على أسـاس ان التطوّر الصوتي قد يحدث فيه العكس أي من أسهل الى أصعب، والحقيقة إن التطوّر الصوتي ليـس فعـلاً إراديـاً " وإن المرء حين ينطق بالصوت السـهل بدل الصعـب يخيّل إليه دائمـاً أنه ينطق بالصوت الأصلي دون تغيير فيه"[4]. ثم إنه لا ينقض هذه النظرية أن بعض الأصوات تطوّرت من السـهل إلى الصعـب، مثل الذي مثّل له د. وافي[5] بتطور "ذا الوقـت، في لهجة مصريـة الى "دلو قيتي" ونسـتطيع ان نعتبره مخالفاً للأصل في العربية فعلّة التخفيف على السـاكن من أكثر العلل الصوتية المقصودة فيها فهذا ابن جني يفتح باباً طريفاً وغريباً في الخصائص[6] يسميه باب في العدول عن الثقيل الى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف "وذلك نحو الحيوان ... من مضاعف الياء وأن أصلـه حيَيَان فلما ثقل عدلوا عن الياء الى الـواو، وهذا مع إحاطة العلم بأن الواو أثقل من الياء، ولكنه لما اختلف الحرفان ساغ ذلك. وإذا كان اتفاق الحروف الصحاح القويـة الناهضة يكره عندهم حتـى يبدلوا أحدها ياء نحو دينار وقيراط.... وديوان " في دنار وقرّاط ودوّان، فكرهوا التضعيف والتقاء المثلين فهربوا منهما بالإبدال الذي يسمى المخالفة مع أن "اجتماع حرفي العلة مثلين أثقل عليهم" على حد رأيه، ويقصد بحرفي العلة الكسرتين القصيرة والطويلة أي الياء المدِّية. ويضرب مَثَلين كذلك على العدول إلى الثقيل من أجل التخفيف أحدهما: نسبتهم إلى راية يقولون "رائِيٌّ" مع أن النسـبة الصحيحة رايِيٌّ "إلاّ أن بعضهم كره ذلـك فأبدل الياء همزة لتختلف الحروف

(1) الكتاب: 4/ 477-478.
(2) وافي، علم اللغة: ص288.
(3) أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي: ص321.
(4) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية: ص235.
(5) وافي، علم اللغة: ص288.
(6) ابن جني: ص18.

ولا تجتمع ثلاث ياءات... والهمزة أثقل من اليا[1]، والآخر، قولهم عَمْبَر، أبدلوا النون ميماً في اللفظ، وإن كانت الميم أثقل من النون، فخففت الكلمة لمناسبة مخرج الباء، ولو قيل: عنبر بتصحيح النون لكان أثقل[2] وهكذا هربوا من الثقيل إلى الأثقل رغبة في التخفيف وهو الغاية الأولى المقصودة وعلة الثِّقل والخفة أمر نسبي تمليه البيئة الصوتية المجاورة للصوت المقصود، وقد يكون ذلك كافياً في تعليل الانتقال من السهل إلى الصعب ومشروعيته وفي الوقت نفسه لا ينقض الأصل وهو الميل إلى السهولة والتخفيف.

3- قانون الشيوع أو التردد النسبي: وخلاصته أن الأصوات الأكثر شيوعاً في الاستعمال هي الأكثر عرضة للتغيّر، إبدالاً أو إدغاماً، والدكتور أنيس[3] يخرج بعد دراسة إحصائية إلى أن أكثر الأصوات العربية الصامتة تداولاً هي اللام والميم والنون، فيصيبهن التغيير أكثر من غيرهن كإدغام اللام التي للتعريف في كثير من الأصوات الساكنة. وتتعرّض النون لكثير من الأحكام الصوتية في القراءات بين إظهار أو إخفاء أو إدغام وإقلاب والحذف، وأما الميم فأقلها تعرضاً للتغيير، ومن أكثر الأصوات تغيراً في العربية، كما نعرف حروف العلة.

4- الحالة النفسية والاجتماعية، فالدعة والاستقرار، لها أثرها في انتقال الأصوات من الشدة إلى الرخاوة، كما أن البيئات المتحضرة تترك أثرها في تطّور الأصوات الذي يختلف عن تطوّرها في البيئات البدوية التي تميل إلى أصوات الشدة فنجدها مثلاً تحافظ على الهمز بينما البيئة المتحضّرة تميل إلى تسهيله.

5- اختلاف أعضاء النطق: فإن بعض العلماء يربطون بين التطور الصوتي واختلاف أعضاء النطق من جيل إلى جيل، بمعنى أن كل تطور يحدث لأعضاء النطق يتبعه انحراف في أصوات الكلمات وتنسب هذه النظرية إلى روسلو "لأنه وقف قسطاً كبيراً من جهوده على دراسته وتدعيماً بالأدلة القاطعة، وبوسيلة جديدة...هي الأجهزة الفونتيكية التجريبية"[4] ويقرر الدكتور وافي أن حناجرنا وحبالنا الصوتية وحلوقنا وسائر أعضاء نطقنا تختلف عمّا كانت عليه عند آبائنا الأولين، إن لم يكن في بنيتها الطبيعية فعلى الأقل في استعدادها، بل إنها لتختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأقربين،

---

(1) المرجع السابق: 19/3.
(2) السابق: 20/3.
(3) السابق: 20/3.
(4) وافي: علم اللغة: ص290.

غير أن هذا التطوّر يسـير ببطء وتدرج، لذلك لا يبدو أثره بشـكل واضح إلاّ بعد زمن طويل "[1] ويبـدو أن الدكتور أنيس يعترض على هذا العامـل باعتباره طريقاً لتطوّر الأصوات عندما يقول "لم يستطع أحد من علماء التشريح البرهنة عليها، بل لقد برهن معظمهم على أن أعضاء النطق عند الإنسـان تتحد في جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التشريح... ومصدر السيطرة على التنفس وضغط الهواء المندفع من الرئتين هو المخ، فالأمر ليس مرجعه في الحقيقة إلاّ إلى الناحية العقلية أو السيكلوجية "[2].

6- البيئـة الجغرافيـة: فالبيئـة الجبلية لها أثر كبير في التطـور الصوتي في نظر نفر من العلماء المحدثين وعلى رأسهم كوليتز، كما يذكر الدكتور إبراهيم أنيس[3]، حيث أشار هذا العالم إلى أن البيئة الجبلية تتطلب نشاطاً كبيراً في عملية التنفس ويتبع هذا الميل بالأصوات من الشـدة إلى الرخـاوة، ولكن يسبرسـنJespersen يعارضه ويرى أن مثـل هذا التطوّر قد حدث أيضاً في البيئات السـهلة والمهـم هو ما تقوم به الحنجرة وسائر أعضاء النطق الأخرى[4] واعتقد أن يسبرسن يجانبه الصواب في اعتراضه فإن ما نلحظه من فروق واضحة بين أهل الريف وأهل المدن وأهل البادية في نطق القاف العربيـة مثلاً يبرهـن على ما للبيئة من أثر، وقد نلحظ فرقاً في نطقها بين أهل القرى الجبلية في الخليل وأهل القرى السهلية في منطقة متاخمة للبحر كقرى اللد والرملة ويافا من فلسطين. وقد يقول قائل إن هناك أسباباً أخرى فنرد موافقين ونضيف إليها سـبباً آخر هو البيئة الجغرافية لأننا لا نعرف بالضبط العامل المؤثر بدقة وعلى وجه التحديد في هذا التطوّر، فقد تكون العوامل مجتمعة.

1.1.2 أقسام التغيرات الصوتية

وتنقسم التغيرات الصوتية إلى قسمين هما:

1- التغييرات التاريخية أو التغيرات الصوتية غير المشروطة وهي ماتتعرض له الأصوات اللغويـة مـن تطـوّر أو تحـوّل إلى أصوات أخـرى عبر التاريـخ الذي تمـر فيه اللغة وأصواتهـا، وهـو ما يمكـن أن نمثل له بما حـدث لبعض الأصوات العربيـة من تغيّر أو تطـوّر الى أصوات أخرى، كنطـق كاف التأنيث المخاطبة شـيناً في اليمن وهو ما يسمى بالشنشنة وهي الظاهرة اللهجية القديمة التي مازالت قائمة هناك. وكذلك قلبُ

---

(1) المرجع السابق نفسه.

(2) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية: ص232.

(3) المرجع السابق: ص233.

(4) المرجع السابق.

تـاء المتكلم كافاً وهي ظاهرة تاريخية مازالت مسـتعملةً فـي إحدى محافظات اليمن كقولهم: قُلْكُ بدلاً من قُلْتُ.

وأمَّا ظاهرة الكشكشـة فهـي ظاهرة لهجية قديمة امتدت إلـى بعض عاميات العرب في وقتنا الحاضر حيث تنطق الكاف حرفاً (ch) مزجياً في بلدان الخليج العربي والعراق وريف فلسطين والأردن وسوريا.

وقـد أصاب التغييـر أصواتاً كثيرة فـي العربية كذلك كالجيم والقـاف والثاء والذال والظاء.

أما الجيم فيرى الدكتور رمضان عبد التواب[1] أن النطق الأصلي له بعد الاطلاع على صفته في اللغات السـامية، أنه كان غير التعطيش كالجيم القاهرية وجنوب اليمن وعُمان، ولكنـه تحول في العربية الفصحى من هذا الصوت البسـيط إلى صوت مركب أو مزدوج حيـث يبدأ بدال غارية وينتهي بشـين مجهورة، وانحل إلى هذيـن العنصرين المكوِّنين له فتـراه مرة يُنطق دالاً في صعيد مصر فيقال: دِرْدا بـدلاً من جرجاً، وندْل وأندالَ في نجل وأنجال، وأدنبي في أجنبى، وفي العامية الفلسطينية يقال: تْدَشَّيت بدلاً من تجشأت ومرة أخرى ينطق جيماً معطشـة، وهو ما يطلق عليه الجيم الشـامية التي هي أقرب الى الشين. وقد جاء إبدالها شيناً عن العرب، فقد نقل عن راجز قوله:

إذ ذاكَ إذْ حَبْل الوصالِ مُدْمَشْ

أي : مُدْمجَ، فالشين بدل من الجيم[2]

وإننا نسـمع في عامية فلسـطين خاصة فـي البيئة المدنية خاصـة نابلس مَن يقَول: وِشْ، في وجه.

وقـد حـدث للجيم تغيير تاريخي آخر هـو تحوُّلها إلى الياء قديمـاً ومازالت آثار هذا التحـول قائمة إلـى يومنا في أقطـار الخليج العربي، فقـد مر معنا في السـمات اللهجية القديمـة[3] أن بني تميم يقولون في الصهريج والصهاريـج "الصهريّ والصهاريّ" وفي شجرة: شيره، وأنشدوا لأم الهيثم:

إذا لم يكن فيكنّ ظلّ ولا جنى　　فأبعـدكنَّ الله من شـيرات

تريد شجرات.

وإذا انتقلنـا الى القاف فسـنجد كذلك أنها قد أصابها نصيـب لابأس به من التحولات

(1) رمضان عبد التواب، التطوّر اللغوي: ص18-19.

(2) ابن جني، سـر صناعة الاعراب 1/205. وابن عصفور، الممتع في التصريف 1-412، اللسـان مادة دمج.

(3) انظر، الوحدة الرابعة من هذا الكتاب الخاص باللغة واللهجة-العجعجة).

الصوتية، ولم يحافظ على نطقها السليم سوى مجيدي القراءات القرآنية فهي صوت شديد مهموس كما يقول الدكتور رمضان عبد التواب[1] والقدماء، كما مر معنا، يعدونها صوتاً مجهوراً.

ومن التغيرات التي طرأت على هذا الصوت نطقه همزة في مصر وبلاد الشام، خاصة في البيئات المدنية فيها، فيقال مثلاً: آل في قال وأمر في قَمَر ... وهكذا دواليك. ويقابل ذلك .. تحولها إلى صوت أقرب ما يكون إلى الكاف في البيئات الريفية، خاصة في فلسطين فيقال: كال في قال، وازْهَكتْ في ازْهقِت، تكاتلنا في تقاتلنا ... وهكذا، وقد تنطق كذلك صوتاً آخر يشبه صوت الجيم القاهريّة أو صوت G في كلمة Good الأنجليزية، وهذا الصوت للقاف هو النطق العادي لها في بلدان الخليج العربي، وتنطق كذلك في الأردن وفلسطين خاصة في البيئات البدوية وبعض البيئات الريفية وكذلك شمال إفريقيا، وتلفظ في الخليج جيماً في مثل: صدق تقال صِجْ (أي صِدْج)، وفي فِرِيق (أي الشارع) فِرِيج، وتسمع في السودان غيناً فيقال الأخوة الأشغّاء بدلاً من الأشقّاء وكنّا نسمع طلابنا في الخليج يقولون: "نغد وبلاقة" في " نقد وبلاغة" وفي فلسطين ومصر أيضاً قد نسمعهم يقولون: يغدر بدلاً من "يقدر".

أما الثاء فتتحول إلى تاء في مصر مثلاً يقال: تلاتة في ثلاثة، وتعلب في ثعلب، وتلج في ثلج وهكذا، وقد تنطق سيناً عندهم كذلك فيقال: سواني في ثواني، وقد توجد هذه التحولات في البيئات المدنية العربية كلها.

والذال يصيبها التغيير فتنطق دالاً فيقال: ديب، دقن في ذيب وذقن، وهذا التحول يسمع في البيئات المدنية من مصر والشام. وقد تنطق زاياً فيقال في كذْب: كِزْب كما يقال كِدْب، وزَنْب في ذَنْب، وزكي في ذكي ورزالة في رذالة وبزر في بذر. وهذا التغييرات لها مواطنها في فلسطين ومثلها نطقهم الذال ظاء كقولهم: هاظا، وبَظَر البظار في: هذا وبذَرَ البذار.

وأما الظاء فتلفظ زاياً مفخمة في بعض البيئات المدنية العربية في مثل: عظيم وظالم وحظ. وقد تنطق ضاداً في مثل: الظهر، وظلّ.

وأما في شمال أفريقيا وفي البيئات البدوية والريفية أيضاً تتحول الضاد الى ظاء فيقال مثلاً: الأرظ، الظالين، ظربه في: الأرض، الضالين، ضربه.

هذا عدا تسهيل الهمزة الذي أصبح من أكثر التطوّرات الصوتية وهو مرتبط بالتسهيل المنقول عن الحجازيين الذي ذكرناله أمثلة من القراءات في موضع سابق.

(1) رمضان عبد التواب، التطوّر اللغوي: ص20-21 (مقارناً بنطقها في اللغات السامية).

2- التغييرات التركيبية المشروطة: وهي التغيرات الصوتية التي تحدثها أعضاء النطق عند التقاء الأصوات واجتماعها متجاورة من أجل إحداث نوع من التكيّف والانسجام بين هذه الأصوات التي قد تكون متنافرة أو متقاربة. وهذه التغييرات يحكمها قانونان: قانون المماثلة: وقانون المخالفة، وتفصيل الأمر كالتالي:

1- قانون المماثلة Assimilation :

والمماثلة هي عملية توافق وانسجام تحدث بين صوتين متجاورين متنافرين في المخرج أو الصفة بتغير مخرج أحدهما أو صفته أو انتقاله إلى مخرج الآخر وصفته. فالأصوات العربية، كما هو معلوم، صامتة وصائتة، ومنها المجهور والمهموس والشديد والرخو والطبقي واللثوي والأسناني .... إلخ، فإذا التقى صوتان متقاربان في مخرجهما كالصاد والتاء فإنهما يشتركان في صفتي الشدة والهمس وهما من الأصوات الأسنانية اللثوية مخرجاً، ولكنهما يفترقان في التفخيم والترقيق فيحدث بينهما شد وجذب؛ ولكن تأثير التفخيم يكون أقوى فتبدل التاء طاءً وهي حرف مفخم أنسب صوتياً للصاد من التاء، فتحصل عملية التماثل وهذا يفسّر بصورة جلية تعريف دانيال جونز هذه الظاهرة الصوتية" بأنها عملية استبدال صوت بآخر تحت تأثير ثالث قريب منه في الكلمة".[1] يكون قبله أو بعدة طبعاً، فقد حصل الاستبدال بين التاء والطاء بتأثير الصاد الواقعة قبل التاء.

والمماثلة أو المضارعة أو التقريب كما سماها سيبويه[2] أنواع هي:

أ- المماثلة التقدمية: Progressive، حيث يؤثر الصامت الأول في الثاني وأكثر مايرد في صيغة، افتعل. في: ادّعى وأصلها ادتعى، حيث التقت الدال المجهورة بالتاء المهموسة فأثرت السابقة (الدال) باللاحقة وهي التاء؛ أي تأثر الهمس بالجهر، فجهرت التاء أي تحولت الى دال، وأدغمت الدال في الدال. فأصبحت ادّعى، والمماثلة تقدُّمية وكلية؛ أي لم تكتفِ التاء بأخذ صفة الجهر فقط بل تحوّلت إلى مشابهة كلية مع الصوت السابق عليها وهو الدال، ومنها: اطّلع، اطّرد، اضّجع.

وقد تكون المماثلة التقدمية جزئية أي بأخذ الصفة الصوتية فقط كما في: ازدهر، وأصلها ازتهر، فأثرت الزاي السابقة المجهورة بالتاء اللاحقة المهموسة، فجهرت التاء أي تحوَّلت دالاً مجهورة، أي تشبه الزاي في هذه الصفة فقط، وعليه سميت مماثلة تقدّمية جزئية. ومن هذه الحالة: ازدهر، ازدان، ازداد، اصطنع، اصطفى،

(1) An outline of English phonetics. D. Jones, Cambridge 1947: p.50.

(2) انظر: 4/477-478.

اصطبر. وفي الأمثلة الثلاثة الأولى جهرت التاء المهموسة، بينما التي تليها تحوَّلت التاء المهموسة إلى طاء مهموسة لتتناسب مع الصاد المهموسة. والتأثير يظهر هنا في التفخيم المشترك بين الصاد والطاء، أي تغلبت خاصية التفخيم في الصاد على الترقيق في التاء.

ب- المماثلة الرجعية:Regressive وهي التي يؤثر فيها الصوت الثاني بالصوت الأول أي يتأثر الصوت السابق بالصوت اللاحق كما في: اتعد وأصلها أوتعد، أثرت التاء المهموسة، في الواو المجهورة تحوَّلت الأخيرة تاء أي همست وأدغمت في التاء المؤثرة، وهذا من المماثلة الرجعية الكلية. ومنه ما جاء في بعض الآيات القرآنية الكريمة في قوله تعالى: "إثّاقلتم إلى الأرض"[1] أي تثاقلم حيث أثرت الثاء الرخوة في التاء الشديدة.

كذلك قوله تعالى: "وإذ قتلتم نفساً فادّارأتم فيها"[2] حيث أثرت الدال في التاء فإن أصلها تدارأتم. وكذلك "وما يذَّكَّر إلاّ أولو الألباب"[3] أي يتذكر حيث أثرت الذال في التاء.

أما المماثلة الرجعية الجزئية فيمثلها قولهم: ازْدُق في اصْدقُ وما ينقله ابن السكيت عن العرب" والعرب تقول: ازْدُق يمعنى اصدق، ولا يقولون زَدَق[4]. وينقل كذلك أبو الطيب قول حاتم الطائي: هكذا فزْدي أنَه، أي فصدي أنا....[5] وهكذا قلبت الصاد الساكنة بتأثير الدال، أي تأثرت الصاد المهموسة بالدال المجهورة فجهرت زاياً. وأما أزبوع التي تنطق في مصر في: أسبوع فتأثرت السين المهموسة بالباء المجهورة فجهرتها زاياً أيضاً.

2- المخالفة Dissimilation :

وهي تغيير أحد الصوتين المتماثلين تماماً، إلى صوت آخر أي" تعديل الصوت الموجود في سلسلة الكلام بتأثير صوت مجاور، ولكنه تعديل عكسي يؤدي إلى زيادة مدى الخلاف بين الصوتين" وفي اعتقادي أن المخالفة بين الأصوات هي الأصل في اللغة فعن طريقها تتضح الدلالات ويتم التفاهم مهما كان في اختلاف الأصوات من صعوبة في النطق؛ لأن الجانب الدلالي لابدَّ من وضعه في الاعتبار ولا ننساه أمام ما تنتجه المماثلة من

(1) التوبة- 38.
(2) البقرة- 72.
(3) البقرة- 269.
(4) القلب والإبدال. ص45.
(5) الإبدال: 2/126 وما بعدها.

تخفيـف صوتي قد يوفّر جهداً عضلياً علـى أعضاء النطق. والمخالفة بهذا تحقق نوعاً من التوازن مع المماثلة في كلمات اللغة " التي يتجاذبها مطلبان هما: سهولة النطق وسهولة التفريـق بين المعانـي"[1] كذلك توفر المخالفة أيضاً نوعاً مـن الجهد العضلي؛ فإن نطق صوتين متماثلين متتابعين من العضو نفسه قد يثقل عليه، فتعطى الفرصة لأعضاء أخرى تعفية من تماس الحروف المتماثلة المتتابعة وفي ذلك تخفيف عنه، إذا أضفنا إلى ذلك أن المخالفة قد توفر وضوحاً للأصوات يكسبها فصاحة في النطق.

وقد ثبت أن اللغات تسـتخدم السـواكن الأنفية والترددية بشكل أكثر لتحقيق عنصر المخالفـة، ويفتـرض هورويتز Hurwitz أن تكـون الكلمات العربية الكبيـرة البنية التي تشـتمل علـى راء أولام أو نـون أو ميـم قد تولّـدت نتيجة عامـل المخالفـة بين صوتين متماثليـن[2] افتـرض أمثلة مولّدة من أمثلة أخرى بالمخالفـة نحو جلمد من جمّد، وعنكب مـن عكّب وعرقب مـن عقّب، وفلطح من فطّـح؛ وبهذه النظرية يمكـن أن نبرهن على أن كل رباعي فيه أحد هذه الحروف مبنية من ثلاثي على هذا النمط كأن نقول مع اسـتعمال المخالفة في: عرقل من عقّل، سربل من سبّل، وسرمد من سمّد...الخ وكأنها طريقة توليد أخرى أداتها المخالفة. وحقيقة الأمر تبينها الأمثلة التي وردت عن العرب هي أن المخالفة يقصدبها التخفيف، وقد ذكر شـيئاً من ذلك ابن جني[3] في باب العدول عن الثقيل إلى ما هـو أثقل منه لضرب من الاسـتخفاف" وضـرب أمثلة نحو دينار، قيـراط، ديوان، ديباج، وعمبر، رائي في دنّار، قرّاط، دوّان، دبّاج، وعنبر ورابي".

وأمثال ذلك كثير في العربية فيقال: قصّيت، وظنيت، واستقليت، وأمليت، واستبدّيت، ومدّيـت، واسـتقريت، واسـتفزيته:واعتزيت: في قصصـت، ظننت، واسـتقللت، وأمللت، وإسـتبددت، ومددت، واسـتقررت، واسـتفززت واعتززت: وغيرها كثيـر وهذا النوع من المخالفة يوصف بأنه تخفيف سـببه كراهة اسـتعمال المثليـن أو كراهية اجتماع حرفين مـن جنس واحد، أو كراهية التضعيف، أو اسـتثقال لاجتماع المثلين كما يوصف في كتب اللغة، وقد عقد سـيبويه باباً لذلك بعنوان" هذا باب ماشـذّ فأبدل مكان اللام ياء لكراهية التضعيف، وليس بمطرد" وذلك قوله: تسرّيت وتظنّيت وتقصيت من القصة وأمليت"[4].

---

(1) المرجع السابق: ص331.

(2) السابق: ص330.

(3) الخصائص: 3/ 18،19،20 وقد مر بك النص في صفحة سابقة.

(4) الكتاب: 4/ 424.



أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. ما الجوانب اللغوية التي يصيبها التغيّر والتطوّر ؟
2. ما العوامل التي يرجع إليها تطوّر اللغات ؟
3. ما الخواص التي يتصف بها التطور الصوتي ؟
4. ما أقسام التغييرات الصوتية؟ مع تفصيل القول في القوانين التي تحكم تغييرات القسم الثاني ؟



تدريب (1)

اذكر ما تعرفه من التطوّرات الصوتية التاريخية التي تحدث في فلسطين .

2.2 التطور الدلالي

إن الحياة التي صنعها الاسلام للعرب أحدثت تطوراً وتوسعاً في مضامين كثير من كلمات لغتهم، وضيقاً في غيرها، وتغيراً كاملاً في دلالات أخرى؛ نظراً لما أضيف إلى حياة العرب من قِيَم ونُظُم.

وهكذا ظلت ألفاظ العربية عرضة للتطور بسبب التحولات التاريخية وتغير النظم الاجتماعية والعوامل الإنسانية والنفسية واللغوية والحضارية، فكأن الكلمة العربية بتطورها الدلالي تعكس مراحل تطور الحياة عند العرب، اجتماعياً وحضارياً، وخير ما يمثل هذا الدور، الألفاظ الإسلامية التي اكتسبت معاني جديدة أو خصوصيات معنوية اقتضتها الدعوة الإسلامية والعلوم الإسلامية التي انبثقت في أحضان القرآن الكريم والحديث الشريف، فجعلت من هذه الألفاظ مصطلحات شرعية.

وهذه الظاهرة، أي ظاهرة التطور، شائعة بل هي طبيعية في اللغات كلها، ترافقها في مراحل نموها، وهي ظاهرة إيجابية تجعل اللغات قادرة على مسايرة الزمن، وتستجيب للتطور الحضاري للشعوب التي تتكلم بها. وقد يمر ذلك في مراحل زمنية تطول وتقصر بحسب ما تدعو إليه الحاجة. وقد يكون التطور متعمداً كالذي تقوم به الهيئات العلمية المتخصصة، وقد يتم دون قصد وبلا شعور ويكتب له الاستمرار ويأتي وقت يثبت ويسجل بعد دراسة أو مقارنة.

وإن لتطور معاني الألفاظ وتغيرها أسباباً يجملها اللغوي الفرنسي أنطوان مييه في ثلاثة أسباب عامة هي : الأسباب اللغوية والتاريخية والاجتماعية[1] ولكنها لا تغطيها كلها بل تنسحب على أكثرها ويمكننا تفصيل الأسباب وتصنيفها على الشكل التالي:

أولاً: الأسباب الدينية: فالصلاة والحج والفقه وغيرها[2] نظراً لحاجة شرعية حدث لمعانيها تطوُّر، فالصلاة تدل في اللغة على الدعاء مطلقاً، وتطور معناها للدلالة على الشعيرة المعروفة وتخصص بزيارة البيت الحرام لأداء النُّسُك المعروفة بدلاً من دلالتها العامة وهي الزيارة والقصد مطلقاً لأية جهة، وهكذا حصل للفظين تطوير بتخصيصهما.

وأما مصطلح الفقه ففي اللسان الشق والفتح وتطور إلى معنى " الفهم والعلم في كل شيء وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم، واشتقاقه من الشق والفتح، وقد جعله العرف خاصاً بعلم الشريعة"[3].

ثانياً : أسباب لغوية: ويقصد بها الانحرافات التي تصيب معاني الألفاظ نتيجة استعمالاتها اللغوية المتنوعة نحو: وضوح معنى الكلمة في الذهن، فكلما كان وضوح المعنى أكثر كانت الفرصة في التغيّر أقل، والعكس صحيح أيضاً بمعنى أن إبهام المعنى وغموضه يقلل من مقاومة الكلمة للتغير، فتكون عرضة لانحراف معناها اتساعاً أوضيقاً أو نقلاً لمعنى آخر فلفظ عتيد قد يستعمل الآن بمعنى عريق أو عتيق ولكنها تعنى الحاضر المعدّ[4].

وقد يكون التطور له علاقة بالتعبير عن المعنى بإيجاز شديد تقل فيه الكلمات، أو بتعبير قصير يلازم المعنى، كالتسميات التي تطلق مرة على شخص فتصبح بعد ذلك علماً عليه وتخصص به نحو تخصيص تعبير أمير الشعراء بأحمد شوقي، وشاعر القطرين بخليل مطران، ومحرر المرأة بقاسم أمين، وكوكب الشرق بأم كلثوم، والكتاب تخصص من بين كتب اللغة بما صنفه سيبويه في النحو.

كذلك الاستعمال المجازي للألفاظ يعطيها دلالات متطورة عن دلالاتها الأصلية، وقد يتاح الاستقرار لهذا التطور أقصد المعنى المجازي ويلازم اللفظ مع الزمن، باعتباره معنى جديداً، إلى الدلالة القديمة وقد يطغى عليها: في مثل : المجد: فهى في الأصل تعنى امتلاء البطن، فأمجد الإبل ملأ بطونها علفاً وأشبعها، واستعمل مجازاً في الأخذ من الشرف

(1) دور الكلمة في اللغة: ص154.
(2) انظر، التطورات الدلالية التي تحصل للألفاظ الإسلامية في كتاب: عودة أبو عودة: التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن.
(3) مادة فقه، انظر المادة وما تطوّرت إليه من المعاني بعد معناها الأصلي في اللغة، في اللسان.
(4) مادة عتد في اللسان.

والسـؤدد ما يكفي[1] فانتقل اللفظ من الدلالة الحسية الحقيقية إلى دلالة معنوية مجازية تلازمه، بل إنها طغت عليه ويكـاد لا يعرف معه المعنى الأصلي. والعقيقة في الأصل هي الشّعْر الذي يولد الولد به، ثم أطلق بعدها على الشاة التي تذبح لذلك عقيقة[2]، مجازاً .

والظعينة في الأصل هي الحمل يظعن عليه أو الهودج تكون فيه المرأة وسـميت بعد ذلك زوجة الرجل ظعينة، والظعن النساء وواحدتها ظعينة[3].

وقـد يكـون لقواعد اللغـة دور في تطوير المعنـى فإن كلمة ولد في اللغة تسـتعمل للذكر والأنثى وتقع على الواحد والجمع[4] ولكنها في التصنيف الصرفي تخصص للمذكر المفرد.

ومن الأسـباب اللغويـة الاسـتخدام اللهجي أيضاً فكلمـة ثِبْ التي تعنـى في جنوب الجزيرة " اجلس" هي نفسها التي تعنى في الشمال " اقفز" وتطويره إلى الضد لا يمكن تعليله إلا أن كل لهجة أو بيئة خصصت معنى لهذا اللفظ يخالف المعنى المخصص له في اللهجة الأخرى.

ثالثاً: الأسباب الصوتية: قد يسبب التطور الصوتي تطوراً دلالياً، إذ قد يتاح لأصوات كلمـة ما أن تتطور إلى الحد الذي تشـبه فيـه كلمة أخرى فتكتسـب معناها كالذي حصل لكلمة " كماش" الفارسية التي تعنى نسيجاً من قطن خشن، وقد تطورت فيها الكاف إلى قاف، فشـابهت الكلمة العربية قماش بمعنى أراذل الناس، وما وقع على الأرض من فتات الأشـياء ومتاع البيت. فأصبحت هذه الكلمة العربية ذات دلاله على المنسـوجات[5] وبناء عليه "فثبات أصوات الكلمة يسـاعد على ثبات معناها، وقوة صلتها بالأصل المشـتقة منه تساعد على ثبات مدلولها[6].

رابعاً: الأسـباب الاجتماعية: إن تطور الحياة الاجتماعية لا يخلو من أن يدخل معاني جديـدة على الألفـاظ تطويراً أو تجديداً أو تغييراً فالثلاجة والمصعد والغسـالة والهاتف والسـيارة والقطـار والجامعة والإخراج والتمثيـل وغيرها من الألفـاظ التي تطلق على المخترعات، بإعطائها مضامين ومدلولات جديدة تسـاير التقـدم العلمي والحضاري في حياتنا. وكذلك الحريم خصصت للدلالة على النساء بعد أن كانت تطلق على كل مَحْرَم.

خامساً: الأسباب التاريخية: إن تلقي اللغة من الخلف عن السلف، لآبد أن يحدث خلخلة في المعنى، تضييقاً أو اتساعاً، أو أن يتغير فتنقطع الصلة بين المعنى القديم والجديد.

(1) اللسان مادة مجد.
(2) معجم العين: باب العين مع القاف.
(3) مادة ظعن في اللسان.
(4) اللسان: مادة ولد.
(5) رمضان عبد التواب: لحن العامة: ص ص 57-58.
(6) وافي، علم اللغة: ص322.

وهـذا السـبب يمكن أن ينطبق علـى أي تطور دلالي، لأن التطـور الدلالي يحتاج إلى فترات تاريخية لكي يسـتقر، فلفظ القهوة مثلاً " مأخوذ من قَهَىَ أقهى الطعام أي ارتدت شـهوته عنه ... وزهد فيه "، ثم سـميت الخمر قهوة لأنها تقهي شـاربها عن الطعام، أي تذهـب بشـهوته، وفي فتـرة تاريخية تالية صارت تطلـق على البن لمّـا لوحظ أنه يذهب بشـهوة الطعام بعد شـرب محلوله المغلي، ويبدو أنه قد مرت فترة تاريخية طويلة حتى عرفت شجرة البن أو عرف المشروب المأخوذ من غلي ثمرها؛ بدليل أن الكلمة بهذا المعنى لم ترد في اللسان وإنما ورد " البن" بمعنى الرائحة المنتنة. واللسان كما هو معروف جمع مادته من خمسة كتب تهذيب الأزهري ومحكم ابن سيده وصحاح الجوهري وحواشي ابن بري على الصحاح ونهاية ابن الأثير، ولا يعقل أن تكون هذه المعاجم قد فاتتها كلها كلمة البـن. ولفظ القهوة ورد في اللسـان عن التهذيـب والصحاح، وهذا يعنـي بالضرورة أن إطلاق لفظ القهوة على البن مجازاً قد أخذ فترة طويلة بعد حصول الربط بين تأثير البن، ومعنى القهوة، ويشار كذلك أنه لم يعد أحد يذكر المعنى الآخر للقهوة وهو الخمر.

وهكذا تظل الدلالات في نمو وتطور مستمرين عبر الزمن ومراحل التاريخ، لأنَّ سنة الحياة لا تبقي شيئاً على حاله.

سادساً: الاقتراض اللغوي: ولا يفوتنا أيضاً أن نذكر أن الاقتراض اللغوي الذي تنتقل فيـه كلمة من لغة إلى أخرى قد يسـاهم بنصيب لابأس به في إحـداث التطور والتغير في معاني الكلمات المقترحة؛ فكلمة زنديق في الفارسـية تطلق على العالِم الذي درس كتاب زرادشـت، وكان أول نبي من أنبيائهم وله كتاب يسـمى"زند" وفي الفارسـية زنديج أي المنسـوب إلى ذلك الكتاب المقدس، وقيمة الكلمة العالية واضحة في المجتمع الفارسـي، وقـد انحدرت قيمتها الدلاليـة حتى صارت تطلق في العربية على المارق الذي يضمر دين المجوسية، واتسع مدلولها فأطلقت على الملحد أو المنحرف عن الدين بصفة عامة[1].

سـابعاً: الاصطـلاح العلمـي: يجب أن نضـع في اعتبارنـا أيضاً التغيـرات المتعَّمدة والمقصـودة التي تقوم بهـا الهيئات العلمية والمجامع اللغويـة بخلع دلالات جديدة على الألفاظ؛ مسـايرة لمتطلبات العصر واختراعاته ومكتشـفاته التي تحتاج إلى اصطلاحات تدل عليها. والحاجة إلى المصطلح العلمي واكبَ التطور الحضاري للأمة في جميع مناحي الحياة بعد الإسـلام، وبدأ التصنيف والتأليف في العلوم الإسـلامية الدينية واللغوية ففي النحو مثلاً استعان النحاة بالتطورالدلالي والتخصيص منه غالباً كالفاعل والمبتدأ والخبر والنعـت والحـال والتمييز والرفع والنصـب والجر والجزم إلى آخـر قائمة المصطلحات

(1) عبد المجيد عابدين. من محاضرات الدراسـات العليا في علم اللغة- من فصل بعنوان "نظرية المجال الدلالي" في العام الدراسي 1978-1979 م- بجامعة الاسكندرية.

النحويــة التــي كانت دلالتها عامة ثم خصصت بمعنى نحوي يســتفاد منها عند ذكرها في كتب النحو وبين متعلميه، طبعاً، دون أن تفرغ من معانيها الأصلية.

وفــي العصر الحديث كثــرت الاختراعات والمصنوعات فــي كل المجالات فلا بد من اســتحداث الاصطلاحــات الدالة عليها، فيســتعان بالتطور الدلالي للألفــاظ فنجد ألفاظاً: كالهاتف والمذياع والســيارة والطيــارة والطوّافة والدّراجة والمكيّــف والهوائي وعجلة الســيارة أو دولابها ومقودها وكوابحها الى آخر ما هنالك من اصطلاحات خصصت لتدل على المقصود دون غموض.

1.2.2 أشكال التطور الدلالي

لقد حاول علماء اللغة حصر أشكال التطور الدلالي للألفاظ بما يلي:

1- تخصيص المعنى أو تضييقه Narrowing of Meaning

وأصل التخصيص في اللغة الانفراد بالشــيء أو الإفراد له فهو من " خصّه بالشــيء واختصه أي أفرده به دون غيره وتخصص له إذا انفرد[1] فإذا قصر اللفظ العام أو اقتصر علــى بعض أفــراده أو أطلق على بعض مــا كان يطلق عليه من قبل ســمى ذلك تخصيصاً فلفظ الحج كان أصله "قصدك الشــيئ وتجردك له ثم خص بقصد البيت الحرام[2] ولأداء الشــعائر أو المناسك المعروفة وهذا من التخصيص الشرعي. ومن التخصيص اللغوي ما حدث للفظ الســبت الــذي كان يعني في أصل وضعه الدهر ثم خص في الاســتعمال لأحد أيام الاسبوع.

وتضييق دائرة المعنى أو شقته حتى يغطي جزءاً أو قسماً من الأفكار أو المعاني التي كان يطلق عليها ســابقاً فكلمة رث كانت تطلق على كل شــيء خسيس، وأصبحت تستعمل فقط فيما يلبس أو يفترش[3] من الثياب.

ومثلها كلمة POISON تعنى في الإنجليزية والفرنسية السم ولكنها تعني في الأصل الجرعة من أي سائل ثم تطور استعمالها وتحدد مدلولها بالجرعة السامة.

2- توسيع المعنى Widening of Meaning

وهو مظهر دلالي يقوم على " توسع معنى اللفظ ومفهومه ونقله من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعم وأكمل"[4] وهو ما يسمي بالتعميم الوثيق الصلة بالأصل اللغوي

---

(1) اللسان مادة خصص.

(2) السيوطي، المزهر: 1/427.

(3) المرجع السابق نفسه.

(4) محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية: ص218.

المأخوذ من "عممهم الأمر عموماً بمعنى شملهم[1]اللسان مادة عمم. نحو "الوِرْد في الأصل إتيان الماء ثم صار إتيان كل شيء وِرْداً[2] كذلك حصل تعميم للفظ الوغى الذي كان يطلق علــى اختلاط الأصوات في الحــرب ثم كثر فصارت الحرب وغــى" أي جرى تعميمه على جميع عمليات القتال وأبعاده وما يجري في ساحة الحرب.

والتعميم أقل شــيوعاً من التخصيص، ولا تختص به العربية وحدها بل تشاركها فيه اللغات الأخري فكلمة arrive الإنجليزية وarriver الفرنسية أصلهما اللاتيني adripare الــذي يعنى الوصول إلى الميناء أو الشــاطيء وتطوّر المعنى وعمم حتى صار اســتعمال الكلمتين يعني الوصول مطلقاً.

3- انحطاط المعنىPejorative change

ويعني: كثيراً ما يصيب الدلالة بعض الانهيار أو الضعف فتراها تفقد شيئاً من أثرها فــي الأذهان، أو تفقــد مكانتها بين الألفاظ التي تنــال من المجتمع الاحتــرام والتقدير[3] فكلمة حاجب كانت تعني في المشــرق العربي البواب، واســتعملت في الأندلس بمثابة ما نطلــق عليه اليوم رئيس الوزراء، ولكن معناها انحط بعد ذلك ورجعت الى أصل مدلولها. وانحط معنى كلمة وزير في الأندلس لتعني الشرطي. أما كلمة Knave الانجليزية وتقابلها Knabe في الألمانية فقد انحط معناهما ليعنيا اللئيم الخســيس بعد أن كانت تعنى مجرد خادم أو غلام.

4- رقي المعنى Raising change أو تساميه

فكلمة فردوس مثلاً المأخوذ من الفارســية تعنى الوادي الخصيب والبســتان ولكنها في القرآن الكريم اكتسبت معنى أرقى بدلالتها على الجنة. وكذلك المجد في الأصل امتلاء بطــن الدابة من العلف ثم ارتقت فأصبحت تطلق على الحرص الزائد على الكرم، وشــتان بين العلف والكرم.

وكلمة مارشال Marshal التي تعنى الآن رتبة عسكرية عالية لم تكن تعني في الأصل سوى خادم الاسطبل.

وأشــار لهذه الظاهــرة هنري ألكســندر Henry Alexander بقولــه : "وقد يحدث العكــس تمامــاً (يقصد عكــس الانحطاط) أن تــدل الكلمة في وقت ما علــى معنى رديء

(1) اللسان مادة عمم.
(2) الصاجي في فقه اللغة: ص96.
(3) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ: ص156.

ويمكن أن تتحسن فتفقد هذا المعنى غير السار: حتى ينتهي بها الأمر للدلالة على معنى محايد أو فكرة جيدة، نحو كلمة Fond التي كانت تعني في الأصل Foolish (أحمق، مجنون) وأصبحت تدل على معنى آخر وهو مولع أو مغرم"[1].

5- انتقال المعنى :

وقد نبه إليه أولمان ومثّل له : بالكلمة الإنجليزية Style " أسلوب" التي ترجع إلى كلمة لاتينية معناها آلة مستدقة الرأس تستعمل في الكتابة وتظهر صورتها المصغرة في الكلمة الإيطالية Stiletto ثم حدث أن خلعت الآلة اسمها على نوع من الوظائف التي تقوم بها. ومن الواضح أن المدلولين ليسا من باب واحد[2] كذلك الأمر حدث مع كلمة " قطار" العربية التي تدل على قافلة الإبل وانتقلت دلالتها إلى مجموعة من العربات التي تقودها قاطرة ويبدو أن هذا الانتقال قد حصل من وجه الشبه الحاصل بين تتابع الإبل وراء حاديها وبين تقاطر العربات وراء القاطرة. وكذلك الأفْن انتقل من قلة لبن الناقة أو نقصه إلى نقص العقل في الرجل الذي يقال عنه إنه مأفون[3] مثلاً.

أسئلة التقويم الذاتي (2)

1.ما أسباب التطوّر الدلالي؟

2. ما أشكال التطوّر الدلالي؟

تدريب (2)

بيّن ما حصل من تطوير دلالي للألفاظ التالية: عقيدة، سبحان، دين، الجر، الجزم.

(1) The Story of our Language: p.130.

(2) أولمان، دور الكلمة في اللغة: ص162.

(3) السيوطي، المزهر: 1/431.

3. من طرق النمو اللغوي في العربية

1.3 الاشتقاق

في اللســان " اشتقاق الشيء بيانه " واشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه[1] ووجّه الصرفيـون هـذا الأصل اللغوي وعَنَوْا به كل عملية لغوية تتم لتوليد لفظ من لفظ بشــرط تناسبها لفظاً ومعنى، حيث جاء في المزهر " قال في شرح التسهيل : الاشتقاق أخذ صيغة مـن أخرى مع اتفاقهما معنى ومـادة أصلية، وهيئة تركيب لها، ليـدل بالثانية على معنى الأصـل بزيادة مفيـدة لأجلها اختلفا حروفـاً وهيئة "[2]، وهذا التعريـف يتضمن الحدود التالية:

1- افتراض وجود لفظ مأخوذ منه أي أصل، وفرع مأخوذ .

2- اشتراط اتفاق اللفظين في قدر مشترك من المعنى.

3- اشتراط ترتيب الحروف الأصلية بين المأخوذ والمأخوذ منه.

4- اشتراط اشتراكهما في المادة الأصلية أي في الجذر.

5- اشـتراط أن يكـون في اللفظ المأخـوذ زيادة معنى على المأخوذ منـه وهي التي كان الاشتقاق من أجلها، وبغيرها لا ضرورة له.

ولنـا ملاحظات على هذه التعريف، ففي قولهم " أخـذ صيغة من أخرى " تجنٍ على اللفـظ المأخوذ حيث اعتبروه فرعاً علـى الصيغة المأخوذ منها التي تصبح بمثابة الأصل. ونشأ ذلك الخلاف المعروف بين المدرستين البصرية والكوفية، فالأولى اعتبرت أن أصل المشـتقات هو المصدر والثانية رأت أن الفعل هو أصل المشتقات. وساقت كل مدرسة من البراهيـن والحجج ما يدعم رأيها. وخلافهمـا نظري يدحضه وينفيه ما يحصل في الواقع فأستطيع أن أقول مثلاً بناء على قولهما ... إن الضارب مشتق من الضَرْب ومن ضَرَب أيضاً وبذلـك يكون للكلمة أصلان وهـذا غير معقول ولم يقل به أحد مـن الطرفين طبعاً ولكن يمكن افتراضه. ولا ضير علي إذا قلت إن "ضَرَب" مشتق من الضرب أو إن الضرب مشتق من ضَرَب ؛ ما دامت الشروط التي أرادوها محققة.

وعليـه يصبـح كل منهما مـرة فرعاً وأصلاً مـرة أخرى ؛ وهذا يؤدي إلى التسلسـل والدور الذي لا يصل بنا إلى نتيجة. هذا إلى أن ما أورده السـيوطي من خلافات اللغويين ليـس لهـا في نظري إلا دلالة واحدة وهي أنهم متفقون على هـذه الأصالة والفرعية ؛ مما حدا ببعضهم أن ينكرها " فمنهم من يقول : بعض الكلم مشتق وبعضه غير مشتق وقالت

(1) مادة "شقق".

(2) السيوطي: 1/346.

طائفة من المتأخرين اللغويين كل الكلم أصل "[1] وقد صرح الشـيخ حسـين والي[2] بأن الـذي قـال : الكلم كلـه أصل هو السـيرافي (368 هــ) وأبو علي الفارسـي. وقد خرج السـيوطي بالنتيجة نفسـها حين قال : والقول الأوسـط (يقصد كل الكلم مشـتق أي من بعضه الآخر) تخليط لا يعد قولاً، لأنه لو كان كل منها فرعاً للآخر لدار أو تسلسل وكلاهما محال، لا يقال أصل وفرع بوجهين" مع أنه لا ينكر مبدأ الأصالة والفرعية، إلا أنه يعترض على كون الكلام كله مشتقاً بعضه من بعض.

ويعيب وجهة النظر الصرفية أيضاً في نظر د.تمام حسـان: "أن بعض المواد يتسـع لعدد من الصيغ الاشتقاقية أكثر مما يتسع البعض الآخر أو بعبارة أخرى قد توجد صيغة مسـتعملة في مـادة ومهجورة في مادة أخرى فصيغة، فعل، توجـد من مادة " وقع "ولا توجد من مادة "ودع"[3].

والحقيقـة أن نظرتهم إلى المعنى واهتمامهم به وبالحروف التي تضيف دلالة جيدة هـو الـذي أوقعهم في مأزق الأصالـة والفرعية وما ترتب عليها مـن خلافات ،ولو نظروا إلـى الحروف المشـتركة والجذر الذي يبنـون عليه الكلمات على أسـاس أنها مادة رابطة بيـن الكلمات وليسـت مصدراً أو فعـلاً أو أصلاً أو فرعـاً لها لكان أجـدى وذلك كما فعل المعجميون الذين لا يهتمون بالصيغ والمباني " وإنما يلجؤون إلى وسـيلة أخرى، تتصل بالمتـن لا بالبنية وهذه الوسـيلة هي أصـول المادة يجعلونها رَحِماً تربـط بالقرابة أفراد أسـرة واحدة ويجعلون حروف المـادة (منفصلة) مدخلاً إلى شـرح معاني هذه الكلمات المفردات، ولكنهم لا ينسـبون إلى حروف المادة معنى معيناً"[4] ، والحق أن ابن جني قد اقترب من هذا الصنيع في تقاليب الكلمة أو ما سـماه الاشتقاق الأكبر لولا أن فرض معنى معيناً لهذه التقاليب، مسـبقاً وحاول بكل ما أوتي من براعة وصنعة أن يرد هذه التقاليب إليه، أو يجمعها عليه.

فبما سـبق يرد الدكتور تمام حسان دراسـة الصرفيين للاشتقاق؛ لما يعيبها منهجياً مـن تصميمهم على فكرة الأصل والفرع وما ترتـب عليها من خلاف ويرى أن يعدلوا إلى طريقـة المعجميين حيـث يقول متابعاً " وخلاصة القول كما أراه في نشـوء الدراسـات اللغوية الحديثة أن مسـألة الاشـتقاق تقوم علـى مجرد العلاقة بين الكلمات واشـتراكها فـي شـيء معين خير من أن تقوم علـى افتراض أصل منها وفـرع "[5]، والحل في نظره

(1) المزهر 348/1.
(2) في بحثه: سـبيل الاشـتقاق بين السـماع والقياس، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد الثاني، ص21، طبعة بولاق 1936م.
(3) تمـام حسـان، اللغة العربية، مبناها ومعناها:ص166، وتجـب الملاحظة إلى أنه قد وردت في إحدى القـراءات صيغة فعل: (وما وَدَعك ربك وما قلى) إلى جانب القراءة المشـهورة (وما ودَّعك ربك وما قلى).
(4) المرجع السابق: ص167-168.
(5) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة: ص82.

يقوم على الربط بين الكلمات بأصول المادة ؛ فنجعل هذا الربط بالأصول الثلاثة أصل الاشتقاق وأساس منهجنا في دراسته. وبهذا لا نستطيع أن ننسب إلى هذه الأصول أي معنى معجمي على نحو ما صنع ابن جني، وإنما نجعل لهذه الأصول معنى وظيفياً هو ما تؤديه من دور تلخيص " العلاقة بين المفردات "[1] يعني أنه يرى أن يكون الربط بين المفردات بالحروف التي هي الجذر الأصلي، ويريد استبعاد المعنى عن هذا الربط، فالحروف مفرغة من معناها المعجمي تقيم علاقة شكلية بين الألفاظ .

والفرق واضح بين الاشتقاق في العربية وأخواتها والاشتقاق في غيرها، فهو في اللغات الهندية الأوروبية يتم بطريقة آلية تفتقر إلى الحيوية، والتوليد فيها محدود فقد يضاف إلى الجذر، على أكثر تقدير، لاحقتان أو سابقتان وغالباً لا تجتمع، بينما الجذر في العربية نستطيع أن نشكل منه عدداً كبيراً متنوعاً من المشتقات تكون تحت تصرف الناطق باللغة، يجريها على لسانه بسهولة ،ولذا استحقت العربية صفة الاشتقاقية، وغيرها استحق صفة الإلصاقية لأن اشتقاقها ليس أكثر من ضم أو إلصاق مورفيمات أحدها إلى الآخر.

كثيراً ما نجد من يضع مقابل المصطلح الغربي Etymology كلمة الاشتقاق العربية، وكأن هذا المصطلح يعني ما تعنيه كلمة الاشتقاق أو له الدلالة نفسها، وفي ذلك تجاوز؛ لأن المصطلح يتألف من جزئين Etymon الذي يعني " أصل الكلمة " و Logy بمعنى علم فيصبح معناه " علم أصول الألفاظ ". وهو كما جاء في دائرة المعارف البريطانية " العلم الذي يعني بتاريخ الكلمة وجوهرها المشتمل على أصلها واشتقاقها، وما يمكن دراسته تحت هذا العنوان هو التثبت من أقدم صيغة للكلمة أو لأصلها، وكذلك الصيغ المقابلة والمقاربة لها، ومقارنة كل صوت في الكلمة مع الصوت الذي يماثله في الصيغة التي اشتق منها، والشرح المقبول والمعقول لأي انحراف صوتي للمتماثلات في اللغة، كذلك شرح أي تغيير في المعنى يحدث للكلمة مع الزمن، كذلك بيان الكلمات التي تظهر بأصوات غير أصلية في اللغة يمكن أن تكون مقترضة أكثر من كونها أصيلة موروثة"[2]، فهو يعني جملة أمور أحدها الاشتقاق بمعناه المعروف لدينا ويقابله عندهم كلمة Derivation . وقد تنبه لذلك أحد الباحثين في العربية وقابل مصطلح Etymology الأجنبي بالمصطلح العربي "علم التأثيل أو التأصيل" والتأثيل بهذا المعنى علم أوروبي في الواقع وإن كان العرب قد سبقوا إليه، ,إنما اهتم الأوروبيون بتأثيل لغاتهم لأن أكثر لغاتهم من لغات أخرى فكان طبيعياً أن يبحثوا عن أصول الكلمات الأجنبية الدخيلة ولم يعظم أمر التأثيل عند العرب؛ لأن الكلمات الدخيلة في العربية قليلة نسبياً، لا تكاد تبلغ الثلاثة في المائة من مجموعة الألفاظ العربية "[3]، لم يهتموا بفرز الدخيل من الأصيل كما يصرّح، بقدر ما

(1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ص169.

(2) The New Encyclopaedia Britannica; Helen Hemingway publisher 15th edition, 1973-1974. Volume III p.9840.

(3) عبد الحق فاضل، مغامرات لغوية: ص402.

اهتموا بأصل الكلمات وتتبعها على المستويين الصوتي والدلالي.

إذاً إطلاق هذا المصطلح ليعني الاشتقاق إنما هو من باب التجوز أو على سبيل المجاز الكلي. وهذا التعميم الكلي هو الذي يجلب الخلط وعدم التمييز بين الاشتقاق وعلم أصول الألفاظ.

والاشتقاق ذو أهمية بالغة في اللغات، وبخاصة السامية منها باعتباره من خصائصها، وهو ميزة العربية والطريقة المألوفة فيها في صوغ الكلمات وتوليد الألفاظ للدلالة على المعاني المتنوّعة وتحديدها وتخصيصها وتقويتها لتعبر عن كل جديد. والعربية أكثر لغة سامية استثمرت الإمكانيات التي يتيحها الاشتقاق لملاحقة مظاهر التطور التي عمت جميع نواحي الحياة، وإذا كان المستشرق فردناند وستنفلد Ferdinand Wustenfeld ناشر كتاب الاشتقاق لابن دريد سنة 1854م قد عاب الاشتقاق واعتبره من نقط الضعف في اللغة العربية، بقوله: "إن علم الاشتقاق من نقط الضعف في تاريخ الثقافة العربية لأن الاشتقاق يتطلب الاطلاع على مختلف اللغات المتقاربة حتى تفهم مكانة الكلمة لغوياً وعلاقتها بغيرها"[1] فما ذلك إلاّ لأنه يعامل الاشتقاق في العربية معاملة الايتمولجيا Etymology في اللغات الهندية الأوروبية عن سوء فهم، لأن الاشتقاق Derivation بمفهومه العربي لسنا محتاجين عند التعامل به أو معه إلى الاطلاع على اللغات المقاربة للعربية حين توليد الألفاظ لمسايرة المعاني والأحداث، وعلم أصول الألفاظ Etymology نحتاجه في بيان الأصيل من الدخيل في الألفاظ المستعملة في اللغة العربية.

وقد أدرك أهمية الاشتقاق والحاجة الملحة إليه نفر كبير من علماء العربية فألفوا فيه، يقول السيوطي "أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين منهم الأصمعي وقطرب وأبو الحسن الأخفش وأبو نصر الباهلي والزجاج وابن السراج والرماني والنحاس وابن خالويه"[2].

والاشتقاق على أنواع : أولها وأهمها الاشتقاق الصغير أو الأصغر وهو : " ما في أيدي الناس وكتبهم كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتقراه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه، وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو : سلم، ويسلم، وسالم وسليمان وسلمى، والسلامة والسليم ..... فهذا هو الاشتقاق الصغير ....وقد قدم أبو بكر (يعني ابن السراج) رسالته فيه بما أغنى عن إعادته لأن أبا بكر لم يأل فيه نصحاً، وإحكاماً وصنعة وتأنيساً "[3]، فابن جني يرى في عمل ابن السراج الغناء وكذلك يعتذر عن الكلام فيه ويعفي نفسه من معالجته والخوض فيه وكأن ابن السراج

---

(1) عن كتاب الاشتقاق لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون ص33-34، مؤسسة الخانجي، مصر 1378هـ-1958م.

(2) المزهر: 1/351.

(3) ابن جني، الخصائص: 2/134.

لـم يترك شـيئاً للمسـتزيد فيه، وإني لأعجب مـن ابن جني كيف لم يذكـر عمل الخليل في هذا الاشـتقاق ؟ مع أن المخزومي يقول:" وإذا أرخ للاشـتقاق فينبغي أن يؤرخ بالخليل وأعمالـه اللغوية فهو زعيم هذه المدارس التي عرضت للاشـتقاق بل لم يكن عمل العلماء في الغالب إلا شـرحاً لمجمل أقواله، وتوضيحاً، وتكميلاً لما فاته منها. فالاشتقاق الصغير قد وفي الخليل وتلاميذه وطبقته حقه من البحث والدرس فلم يزد فيه المتأخرون شيئاً[1]، ونسـتبعد عن ابن جني جهله أو غمطه حق الخليل وهو المعروف بسـعة الاطلاع والأمانة العلمية فلا يفوته التنبيه في كل موضع أو قضية يدرسها على أول من كتب فيها وأعطاها حقهـا من الـدرس أو لعل ابن جني قد رأى في عمل ابن السـراج الإحاطة والكفاية بحيث يغني عن ذكر سابقيه، ولكن هذا لا يعفيه من ذكر أول من عالج هذا الأمر.

وهذا الاشـتقاق يسـمى في عرف علم اللغة الحديث الاشـتقاق العـام وهو المقصود غالبـاً في الدراسـات اللغوية، وقد تقدم تعريفه وبيان شـروطه ،وهو الاشـتقاق المطرد قياساً فنحصل بوساطته على الفعل والمصدر واسم الفاعل والصفة المشبهة واسم الزمان واسـم المكان واسم الآلة واسـم الهيئة واسم المرة، وكلها تشتق من المادة بناء على صيغ وأوزان معروفة ولكل منها دلالة في موضعه، فالفعل يدل على الحدث والزمن، والمصدر على الحدث فقط واسـم الفاعل دال على الحدث والفاعل، واسـم المفعول يدل على الحدث ومن وقع عليه الحدث، واسـم الزمان يدل على زمن وقوع الحدث وكذلك اسم المكان يدل على مكان وقوع الحدث، واسم الهيئة على كيفية وقوع الحدث واسم المرة على عدد مرات الحدث، وأما الصفة المشبهة فتدل على ثبوت الحدث والصفة.

وكما قلنا يجب اشـتراك هذه المشـتقات في المادة الأصلية وترتيب حروفها وبينها قدر مشترك من الدلالة، وفي كل مشتق منها زيادة حرف أو أكثر تكسبه زيادة معنى.

ويعيب د. السـيد خليل على هذه المشـتقات أننا : "لا نكاد نظفـر بجديد من الألفاظ يعتمد في وجوده على الاشـتقاق ؛ لأن الصيغ الاشـتقاقية التي تصاغ فيها الألفاظ لا تكاد تختلف على مر الأيام، فصيغ اسم الفاعل والمفعول واسم الزمان والمكان والمصادر وما إليها لم تختلف منذ أن وصلت إلينا نصوص اللغة وقد تركزت فيها هذه الأصول والقوالب الاشتقاقية"[2] ومضمون كلام أستاذنا أن قوالب المشتقات محدودة أو الأوزان التي تصاغ الكلمـات على مثالها ظلت كما هي ولم تزدد وزنـاً أو صيغة عبر الزمن، وفي تصوري أن محدوديـة هذه الأوزان لا تقف حائـلاً دون الوفاء بحق المعاني مـن التنويع والاختلاف،

(1) المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ص92.

(2) دراسات في القرآن الكريم، ص57.

فهي قد تكون محدودة من الناحية الكمية ولكنها ذات دلالات لا نهائية من الناحية الكيفية بحيث تترك للناطقين بها حرية التعبير بما تحمله من طاقات معنوية لا حد لها، وألا يدل تعدد معاني هذه الصيغ والأبنية على نوع من الحيوية والتجديد يغفر لها هذا الجمود الظاهري، إذ أننا نجد أن الصيغة الواحدة أحياناً تدل على معاني محددة، "فعيل" تدل على الصفة الثابتة (كريم، شريف، خبير) وفي الوقت نفسه تدل على الصوت، صهيل وعويل وزئير"[1]. وقد تستعمل هذه الصيغة نفسها للدلالة على معنى غير ثابت لمن يصدر عنه الفعل إذا كانت بمعنى اسم فاعل نحو قولنا: رقيب بمعنى مراقب، وخصيم بمعنى مُخاصِم وأليم بمعنى مؤلم. وقد تدل على المبالغة في مثل: قدير، حفيظ، وقد تدل على من وقع عليه الفعل أي في صيغة اسم المفعول نحو: جريح، وأسير، وطريح، وقتيل بمعنى مجروح، ومأسور، ومطروح ومقتول. وقد يستعمل صيغة اسم الفاعل نفسه صفة مشبَّهة، أي للدلالة على ثبوت الصفة نحو: حامض، فارس، ماهر، وفي مثل قولنا: جاحظ العينين أو غائرهما أو طاهر القلب، أو ناعم العيش.

والنوع الثاني من الاشتقاق ما سماه ابن جني "الاشتقاق الأكبر" الذي نجده عند بعض الباحثين باسم الكبير. ومهما كانت التسمية فالمقصود به كما قال ابن جني: "أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رد بلطف الصنعة والتأويل إليه"[2] ويضرب الأمثلة لذلك بتقاليب (ق و ل) التي يمكن أن تجتمع على معنى وهو السرعة وقوة الحركة والخفة. " ومن ذلك تقليب (ج ب ر) فهي إن وقعت للقوة والشدة منها (جبرت العظم، والفقير) إذا قويتهما وشددت منهما، والجبر الملك لقوته وتقويته لغيره، ورجل مجرّب إذا جربته الأمور واشتدت شكيمته، والأبجر القوي السّرة والبرج لقوته في نفسه وقوة ما يليه به، ومنها رجبت الرجل إذا عظَّمته وقوَّيت أمره"[3]، ويأتي بأمثلة عديدة في الخصائص.

ويعترف ابن جني أن هذا النوع ليس من اختراعه أو اكتشافه فهو قد أخذ طريقته عن أستاذه أبي على الفارسي، وليس لابن جني إلاّ إطلاق التسمية عليه فهو يقول: "هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا، غير أن أبا علي - رحمه الله - كان يستعين به ويخلد إليه، مع إعواز الاشتقاق الأصغر، لكنه مع هذا لم يسمِّه، وإنما كان يعتاده عند الضرورة،

(1) حلمي خليل: المولد ص98.

(2) الخصائص: 2/134.

(3) المرجع السابق: 2/135، وانظر المنصف: 1/39.

ويستروح إليه ويتعلل به وإنما هذا التقليب لنا نحن "[1] إذاً لم يدَّع لنفسه ابتداع هذا النوع من الاشــتقاق وإنما له فضل تسـميته. ولكن هذا لا يمنعنا من القول بأن الرجل قد أغرم به وتبنــاه حتى أصبح يقرن باسـمه حتى عده بعض الباحثين من ابتداعه كالسـيوطي الذي يقـول " وأما الأكبر فيحفظ فيه المادة دون الهيئة ...وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح ابن جني، وكان شيخه أبو علي الفارسي يأنس به يسيراً وليس معتمداً في اللغة "[2] وقد تابعه في هذا الرأي آدم متز ونسـب ابتداع هذا الاشـتقاق لابن جني في قوله : " وكذلك ظهرت في القرن الرابع دراسـة جديدة للاشـتقاق اللغوي وبقيت عصراً طويلاً، وكان أستاذ هذه المدرسة ابن جني الموصلي، وهو الذي ينسب إليه ابتداع مبحث جديد في علم اللغة، وهو المسـمى الاشـتقاق الأكبر، وهو البحث الذي لا يزال يؤتي ثمره إلى اليوم، والذي يختص بمادة دون هيئتها ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم من هذا "[3].

وما ولع ابن جني بهذا النوع من الاشـتقاق وتمسـكه به إلاّ لأنه، في ظني، يستخدمه في إثبات نظرية أخرى بذر بذورها الخليل بن أحمد وتبناها ابن جني ألا وهي العلاقة بين الصوت والمدلول. وقد صرَّح بهذه الصلة بين الاشتقاق الأكبر وهذه العلاقة عند ابن جني الدكتـور عبده الراجحي، حين قـال : " ومما هو متصل بالدراسـة المعجمية ما عرض له ابن جني تحت ما أسـماه " الاشـتقاق الأكبر " فقد كان أبو الفتح يعتقد أن اللغة بأصواتها التي تمثلها الأبجدية إنما تقدم احتمالات لا نهاية لها من الألفاظ التي ترمز إلى معان، ومن ثـم أكد أن تقلبات اللفظ الواحد تـؤدي إلى معانٍ متقاربة، اعتماداً على ما قرره من وجود علاقة بين اللفظ ومدلوله "[4].

إذاً، رد التقاليب المختلفة إلى معنى واحد جامع بينها كان إحدى الوسائل التي يعتمد عليها ابـن جني في تثبيت أركان نظرية العلاقة الطبيعية بين الصوت والمدلول. وبالرغم مـن أن هذا الاشـتقاق غيـر معتمد في اللغة كما سـبق فـي تصريح السـيوطي أو هو : " صنعة اشتهر بها أبو الفتح في تحليله لبعض الظواهر اللغوية على حد قول الدكتور عبده الراجحي[5] أي إنه استطاع أن يوجهها ويسخرها لخدمة أفكاره أو بالأحرى ما آمن به من أفكار.

ولا نشـك في أنّ عمـل الخليل في " العين " لحصر المهمل والمسـتعمل في مفردات اللغة هو الذي زرع فكرة التقاليب ؛ فلو فتحنا المعجم على مادة (ع ق ر) مثلاً لوجدنا أنه

---

(1) المرجع السابق: 2/133.
(2) المزهر: 1/347.
(3) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع: 10/437.
(4) عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية: ص164.
(5) المرجع السابق: ص166.

قد أشـار إلى أن تقاليبها السـتة مستعملة وبين معنى كل تقليب على حده دون أن يربطها بمعنـى جامـع فالعقـر (ع ق ر) العقم، والعـرق (ع ر ق) مـاء الجلـد يجـري من أصول الشـعر، وقعر (ق ع ر) كـل شـيء أقصـاه ومبلـغ أسـفله، والقرع (ق ر ع) ذهاب شـعر الرأس عن داء، (ر ع ق) صوت يسـمع من الدابة، والرقع (ر ق ع) للثوب والرقيع الأحمق "[1]، كل هذه التقاليب مسـتعملة، وقد ذكر لكل تقليب أكثر من معنى ومع ذلك لم يشـر لا مـن قريب أو بعيد إلى ما يمكـن أن يكون بين هذه المعاني من نسـب وتقارب أو لـم يذكر المعنى العام الجامع لها كصنيع ابـن جني بعد ذلك ،وتمت هذه البذرة على يديه بمحاولتـه أن يثبـت، بكل ما أوتي من قـوة فكر ونظر عقلي، أن هناك معنـى عاماً جامعاً يربط بين تقاليب كل مادة.

ولا بد لنا أن نقر أن في هذا المسـلك مـن ابن جني الكثير من التكلف دون طائل، لأن هـذا النوع من الاشـتقاق وما يتبعه مـن تأويل لا يؤدي إلى نمو في مفـردات اللغة علاوة على أنه غير مطرد؛ إذ ليست كل مادة تقاليبها مستعملة، وليس كل المستعمل يمكن ربطه بمعنى عام جامع. ويعترف ابن جني نفسـه بعدم اطراده في قوله: "وأعلم أنا لا ندعي أن هذا (يقصد الاشـتقاق الأكبر) مسـتمر في جميع اللغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة"[2]، ولا يقلل ذلك من تمسكه وإعجابه به ويقارنه بالاشتقاق الأصغر حيث يقول متابعاً: "بل لو صح من هذا النحو وهذه الصنعة المادة الواحدة تتقلب على ضروب التقليب كان غريباً معجباً، فكيف به وهو يكاد يسـاوي الاشـتقاق الأصغر ويجاريه إلـى المـدى الأبعد"[3]، وهـذه مبالغة؛ لأن هذا الاشـتقاق لا يصل في انتشـاره وفائدته إلى الاشتقاق الأصغر ذي الفوائد العملية للغة.

ولـم تقف محاولة ابن جني عند حد إيجـاد المعنى الجامع لتقاليب المادة الثلاثية بل رأى أن هـذا المعنـى الجامع يمكن أن يتوافر لأي كلمتين تشـتركان في حرفين مهما كان الحرف الثالث مختلفاً وذلك في قوله : " تجد الثلاثي على أصلين متقاربين والمعنى واحد فهمـا يتداخـلان، ويوهم كل واحد منهما كثيـراً من الناس أنه من أصـل صاحبه وهو في الحقيقـة من أصل غيره وذلـك كقولهم : رِخْو ورِخْوَد فهما - كما ترى - شـديدا التداخل لفظـاً وكذلك همـا معنى ". وإنما تركيب رخو مـن (ر خ و) وتركيب رخود من (ر خ د) متفقتـان لكن لاماهما مختلفـان ..... أفلا ترى إلى ازدحام اللفظين مـع تماس المعنيين، وذلـك أن الرخو الضعيف والرخـود المتثنى والتثني عائد إلى معنـى الضعف " والأمثلة عنده كثيرة لمثل هذا الضرب، ومن ذلك " قولهم : رجل ضيّاط وضيطار فقد ترى تشـابه الحـروف والمعنى واحـد وإنما ضيّاط من تركيـب (ض ي ط)، وضيطار من تركيب (ض ط ر) "[4] "ومن ذلك قولهم: عدد طيْس وطيْسـل فالياء في طيس أصل وتركيبه من

(1) الخليل بن أحمد، العين: مادة (ع ر ق).
(2) الخصائص: 2/138، 139.
(3) السابق نفسه.
(4) الخصائص: 2/44-45، 48.

(ط ي س) وهي في طيسل زائدة وهو من تركيب (ط س ل) ". وهكذا نجد أن كل كلمة مما سبق تتفق مع أخرى في حرفين وتختلف معها في الحرف الثالث، ومع ذلك يلتقيان على معنى جامع، فرخو ورخود أدى اتفاقهما في الراء والخاء إلى التقائهما على معنى الضعف دون تأثير من الحرف الثالث. وكذلك نجد أن طيساً وطيسلاً قد اجتمعتا على معنى واحد وهو الكثرة نتيجة لاتفاقهما في الطاء والسين ولا تأثير لاختلافهما في الحرف الثالث.

وهذا الصنيع من ابن جني شجع المحدثين على البحث عن فكرة المعنى الجامع في الكلمات المتفقة في الحرفين الأولين، أي يمكن أن نتحقق من المعنى الجامع بين الكلمات بمجرد الاشتراك أو الاتفاق في الفاء والعين فيما بينها مهما اختلف الحرف الثالث معتمدين على صنيع ابن جني السابق، وعلى صنيعه في الاشتقاق الأكبر الذي يجعل للتقاليب معنى عاماً جامعاً .

فالمحدثون أخذوا فكرة المعنى الجامع من تقاليب الاشتقاق الأكبر، وفي رأينا أن الاتفاق في الفاء والعين تطوير لفكرة التداخل الحاصلة من تقارب الأصلين والمعنى واحد كما مر في رخو ورخود عند ابن جني، قال الأستاذ سعيد الأفغاني: "ومن المحدثين من حذا حذو ابن جني (يقصد في الاشتقاق الأكبر) فاستقرى بعض الكلم التي تشترك في الحرفين الأولين فوجد فيها كلها معنى مشتركاً "[1] . والمثل على ذلك ما أورده الشيخ حمروش بعد قوله: "كل كلمتين اتفقتا في الفاء والعين كان بين معنييهما اتصال"[2]، ممثلاً لذلك بالهمزة والباء وأن هناك معنى جامعاً لهما وهو النفور والبعد والانفصال مهما ثلّثهما " الهمزة والباء مدلولهما النفور والبعد والانفصال بين الشيئين:

أبَّ للسير : تهيأ له.

أبتَ اليوم : اشتد حره فقطع الناس عن أعمالهم.

ابد الوحش : نفر.

أبر النخل : قطع شيئاً منه.

أبز الظبي : وثب وانطلق.

أبق العبد : نفر عن مولاه ،وأبل : توحش.

أبه عن الشيء : تنزه عنه.

وأبى عن الضيم : فر عنه "[3].

---

(1) الأفغاني، في أصول النحو: ص106.

(2) إبراهيم حمروش: من بحث له بعنوان "في الاشتقاق الكبير" مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة 1936م: -2 ص245.

(3) المصدر السابق: ص246.

وكمـا أن فكرتي تقاليب الاشـتقاق الأكبر والتداخل بين الأصـول غير مطردتين ولا جـدوى عمليـة لهما، كذلك فإن صنيع المحدثين غير مطرد أيضـاً ؛ لأنه لو اطرد لكان فيه الحل والتأييد لنظرية من قالوا بالأصل الثنائي للكلمات العربية.

ومما له اتصال بالاشـتقاق بوجه عـام والأكبر بوجه خاص ما ذكره ابن حني من أنه قد تشـترك مادتان بالحروف نفسها، ولكن كلا منهما بترتيب مختلف عن الأخرى كجذب وجبـذ؛ فيظن أن أحدهما أصل والأخرى فرع مقلوب عن ذلك الأصل. وعن طريق توظيف الاشـتقاق يقـدم لنا ابن جني رأياً آخر وهو أنه إذا اسـتطعنا أن نشـتق مـن كل منهما ما نحتاجه من صيغ كالمضارع واسـم الفاعل واسـم المفعول ...الخ حينهـا نعتبر كل مادة أصلاً وليست إحداهما متفرعة من الأخرى حيث يقول : " جذب وجبذ ليس أحدهما مقلوباً عن صاحبه وذلك أنهما جميعاً يتصرفان تصرفاً واحداً نحو جذب يجذب جذباً فهو جاذب والمفعول مجذوب، وجبذ يجبذ جبذاً فهو جابذ والمفعول مجبوذ فإن جعلت أحدهما أصلاً لصاحبه فسـد ذلك "[1] وإذا كانت إحدى المادتين أقل تصرفاً من الأخرى، أي لا نسـتطيع أن نصوغ منها مشـتقات بقدر ما نصوغ من الأخرى نعتبرها مقلوبة عن الأوسـع تصرفاً وذلك في قوله : " فإن قصر أحدهما عن تصرف صاحبهما ولم يسـاوه فيه كان أوسعهما تصرفـا أصلاً وذلك كقولهم أنى الشـيء يأنَى وآن يئين فإنـه مقلوب عن أنى والدليل على ذلك وجود مصدر أنى وهو الأني ولا تجد لآنَ مصدراً كذا قال الأصمعي "[2] فإنه يستعين بالاشتقاق الأصغر لمعرفة الأصل أو المادة الأصلية التي تتفرع عنها التقاليب الأخرى في الاشتقاق الأكبر ؛ أي يمكن أن تكون مادة (ج ذ ب) مقلوبة عن مادة (ج ب ذ) أو العكس، أو يكون كل منهما أصلاً له تقاليبه الخاصة ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا بتوظيف الاشتقاق الأصغر بالطريقة التي بيَّنها.

ومما له في رأينا صلة بفكرة المعنى العام الجامع التي عالجها ابن جني في الاشتقاق الأكبر ما أورده ابن جني في الخصائص تحت باب " تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمبانـي " فهو يجـرد من الألفاظ المختلفة فـي مبانيها معاني متقاربـه تقارباً يجعلها مرتبطـة بمعنى عـام جامع لها تماماً كحصره لمعنى كل تقليب من تقاليب المادة الواحدة وبحثـه بعـد ذلك عـن المعنى العام الـذي يجمع هـذه التقاليب ولا فرق بينهما سـوى أن تقاليب الاشتقاق الأكبر؛ متقاربة في المبنى فتتفق في المعنى الجامع، بينما في باب تلاقي المعانـي على اختلاف الأصول والمباني ..... كمـا هو واضح أن المباني مختلفة ومع ذلك فالمعاني متفقة يربطها معنى عام واحد. ويبدو لي أن الفرق بينهما إجرائي لأنهما يؤديان إلى نتيجة واحدة، ففي الاشـتقاق الألفاظ تدلنا على المعنى الجامع أي عن طريق الألفاظ

(1) الخصائص: 2/69-70.

(2) المرجع السابق: 2/113.

نصل إلى المعنى، بينما في هذا الباب نبدأ من المعنى ونصل إلى اللفظ المؤدي إليه، يقول ابن جني في هذا الباب : " وكان أبو علي- رحمه الله - يستحسن هذا الوضع جداً ونبَّه عليه وييسر بما يحضره خاطره منه، وهذا باب إنما يجمع بين بعضه وبعض من طريق المعاني مجردة من الألفاظ، وليس كالاشتقاق الذي هو من لفظ واحد، فكأن بعضه منبهة على بعض، وهذا إنما يعتنق فيه الفكر المعاني غير منبهته عليها الألفاظ فهو أشرف الصنعتين وأعلى المأخذين "[1] ويضرب المثل على ذلك بما يلي [2] :" كقولهم خُلُق الإنسان من خلّقت الشيء إذا ملّسته ومعناه ما قدر ورتب له، والخليقة فعيلة منه". الطبيعة : أي طبعت الشيء أي قدرته على أمر ثبت عليه، النحيتة : فعيله من نحت الشيء أي ملسته وقررته على ما أردته منه. الغريزة : فعيلة من غرزت كما قيل لها طبيعة لأن طبع الدرهم وتغريزه بالآلة التي تثبت عليه الصورة وذلك استكراه له وغمز عليه كالطبع. النقيبة : من نقبت الشيء وهو نحو من الغريزة، الضريبة : وذلك أن الطبع لا بد معه من الضرب لتثبت له الصورة المرادة، النحيزة : فعيلة من نحزت الشيء إذا دققته، السجية : فعيلة من سجا يسجو إذا سكن، الطريقة : من طرّقت الشيء أي وطأته وذللته، السجيحة : فعيلة من سجح خلقه وإن الطبيعة قد قرت واطمأنت فسجحت وتذللت، السليقة : وهي من قولهم فلان يقرأ بالسليقة أي بالطبيعة، وكلها التمرين على الشيء وتليين القوى ليصحب وينجذب أنها تؤذن بالأُلف والملاينة والإصحاب والمتابعة " وإذا كنا نستطيع أن نعتبر أو نستعمل هذه الألفاظ مترادفات فإن ابنَ جني لم يقصد إلاّ إثبات المعنى الجامع لها، ودليلنا على ذلك ما أورده في المحتسب حيث قال :" التوراة من لفظ ورى (وَوْرَيَة، تورية، توراة)، والإنجيل من لفظ (ن ج ل)، والفرقان من (ف ر ق) والتوارة فَوْعلة، والإنجيل إفعيل، والفرقان فُعْلان، فالأصول مختلفة والمباني كذلك، والمعاني واحدة ومعتنقة وكلها للإظهار والإبراز والفرق بين الأشياء"[3]، واضح أنه لا ترادف بين التوراة والإنجيل والفرقان وإن اجتمعت كلها على معنى واحد عام. إذاً فهي صفة اشتهر بها أبو الفتح يتأول ويتلطف للألفاظ حتى يجمعها على معنى واحد عام أو يربط بين المعاني ويفيد ما يدل عليها.

والنوع الثالث من الاشتقاق هو " الكبير " ومنهم من يسميه أيضاً الاشتقاق الأكبر، فمن سمّى النوع السابق الأكبر سمى هذا النوع الكبير، ومن أطلق لفظ الكبير على السابق، أطلق على ما نحن بصدده الأكبر. وهذا الاشتقاق أقرب إلى الإبدال ويعرِّفه الأستاذ عبد الله أمين بقوله : " هو انتزاع كلمة من كلمة بتغيير في بعض أحرفهما مع تشابه بينهما في المعنى، واتفاق في الأحرف الثابتة : وفي مخارج الأحرف المغيرة أو صفاتها فيهما معاً[4]" مثل عنوان الكتاب وعلوانه، ونهق ونعق.

(1) السابق: 2/113.
(2) السابق: 2/113-117.
(3) المحتسب: 1/153.
(4) بحث في علم الاشتقاق، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الأول القاهرة ص382.

ومن علماء اللغات من يتسامح ولا يشترط اتفاق الحرفين اللذين يتناولهما الإبدال في المخرج، يقول الأستاذ عبد القادر المغربي : " لكن علماء الاشتقاق إن وقفوا في متناولات " الاشتقاق الأكبر " ومفهومه عند هذا الحد أي حد تناسب اللفظين في المخرج، فإن علماء اللغة أو المدققين منهم لم يقفوا عنده بل توسعوا في تعريف الإبدال ومفهومه إلى أبعد من هذا، وجعلوه بحيث يتناول إبدال حرف من حرف آخر مطلقاً وافقه في المخرج ...أو لم يوافقه بشرط حصول التناسب المعنوي بين اللفظين فمن الإبدال أو الإبدال الاشتقاقي ...قولهم سمعت صرير البكرة وصرير الباب والقلم ولا تناسب بين الفاء والراء "[1]، وهكذا يشترط الاشتقاقيون اتفاق المعنى وتشابه الحرفين في المخرج، ويتساهل علماء اللغة ويرون أن هذا الاشتقاق لا يعدو كونه إبدالاً فيعاملونه معاملة الإبدال " الذي هو إقامة حرف مكان حرف آخر قد يقاربه مخرجاً وربما لا يقاربه أو يكون بقلب الحرف نفسه لفظاً آخر على معنى إحالته عليه، والإبدال قد يتسع في جميع حروف الهجاء بلا شاذ "[2]. ويؤيد هذا الاتجاه الأستاذ سعيد الأفغاني حيث يقول : " تتبعات اللغويين هدت إلى عدم لزوم هذا القيد (تناسب المخارج) "[3]، ويضرب الأمثلة المؤيدة لذلك : كالخرْق والخرْب (كل ثقب مستدير) كد وكدح، ورسا ورسب، تمطط، تمطى، وضر، وضار وبذلك يتغاضون عن التشابه في المخرج بين الحرفين المبدلين.

وقد أورد ابن جني أمثلة كثيرة لهذا النوع من الاشتقاق حيث يقول : " ومن الحرفين المتقاربين يستعمل أحدهما مكان صاحبه : سكر طبرزل وطبرزن وهما متساويان في الاستعمال، ومن ذلك قولهم هتلت السماء وهتنت، ألا تراهما متساويين في التصرف، سحائب هُتّن وهُتّل، ومن ذلك ما حكاه الأصمعي من قولهم: دَهْمَج البعير .... ودهنج ... إذا قارب الخطو وأسرع، ونحو من ذلك في البدل قولهم: فُسطاط وفستاط، وفسّاط "[4]، ومنه ما عده من قبيل " التداخل أو التزاحم كقولهم: ضبغطى وضبغطر "[5] وهكذا نرى بين اللام والنون في طبرزل تقارباً في المخرج، ولكنه لم يتقيد به في ضبغطى وضبغطر وفسطاط وفسَّاط، وهو ما يؤيد تسامح اللغويين في قيد تناسب المخرج.

وقد نبه ابن جني على نوع من الاشتقاق وصفه بأنه غير قوي وشاذ في قوله: "لا تنظر إلى تَمَسْكَن وتَمَدْرَع فتقول أحمل تَمَعْدَد على أنه " تمفعل " بمنزلة تمدرع ...لأن تمدرع قليلة، والجيدة " تدرّع وتسكن " فأما قول العامة تَمَخْرق : فينبغي أن يكون لا أصل له وان كان قد جاء عن العرب فهو بمنزلة تمسكن في الشذوذ، والجيدة متخرّق لأنهم يقولون " تمخرق فلان بالمعروف " ولم تسمعهم يقولون مخرق وإنما هو من الخَرْق وهو الكريم من الرجال، إلا أن بعض أصحابنا قد حكى مَخْرق وليس بالقوي "[6] إذاً فهو

(1) الاشتقاق والتعريب: ص12.
(2) الأب أنستاس الكرملي، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، ص18.
(3) الأفغاني، في أصول النحو: ص105.
(4) الخصائص: 2/ص ص 83/87، والطبرزل السكر الأبيض الصلب.
(5) المرجع السابق: 55/2 وهي كلمة يفزّع بها الصبيان.
(6) ابن جني، المنصف: 130/1.

لا يستبعده لأنه قد سمعه عن العرب ولأن بعض أصحابه من اللغويين قد حكاه ولكنه يرى أنه لا أصل له وليس قوياً .ومع ذلك نجده في الخصائص يجعل لهذا النوع من الاشتقاق وظيفة دلالية حيث يقول : " قالوا تَعَفرت الرجل إذا صار عفريتاً، فهذا تَفعْلت وعليه جاء تمسكن وتَمَدْرَع وتمنطق وتمندل وتمخرق وكان يسمى محمداً ثم تمسلم أي صار يسمى مسلماً، فتحملوا ما فيه تبقية الزائد مع الأصل في حال الاشتقاق كل ذلك توفية للمعنى، وحراسة له، ودلالة عليه، ألا تراهم إذا قالوا : تدرّع، وتسكن وان كانت أقوى اللغتين عند أصحابنا فقد عرّضوا أنفسهم لئلا يعرف غرضهم أمن الدرع والسكون أم من المدرعة والمسكنة؟"[1] إذاً هذا الاشتقاق الذي قال عنه ليس قوياً إنما يعطي المعنى دقة ودلالة ووضوحاً أكثر من الاشتقاق الأصلي، فتدرع وتسكن قد يلتبس اشتقاقهما : أهما من الدرع والسكون أم من المدرعة والمسكنة فيختلط المعنى ويبقى مبهماً غير واضح وأما تمدرع وتمسكن وإن كان في اشتقاقهما شذوذ أو خروج عن الأصل إلا أنهما في دلالتهما أقوى وأوضح.

وقد سمى الأستاذ محمد المبارك هذا الاشتقاق بالاشتقاق المركب فكأن ما سبقه اشتقاق بسيط وهو الاشتقاق من المشتق كقولك: تمسكن وتمذهب وتمنطق وهي مشتقة من مسكين ومذهب ومنطق وهذه مشتقة من سكن وذهب ونطق ونرى أن نسمي هذا النوع الاشتقاق المركب"[2].

والاشتقاق يكون مطرداً وقياسياً عند بعض الباحثين إذا كان من أسماء المعاني المصدرية. وأما الاشتقاق من الجواهر والأعيان وغيرهما كقولنا : استأسد واستنوْق فهو عند هؤلاء من النادر الذي يقتصر فيه على المسموع عن العرب، ولكن المحققين من علماء اللغة والاشتقاق يجيزون الاشتقاق قياساً وباطراد مما يلي مستندين إلى ما ورد عن العرب :

1- الاشتقاق من أسماء العدد : فقد ورد، في لسان العرب .... مادة (و ح د) يقال وحّده وأحّده، كما يقال ثناه وثلثه، وأما في المخصص، فقد ورد وَحد ووَحد ووَحاد ووحده ووَحْداً ،وتوحّد بقي وحده يطرد إلى العشيرة وأيضاً ثنيته تثنية أي جعلته اثنَين، ويقال: كانوا ثلاثة فربّعتهم أي صرت رابعهم، وكانوا أربعة فخمّستهم أي صرت خامسهم.
2- الاشتقاق من أسماء الزمان : فقد ورد عن العرب أنهم اشتقوا أفعالاً منها ففي اللسان: أخرف القوم أي دخلوا في الخريف، وشتوت بموضع كذا وتشتيت أقمت به في الشتاء، وأربع القوم دخلوا في الربيع، وأصاف القوم دخلوا في الصيف هذا عدا عن أصبح القوم وأضحوا وأمسوا وأظهروا.
3- الاشتقاق من أسماء الأمكنة : فقد جاء في المحتسب : قولهم أفضيت صرت إلى الفضاء كقولهم : أعرق الرجل إذا صار إلى العراق، وأعمن الرجل : إذا صار إلى عُمان، وأنجد: أتى نجداً[3].

(1) محمد المبارك، فقه اللغة وخصائص العربية: ص149.
(2) المرجع السابق، ص149.
(3) ابن جني: 1/316.

4- الاشتقاق من أعضاء الجسم : طبعاً هي أسماء ذوات، في اللسان : أَذَنَه أَذْنا فهو مأذون : أصاب أذنه، وأذّنه أي ضرب أذنه، ويقال كذلك : يَدَيْتُه أي ضربت يده، ومعين ومعيون أي أصابته العين. ولا يفوتنا قولهم رأس القوم أي صار رئيساً لهم، ومنه تأبطه أي وضعه تحت إبطه، ومنه ترجّل مشى على رجليه ولم يكن راكباً.

والاشتقاق من أسماء الذوات من غير أعضاء الجسم : استأسد من الأسد، وتنمر من النمر، واستنوق من الناقة.

5- الاشتقاق من الأسماء الأعجمية : فقد ورد عن ابن جني أنه قال : " حكى أبو علي عن ابن الأعرابي أظنه قال :يقال دَرْهَمَتْ الخبازي أي صارت كالدراهم فاشتق من الدرهم وهو اسم أعجمي ،وحكى أبو زيد : رجل مُدَرْهَم أي كثير الدراهم "[1].

6- الاشتقاق من أسماء الأصوات : فقد أورد ابن جني: وقد كثر اشتقاق الأفعال من الأصوات الجارية مجرى الحروف نحو: هاهيت، وحاحيت، وعاعيت، وجأجأت، وسأسأت، وشأشأت وهذا كثير في الزجر، فاشتقوا من حاءٍ، وعاءٍ، وهاءٍ، وهن أصوات[2].

7 - كذلك اشتقت العرب الأفعال من الحروف: نحو قولهم: "سألتك حاجة فلوليت لي أي قلت لي: لولا....وسألتك حاجة فلاليت لي أي قلت لي: لا. واشتقوا المصدر وهو اسم من الحروف فقالوا اللالاة، واللولاة، وكذلك قالوا سوَّفت الرجل أي قلت له:سوف "[3]، وكذلك ورد عن أبي الفتح " " موّيته إذا كتبت ما، ولوّيت إذا كتبت لا، وكوفت كافاً حسنة، ودَّولت دالاً جيدة، وزويت زاياً قوية"[4]، وهكذا اشتقت الأفعال من الحروف. وكذلك " هلممت إذا قلت هلم "[5]، وهكذا اشتُق من الحروف أفعالٌ مع أن الحروف لا أصل لها وغير مشتقة.

وهكذا تثبت النقول عن أئمة اللغة وكتب التراث جواز الاشتقاق من غير أسماء المعاني، مما يدل على مرونة اللغة وقدرتها على الوفاء بحاجتنا، وهذا تصرف من العرب في لغتهم فيجوز لنا أن نحذو حذوهم وننسج على منوالهم.

---

(1) الخصائص: 1/358.

(2) المرجع السابق: 3/40، والمحتسب: 2/394، وهاهيت: زجرت الأبل قائلاً ها ها، وحاحيت: زجر، وعاعيت: عاعى بالغنم زجرها، وجأجأت: زجر الأبل بالقول جؤجؤ، وجأجأت بالكبش زجرته، شأشأ وسأسأ في زجر الحمار.

(3) الخصائص: 3/34.

(4) السابق: 1/275.

(5) السابق: 1/278.



أسئلة التقويم الذاتي (3)

1. عرّف الاشتقاق. وبيّن حدوده.
2. مـا أنواع الاشـتقاق؟ وما النوع الـذي يهمنا من الناحية العملية؟ واذكر المشـتقات بوسـاطته؟ وما دلالة كل مشـتق منهـا؟ وهل أجاز العلماء الاشـتقاق من الجواهر والأعيان؟



تدريب (3)

1. اسـتناداً إلى قانون الاشـتقاق العام في العربية، اذكر المشتقات المتاحة من الجذور التالية: ق ت ل، ب ع ث ر.
2. وهل يمكن أن تصدق نظرية الاشتقاق الأكبر في تقاليب الجذر الأول أي (ق ت ل)؟
3. اذكر ما تستطيع اشتقاقه من الجوامد التالية: رَجُل، رِجْل، حَجَر.

2.3 النَّحتُ

هو في اللغة "النشـر والقشر، يقال نحت النجار الخشب ونحت الجبل قطعه"[1] وقد أخذه اللغويون وأطلقـوه على العملية اللغوية التي يتم فيها تركيب كلمة بانتزاع حروفها مـن كلمتين فأكثر لتدل على معنى ما انتزعت منه، وذلك لشـبه هذا النزع بنحت الخشـب وقطع الحجارة. وهو ضرب من الاشتقاق له أكثر من جذر حتى أن بعضهم يسميه الاشتقاق الكُـبَّار، ولكنه ليس اشـتقاقاً تصريفياً، بمعنى أن أقيسـة التصريف لا تجيز اشتقاق كلمة من كلمتين فأكثر. إذاً ليس له ضابط ولا قاعدة نحتكم إليها وأول من ذكره بهذا المعنى هو الخليل بن أحمد حيث جاء في العين بعد أن أورد أمثلة عليه: "أخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلاً"[2].

وقد اختلف اللغويون في قياسيته، فابن فارس يرى أنه قياسي حتى يرى أن الرباعي والخماسي في اللغة منحوتان حيث يقول: "اعلم أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس، يستنبطه النظر الدقيق وذلك أن أكثر ما تراه منحوت والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهـم حيعـل الرجل إذا قال حـيَّ على ...فعلى هـذا الأصل بنينا ما ذكرنـاه من مقاييس الرباعي"[3] ويكرر الرأي نفسه في الصاحبي في "فقه اللغة" حيث يقول:

(1) اللسان مادة "نحت".
(2) العين: باب العين مع الحاء، 1/67-68.
(3) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون: 1/328.

"ومذهبنا في أن الأشـياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد ضِبَطْر من ضبط وضبر والصِلْدَم من الصلد والصدم "[1]. وكذلك ابن مالك يجيز قياسـيته لأنـه حـاول أن يضـع له قـاعدة للقيـاس عليها وذلك بناء على ما أورده السـيوطي: " قـال ابن مالك في التسـهيل : قد ينبني من جزأي المركـب فعلل بفاء كل منهمـا وعينـه، فإن اعتلت عين الثاني كمل البناء بلامه أو بـلام الأول "[2]. ولكن أبا حيان في شـرح التسـهيل يخالف ابن مالك قائلاً " وهذا الحكم لا يطرد وإنما يقال منه ما قالته العرب"[3] فهو يقف عند السـماع أو بالأحرى عند المسـموع عن العرب ولا يجيز القياس عليه، ويؤيده في ذلك الشُمُنّي[4].

وهكذا يظل بين أخذ ورد وقياس وسـماع بين اللغويين والنحاة تحت ضغط الحاجة ومسـايرة للتطور الحضاري ومجاراة للعصر ومكتشـفاته وأسـوة بلغات أخرى " تجدد البحـث أخيـراً حول إباحتـه أو منعه، فـرأى رجال الطـب والصيدلة والعلـوم الكيماوية والحيوانيـة والنباتيـة فـي إباحته وسـيلة من خير الوسـائل التي تسـاعدهم عند ترجمة المصطلحـات الأجنبية إلى اللغة العربية تلك المصطلحات التـي يغلب عليها عند الفرنجة التركيب من كلمتين متمازجتين مختصرتين أو أكثر على طريقة تشبه النحت العربي، فلو ترجمـت الكلمتـان أو الكلمات ترجمة حرفية بغير اختصار لنشـأ من ذلك اصطلاح عربي طويـل مركـب من كلمتين ثقيلتيـن أو أكثر. أما إذا تناولها بالترجمـة أولاً ثم بالنحت على الطريقة العربية فإننا نصل إلى اصطلاح عربي خفيف"[5] فالأسـتاذ عباس حسن يرى أن المنهج السـليم في تعريب المصطلحات ليس فـي الاعتماد على ترجمتها حرفياً وإدماجها فـي اللغة؛ وذلك لثقلها، وإنما نترجمها ثم ننحت مـن الكلمات المترجمة مصطلحاً مقبولاً خفيفاً على السـمع وعلى اللسان. ويبدو أن الأستاذ عباس حسن يرد في اقتراحه هذا على مـا أدلى بـه الأمير مصطفى الشـهابي في مجمع اللغـة العربية تعليقاً علـى البحث الذي ألقاه د. رمسـيس جرجس عن النحت إذ يقول الشـهابي : " رأيي أنه لا سـبيل إلى أيجاد قواعد عامة للنحت يمكن تطبيقها في كل الحالات، وعندي أن كلمتين عربيتين نقرهما في مقابلـة المصطلح الإفرنجي أفضل من أن نوردهما فـي كلمة واحدة منحوتة مبهمة فمثلاً المصطلـح مسـتقيمات الأجنحة الذي يقابـل Athopteaes أفضل من كلمة (مسـجنيات)

(1) أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة: ص227.
(2) المزهر: 1/485.
(3) معجم مقاييس اللغة: 1/328.
(4) من بحث رمسـيس جرجس بعنـوان " النحت " مجلـة مجمع اللغـة العربيـة، القـاهرة، العدد 13، ص63.
(5) عباس حسن: اللغة والنحو: ص247.

المنحوتـة، ولا يضيرنا مطلقاً تأدية المصطلح الإفرنجي بكلمتيـن عربيتين لهما دلالتهما الواضحة وخفتهما على اللســان، فالأساس الذي نبتغيه دائماً في إقرارنا للمصطلحات هو الوضوح والخفة ليقبلها الجمهور ولا تمجها الآذان[1].

إذاً فالأساس عندهما في قبول المصطلح هو وضوحه وخفته على اللسان ولكل منهما طريقة إلى ذلك؛ فقد رأينا الأستاذ عباس حسـن يرى في الترجمة الحرفية ثقلاً، والنحت يكـون مـن الكلمات العربيـة المترجمة عـن المصطلـح الأجنبي، ويرفض أخـذ الترجمة بحذافيرهـا لثقلها، بعكس الشـهابي الذي يـرى أنه لا ضير في تأديـة المصطلح الأجنبي بكلمتين عربيتين بشـرط أن نتحرى في اختيارهمـا الوضوح والخفة ،ولا يجيز النحت إلا فـي تحفظ وعند الضرورة القصـوى بقوله: "لا نلجأ للنحت إلا عنـد الضرورة القصوى، وعلى شـرط أن تكون الكلمة مستسـاغة وعلـى أوزان اللغة العربيـة المألوفة "[2]، وكأنه يضع حدوداً وشروطاً ثلاثة للاقتراب منه:

- أولها: عدم اللجوء إليه إلاّ عند الضرورة الملحة يعني إذا ضاقت السُّبل ولم نجد مفراً من اللجوء إليه .
- وثانيها: يضع شــرط الاستســاغة للكلمات المنحوتة ولكنه لم يضع حـداً وتعريفاً لهذه الاستساغة.
- وثالثها: أن يكون على وزن من أبنية اللغة العربية شـرط أن يكون هذا الوزن مألوفاً أي ليس مهجوراً أو مهملاً.

والدكتـور محمود حجازي على ما يبدو يقف رأيه في زاوية أكثر ميلاً لرأي الأسـتاذ عباس حسـن حيث يقـول: "ولقد اقترح البعـض تكوين أبنية صرفية مـن عناصر عربية للتعبيـر عـن المصطلحات الحديثة "[3] ولكنـه لم يبين من هم هـؤلاء -"البعض"- الذين اقترحـوا هذا الأمر، هـذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يبيـن إن كانت العناصر العربية التي سـيتكون منهـا البناء مترجمة عن مصطلح أجنبي وهذا مـا أرجحه، أو نصطلح على عناصر عربية أو حروف عربية نضمها كي تعبر عن المصطلح الحديث.

وأمـا د. جرجـس فيجمـع بيـن رأيي الشـهابي وعباس حسـن ويحصـر النحت في العلـوم قائـلاً: "فإمـا أن نُعَرِّب وإما أن ننحت مـن المصطلحات الوصفيـة كلمات مفردة مستسـاغة لا لبس فيها ... ولا نطالب بالتضحية بحلاوة الجرس ولا باستعمال النحت في الأدب والموسـيقى والفنون بل نشـدد في حصره في العلوم كالطب والكيمياء والفيزياء والرياضة".[4]

(1) مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد 13، ص77.
(2) المرجع السابق: ص78.
(3) د. حجازي، اللغة العربية عبر القرون: ص96.
(4) مجلة اللغة العربية، العدد 13، ص62.

وتحت إلحاح الحاجة وضغط الظروف المستجدة يضطر مجمع اللغة العربية في القاهرة لإصدار قراره المتحفظ في النحت ونصه : " النحت ظاهرة لغوية أخذ بها قديماً وحديثاً وقد وردت منه كثرة تجيز قياسيته فينحت عند الحاجة من كلمتين أو أكثر على أن يستعمل الحرف الأصلي دون الزائد وأن يلتزم الوزن العربي إذا كان المنحوت اسماً وأن تضاف ياء النسب إن كان وصفاً نحو عبشمي في عبد شمس وأن يقتصر على فعلل وتفعلل إن كان فعلاً إلا إذا اقتضت الضرورة غير ذلك "[1].

فالمجمع يجيزه في تحفظ ويضع له الحدود والأوزان التي تضيق الخناق على التصرف، ويختمون القرار بجملة " إلا إذا اقتضت الضرورة غير ذلك، وللأسف لم يضعوا للضرورة حداً! وهذه الضرورة في رأيي هي التي تفك القيود وتتحلل من الشروط وتجعل القرار ليس أكثر من حبر على ورق، لأن الناطقين باللغة لن يتقيدوا بالمعايير التي وضعها المجمع، وإنما سيطلقون ألسنتهم تنطق دون مراعاة لهذه الوصاية، وهذا أمر طبيعي، أقول هذا لأن نظرة إلى اللغات الهندية الأوروبية، وإن كانت من طبيعة أخرى، كالإنجليزية مثلاً لا نجدها قد قيدت الناطقين بها بطريقة وحيدة في اختيارهم لمصطلحاتهم حتى أصبح التركيب هو الطريقة الشائعة المألوفة في توليد الألفاظ، وقد أفادت كثيراً في التعبير عن مظاهر المدنية الحديثة والمخترعات الجديدة وما تستلزمه من مصطلحات علمية فلم تضع حدوداً ولا قيوداً في توليد الألفاظ فمثلاً كلمة نايلون Nylon قد أخذت حروفها من ضمّ بعض حروف من عدة كلمات إلى بعضها فهي مأخوذة عشوائياً من : Now ye old Nippon وقد لا يكون لهذه الجملة أي معنى حين نُطق بها وأخذت الحروف وركب منها المصطلح. وكذلك كلمة Television التي لم تستقر لها ترجمة في العربية فهي مأخوذة من لصق كلمتي Tele و Vision الواحدة إلى الأخرى وكذلك الأمر في Telephone و Geography و Biology وهي على الترتيب من Tele و Phone ، ومن Geo و Graphy ومن Bio و logy وهناك طرق أخرى مثل Brunch التي تتكون عناصرها من حروف كلمتي Lunch و Breakfast بأخذ أول حرفين من Breakfast وإبعاد الحرف الأول من كلمة Lunch وأخذ باقي حروفها وقد حدث عكس هذا تماماً في كلمة Smog للدلالة على الضباب المختلط بالدخان في لندن حيث أخذت من كلمة Smoke ثلاثة حروف من أولها، وأخذت الحرف الأخير فقط من كلمة Fog وكل ذلك يطلقون عليه المزج Contamination وأحياناً في " عملية المزج هذه يحدث أن تتغير الحروف وأن

(1) المرجع السابق: ص251.

ينقص منها فكلمة Double الانجليزية والفرنسية من Duoplex أي ضعفين [1]" فأخذت كلمـة Dou كلهـا وتغيرت P إلى b وحذف الحرف x . ويعرِّفون المزج بأنه " وجود كلمة هي خليط من عناصر مختلطة أو صيرورة الكلمتين كلمة واحدة عن طريق المزج بينهما، أو تكوين كلمة صناعية مشتملة على مزيج من أصوات كلمتين أخريين وجامعة لمعنييهما Portmanteau Word [2] ويبـدو أنْ لا جامـع بين هذه الكلمات المنحوتة عندهم سـوى المزج بأية طريقة كانت. وهكذا بعد اسـتعمال الجمهور لها وسريانها على الألسنة تسجل في معاجمهم ضمن مفردات اللغة، كما حدث في معجم وبسـتر الدولي الجديدWebsters New International Dictionary الذي سـجل " الألفاظ المستعملة في الحديث المهذب العام سواء كان ذلك فصيحاً أم عامياً "[3].

وكذلك على عهدة الدكتور صفاء خلوصي فإن " مستدركات معجم اكسفورد يشارك في تصنيفها ملايين الناطقين بالإنجليزية من شـتى أنحـاء المعمورة "[4]. وهذا ما حدث بالضبـط للألفاظ العربيـة المنحوتة التي وردتنا عن العرب القدماء، وقد نطق بها العربي دون أن يكون هناك من يقنن له؛ فمثلاً شَـقَحْطب من" شـق وحطب " ولا فرق بينها وبين Television فهي مثلها مكونة من ضمّ كلمتين، وكذلك صِلْدم من صلد وصدم، فهي تماثل تماماً الكلمة الإنجليزية Flush المأخوذة عناصرها من Flash و Blush فالحرفان الأولان همـا أول حرفين من Flash والحروف الأخيرة من كلمة Blush ، كذلك صلدم أول حرفين من صلد والحرفان الأخيران منها هما الحرفان الأخيران من صدم.

وفي رأيي أن العربي أيضاً يميل إلى الاختصار ويسـتغل إمكانيات لغته؛ فهو يكتفي بكلمـة (حوقـل) عن قول جملة " لا حول ولا قوة إلا باللـه " فقد اختصر جملة بحالها في كلمة واحدة تؤدي معناها.

وغنـي عن القول أنـه لا العربي في جاهليته ولا الانجليزي فـي مدنيته قد نطقا على أساس من الضوابط وأسس من التقعيد، فاللغة تجرى على ألسنة أصحابها بما يسهل عليها بشـكل عفوي، رافضة الوصاية على حركتها. ولا يعني هذا الاسـتغناء عن جهود المجامع اللغويـة في عصرنا الحاضر، خاصة وضع المصطلحات العلمية وكذلك يجب ألاّ يمنع هذا

---

(1) جورجي زيدان، الفلسفة اللغوية: ص83.

(2) دور الكلمة في اللغة: ص143.

(3) علي القاسـمي، علم اللغـة وصناعـة العجم: مطبـوعات جامعـة الريـاض رقم 19، 1395هـ-1975م: ص164.

(4) صفاء خلوصي: من مقال له بعنوان "دار المعاجم باكسفورد" في مجلة العربي، العدد 246، الكويت جمادي الثانية 1399هـ 1979م، ص104.

مجامعنا وعلماءنا من المتابعة والتسجيل والتفسير والتصنيف والتأصيل لما يجري على الألسنة في الساحات العربية، لتصبح مهمتهم وصفية أكثر منها معيارية.

أشرنا سابقاً إلى أن ابن مالك في التسهيل حاول وضع الأسس التي تتبع في بناء المنحوتات وما قرار المجمع إلاّ استكمالاً لهذه الخطوة. وقام د. رمسيس جرجس، بعد استقراء للطرق التي اتبعها العرب في النحت، بمحاولة وضع منهج بقواعد تفصيلية لبناء المنحوتات وهذه القواعد هي :

أولاً : أجازوا الأخذ من كل الكلمات أو من بعضها مثل : جعفل من جعلت فداك. وعند النحت من كلمتين أولهما ثلاثية تدخل الكلمة الأولى بتمامها في أغلب الأحيان، وتكمل صيغة فعلل من الثانية مثل بسمل من بسم الله وشذ سمعل من السلام عليكم، وجعفد من جعلت فداك. ومن هذين المثلين يتضح أنهم كانوا لا يشترطون حفظ الكلمة الأولى بتمامها خلافاً لما ذهب إليه بعضهم. وحذفوا أداة التعريف من أول الكلمة ولامها إذا كانت حرف علة، وكذلك ضمير المتكلم المتصل يحذف في مثل حسبي الله - حسبل.

ثانياً : يلاحظ اعتبار الحروف الأصلية ما عدا ذلك فهو شاذ مثل : طبقل وقياسها طلبق من أطال الله بقاءك وحوقل قياسها حولق.

ثالثاً : لا يشترط التزام الحركات والسكنات الأصلية : سبحل من سبحان الله.

رابعاً : يصاغ وزن فعلل بتكرير المقطع الأول : بأبأ من بأبي أنت وأمي[1]. وهذه القواعد، في رأينا، هي أقرب ما تكون إلى الملاحظات التي لا يمكن أن يطلق عليها أو أن تأخذ طابع المنهج لأنه تكاد أن تكون كل كلمة نموذجاً منفرداً له قانون نحته الخاص به مما يجعل من العسير وضع الضوابط لأن ما يشذ عن كل ضابط دون مبالغة أكثر مما هو مندرج تحته.

لقد احتج من منع قياسية النحت بقلة الوارد منه، ولكن هذه الدعوى ينقضها ما ذكره ابن فارس من "أن للرباعي والخماسي مذهباً في القياس يستنبطه النظر الدقيق وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت، وقد أوردنا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت "[2] فهو يقرر أن هذه المنهجية ليست خاصة بالرباعي والخماسي، وإنما في كل ما زاد عن ثلاثة أحرف. ويجد قوله هذا صدى وتأييداً لدى الأستاذ عبد القادر المغربي بقوله : " يمكن إرجاع معظم الكلمات الرباعية والخماسية إلى كلمتين ثلاثيتين بسهولة ولا حظت أن تكون تلك الكلمات في لغة العرب إنما كان بطريقة النحت المذكورة أو بما نسميه الاشتقاق النحتي فمثل دحرج منحوته من دحره فجرى، وهرول من هرب

(1) مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة: العدد 13، القاهرة، 1961م، ص63-65.

(2) الصاحبي في فقه اللغة: ص227.

وولـى وبحثر من بحـث وأثار[1]، ويبدو أن الحق إلى جانبهما حيث أورد السـيوطي[2] أن كتـاب " تنبيه البارعيـن على المنحوت من كلام العرب " للظهير الفارسـي في عشـرين ورقـة، مما يدل علـى كثرة ما جاء منه عن العرب وبناء على مـا تقدم من كلام ابن فارس والمغربي نستطيع أن نصنف المنحوتات العربية من حيث بنيتها وعدد حروفها إلى :

1- رباعـي : مثـل قصلب (القوي الصلب)، وصِلْدِم (الشـديد الحافر) على وزن فَعْلَل أو فِعْلِل.

2- خماسي : الصهصلق (شديد الأصوات)، وفرزدق.

3- سداسي : مثل البلهجيم (أي من بني الهجيم).

4- سباعي : مثل البلخبيثة أي من بني الخبيثة.

وهذه الأوزان تفتح الباب واسـعاً لأن نقيس عليها، خاصة أن المصطلحات بطبيعتها تحتاج؛ لاستيعاب المعنى، إلى حروف عديدة.

وطبعاً اشتقت العرب أو بالأحرى نحتت على مثال هذه الأوزان أفعالاً نحو : " بسمل من بسـم اللـه، وكذلك حوقل وحمـدل وبأبأ ،ونحت أسـماء مثل جلمود مـن جلد وجمد، وشَـقَحْطب من شِـقَّ حطب وهو الكبش الذي له قرنان "، ونحتت أيضاً صفات مثل صِلْدِم وضِبَطر للرجل الشديد.

ونحتـت مـن المضاف والمضاف إليه نسـبة وهو ما يسـميه المغربي في الاشـتقاق والتعريـب بالنحت النسـبي مثل عبدلـي من عبد الله، وطبر خزي نسـبة إلى طبرسـتان وخوارزم.

ونحتت أيضاً الحروف كقول الخليل : أن لن منتزعة من (لا) و(أن) وأنا تضمنت بعد نحتها معنى لم يكن لأصلها، وكذلك نحت هلم من هل وأم أو من هاء التنبيه ولم.

وهناك تقسـيم آخر حديث للمنحوتات يميل إليه المستشـرقون ففي مقال له بعنوان "النحت قديماً وحديثاً" يقول المستشـرق الروسـي كيفورك ميناجيان: "إن توليد كلمات جديـدة عـن طريق النحت له جـذور بعيدة في تاريـخ تطور البنيـان المورفولوجي للغة العربيـة الفصحى، ونحن نقسـم النحت إلى نوعيـن : تركيب نحتـي وتركيب مزجي"[3] وتقسـيمه هـذا ينصب على المنحوتـات حديثاً ولا شـأن للمنحوتات قديماً بهذا التقسـيم والنحتي والمزجي هما نتيجة لاسـتخلاص كلمة واحدة من أكثر من أصل، ويختلفان فقط

(1) الاشتقاق والتعريب: ط2، ص15.

(2) المزهر: 1/482.

(3) مجلة "اللسان العربي" الجزء الأول، المجلد التاسع: ص162.

في طريقة الاستخلاص " فالنحت هو استخلاص كلمة من كلمتين أو أكثر باقتطاف بعض الأجزاء (قد يكون حرفاً أو أكثر أو ربما مقطعاً) نحو : كهرمغنطيس. والتركيب المزجي يتم عن طريق ضم كلمتين بحيث تستعملان متجاورتين في كلمة واحدة ويكون المعنى مستخلصاً من مجموع المعنيين اللذين دل عليهما الأصلان الملازمان كل منهما على حدة نحو جمالوجيا[1]، والثاني منهما ليس أكثر من ضم أو لصق أصلين يخرج من معنييهما المعنى المقصود.



أسئلة التقويم الذاتي (4)

1. عرّف النحت. وما شروط مجمع اللغة العربية لإجازة النحت؟
2. ما القواعد التفصيلية التي استخلصها رمسيس حرجس لبناء المنحوتات؟
3. بيّن المقصود بالتركيبين النحتي والمزجي.



تدريب (4)

1. بيّن ممَّ نحتت المنحوتات التالية:

درعمي، البرمائي، هنداوروبي، اللاإرادي، سبحلة، ماوردي، كهرومغناطيسي.

2. اذكر اللفظ الذي يمكن نحته من العبارات التالية:

أدام الله عزك، أطال الله بقاءك، الحمد لله.

3.3 التعريب

لقد احتلط العرب قديماً بغيرهم من الأمم عن طريق التجارة والحرب والوفادة والرحلات، واقتضى ذلك أن ينقلوا عن لغات الأمم التي اختلطوا بها ألفاظاً تداولوها بحكم حاجتهم الحضارية، وبحسب ما تستدعيه أحوالهم الاجتماعية. وكانت تزداد حركة التبادل اللغوي بمقدار اتصال العرب بغيرهم، أي كانت حركة الأخذ والعطاء من العربية وإليها قبل الإسلام وبعده، وقد تم ذلك بين العربية من ناحية والفارسية واليونانية والهندية من ناحية أخرى. أما اتصال العرب بالأحباش والسريان وما تم بين لغتيهما وبين العربية من تبادل للألفاظ فلا اعتبرها من الدخيل؛ لأنَّ الألفاظ مشتركة فيما بينها، وأصولها واحدة هي اللغة السامية الأم، والحبشية والسريانية والعبرية والعربية لهجات ساميةٌ استقلت

(1) المرجع السابق: ص164.

إلى لغـات توزعت فيما بينها خصائص اللغة الأم وحصل للألفاظ المشـتركة بينها تغيير صوتـي هنا أو تطوير دلالي هنـاك، فالموروث اللغوي واحد؛ فليسـت إحدى هذه اللغات بأحـق من أخواتها السـاميات بلفظ ما، حتى إذا اسـتعملته إحداها يمكن الادعاء بسـهولة أنـه ليس أصيلاً فيها وأنها اقترضته من أخت لها ويوصف بعدها بأنه أعجمي أو دخيل أو أجنبـي؛ وعليه فإنني أميل الى الرأي الذي يقول بأصالة أية كلمة تسـتعملها العربية وهي منحـدرة من اللغة السـامية الأم، فاحتفظـت بها العربية كما احتفظت بها أية لغة سـامية أخرى ولكن الاستعمال، مع تقادم الأزمان، أحدث فيها تطوراً صوتياً أو دلالياً جعلها تبدو مختلفة عن أصلها السامي ونسبت الى إحدى اللغات السامية، دون غيرها.

وقـد أدرجت الألفاظ التي شـاعت في العربية، منقولة عـن لغات الأمم الأجنبية تحت تسـميات عدة هي: المعـرّب والدخيل والأعجمي وأحياناً المولَّد. وأصبح هنالك ما يسـمى بظاهرة التعريب التي صارت إحدى الظواهر اللغوية باعتبارها أحد الروافد المهمة للثروة اللغوية التي تستوعب كثيراً من المعاني الحضارية مما استجد في العربية.

وأصبحـت ظاهرة التعريب قضية تشـغل بـال اللغويين بالقدر الذي تشـغل فيه بال المفسـرين والفقهاء والمؤرخين العرب وغيرهم خاصة المستشـرقين حتى إن أحدهم[1] قـال "إنّ تاريخ الألفاظ المعرّبة يشـكل جزءاً مهماً من تاريـخ اللغة العربية، وبالتالي من تاريخ الحضارة العربية التي اتخذت من الفصحى وعاء لها".

وقـد أثيرت هذه القضية في سـياق البحث عن أصل مجموعـة من الألفاظ وردت في القرآن الكريم، واعتبرت من غريبه الذي يحتاج لمعرفة أصله ومعناه، لدفع ما اعتبر شبهة دخول اللفظ الأعجمي إلى النص القرآني وللبرهنة على خلوه منه.

1.3.3 التعريب لغة واصطلاحاً

والتعريـب والإعراب في المعنى اللغوي متسـاويان وهو الإبانـة فهما مأخوذان من عـرَّب وأعـرب بمعنى أبان وأفصح، وأصل المادة (ع ر ب) التي تدور على عدة معان منها بل أولها الإبانة والإفصاح، فإذا كان الإعراب يفصح عن المعاني، بالحركات التي تفرّق بين الوظائف النحوية، فإن التعريب هو نقل الألفاظ الأعجمية الى العربية في قالب صوتي أو صيغة عربية مستساغة تفصح بها عن معنى لدى السامع أو المتكلم العربي.

---

(1) وهـو أنطون شـال، نقلاً عن الدكتور عبـد الفتاح البركاوي في بحثه عن قضيـة التعريب بين التراث وعلـم اللغة الحديث في مجلـة كلية اللغة العربية بالمنصورة، العـدد 11، 1411هـ-1991م: 564-الهامش.

وجرى تخصيص كل منهما بمفهوم، اشتهر به واقتصر عليه في الاصطلاح، فأصبح الإعراب خاصاً ومشتهراً بـ "الإبانة عن المعاني بالألفاظ"[1] أو هو "الفارق بين المعاني"[2] ويقصد بالمعاني الوظائف النحوية، وبالألفاظ علامات الإعراب.

أما صنوه التعريب فقد ورد في تحديد مفهومه الاصطلاحي عن الجوهري في اللسان[3] "تعريب الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها، تقول عرّبته وأعربته". وجاء في شفاء الغليل[4]" واعلم أن التعريب نقل اللفظ من العجمية إلى العربية، والمشهور فيه التعريب وسمّاه سيبويه وغيره إعراباً فيقال حينئذ معرَّب ومعْرَب". وفي المعرَّبات الرشيدية[5]" التعريب هو استعمال لفظ غير عربي في كلام العرب، وإجراء أحكام اللفظ العربي عليه" ويظهر من هذه التعريفات اهتمام علمائنا بالناحية العملية أي الإجراءات اللفظية التي تحدث للمعرّب عند إدخاله إلى لغة العرب. وعليه فالتعريب عملية تغيير لغوية تشمل بنية اللفظ المعرَّب في جوانبها الصوتية أو الصرفية أو التركيبية أو الدلالية بحيث تتلاءم وتتناسب مع الصيغ العربية وطريقة النطق العربية وضبطها. وقد دخل عن هذا الطريق آلاف الألفاظ الأعجمية إلى اللغة العربية، وهذا هو موضوع درسنا في الصفحات القادمة وهناك معنيان آخران للتعريب أولهما بمعنى الترجمة أي نقل المصنفات العلمية والأدبية وغيرهما إلى اللغة العربية فتصبح كلمة مُعَرَّب بمعنى مترجَم.

والآخر هو جعل العربية لغة العلم والحياة بحيث يفكر الإنسان العربي بها ويعبر بها، ويتعلم بها، ويعلّم بها، ويكتب بها؛ فلا تحل لغة أخرى محلها كالإنجليزية والفرنسية في التعليم مثلاً. ويحاول العربي أن يبحث عن المقابل العربي لكل لفظ أجنبي وبهذا يكون المقصود من التعريب: تعريب التعليم والإدارة والتجارة والفكر والسياسة، أي كل مناحي الحياة. وقد أصبحت قضية التعريب شغل الأفراد والجماعات والهيئات العلمية، وإحدى قضايا اللغة العربية المعاصرة.

ويبدو كذلك أن علماءنا لم يتفقوا على التغيير عند التعريب فما يفهم من كلام سيبويه، ومن كلام الخفاجي أيضاً هو أنهما لا يشترطان سوى تغيير الحروف التي لا نظير لها في العربية حيث يقول سيبويه: "اعلم أنهم إنما يغيرون من الحروف ما ليس من حروفها

---

(1) الخصائص: 1-35.
(2) الصاحبي: 65-66.
(3) مادة عرب.
(4) الخفاجي: ص23.
(5) الحسيني: ص111.

ألبتة، فربما ألحقوه بكلامهم، وربما لم يلحقوه". وربما تركوا الاسم على حاله إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بنائهم أو لم يكن نحو: خراسان وخُرَّم والكُركُم؟ "[1].

وأما الخفاجي فيقول "اعلم أنهم قد يغيرون الكلمة العجمية، والتغيير أكثر من عدمه، فيبدلون الحروف التي ليست من حروفها إلى أقربها مخرجاً، وربما أبعدوا الإبدال في مثل هذه الحروف، وهو لازم لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه"[2] وهكذا فهما لا يشترطان الإلحاق ولا يوجبان التغيير الصوتي إذا تشابهت الحروف في الكلمة الأعجمية مع الحروف العربية.

ويعارضهما ابن كمال باشا، على ما يبدو حين يشير في رسالته تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية، إلى أن استعمال العرب للفظ العجمي ليس كافياً كي نعدّه من المعرب، وإنما لا بد من إجراء نوع من التغيير الصوتي (بالإبدال أو الإلحاق) على اللفظ المستعمل حتى يحكم تعريبه، وذلك أن العرب كما تستعمل الكلمة الأعجمية وتجعلها جزءاً من الكلام بعد التعريب كذلك تستعملها وتجعلها جزءاً منه قبله"[3].

2.3.3 أقسام المعرَّب حسب التغيير والإلحاق

ويقسم علماؤنا المنقول إلى العربية من اللغات إلى أربعة أقسام[4] حسب التغيير الذي حصل له وقد ذكرها سيبويه في كتابه موزعة وهي:

1- الذي لم يتغيَّر ولم يلحقوه بأحد أبنيتهم ومثاله خراسان وشهنشاه وكركم وإبْرَيْسم وفيروزوقهرمان. وهذا طبعاً لم يعرَّب وبقي على أعجميته وإن استعمل في العربية.

2- اللفظ الذي تغيَّر ولم يلحق بغيره من الأبنية العربية نحو آجُر، وفرند السيف.

3- اللفظ الذي تغيَّر وألحق بأحد أبنية العربية نحو: دِرْهَم ألحقوه ببناء هِجْرَع.

ويعقوب ملحق ببناء يربوع، وجورب ألحقوه ببناء فوعل مثل كوكب.

4- اللفظ الذي لم يتغيَّر ولكنة ألحق بأحد أبنية العربية نحو: خُرَّم[5].

3.3.3 مستويات التعريب

لقد ذكر سيبويه في كتابة[6] التغيرات التي تحصل للألفاظ المعربة، وعلى المستويين الصوتي والصرفي، وتبعه الخفاجي في شفاء الغليل وقام صاحب المعَّربات الرشيدية

---

(1) الكتاب: 4/303-304.

(2) الخفاجي، شفاء الغليل، ص25.

(3) رسالتان في المعرّب ص77، نقلاً عن الدكتور البركاوي في بحثه قضية التعويب، مجلة كلية اللغة العربية- المنصورة العدد 11، ص ص 570-571.

(4) انظر: المزهر: 1/296، شفاء الغليل: ص31 رسالتان في المعرّب لابن كمال باشا. ص78، الكتاب: 4/303-304.

(5) الخُرَّم: الناعم أو العيش الواسع.

(6) انظر: الكتاب: 4/303-304.

بسـرد الأحكام التي تجري على اللفظ العربي " تنوين ولام تعريف وما أشبه ذلك، وحيناً يبدلـون حرفـاً بحرف لم يرد في تلك اللغة، ودخل في لغة العرب وإذا لم يكن قد جاء على ذلـك الـوزن، والحروف في كلام العـرب يغيرونه، والتغيير إما أن يكـون بتبديل الحركة والسكون فقط، أو تبديل حرف او بالإسقاط أو الزيادة أو بالتشديد أو التخفيف أو بتقليب حـرف مكان حرف، أو باجتماع قسـمين أو ثلاثة أقسـام أو ما يزيد علـى ذلك"[1] ويقوم ابن بري بالأمر نفسـه في حاشـيتة على كتاب المعرب للجو اليقي بقوله: "إنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسـماء الأعجمية إذا اسـتعملوها فيبدلون الحروف التي ليسـت من حروفهم إلى أقربها مخرجاً. وربما أبدلوا ما بعد مخرجه أيضاً. والإبدال لازم، لئلا يُدخلوا في كلامهم ما ليس في حروفهم، وربما غيّروا البناء من الكلام الفارسي الى أبنية العرب، وهـذا التغيير يكون بإبدال حـرف من حرف أو زيادة حرف، أو نقصـان حرف، أو إبدال حركـة بحركة، أو إسـكان متحرك، أو تحريك سـاكن، وربما تركوا الحـرف على حاله لم يغيّروه"[2].

ويمكننا تقسـيم التغيرات التي أجراها العرب للألفاظ المعَّربة؛ وهي إجراءات قام به العـرب لإخضاع هذه المعربات لسـلوك العربية مع مفرداتهـا وفق نظامها اللغوي بحيث تصبح هذه الألفاظ في النهاية جزءاً من النظام العام للغة العربية، لأن هذه الإجراءات في الحقيقة، كانت تتم على ألسنة الفصحاء من العرب عند نطقهم للألفاظ الأجنبية، فالتعريب مسموع ومنقول عن العرب المعتد بكلامهم فالجواليقي يقول عن كتابه: "هذا كتاب نذكر فيـه مـا تكلمت به العرب من الـكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيـد، وورد في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وذكرته العرب في أخبارها وأشعارها، ليعرف الدخيل من الصريح"[3].

ويمكننا توزيع هذه التغيرات على المستويات اللغوية التالية:

أ- المستوى الصوتي: وهذا أمر قد خضع لسلوك الناطقين ولم تحكمه القوانين القياسية، وقـد تم غالب التغيير فيه، الذي يجري فيه اسـتبدال وحدات صوتية بأخرى تناسـب النظـام الصوتي العربـي؛ ومن حيث المبـدأ فإنهم غيروا الأصوات غيـر العربية إلى الأقـرب لها في العربية كصوت V (ف) وهو بين الفـاء والباء يبدل عند العرب فاء أو بـاء نحو: فرندوالبهلوية. وصوت آخر بين الميم والـكاف أي G في مثل good فربما

(1) عبد الرشيد الحسيني: ص111.

(2) حاشية ابن بري على كتاب المعَّرب لابن الجو اليقي: ص ص 22-23.

(3) المعرّب من الكلام الأعجمي: ص3 (تحقيق أحمد شاكر، القاهرة، 1961م).

جعلـوه جيماً أو كافاً أو قافاً مثل: جلّنـار، لجام، بنج، قنديل، قهرمان وكربك (كربج) أي الحانوت. وتفصيل الأمر كالتالي نحو:

1- إبـدال حركـة بحركة: في دسـتور التي تُقرأ في الفارسـية بفتح الـدال وفي العربية بضمهـا لأن صيغـة فعلول بفتـح الفاء نادرة في لغـة العرب، ودهليـز التي تقرأ في الفارسية بفتح الدال وفي العربية بكسرها لأن صيغَة فَعليل بفتح الفاء في لغة العرب نـادرة(1) وكذلـك زرنيخ معرَّب زَرنيـخ. ويتضح من المثالين كذلـك أن هذا التغيير الصوتي يمكن أن يندرج تحت باب الإلحاق للأوزان العربية.

2- إبدال حرف بحرف: جَوْرَب بفتح الجيم وسـكون الواو وفتح الراء معرَّب عن كورب. وبرنامـج معرب برنامه، وفرند معرب برند، اسـتبرق معرب اسـتبره وكامخ معرَّب كامـه، إبدلت الهاء السـاكنة بخـاء والتُّوث عرَّبتـه العرب التوت(2)، وكوسـه معرَّب كوسج

3- إسقاط حرف أو أكثر أو حذفه نحو فهرس معرَّب فهرست وشص معرَّب شست، نشا (النشا) معرَّب نشاسته(3) وبريد معرَّب بريدوم.

4- زيادة حرف: نحو ديباج معرَّب ديبا. درهم معرَّب درم.

5- إبـدال حرفين بحرفين أو أكثر نحو كسـرى مَعرَّب خُسـرو وسـابور معرَّب شـابور وفالوذج معرَّب بالوده وأنموذج معرَّب نموده.

6- إبدال صوت وزيادة أخر: نيسابور معرَّب نشابور.

وهنـاك تغييـر اهتم بالنظام المقطعـي، فإن العربية لا تقبـل أن يلتقى صوتان صامتان في مقطع واحد أي لا تجيز التقاء السـاكنين في كلمة أو كلمتين متجاورتين، ويُطّبـق هذا النظـام المقطعي على الكلمات المعرَّبة نحو: بـارْس pars عرِّبت فارِس بكسر الراء[4]؛ لأنه لا يوجد في العربية وزن فاعْل وإنما يوجد فاعِل، ومثل هذا التغيير أيضاً يمكن اعتباره إلحاقاً.

وممـا عرَّبـوه وألحقوه بأبنيتهـم درهم ألحقـوه ببناء هجرع، ودينـار ألحقوه بديباج، وإسـحاق بإعصار ويعقوب بيربوع وهناك ألفاظ عرِّبت ولم يجروا عليها أي تغيير نحو: الكُركُم وخُرَّم وخراسان[5].

---

(1) الحسيني، المعرّبات الرشيدية: ص111.
(2) حاشية ابن بري: ص58.
(3) المعرَّبات الرشيدية: ص112.
(4) المرجع السابق: ص114.
(5) سيبويه، الكتاب: 4/304.

ب- المستوي الصرفي: والتعريب في هذا الجانب يكون بتطويع المعرَّبات للنظام الصرفي العربـي بإضافـة العلامات المميّـزة للتأنيث والتذكيـر والتعريف والجمـع والتثنية، أي يجـرون عليـه ما يجري على ألفـاظ العربية. وفي باب ما قيـس على كلام العرب فهـو مـن كلام العرب يقول ابن جنـي " إن ما أعرب من أجنـاس الأعجمية قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها، ألاتراهم يصرفون في العلم نحو آجُر، وإبْرَيْسـم وفرنْدٍ وفيـروزج وجميع ما تدخله لام التعريف، وذلك أنه لمّا دخلته اللام في نَحو: الديباج، والفِرِنْدِ، والسُّـهريز، والآجُرّ، أشـبه أصـول كلام العرب، أعني النكـرات، فجرى في الصـرف مجراها "[1] أي عاملها العرب معاملة الألفاظ العربية فاشـتقوا من المعرَّب؛ فقد نقل ابن جني أيضاً أنه قد حكى له " أبو علي عن ابن الأعرابي قال: يقال: دَرْهَمت الخَبّازَى، أي صارت كالدراهم، فاشتُق من الدرهم وهواسم أعجمي "[2].

وقد نقل أبو حاتم الرازي عن أبي عبيد القاسم بن سلام اللغوي أن العرب كانت تتصّـرف في الـكلام غير العربي بتعريفه بـأداة التعريف العربية وهـي أل بقوله: " للعرب في كلامها علامات لا يشـركهم فيها أحد مـن الأمم نعلمه، منها إدخالهم الألف والـلام في أوّل الاسـم .. كما أدخلوا فـي الطُّور وحذفوا الألف التـي في أخر الحرف (أي تلـك التي تدل على التعريف).. وكذلك اليم التي كانت في السـريانية يمّا فأدخلت العـرب فيـه الألف واللام وصرّفته في جميع الإعراب على مـا وصفت "[3]. واعتقد أن هـذا النوع مـن التعريب، أي التعريب بأل، يمكن تطبيقه على الكلمات المعّربة سـوى الأعلام، كالدينـار والديباج والجوهر واللوزينج والزنج، إلى آخر قائمة المعرَّبات من غير الأعلام.

وخلاصـة الأمر كما يقول عبد القادر المغربي إن "الكلمات العربية، التي وقعت فعرَّبوها بألسـنتهم وحولوهـا عن ألفاظ العجم إلى ألفاظهـم، تصبح عربية، فيجري عليهـا من الأحـكام مايجري على تلك فتتـوارد عليها علامات الإعـراب، إلاّ في بعض الأحوال، وتعرف بـأل، وتضاف ويضاف إليها، وتثنى وتجمع، وتذكر وتؤنث، وفوق ذلك كله تصرف أهل اللغة في الكلمة المعرّبة، وإعمالهم مباضع الاشتقاق في بنيتها "[4] فقولهـم: ألجم وملجم وتُلْجِـم من لجام، وفي أيامنا هذه يقال: تلفز، يتلفز وبَثٌّ متلفز من تلفاز المعرّبة عن تلفزيون. ومنهم من يقول: تلفن ويتلفن من تلفون، وفَلْوَز وأنا

(1) الخصائص: 1/357 والسهريز نوع من التمر.

(2) المرجع السابق: 1/358.

(3) انظـر: كتاب الزينة في الكلمات الإسـلامية العربية 1/77، و د.البركاوي مجلـة كلية اللغة العربية- المنصورة: العدد 11-589-590.

(4) الاشتقاق والتعريب: ص48.

مفلــوز أي مصاب بالإنفلونزا، وكذلك تَفَرْنج ومُتَفَرْنِــج من الفرنجة التي هي تعريب French.

جـ- المســتوى النحوي: وأكثر مــا يمّيز النظام النحوي العربي، الإعــراب الذي يميّز بين المعانــي النحوية، التي قد يؤديها النظــام التركيبي أيضاً بما يفترضه من نظام معين في ترتيب الكلمات داخل الجملة.

وأخــذت العربيــة عن بعض اللغات غيــر المعرَّبة ألفاظاً أخضعتهــا للنظام الإعرابي العربي، بإلحاق علامات الإعراب العربية بها أو منعها من الصرف كما بيَّن ذلك ســيبويه: "اعلم أن كل اسم أعجميَ أعرب وتمكن في الكلام فدخلته الألف واللام وصار نكرة، فإنك إذا ســميت به رجلاً صرفتــه إلاّ أن تمنعه من الصرف ما يمنع العربــي وذلك نحو: اللجام والديباج، والنيروز والفرند والزنجبيل"[1]. وســندس واســتبْرق كذلك. وإذا لم تتمكن من كلام العرب، أي لم يصبح من المتمكن الأمكن وبقي عَلَماً في العربية فإنه يمنع من الصرف فيها نحو: إسماعيل وإسحاق ويعقوب وإبراهيم ويوسف.

وأمــا ابــن جني فقد جعل من الإعراب ثوباً يدخل المعَّربــات أو الألفاظ الأعجمية في نطــاق العربيــة حين يقول: " قال أبو علي إذا قلت طاب الُخشْــكُنَانُ فهذا من كلام العرب، لأنك بإعرابك إياه قد أدخلته في كلام العرب ألاترى أنك تقول: طاب الُخُشْكُنانُ فتجعله من كلام العــرب، وإن لــم تكن العرب تكّلمت به، هكذا قال، فرفعــك إياه كرفعها ما صار لذلك محمولاً على كلامها، ومنسوباً إلى لغته "[2].

والزمخشــري في الكشــاف يعتبر الإعراب مظهراً من مظاهر التعريب بقوله: " فإن قلت: كيف ســاغ أن يقــع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمــي؟ قلت خرج من أن يكون عجميــاً لأن معنى التعريب أن يجعل عربياً بالتصــرف فيه، وتغييره عن منهاجه، وإجرائه على وجه الإعراب "[3].

كذلك يمكننا ان ندخل في هذا الباب، أقصد المســتوى النحوى ما يدخل إلى العربية مــن التراكيــب غير العربية خاصــة في وقتنا الحاضــر، مما يمكن أن نعده من الأســاليب المعربــة التي تألفها العربية "وســواء رضينــا أم لم نرضَ فقد اندس هــذا الدخيل الوافد فتعَّرب، ولا بأس من ذلك، ذلك أن طائفة كبيرة منها مما تدعو إليه الضرورة، وإن ألفاظها عربية فصيحة، وإن باب التوســع والمجاز بعد كل ذلــك مفتوح"[4] وقد أجاز مجمع اللغة

(1) الكتاب: 3/234.
(2) الخصائص: 1/357،359.
(3) تفسير الكشاف: 3/507.
(4) إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن: ص285.

العربيــة في القاهرة هذا النوع من الأســاليب؛ لأنها بكلمــات عربية محضة بقرار له نصه: "الباب مفتوح للأســاليب الأعجمية تدخله بســلام، إذ ليس في هذه الأساليب كلمة أعجمية ولا تركيــب أعجمي وإنما هي كلمات عربية محضة، ركِّبت تركيباً خالصاً لكنها تفيد معنى لم يســبق لأهل اللســان أن أفاده بتلك الكلمات"[1] وقد استقرأ الدكتور إبراهيم السامرائي نصوصاً عربية حديثة وأثبت بعض هذه الأساليب، وقد سبقه إلى ذلك عبد القادر المغربي في "الاشــتقاق والتعريب"، والرصافي في كتابه "دروس في تاريخ آداب اللغة العربية"، ونقتطف شيئاً مما أوردوه: مأخوذاً من الفرنسية أو الإنجليزية[2]:

- ذر الرماد في العيون
- وضع المسألة على بساط البحث أو طاولة البحث
- ساد الأمن في البلاد
- لا جديد تحت الشمس
- يبكي بدموع التماسيح
- يصطاد في الماء العكر
- توترت العلاقات
- رجل الساعة الذي يسهر على المصلحة العامة
- ضحكة صفراء
- بكل معنى الكلمة
- يسمم الرأي العام
- مؤتمر المائدة المستديرة
- اعتنق الفكرة، ويحتضن الفكرة، ويتبنى الفكرة
- عاصفة من التصفيق
- تصفية القضية.

د- المستوى الدلالي: إذا كانت مستويات التعريب السابقة وسيلة لإخضاع الكلمات الأعجمية في بنيتها وشكلها للنظام اللغوي للعربية؛ فإن التعريب على المستوى الدلالي تحقيق لانتســابها إلــى العربيــة بمضمونها الذي كانت تــدل عليه في اللغــة المأخوذ منها أو المعنى الأصلي، أو المعنى الذي قد تكتســبه في دخولها إلى العربية باســتعمالها في معنى عربي جديد تجريه العرب حقيقة أو مجازاً على هذه الألفاظ المعَّربة. فالديوان

(1) مجلة مجمع اللغة العربية -القاهرة: جـ1/ص332.

(2) انظر: إبراهيم السامرائي: فقه اللغة المقارن: ص ص 286-304، كذلك عبد الجبار القزاز، الدراسات اللغوية في العراق: ص278 وما بعدها.

في لســـان العـــرب[1] "مجتمع الصحـُـف "هو لفظ فارســـي معَّرب، وقـــال ابن الأثير: هـــو الدفتر الذي يكتب فيه أســـماء الجيش وأهل العطاء" وبعـــد تعريبه أعطي دلالات جديـدة بتخصيصة بالدفتر الذي يكتب فيه الشـــعر وتجمع القصائـــد بين دفتيه. وقد استعمله ابن عباس بمعنى آخر حين قال "الشعر ديوان العرب" بمعنى سجّل أحوالهم وتاريخهـــم. وظهر للفارابي معجم ديـــوان الأدب أي مجتمع كلمـــات اللغة ومعانيها. وفي أيامنا هذه نســـتعمله في معنى مجتمع الرجال أي بمعنى المَضَافة. ثم خصصت بالإضافـــة بقولهم ديوان الموظفين، وبالوصف الديوان الملكي أو الأميري. ولا يغيب عن بالنا أنه قد اشتق منها دوّنَ، وتدوين بمعنى الكتابة والتسجيل أي صارت تستعمل أيضاً في التســـجيل على الصحف بدلاً من الصحف نفســـها. وقد فتح السيوطي فصلاً في المزهر[2] في ألفاظ مشـــهورة في الاســـتعمال لمعان هي فيها معَّربة، وهي عربية في معان أخرى غير ما اشـــتهر على الألســـنة: من ذلك الوَردَ للمشـــموم فارسي، وهو اســـم عربي للفَرَس ومن أســـماء الأسد. وفيما ذكره الســـيوطي نظر، فالكلمة (الوَرْد) قد تكون موجودة فـــي اللغتين بمعنيين مختلفين أي حدث توافق بين اللغتين، والذي حدث أن العربية قد استعارت معنى المشموم للورد باختلاطهم بالفرس.

وأكثر ما يكون هذا المستوى من التعريب بين لغتين من فصيلة واحدة كالذي يحدث بيـــن العربية وأخواتها الســـاميات، حيث يحمل لفظ معنى ما فـــي إحداها، ومعنى آخر في أخت لها ثم تستعير إحداهما المعنى الذي ليس فيها فتضيفه إلى اللفظ نفسه. وفي العصر الحديـــث عُرِّب لفظ الامبريالية باعتباره مصدراً صناعيـــاً مأخوذاً من كلمة Imperialism الإنجليزية أو Imperialis الفرنســـية التي تعني الامبراطوري بمعنى التعصب والانحياز للامبراطورية الألمانية في الأصل ثم للامبراطورية البريطانية بعد ذلك. لكنها في العربية أصبحـــت تدل بعد تعريبها على درجة عليا من درجات الاســـتعمار والرغبة في الســـيطرة والتوسع[3].

4.3 بين المعَّرب والدخيل والمولّد

هـــذه مصطلحات رافقت تعريب الكلمات الأعجمية وإدخالها اللغة العربية، ويحســـن بأي دارس أن يعرف مدلولاتها أو المفاهيم التي تشـــير اليها وبيان الفروق فيما بينها، إن وجدت.

(1) اللسان مادة، دون.
(2) المزهر: 1/284-285.
(3) إبراهيم السامرائي: التطور التاريخي: ص230 (بتصرف).

1.4.3 المعرّب

ونبدأ بالمُعَرَّب أو المُعْرَب كما سماه سيبويه، ويطالعنا كتاب "المعرّب من الكلام الأعجمي" للجواليقي " 540هـ وهو أول كتاب يصل إلينا قُصِد منه دراسة الألفاظ المعرّبة حتى نهاية عصر الاستشهاد وقد صرّح بذلك بقوله: "هذا كتاب نذكر فيه ماتكلمت به العرب من الكلام الأعجمي، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول-ص، والصحابة، والتابعين-رضوان الله عليهم أجمعين. وذكرته العرب في أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح"[1] ويستدل من كلام الجواليقي أنه يقصد به الكلام الذي عُرِّب في عصر الاحتجاج لقوله: ما تكلمت به العرب، ونطق به القرآن المجيد، وورد في أخبار الرسول وصحابته والتابعين ممن يحتج بكلامهم أي ما "تكلمت به العرب على منهاجها" وقد عرفنا آنفاً التغيرات التي تحُدث للمعرَّبات، حتى تخضع للنظام اللغوي العربي، وهو ما أخذه في الحسبان الدكتور إبراهيم أنيس حين ذكر "وعمد العرب القدماء إلى بعض الألفاظ فحَّوروا من بنيتها وجعلوها على نسج الكلمات العربية وسّموها بالمعرَّبة"[2] ولم يبرز حكاية الاحتجاج، ولكن قوله "العرب القدماء" يمكن أن يفهم ويلمح فيه اهتمامه بهذا الأمر. وأما الذي شغله أمر الاحتجاج ولم يلتفت للتغيير فهو الدكتور حسن ظاظا الذي يقول بأن "المعّرب لفظ استعاره العرب الخلَّص في عصر الاحتجاج باللغة من أمة أخرى"[3] وكأنه يردّد كلام الجواليقي. بعكس الأستاذ عبد الحميد حسن الذي جعل التغيير هو الفارق بين المعرَّب والدخيل حيث يقول:"والفروق بينه (أي الدخيل) وبين المعرب أن المعّرب قد غيرت صيغته في الغالب بالزيادة أو النقص أو بتغيير الحركات، وأدخلوه في لغتهم"[4].

ويبدو أن رأي الأستاذ عبد الحميد غير مستقر في هذا المجال حيث يقول في موضع سابق " المعرَّب هو الكلمات التي نقلت من الأجنبية إلى العربية وسواء وقع فيها تغيير أم لم يقع"[5] وهو متناقض مع قوله السابق.

وهكذا يتأرجح المعّرب بين المعيار الزمني والمعيار اللغوي وهو ما يحدث فيه من تغيير، خاصة أن القدماء من المصنفين في هذا المجال لم يفرّقوا بينهما؛ وهو الأمر الظاهر عند الشهاب الخفاجي 1069هـ مثلاً الذي يسمى كتابه "شفاء الغليل فيما في كلام العرب

(1) المعرّب: ص3.

(2) إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ: ص149.

(3) حسن ظاظا، كلام العرب: ص79.

(4) عبد الحميد حسن، الألفاظ اللغوية، خصائصها وأنواعها: ص66.

(5) المرجع السابق: ص65.

من الدخيل" ويفتح فصلاً بعد المقدِّمَة بعنوان "فصل في تغيير المعرب وإبداله" ويصف المعَّرب في فصل تالٍ بأنه الدخيل ويذكر أقسامه الأربعة[1].

ويبدو أن الجو اليقي لا يفرق بينهما أيضاً إذ ينسب إليه السيوطي قوله "وُيطلق على المعَّرب دخيل.."[2].

وأرى من أجل أداءٍ دقيق للمصطلحات ووضع فرق واضح بينها أن يُراعي المعياران التاليان فيما يطلق عليه مصطلح معَّرب:

1- المعيار الزمني أي يراعى زمن الاحتجاج والاستشهاد.

2- المعيــار اللغوي أي مراعــاة التغيير الصوتي وغيره، أي نطق الكلمة الأعجمية المعربة علــى منهــاج العرب؛ لأن في هذا المعيار مراعاة للربط بيــن المعني اللغوي والمعني الاصطلاحــي للتعريب باعتبار التغيــرات تجعله مفصحاً ومُبِيناً عــن المعني الجديد. وباعتبــار التعريب أحد الطرق التي تنمو بها اللغة، وتزداد ثروتها غناء؛ أصدر مجمع اللغــة العربيــة في القاهرة قراره المتحفظ بالعمل به حديثــا وهو: "يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم"[3].

أمــا الدخيل فهو الكلام العجمي الــذي دخل العربية " وتركه العرب على صورته(4) التــي أخــذ بها من لغة أخــرى. وأما الدكتور ظاظــا فيراعي المعيار الزمنــي حيث يعّرف الدخيــل بأنه "لفــظ أخذته اللغة من لغة أخرى في مرحلة مــن حياتها متأخرة عن عصور العرب الخلَّص الذين يحتج بلسانهم"[5].

وإذا أخذنــا في الاعتبار المعنى اللغوي لمصطلح دخيل الذي يلحظ فيه عدم الاندماج فكأنه ضيف نازل أو بالأحرى لفظ مقترض فيبقي على حاله ولم يخضع لأنظمة العربية، فــأرى أنه هو "اللفظ الأجنبي الذي دخل العربيــة دون تغيير"[6] بغضِّ النظر عن المعيار الزمني، أي سواء أكان دخوله قديماً أم حديثاً.

2.4.3 أدلة معرفة الدخيل

بعد أن عرّفنا الدخيل، يحســن بنا أن نلم بالأدلة التي اســتخلصها أئمة اللغة القدامى لتمييز الدخيــل والمعرب من اللفظ العربي الأصيل وقد ذكرها الســيوطي[7] بقوله: "قال أئمة العربية: تعرف عُجمة الاسم بوجوه:

(1) المرجع السابق، باب اطراد الإبدال في الفارسية: ص29،30،31.
(2) المزهر: 1/269.
(3) مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، جـ1/ص33.
(4) دلالة الالفاظ: ص149.
(5) كلام العرب: ص79.
(6) عبد الحميد حسن، الألفاظ اللغوية: ص65.
(7) انظر: المزهر: 1/270.

أحدهـا: النقـل: بأن ينقل ذلـك أحد أئمة العربيـة. يقصد أنه تكفي الإشـارة من أحد لغويينا القدماء إلى الكلمة بأنها أعجمية أو دخيلة أو معرّبة أو من كلام العجم أو فارسـية معربة؛ حتى يتم تصنيفها كذلك دون البحث في البرهان أو في مدى صحة هذه الإشـارة؛ كقول الخليل بن أحمد: "فخ إنها من كلام العجم"(1) وتجدها بنفسـها في اللسـان(2)" الفـخ، معرب من كلام العجم"، ويمكن أن نجدها منقولة على هذه الصورة في كتب اللغة والدخيـل والأعجمـي. وعيب هذا النقـل أن علماءنا أو لغويينا المنقـول عنهم لم يكن لهم الدرايـة الكافيـة باللغات المنقول عنها كالفارسـية أو اللغات السـامية ليكـون قولهم هو الفصل في هذا الشأن حتى تؤخذ أقوالهم مسلّمات.

الثاني: خروجه عن أوزان الأسـماء العربية نحو: إبْرَيْسَـم فإن وزن هذا اللفظ مفقود في أبنية الأسـماء في اللسـان العربي. وهذا المقياس يقتضي أن نقـوم بإحصاء الكلمات العربيـة الأصيلة كلهـا ومعرفة أوزانها الصرفية بدقة، حتى إذا شـككنا فـي أصالة كلمة نردهـا إلى أحد هذه الاوزان؛ ومع ذلك فإن موافقة لفظ ما لأحد الأوزان الصرفية العربية لاتعنـي أنـه عربي الأصل فكلمـة model الإنجليزية مثلاً على زن فُعِـل العربي ومع ذلك لم يشـفع لها هذا الوزن العربي وبقيت أعجمية وعرَّبتهـا العامة على وزن فُعِيل أي قالوا مُديل.

وكذلـك فـي الوقت نفسـه لايمكننـا أن نفترض أن جميـع الكلمات العربيـة موافقة للأوزان العربية فإن شـذوذ إحدى الكلمات العربية وخروجها عن الأوزان العربية لايعني بالضـرورة أو ليس دليلاً على عجمتهـا نحو كلمة قُرَعْبلانة وهـي دويبة عريضة كما في اللسـان(3) فإنها مكوَّنة من سـبعة حروف غير تاء التأنيث، وأقصى بناء في العربية لما كان من الكلمات على ستة حروف وهو فعلليل، وهل يمكننا أن نقول إن قرعبلانة أعجمية لأنه لاوزن لها في العربية إلاّ إذا تكلفنا لها وزناً، ولن يكون له نظير.

الثالث: أن يكون أوله نون ثم راء نحو: نرجس. فإن ذلك لايكون في كلمة عربية.

الرابع: أن يكون آخرَه زاي بعد دال نحو: مهندز. فإن ذلك لايكون في كلمة عربية.

الخامس: أن يجتمع فيه الصاد والجيم نحو: الصولجان والجص.

السادس: أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو: المنجنيق.

السابع: أن يكون خماسياً ورباعياً عارياً عن حروف الذلاقة وهي: الباء، والراء، والفاء،

(1) العين مادة فخ.
(2) اللسان، مادة فخخ.
(3) مادة قر عبل.

واللام، والميم، والنون، فإنه متى كان عربياً فلا بد أن يكون فيه شيء منها نحو: سفرجل، وقُذَعْمِل[1] وقرْطعْب[2] وجَحْمَرِش[3].

والنقاط الخمس الأخيرة يمكن ضمها تحت مسمى واحد هو الطريقة الصوتية ويؤخذ عليها التعميم المطلق الذي يمكن نقضه، وإن التنظير للدخيل والمعرَّب يقتضي الإلمام الكافي باللغات السامية الأخرى، فالعربية من أكثر هذه اللغات محافظة على ميراث السامية الأم فحفظت الكثير من الكلمات والعناصر اللسانية السامية التي يجب وضعها تحت النظر قبل تطبيق القوانين الصوتية آنفة الذكر.

3.4.3 المولّد

وقد أطلق العرب هذا اللفظ على الغلام والجارية فقيل غلام مولّد وجارية مولّدة وهي "التي ولدت بين العرب، ونشأت مع أولادهم وتأدّبت بآدابهم. ورجل مولّد إذا كان عربياً غير محض"[4].

فالمولد على هذا ليس من جنس العرب ليس أصيلا في عروبته، وإنما هو طارئ وغير محض أو ليس خالص العروبة وعممت هذه الدلالة لتشمل الأشخاص وغيرهم كالكلام فأصبح المولد يعني: المحدث من كل شيء، وسمي المولد من الكلام مولّدا إذا استحدثوه، ولم يكن من كلامهم فيما مضى[5]. والزمخشري يقول: "ومن المجاز كلام مولدٌ ليس من أصل لغتهم"[6] فكأنَّ الكلام الطارئ المحدث في العربية الذي لم يصدر عن المحتج بكلامهم؛ فافتقر إلى الأصالة العربية، أشخاص من أصل غير عربي يعيشون بين عرب خلّص، حتى ان فئة من اللغويين والنقاد كأبي وعمرو بن العلاء وابن رشيق عدّوا الشعراء بعد عصر الاحتجاج محدثين ومولدين؛ ولو كان أحدهم من أصل عربي، وأطلق على شعرهم لفظ مولد مقابل شعر الجاهلية وصدر الإسلام المحتج به. ومن أوائل الذين استخدموا المولّد باعتباره مصطلحاً دالاً على الكلام غير المحتج به، أبو عمرو بن العلاء في نص ينقله ابن رشيق وهو "قال أبو عمرو: لقد حسن هذا المولد، حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته -يعني بذلك شعر جرير والفرزدق- فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر

---

(1) من النساء القصيرة ومن الإبل الضخم.
(2) الشيء الحقير والخرقة البالية.
(3) العجوز.
(4) اللسان مادة "ولد".
(5) المرجع السابق.
(6) أساس البلاغة: مادة ولد.

الجاهليين والمخضرمين، وكان لايعد الشعر إلاّ ماكان للمتقدمين، قال الأصمعي: جلست إليه ثماني حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي، وسئل عن المولدين فقال: ماكان من حسن، فقد سُبِقوا إليه، وما كان من قبيح، فهو من عندهم، ليس النمط واحداً"[1].

وذكر ابن سلام سمعت يونس يقول ما كان بالبصرة مولد مثله..."[2]. يقصد الفرزدق وأطلق الأصمعي لفظ "مولد" على الكلام فقد أورد السيوطي في المزهر أن "الأصمعي كان يقول: النحرير ليس من كلام العرب وهي كلمة مولدة"[3]. ويعرف السيوطي المولّد بقوله: ممـا أحدثه المولدون الذين لايحتج بألفاظهم"[4] وأورد كثيراً من الألفاظ المولدة، ولـم يكتـف بالتقعيد النظري للمولد. ويمكننا أن نستنتج من الأقـوال المذكورة آنفا عن المولدين من الشعراء ومن قول السيوطي: "أيام العجوز ليس من كلام العرب في الجاهلية، وإنما ولّد في الاسـلام"[5] إن هناك معياراً زمنياً للمولد، وهو ما استحدث من الألفاظ بعد العصر الجاهلي. ويذكر بعد ذلك معياراً آخر هو التغيير الذي تحدثه العامة؛ حيث نقل عن أمالي ثعلب "أنه سئل عن التغيير: فقال: هو كل شيء مولّد، ويعلق السيوطي: وهذا ضابط حسـن يقتضي أن كل لفظ كان عربي الأصل، ثم غيَّرته العامة: بهمزه أو تركه أو تسـكين أو تحريك أو نحو ذلك مولد، وهذا يجتمع منه شيء كثير. وقد مشى على ذلك الفارابي في قواعد الأدب فإنه قال في الشمْع والشمْعة بالسكون: إنه مُوَلَّد، وإن العربي بالفتح وكذا فعل فـي كثير من الألفاظ"[6] وبهذا الضابط يصبح الفرق بين المعرب والمولّد المعيار الزمني فقط، ويأخذ المغربي بهذا المعيار فيعرّف المولّد بأنه "مالم يعرفه أهل اللغة ولم ينطقوا به من الكلام وإنما استعمله المولدون، وجروا عليه في منثورهم ومنظومهم. والمولدون ليسـوا من أهل اللغـة الذين يحتج بهم في إثبات كلمها وصحـة صياغتها ولايحتج ذلك إلاّ بكلام الجاهلي أو المخضرم"[7]، وهذا الأمر ليس في صالح المولد، فتغيير التعريب يحدثه العرب في البنية اللغوية للألفاظ الأعجمية من أجل إلحاقها بالنظام اللغوي العربي صوتاً أو صرفاً أو تركيباً أو دلالة، والتوليد في ضابط السيوطي هو التغيير العام الذي قد يكون مخالفـاً للقِياس أو قـد يكون لحناً، ويكون بهذا أقرب إلى التطـور اللغوي، "بينما التوليد يتجه أساسـا إلى التغيير الدلالي... ويأخذ في اعتباره التغيرات الاشتقاقية والتركيبية بما

---

(1) العمدة: 1/56. (2) طبقات فحول الشعراء: 1/352.

(3) 1/304، والنحرير الحاذق المجرب.

(4) المرجع السابق.

(5) المزهر: 1/304، وأيام العجوز خمسة أيام تتقلب فيها أحوال الطقس والمناخ والأنواء عند العرب.

(6) المرجع السابق/1/310-311.

(7) الاشتقاق والتعريب، ص62.

لها من اتصال مباشر في إعطاء اللفظ أو التركيب دلالة جديدة لم تعرفها العربية القديمة، وعلى ذلك فالمولد هو جزء من التغير اللغوي وليس العكس[1].

ويبدو أن الملخص السابق من الدكتور حلمي خليل مأخوذ من تعريف الدكتور حسن ظاظا للمولد الذي يركز فيه على التغير الدلالي للفظ العربي حيث يقول: "المولد: لفظ عربي البناء أعطي في اللغةا لحديثة، معنى مختلفاً عما كان العرب يعرفونه مثل: الجريدة، المجلة، السيارة..."[2].

وهو تعريف يأخذ في الحسبان إحدى طرق التوليد التي ذكرها المغربي في كتابه الاشتقاق والتعريب[3] وهي:

1. طريق الاشتقاق: وهو أن يشتق المولدون كلمة من مادة عربية يعرفها أهل اللسان ولكنهم لم يعرفوا المذكورة ولم يشتقوها مثال ذلك:

   (الفسقية) للحوض الصغيرة له أنبوبة في وسطه ينبثق عنها الماء وقد اشتق لها هذا الاسم من مادة فسق وهو باللغة بمعنى الخروج ويمكننا أن نقيس عليها كلمة بيَّارة مثلاً التي تطلق في فلسطين على بستان البرتقال واشتقاقها من البئر. وكذلك الأنانية والعلمانية والهوية وغيرها.

2. طريق التعريب: وهو أن ينقل المولدون إلى لغتهم العربية كلمة من لغة أعجمية، لم يكن يعرفها العرب من قبل، مثال ذلك كلمة ماهية التي يراد بها المرتب الذي يتناوله الموظف في آخر الشهر، وهي كلمة مولدة من أصل فارسي فإن (ما) بمعنى شهر في الفارسية والماهية نسبة إليه أي شهريَّته. ويمكن التمثيل لهذا النهج بكثير من الألفاظ أو المصادر الصناعية ذات الأصول الأجنبية كالديموقراطية والدكتاتورية والبيروقراطية وغيرها.

3. الاستعمال التشبيهي: وهو ما استعمله المولدون على طريقة التشبيه والكناية لأنه لم يشتق من مادة لغوية اشتقاقاً ولم ينقل عن أصل أعجمي. وإنما هو كلمة أو تركيب كان أهل اللغة يستعملونه في معنى ثم جاء المولدون ونقلوه إلى معنى آخر واستعملوه فيه، مثال ذلك القَطْر، وكان العرب يستعملونه في معنى المَطَر، أما المولّدون فإنهم استعملوه في هذا المعنى وفي السُكّر المذاب وهذا الاستعمال لم يعرفه العرب، ومثله القطار الذي كان يدل عند العرب على تقاطر الإبل ثم ولد منه معنى جديد وأصبح يدل على عدة مقطورات تجرها العربة وتسير على سكة حديدية.

(1) حلمي خليل: المولد في العربية: ص168.
(2) كلام العرب: ص79.
(3) ص ص: 62-65، وانظر كذلك: حلمي خليل، المولد: ص 184-185.

ويأخذ الدكتور حلمي خليل بالاعتبارات السابقة كلها ويعرف المولد الذي أرى الأخذ به لتحديد المقصود به اصطلاحياً وهو إن المولد "لفظ عربي الأصل أعطي مدلولاً جديداً عن طريق الاشتقاق أو المجاز أو نقل الدلالة ولم يعرفه العرب الفصحاء بهذا المعنى، وقد أضاف بعضهم ما عُرِّب بعد عصر الاحتجاج إلى المولد"[1]. لأن توليد المعاني للألفاظ في عصر الاحتجاج يعتبر من التطوير الدلالي وقد سدّ المعرب والدخيل، إضافة الى الاشتقاق والتطوير الدلالي حاجة العربية قديماً إلى المصطلحات، التي لم يتحرج العرب في تعريبها لتعبر عن المفاهيم التي استجدت في صدر الإسلام وما تبعه من عصور تاريخية في العلوم المنقولة أو ذات النشأة العربية في جميع مناحي الحياة نحو: البريد والدينار والدرهم والهندسة والفيزياء والسرطان والزنجبيل والكافور والكهنوت والاسطرلاب وقاطيغورياس (التي ترجمت بالمقولات) وأرتما طيقي (الحساب) والأسترونوميا (علم الفلك). وإن التوليد، كان ومازال، أحد الوسائل اللغوية التي يمكن اللجوء إليها لسد حاجتنا إلى الاصطلاحات، فقد ولد العرب في العصر العباسي المقامة وأطلقوها على جنس أدبي معروف، كما حصل في العصر الأموي من توليد للتوقيعه واستعمالها مجموعة فيما سمي بالتوقيعات التي كان الخلفاء يذيلون بها كتبهم إلى ولاتهم نحو "كثر شاكوك وقلّ شاكروك فإمَّا اعتدلت وإمَّا اعتزلت". وفي العصر الأندلسي أطلق التوشيح على نمط معين من الشعر ظهر في الأندلس سميت منظوماته بالموشحات بمعنى أنهم ولدوا معنى جديداً للتوشيح لم يكن معروفاً لدى العرب.

وعليه يمكننا في العصر الحاضر أن نطبق طرق التوليد: التي استخلصها المغربي وذكرناها آنفاً وهي:

أ- التوليد الاشتقاقي:

يتيح لنا أن نولد: الحاسوب للكمبيوتر والحاكوم (للريموت كنترول)، الكاشوف على الرادار، المذياع للراديو، وبالوصف كالمركبة الفضائية والقمر الصناعي والإنسان الآلي أو توليد المصطلحات المركبة نحو: كرة القدم، وكرة السلة، وكرة الطائرة.

والتوليد بتطوير المعنى أو تغييره نحو: الهاتف، السيارة، الطيارة، المدفع، القطار، والنفط، والطيَّار والصحيفة، والدبابة، والثلاجة، والغسالة، والصاروخ، والرتب العسكرية كالضابط والملازم والعميد، والعقيد، واللواء...الخ.

ب- التوليد التعريبي:

فهو على طريقة التعريب القديمة والعرب المحتج بلغتهم نحو: التلفزيون المعربَّة عن Television والانفلونزا والميكانيكي والدكتور، والبوليس، والكاز، والسيرك، والتكتيك، والروتين،....الخ. ولا أقصد طبعا مايجري على ألسنة العامَّة نحو: فارمشية للصيدلية، أو

(1) المولد في العربية: ص189.

اســبيتار للمستشــفى، أو فرتايم للعمل الإضافي (Overtime)، أو أفرهول (Overall) أو ســويل فــي (civil) أي مدني، وإنما أقصد التعريب الذي تقوم بــه الهيئات العلمية وتقره المؤسســات المخولة بهذا الأمر فــي عصرنا كالمجامع اللغوية والجامعات والمؤسســات التعليمية الأخرى.

5.3 المعرَّب في القرآن الكريم

يبــدو أن الجــدل حول وقوع اللفظ الأعجمي في القــرآن الكريم، هو نقطة البداية في إثــارة قضية التعريب عنــد القدماء. ولم يحســم الخلاف بين علماء العربيــة حول احتواء القرآن الكريم ألفاظاً أعجمية كالقســطاس والاستبرق والمشكاة واليم والقسورة، من عدة لغات من الفارســية أو الهندية والرومية (اليونانية أو اللاتينية)، والحبشــية والســريانية والعبرية والقبطية. وإن كنا نتحفظ على اعتبار اللغات الســامية من أخوات العربية لغات أعجميــة، لأن بينها وبني العربية نَسَــباً لا يمكن تجاهله عنــد تصنيف الألفاظ والبحث عن أصولها.

وقد انقسمت آراء العلماء قديماً وحديثاً حيال هذه القضية إلى ثلاثة:

الــرأي الأول: يقف وراءه مجموعة من العلماء العــرب، يرون عدم وقوع المعرّب في القرآن الكريم. ومن هؤلاء الإمام الشافعي وابن جرير الطبري وأبو عبيد معمر بن المثنى وابــن فارس والفخر الــرازي وغيرهم من علمائنا القدامي وقد اتخذ هذا الفريق من الآيات التــي صرحت بأن القرآن الكريم عربــي دليلاً وحجة نحو قوله تعالــى: "إنا انزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون"[1] وإن اللسان الذي نزل به القرآن عربي كقوله تعالى "وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين"[2]. وأيــدت وجهة نظرهــا كذلك بنفي العجمة عنه بقوله عز وجل "ولــو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصّلت آياته أأعجمي وعــربــي"[3] وعلق الشافعي على الآيات الكريمة السابقة بقولــه : "فأقــام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه –جل ثناؤه– كل لسان غير لسان العرب"[4].

وأمــا أبو عبيدة معمــر بن المثنى فيتهم من يقول بوجــود الأعجمي بالجرأة وتجاوز الحد حين يقول: "نزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم

(1) يوسف- آية 2.
(2) الشعراء: الآيات 192-195.
(3) فصلت: الآية 44.
(4) الرسالة: ط1، انظر ص ص 41،42،47.

القـول، ومـن زعم أن طه بالنبطية فقد أكبر..."[1] وقد فسـر ابن فـارس المقصود بقوله أعظـم وأكبر بقوله "تأويل أنه أتى بأمر عظيم وكبير، وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغـة العرب شـيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيـان بمثله لأنه أتى ببلاغات لايعرفونها، وفي ذلك مافيه"[2] وكأنه يفسر سبب رفض أبي عبيدة، وهو حذرُه من الطعن في إعجاز القرآن؛ وكأن العرب لايعرفون هذه الألفاظ، أو كأن الإعجاز مرهون بالمفردات دون تركيبها.

ويفسـر أبو عبيدة وجود هـذه الألفاظ التي يعتقد أنها أعجميـة بأنه من قبيل توافق اللغـات بقولـه: "وقد يوافق اللفـظ اللفظ ويقاربـه، ومعناهما واحد واحدهمـا بالعربية والآخر بالفارسـية أو غيرها فمن ذلك الإسـتبرق بالعربية وهو الغليظ من الديباج... وهو بالفارسـية اسـتبره[3]" ويفهم من قوله هذا أنه يتكلم عن الأعجمي وليس المعرَّب لأنه عدَّ الإسـتبرق عربية، لمَّا لبست استبره الثوب العربي بما حدث لها من تغييرات صوتية. وإذا كان كلام علمائنـا الرافضين لوجود اللفظ الأعجمي في القرآن الكريم على هذه الشـاكلة؛ فإن الإشكال ينتفي وأصبح التوفيق بينه وبين الفريق المقابل أمراً سهلاً.

ونجد عند ابن عطية وابن جرير الطبري تفسـيراً آخر وهو أن هذه الألفاظ أصيلة في العربية وأخذها عنهم غيرهم بعد اختلاطهم بهم؛ بمعنى أن الألفاظ دخيلة في لغة الفرس حيث نقلوها عن العرب حيث يقول: "لم نحكم بأن العرب هم الذين تأثروا بغيرهم فنقلوا عنهم ألفاظاً من لغتهم واستعملوها في أشعارهم، ومحاوراتهم، حتى جرت مجرى العربي الفصيح؟ وإيش المانع من أن يكون العرب هم الذين قد أثروا في غيرهم من الأعاجم ممن خالطوهم، فأخذ هؤلاء عنهم تلك الكلمات المستعملة في العربية أصلاً، ونقلوها عن العرب، واسـتعملوه في لغتهم على صورتها أو مع إجراء تحريف فيها حسب اتجاه ألسنتهم؟ مع القول بأن اللغة العربية قديمة... فيكون قولهم: إن هذه الألفاظ أصيلة في كلام غير العرب دخيلة في كلامهم، ليس بأولى من العكس، فإن العرب لايخلو أن تكون تخاطبت بها أولاً، ولايبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم وكما قال بذلك الإمام أبو عبيدة"[4] ونجد التفسـير نفسه عند الطبري حين يقول عن الألفاظ المقصودة إن: هذه الأحرف وما أشـبهها من الأحرف غيرها، أصلها عربي، غير أنها وقعت إلى سـائر أجناس الأمم غيرها، فنطقت كل أمة منها ببعض ذلك بألسـنتها من الوجه الذي يجب التسـليم له..."[5] مع أنه

(1) مجاز القرآن: 1/17.
(2) الصاحبي: ص63.
(3) مجاز القرآن: 1/17-18.
(4) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: 1/ص69.
(5) جامع البيان: 1/10-11 من خطبة الكتاب.

في موضع سابق يظهر ميلاً واضحاً إلى أنه يعد هذه الألفاظ من قبيل توافق اللغات حيث يقول:" قد وجدنا اتفاق كثير منه (أي الكلام) فيما قد علمناه من الأسـئلة المختلفة، وذلك كالدرهـم والدينار والدواة والقلـم والقرطاس وغير ذلك مما يتعب احصاؤه... مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى..."[1].

ونجد التفسـير نفسـه عند الفخر الـرازي الذي ينقـل عنه السـيوطي "وقال الإمام فخر الدين الرازي وأتباعه: ماوقع في القرآن من نحو المشـكاة والقسـطاس والإسـتبرق والسـجِّيل، لانسـلم أنها غير عربية؛ بل غايته أن وضع العرب وافق لغة أخرى كالصابون والتنُّور؛ فإن اللغات فيها متفقة[2].

ويبـدو أن الأسـتاذ أحمد محمد شـاكر والدكتور عبد العال سـالم مكـرم في العصر الحديث يميلان إلى أن هذه الكلمات عربية الأصل، أي إنهم يوافقون ابن عطية وابن جرير الطبـري حيـن يقول أولهما فـي مقدمة تحقيقه للمعـرب: "والعرب أمة مـن أقدم الأمم، ولغتهـا من أقـدم اللغات وجوداً، كانت قبل إبراهيم وإسـماعيل وقبـل الكلدانية والعبرية والسـريانية وغيرها بله الفارسـية، وقد ذهب منها الشـيء الكثير بذهاب مدنيتهم الأولى قبل التاريخ، فلعل الألفاظ القرآنية، التي يظن أن أصلها ليس من لسـان العرب، ولايعرف مصدر اشـتقاقها، لعلها من بعض ما فقد أصله، وبقي الحرف وحده"[3] وهو افتراض قد يصـادف الحقيقـة. وأما الآخر وهو الدكتـور مكرم فيحتكم إلى المنطـق العام معتبراً أن العربية كانت لغة مؤثرة وأنه يستبعد أن تقع في القرآن الكريم كلمات مستعارة من لغات أخرى، ومايظن أنه مسـتعار هـو في الأصل عربي أخذته الأمم الأخرى، ولأن الاسـتعارة كذلك تتعارض مع الآيات التي تدل صراحة على أن القرآن عربي اللسـان. ويفهم ذلك من قوله: "إن لغة احتكت بغيرها من اللغات الأخرى فأثرت فيها، ووصلت الى هذه الدرجة من التطور لابد أن تكون مورداً لغيرها من اللغات الأخرى، تمدها بما تحتاج إليه من مفرداتها الواسعة، وبمرور الزمن أصبحت هذه المفردات العربية لَبِنات في بناء هذه الأمم، ولايصح في مجال التفكير السـليم أن نقول: إن القرآن الكريم اسـتعارها من هـذه اللغات، إذا قلنا ذلك، فهذا تحكم لاتسنده إلاّ هذه الأخبار التي ذكرها الرواة، هي أخبار واهية تتعارض مع صريح القرآن الكريم حينما يقول: "إنا أنزلناه قرآنا عربيا"[4].

(1) المرجع السابق: 1/8،9.
(2) المزهر: 1/267.
(3) المعرَّب للجو اليقي: المقدمة.
(4) دفاع عن كتاب الله تعالى: قضية الكلمات الأعجمية في القرآن الكريم، مقال للدكتور عبد العال مكرم بمجلة الوعي الإسلامي الكويتية العدد 82، شوال 1391هـ، ص13.

والحقيقة إن حديث الدكتور مكرم لايقوى أمام المناقشة فهو مبني على الافتراض، فضلاً عن أن ورود ألفاظ معربة في القرآن الكريم لايخل بعربية لسانه ولا يخل بقداسته أو إعجازه ولايتعارض مع التفكير السليم. والعربية كغيرها من اللغات تتعرض لظاهرتي التأثير والتأثر ولايضيرها أن تأخذ كما تعطي، وهو قانون لغوي عام، تخضع له جميع لغات الدنيا.

الرأي الثاني: الذي يرى أصحابه وقوع المعرب في القرآن الكريم

فقد روي عن ابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة وعطاء وغيرهم من أهل العلم أنهم قالوا في أحرف كثيرة إنه بلغات العجم، هذا قول أهل العلم من الفقهاء. هذا مانقله السيوطي[1] عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وقد ذكر أمثلة من المعرّب نحو: اليمّ والطور والصراط والقسطاس والفردوس والمشكاة وغيرها.

ولاغرابة في هذا الرأي، ولاشذوذ حتى يبرهن على صحته فإن الإسلام دعوة عالمية، والقرآن خطاب إلهي موجه إلى الأمم فلاعجب إذا احتوى ألفاظا من لغات الأمم الأخرى، ألفها العرب وأخضعوها لنظام العربية؛ فأصبحت محكومة بقوانينها وأصبح يجري عليها أحكام قواعدها وأبنيتها؛ لذا سميت معرّبة بعد أن كانت أعجمية، فقد قيست على كلام العرب، وماقيس على كلامهم فهو منه وهي مقولة قديمة قالها المازني[2] وتبعه فيها ابن جني[3].

ويقر هذا المفهوم أو التوجه الدكتور رمضان عبد التواب من المعاصرين بقوله "الكلمة المعرّبة تصبح عربية باستعمال العرب إياها في لغتهم ولذلك من العبث إنكار وقوع المعرب في العربية الفصحى والقرآن الكريم"[4].

وأما الإجابة[5] عن قوله تعالى: "قرآناً عربياً" بأن: الكلمات اليسيرة بغير العربية لاتخرجه عن كونه عربياً كما أن القصيدة الفارسية مثلاً- لا تخرج عن كونها فارسية بورود كلمة عربية فيها، وكذلك إن المقصود بقوله تعالى "أأعجمي وعربي"[6] بأن المعنى من السياق: أكلام أعجمي ومخاطب عربي.

الرأي الثالث: وهو الرأي التوفيقي بين الرافض لوقوع المعرب والقائل بوقوعه في القرآن الكريم، ويقوده أبو عبيد القاسم بن سلام الذي وازن بين الرأيين بقوله: "والصواب من ذلك عندي -والله أعلم- مذهب فيه تصديق القولين جميعاً. وذلك أن هذه

(1) المزهر: 1/268.
(2) المنصف في شرح تصريف المازني: 1/180.
(3) الخصائص: 1/359.
(4) مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العددان 13، 14، 143/ 1404هـ، من مقال للدكتور رمضان عبد التواب بعنوان: العربية الفصحى وتحديات العصر.
(5) انظر: الإتقان للسيوطي، 1/178، ومقدمة المهذب للسيوطي، ص12.
(6) من الآية -44 سورة فصلت.

الحروف وأصولها عجمية -كما قال الفقهاء- إلاّ أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بألسنتها، وحوَّلتهــا عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثــم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب. فمن قال: إنها عربية فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق"[1] فهو يقرر أنها كانت عجمية، وأصبحت بعد تعريبها عربية. وكما يقول الأستاذ عبد القادر المغربي:"إن الكلمة الأعجمية إذا استعملتها العرب على منهاجها أصبحت عربية أو نقول: تحولت عربية بحيث يصح أن ينزل بها الوحي الإلهي، ومن قال: إنها أعجمية كان صادقاً، فهي أعجمية في الابتداء، عربية في الانتهاء. وعلى هذا يكون قوله تعالى: "إنا أنزلناه قرآناً عربياً" حقاً وصدقاً وفي القرآن على هذا كثير من الكلمات المعربة"[2].

وفــي رأيــي أن هذا الرأي ماهــو إلاّ صياغة ذكية لــرأي القائلين بوقــوع المعرب في القرآن الكريم؛ الذي يُقر ضِمناً بدخول المعرب أو الأعجمي الذي جرت عليه ســنن العربية من التغيير.

6.3 التصنيف في الألفاظ المعربة

وقــد اتخــذ التصنيف في التعريب شــكلين فمن اللغويين من اتجه الــى تأليف الكتب التي هــي أقرب إلى المعاجم لاهتمــام مؤلفيها في الدرجة الأولى بجمــع الألفاظ المعربة والدخيلة كالمعرب للجو اليقي وشفاء الغليل للخفاجي. والمعربات الرشيدية لعبد الرشيد الحســيني، ولم تخلُ هذه المصنفات من مقدمات تنظيريــة كضوابط التعريب. ومنهم من اهتم بالألفاظ المعرَّبة في القرآن الكريم كالســيوطي في كتابيه المهذب والمتوكلي. ومن اللغوييــن من تنــاول قضية التعريب والألفــاظ المعربة على أنها قضية علمية، وانشــغلوا بالتقعيد واســتنباط قواعده والبحث في أصول الألفــاظ؛ أي اهتموا بالبحث النظري لهذه القضية وأول من شُــغِل بها سيبويه في كتابه في باب ما أعرب من الأعجمية، وباب اطراد الإبدال في الفارســية والتقريب لأصول التعريب كطاهر الدمشــقي، والتهذيب في أصول التعريب لأحمد عيســى والاشــتقاق والتعريب لعبد القادر المغربــي، والتعريب وأثره في الثقافتين العربية والفارسية للدكتور نور الدين آل علي، وأثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج للدكتور مسعود بوبو، والمولد في العربية للدكتور حلمي خليل.

(1) الصاحبي/ 62-63.
(2) الاشتقاق والتعريب: ص83.

ولا يُغني هذا التقديم عن سرد المصنفات المتخصصة في التعريب تاريخياً كما يلي:

اسم الكتاب	اسم المؤلف	
- المعرب من الكلام الأعجمي	أبو منصور الجواليقي	(540 هـ)
- حاشية ابن بري على كتاب المعرب	لابن بري	(ت 582هـ)
- التذييل والتكميل لما استعمل من اللفظ الدخيل	عبد الله بن محمد البشبيشي	(ت 820هـ)
- المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب	لجلال الدين السيوطي	(ت 911هـ)
- المتوكلي فيما في القرآن من المعرب	للسيوطي	(ت 911هـ)
- التعريب (رسالة) طبعت مع رسالة أخرى للمنشي بعنوان رسالتان من المعرب	لابن كمال باشا	(ت 940 هـ)
- المعربات الرشيدية	لعبد الرشيد الحسيني	(ت 1068 هـ)
- شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل	شهاب الدين الخفاجي	(ت 1069 هـ)
- المعرب والدخيل	لمصطفى المدني	(ت في الفرن 11)
- قصد السبيل فيما في اللغة من الدخيل	محمد الأمين المحبي	(ت 1111 هـ)
- الطراز المذهب في الدخيل والمعرب	محمد نهاني	(ت 1885م)
- المعرب في القرآن الكريم	أحمد القوصي	(ت في القرن 13)
- الدليل إلى مرادف العامي والدخيل	رشيد عطية البناني	(ت 1898م)
- الألفاظ الفارسية المعربة	أدي شير الكلداني	(ت 1908م)
- التقريب لأصول التعريب	طاهر بن صالح الدمشقي	(ت 1337 هـ)
- التهذيب في أصول التعريب	أحمد عيسى	(ط 1923/ 1342هـ)
- تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية	طوبيا العنيسي الحلبي	(طبع 1932م)
- الاشتقاق والتعريب	عبد القادر المغربي	(طبع 1366 هـ)
- أثر الدخيل على العربية الفصحى	للدكتور مسعود بوبو	(ط 1982م)
- المولد في العربية	للدكتور حلمي خليل	(ط 1985م)
- المصطلح الأعجمي	للدكتور ابراهيم بن مراد	(ط 1985م)

- قضية التعريب ومتطلبات العصر: رسالة دكتوراه مخطوطة للدكتور يحيى محمود الجندي.

- المعرب في القرآن الكريم، دراســة تأصيلية دلالية: رســالة ماجســتير مخطوطة لمحمد السيد بلاسي.

والرسالتان مخطوطتان في مكتبة جامعة الأزهر.

7.3 موقف علمائنا من التعريب قديماً وحديثاً[1]

إنه من الأهمية بمكان أن نتعرف مواقف علمائنا في اللغة والتفسير والفقه والفلسفة والطب والصيدلة من التعريب والاقتراض اللغوي لسد الحاجة الى المصطلحات؛ لأن أمتنا تعرضت في تاريخها مرتين أو خاضت العربية تجربتين احتاجت فيها إلى ألفاظ الحضارة ومصطلحات العلوم. وكانت التجربة الأولى بعد الإسلام وفتوحاته حين وجد العرب أمامهم حضارات متقدمة للأمم التي غلبوها عسكرياً ولكنها كانت متفوِّقة علمياً كالفرس واليونان والهنود، فكان على العرب أن يهضموا علوم هؤلاء ويضيفوا إليها؛ ليلحقوا بها، فهم في تحدٍ؛ فأقبلوا على هذه الحضارات واستوعبوا ما استطاعوا في جميع نواحي العلم والحياة، واقترضوا الألفاظ والمصطلحات التي احتاجوا اليها، واستوعبت العربية ما أدخله إليها أصحابها دون شعور بالضعف أو النقص؛ فكانت وسائل التوليد والتعريب في متناول أيديهم ولم يتورَّعوا عن أخذ المصطلحات الأعجمية في البداية واستعملوها كما في كالاسترونوميا والأرتماطيقي والريطوريقا والبوليطيقا والأنولوطيقا والجيومطري حتى إذا استوت لديهم هذه العلوم وهضموها وضعوا البدائل العربية لها ولغيرها فصرنا نقرأ في كتب التراث: علم الفلك وعلم الحساب والبلاغة والسياسة والقياس والهندسة... إلخ بدلاً من المصطلحات السابقة فتطورت العلوم عندهم وبرزت إنجازاتهم.

أما التجربة الثانية ففي العصر الحديث التي جاءت بعد فترة سبات طالت من أواخر العصر العباسي إلى أواخر الحرب العالمية الأولى حيث كانت التركية هي اللغة السائدة ولغة العلم والحضارة. وجابه العرب هذه التجربة بخوف ووجل لأنهم أمة مغلوبة على أمرها، حيث خرجوا من نير الحكم التركي الذي لم ينصفهم ليقعوا بعد ذلك في براثن المستعمر الأوروبي الجائر فظهر عجزهم وبدا ضعفهم واضحاً؛ لأنهم كانوا مغلوبين على أمرهم بعكس التجربة الأولى التي كانوا فيها سادة أقوياء يملكون زمام أمرهم بيدهم، فظهرت المحاولات فردية وجماعية ولكنها ضعيفة متعثرة وعلى استحياء حتى امتلك العرب زمام الأمور وبدأت عجلة النهضة تدور وتترك آثارها، وبدأت المحاولات فردية في الجامعات أو المعاهد الطبية والعلمية الأخرى ثم ظهرت المؤسسات العلمية كالمجامع اللغوية والعلمية والجامعات تستكمل الجهود في متابعة عمليات التعريب. ويمكننا بعد هذا التقديم أن نوجز مواقف علمائنا قديماً وحديثاً إزاء التعريب والاقتراض في أربع نزعات[2] هي:

---

(1) انظر: إبراهيم بن مراد، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية: ص ص 5-74. فقد أشبع المسألة في مقدمة بحثه، وفصَّل القول في آراء العلماء إزاء هذه القضية.

(2) انظر: ابراهيم بن مراد، المرجع السابق: ص ص 5-74. وهو مرجعنا في توزيع هذه النزعات.

1.7.3 نزعة موضوعية

تقر بوجـود الاقتراض اللغوي في اللغة العربية، وأن الألفاظ المقترضة قد أخضعت لمظاهر التعريـب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وأغلب أصحاب هذه النزعة من اللغويين كالخليل بن أحمد وسيبويه وابن جني والجواليقي والسيوطي والخفاجي. ويمكن أن نضيف إليهم كل من أقروا بوجود المعرب في القرآن الكريم كابن عباس ومجاهد وابن جبير وعكرمة، ومنهم الجوهري صاحب الصحاح والفيروز آبادي في القاموس المحيط.

2.7.3 نزعة رافضة لمبدأ الاقتراض اللغوي

وأغلب أصحاب هذه النزعة من المفســرين والفقهاء كالشـافعي وابن جرير الطبري ومن أخذ برأيهم من اللغويين كأبي عبيدة معمر من المثنى وأحمد بن فارس ومن المحدثين أحمد الاسكندري وعز الدين التنوخي والشدياق والآلوسي والرافعي.

3.7.3 نزعة علمية تقر بوجود الاقتراض

و ضرورته نظراً للحاجة العلمية الماسة ويمثل هذه النزعة العلماء المشتغلون بالعلوم التطبيقية كالطب والصيدلة، والفلك والجغرافيا والفلسفة ومن اشتغل كذلك بالترجمة إلى العربية، كحنين بن إسحق العبادي، وابن سينا وابن الجزار القيرواني والشريف الإدريسي وابـن البيطار وحديثاً أقر بجواز التعريب مجمع اللغـة العربية بالقاهرة منذ 1934م في الألفاظ الفنية والعلمية التي لامقابل لها في العربية أو بالأحرى التي يُعجَز عن إيجاد مقابل لها يحل محلها، ومن الأفراد حفني ناصف ويعقوب صروف والصافي النجفي وعبد القار المغربي، الذي يقول "هناك اختراعات أوجدها قوم من غير أبناء لغتنا ووضعوا من كلمات الأحداث والمعاني، التي تشـتق ويشـتق منها -ما يتعلق باستعمال تلك الاختراعات، ويدل على طرق الانتفاع بها، اخترعوا الأوتومبيل مثلا وسـموه بهذا الإسم، فنحن معشر العرب نأخذه ونأخذ اسـمه كما أخذ أسـلافنا المنجنيق واسـمه من لغة اليونـان"[1] وأما مجمع اللغة العربية فوقف موقفاً متشدداً إزاء ما اقترضه المولدون والمحدثون يلخصه الدكتور علـي عبد الواحد وافـي في كتابه فقه اللغة[2] حيث يقول "أما ما اسـتخدمه المولدون في مختلـف العصور، ومـا أدخله بعض المحدثين فـي العصر الحاضر، أو يـرى إدخاله في اللغـة العربية، من كلمات أجنبية تتعلق بالمخترعـات، أو بالمصطلحات العلمية أو الفنية،

(1) الاشتقاق والتعريب، ص74.

(2) ص ص 201-202.

فقد رأى مجمع اللغة العربية عدم جواز استعماله لأنّ في العربية غنى عنه، ولأن في بطون معجماتها مئات الألوف من الكلمات المهجورة، الحسنة النغم والجرس الكثيرة الاشتقاق، مما يصلح أن يوضع للمسميات، بدون حدوث اشتراك لأن بعثها من مراقد الإهمال والنسيان، يصيِّرها كأنها موضوعة وضعاً جديداً"، وقد حاول المجمع وضع الألفاظ للمسميات الحديثة التي اعتاد الناس أن يستخدموا كلمات أجنبية للدلالة عليها. والجميع يعرف أن كثيراً من مصطلحاتهم لم يلاقِ الشيوع بين الناس ومازال محفوظاً بين طيات أدبياتهم نحو: الخيالة للسينما، والملوِّحة للسمافور والمذياع للراديو والمرناه للتلفزيون والشطيرة للساندويش؛ وكأن المجمع أراد أن يقف موقفاً وسطاً بين الرفض والقبول، فقبل المصطلحات العلمية والفنية مما لاسبيل لإيجاد مايحل محله ورفض غيره؛ لذا نراه يصدر قراره المتحفظ "يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية، عند الضرورة، على طريقة العرب في تعريبهم".

4.7.3 نزعة متذبذبة

حائرة بين موقفين الرفض المطلق لظاهرة الاقتراض والقبول الحذر به. وأصحاب هذه النزعة من المحدثين أمثال الكرملي والشهابي لأنهم تشبثوا ببعض الآراء القديمة الرافضة للاقتراض، وفي الوقت نفسه تواجههم الحاجة إلى المصطلحات العلمية فيتراخون في رفضهم وتضعف معارضتهم ويضطرون الى القبول بما يسد الحاجة بالاقتراض إذا لم تفِ بها وسائل التوليد الأخرى.



أسئلة التقويم الذاتي (5)

1. ما المقصود بالتعريب لغة واصطلاحاً؟ وما أقسام المعرَّب حسب التغيير أو الإلحاق؟ وما الفرق بين المعرّب والدخيل؟
2. وما مستويات التعريب، مع التمثيل؟
3. ما أدلة معرفة الدخيل التي استخلصها أئمة اللغة القدامى؟
4. ما المولّد؟ وما طرق التوليد التي ذكرها المغربي في كتابه الاشتقاق والتعريب؟ مع التمثيل لكل منها؟
5. انقسم العلماء قديماً وحديثاً إزاء المعرَّب في القرآن الكريم إلى ثلاثة آراء اذكرها؟
6. اذكر مواقف العلماء إزاء الاقتراض اللغوي. مع تفصيل القول في رأي مجمع اللغة العربية في القاهرة.
7. ما أشكال التصنيف في الألفاظ المعرَّبة، مع التمثيل لكل نوع؟

تدريب (5)



1. بيّن ما حصل من تغيير للكلمات التالية عند تعريبها: باص، ميكانيكي، كاز، الليسانس، سندويش.
2. اذكر بعض الألفاظ مما ورد في القرآن الكريم ويظن أنها من أصل غير عربي.

4. من مظاهر تعدد المعنى في العربية

1.4 الترادف Synonymy

هو في اللغة " تتابع شيء خلف شيء، وترادف الشيء تبع بعضه بعضاً، والترادف التتابع"[1] وفي الاصطلاح جاء في المزهر " قال الإمام فخر الدين هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد"[2]. وأما التهانوي في القرن الثاني عشر الهجري فيقول عنه : وعند أهل العربية والأصول هو توارد لفظين أو ألفاظ كذلك في الدلالة على الانفراد أو بحسب أصل الوضع على معنى واحد من جهة واحدة"[3]. من المعاصرين يقول اللغوي الإنجليزي أولمان " المترادفات ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينهما في أي سياق"[4]. والقدماء أكمل وأكثر دقة في تعريفهم، تظهر هذه الدقة بقولهم :

"من جهة واحدة "، " باعتبار واحد " مراعاة للتفريق أو للتباين بين الاسم والصفة فالسيف والحسام وإن دلاّ على شيء واحد لكن الأول باعتبار الاسم والثاني باعتبار الصفة، وكأن هذا التعريف لا يعترف بالترادف بين الحسام والسيف، ولكن يمكن أن يكون هناك ترادف بين الحسام والصارم باعتبارهما صفتين، أو بين الأسد والليث باعتبارهما اسمين. ووضع التهانوي قيداً آخر وهو قوله : " بحسب أصل الوضع " مما يفيد أن الترادف الناشئ عن غير ذلك لا يدخل في اعتباره. ولا يفوتنا التنويه بأن تعريف القدماء هو اقرب إلى معنى الترادف في اللغة ؛ فالتوارد هو بصورة أو بأخرى تتابع، والتتابع هو الترادف. ولم يقر القدماء مطلقاً باتحادالمعنى بين المترادفات كما فعل أولمان، فكل ما قالوه أن

(1) اللسان مادة "ردف".
(2) السيوطي: تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقه: 2/442.
(3) التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون: 3/66.
(4) دور الكلمة في اللغة: ص98.

لفظيــن أو أكثر تتــوارد للدلالة على معنى واحد ؛ ومعنى ذلــك أن هذه الألفاظ قد نوردها قاصدين الدلالة على معنى معين كقولنا: الســيف والبتار ؛ لاشــتراكهما في صفة القطع. ونحن الذين عقدنا الصلة وقصدنا هذا المعنى بدليل أنني أســتطيع أن أطلق صفة "بتار" على أية آلة حادة مثل الســكين وأدوات الجزار، فكلمة بتار ليســت وقفاً على السيف. وهذا يعني أنه لا اتحاد بينهما في المعنى وإن دلا على شيء واحد أو بالأحرى على معنى واحد وهو القطع في الشيء الواحد وهو السيف.

وأمــا قول أولمان " قابلة للتبادل فيما بينها في أي ســياق" ينقضه قوله:" وبالجملة ســوف يتبين لنا أن معظم المترادفات ليســت إلا أنصاف أو أشباه مترادفات وأنه لا يمكن استعمالها في السياق الواحد أو الأسلوب الواحد دون تمييز بينها"[1] .

والترادف، قديماً وحديثاً، كان مجال أخذ ورد من اللغويين فكانوا ما بين منكر ومؤيد. ويبدو أن أرسطو كان من أول المنكرين له حيث يقول: "ومن الخطأ أن نجاري ما قيل من أن تــداول العبارات المختلفة علــى المعنى الواحد لا يضيره ولا يغير منه، لأن هناك عبارة أحــق بالمعنى من أخــرى غيرها، وعبارة ألصــق بالمعنى من غيرها، وهنــاك عبارة تمثل المعنــى أمام العين أكثر من الأخرى كذلك الكلمة يمكن مقارنتها بالكلمة الأخرى ويختلف معنــى كل منهما"[2] . يعني أنه مهما اقترنت كل كلمة بأخرى للدلالة على معنى فإن هناك فرقاً بينهما وهذا يوضح دون مواربة رأي أرسطو الذي لا يقول بالترادف.

وظهــر الخلاف عليه فــي العربية في القرن الثالث الهجري حيــث أنكره أبو العباس ثعلــب المتوفــى ســنة 291هـ بنــاء على مــا ورد في المخصــص: " وأما كــون اللفظين المختلفيــن لمعنــى واحد فقد كان محمد بن الســري حكى عن أحمد بــن يحيى أن ذلك لا يجوز عنده"[3].

وأمــا فــي القرن الرابــع الهجري فيقــف أبو علي الفارســي (377هــ) وابن فارس (395هــ) معارضين لفكــرة الترادف بين الألفاظ فقد أورد الســيوطي: قال العلامة عز الدين بن جماعة في شرح جمع الجوامع، " حكى الشيخ القاضي أبو بكر بن العربي بسنده عن أبي علي الفارســي قال: كنت بمجلس ســيف الدولة بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة وفيهم ابن خالويه. فقال ابن خالويه : أَحفظ للســيف خمســين اســماً فتبسم أبو علي

(1) المصدر السابق: ص99.
(2) إبراهيم سلامة: بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص265، نقلاً عن "الخطابة" ص298-299.
(3) ابن ســيده: المخصص: 13/259، ط1، مطبعة بولاق، مصر، 1320هـ، ومحمد بن الســري هو ابن السرّاج (ت316 هـ)، وأحمد بن يحيى هو أبو العباس ثعلب (ت291هـ).

وقال : ما أحفظ إلا اسماً واحداً وهو السيف قال ابن خالويه: فأين المهند والصارم وكذا وكذا، فقال أبو علي : هذه صفات وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة[1] وأما ابن فارس فيتابع شيخه أبا العباس ثعلب ويقول معارضاً ومنكراً للترادف: "ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا أن الاسم واحد وهو السيف، وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى. وقال آخرون : ليس منها اسم ولا صفة إلاّ ومعناه غير معنى الآخر، قالوا : كذلك الأفعال نحو مضى وذهب وانطلق وقعد وجلس، ورقد ونام وهجع، قالوا ففي قعد " معنى ليس في (جلس) وكذلك القول فيما سواه وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب"[2] . وهكذا يتفق على إنكار الترادف من اللغويين النابهين كوفيان ثعلب وتلميذه ابن فارس " وبصري هو أبو علي الفارسي.

والمستشرق الألماني " نولدكه " يؤيد الفارسي وابن فارس بقوله " يجب أن نقر بأن معاجم اللغة العربية قد تضخمت كثيراً بكلمات استعملها الشعراء وصفاً لأشياء فذكرها اللغويون على أنها أسماء لتلك الأشياء، كالهيضم من الهضم أي الكسر للأسد والهّراس من الهرس أي الدق، وضع أصحاب المعاجم الكلمتين على أنهما اسمان مرادفان للأسد"[3] .

وينكر أيضاً وجود الترادف في اللغة من الأصوليين وعلى رأسهم الحكيم الترمذي (ت 354 هـ) ويستدلون على ذلك بحجتين أوردهما الأستاذ على الجندي"[4] : والأولى أنه يؤدي إلى اختلاف في الفهم، فقد يعلم الإنسان لهذا المعنى لفظاً ويعلم الآخر لفظاً آخر، ومع تأدية اللفظين لمعنى أحد فلا يعلم كل واحد منهما أن لفظ الآخر يدل عليه، وحينئذ يتعذر التفاهم بينهما.

والحجة الثانية : أن الاسم المترادف يتضمن تعريف المعرف وهو خلاف الأصل.

ومن اللغويين المحدثين من ينكر الترادف من ذلك ما يستنتجه د. بشر من قول Bloomfield بلومفيلد أنه : " إذا اختلفت الصيغ صوتياً وجب اختلافها في المعنى"[5] يعني أن بلومفيد، حسب هذه المقولة، لا يعترف بالترادف بناء على أن الاختلاف في اللفظ سيؤدي حتماً إلى الاختلاف في المعنى. وفي ذلك نظر لأنه إذا صدقت هذه المقولة في كثير من الحالات لا تصدق كلها، وإلا فما حكم الكلمات الإنجليزية التالية ,Kingly

---

(1) المزهر 405/1، ووردت الرواية نفسها تقريباً في نزهة الألباء: ص312.
(2) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص65.
(3) أحمد أمين: فجر الاسلام: ص54، هـ -1995م.
(4) البلاغة الغنية: ص218.
(5) دور الكلمة في اللغة، ملاحظة المترجم وهو الدكتور كمال بشر رقم 74 ص110.

Royal, Regal التي تدل على معنى واحد وهو "ملكي" مع اختلاف لفظها، أي اختلافها صوتياً.

ويستنتج الدكتور بشر رفض فيرث للمترادفات أيضاً من خلال تعريفه للمعنى اللغوي وهو: " عبارة عن مجموعة من الخصائص والمميزات اللغوية للكلمة أو العبارة أو الجملة "[1] بمعنى أن الكلمات لا تتفق في خصائصها ومميزاتها اللغوية كالمميزات الصوتية مثلاً وبالتالي ينعدم التوافق في المعنى والنتيجة الحتمية لهذا حسب تعبير دكتور بشر هي عدم وجود الترادف.

وأما بالمر مع أنه يقول في بداية كلامه عن الترادف إن "اللغة الإنجليزية على وجه الخصوص غنية بالمترادفات"[2] فإنه يردِفُها مقرِّراً "أنه لا توجد مترادفات حقيقة، لأنه لا توجد كلمتان لهما نفس المعنى أو متفقتان تماماً في معنييهما " والأستاذ ترنش Trench (1807-1886) يسبقه إلى هذا الرأي حيث يقول : " إن كلمات اللغة الواحدة، لا يمكن أن تكون مرادفة تمام الترادف لكلمات أخرى، وأنه عند مقابلة إحداها بقرينتها، لا بد أن يكون في أحد المعنيين زيادة أو نقص، يحول دون الاتفاق التام"[3] ، أي إنها قد تشترك في معنى أساسي عام إلاّ أن كلاً منها يتضمن فروقاً جزئية تنفرد به كل واحدة عن الأخرى وهذه الفروق تجعل " كل كلمة تقتضي خلاف ما تقتضيه الأخرى وإلاّ لكانت إحداها فضلاً لا يحتاج إليه"[4] ، ولولا هذه الفروق لسميت - كما يقول الشدياق المتساوية. وأما تشارلتن فيقول : " اللفظتان المترادفتان تتقاربان كما يتقارب الشقيقان ولكنهما لا تتماثلان تماثل الأصل والصورة"[5].

ونجد عند الدكتور محمود حجازي مثل هذا الرأي أو ما يقاربه إلى حد بعيد في قوله: " في ظل مبدأ نسبية الدلالة يندر أن تكون هناك كلمات تتفق في ظلال معانيها اتفاقاً كاملاً، ومن الممكن أن تتقارب الدلالات لا أكثر ولا أقل، فالألفاظ المترادفة هي بهذا المعنى ذات الدلالة المتقاربة"[6].

وفي معرض تعليقه على رأي ترنش يعترض الأستاذ علي الجارم على هذا الرأي قائلاً: " ولا شك أن في هذا الرأي شيئاً من الغلو، وربما كان قريباً من الحق في المعنويات

---

(1) Palmer: Semantics: Cambridge University Press, Cambridge, 1977, PP, 59-60.

(2) Ibid.

(3) Trench (Richard): On The Study of Words: J.M. Dent & Sons Ltd. London, 1936: PP.94 (Lecture V-on the distinction of words).

(4) أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، ص13.

(5) البلاغة الغنية: ص214.

(6) مدخل إلى علم اللغة: ص79.

والوجدانيات، وأما في المحسوسات المشتركة بين الناس فالترادف فيها جلي بيِّن فكلمات الشمس والقمر والكتاب والماء ذوات معان متطابقة في جميع اللغات"[1] . إذاً فهو يوافق الأستاذ ترنش وكل من رأى رأيه بعد ذلك في أن الكلمات تتقارب دلالاتها في المعنويات ولا تتفق تمام الاتفاق، بعكس الكلمات ذات الدلالات المحسوسة كالشمس والقمر.

وقبل أن نترك الحديث عن منكري الترادف أورد تعليقاً للدكتور إبراهيم أنيس على بعض منكري الترادف إذ يقول: "إن بعض هؤلاء الذين أنكروا الترادف كانوا من الأدباء النقاد الذين يستشفون في الكلمات أموراً سحرية ويتخيلون في معانيها أشياء لا يراها غيرهم فهم قوم ...ينقبون عما وراء المدلولات سابحين في عالم الخيال يصور لهم من دقائق المعاني وظلالها ما لا يدركه إلا هم وفي كل هذا من المبالغة والمغالاة ما يأباه اللغوي الحديث في بحث الترادف"[2] فكأنه يرى إنكار الترادف ضرباً من الخيال ونوعاً من المغالاة لا مسوّغ لها.

لقد رأينا فريقاً من الأصوليين ينكرون الترادف، ولكن إزاء هذا الفريق تيار قوي من الأصوليين يقوده فخر الدين الرازي (ت 606 هـ)، فهو لم يكتف بتعريفه الذي ذكرناه في بداية المبحث، بل وضع له الحدود والاحترازات حيث يقول : " واحترزنا بوحدة الاعتبار عن المتباينين كالسيف والصارم، فإنهما دلا على شيء واحد لكن باعتبارين، أحدهما على الذات والآخر على الصفة"[3] فكأن السيف والصارم لا ترادف بينهما لتباينهما من جهة أن الأول اسم والثاني صفة، وأن دلا على شيء واحد، ولكن في أحدهما زيادة معنى على الآخر جعلتهما في مرتبة المتباينين لا المترادفين. فهو من هذه الناحية لا يختلف مع ابن فارس ومن قبله الفارسي إلا أنهما ينكران الترادف على أية صورة كانت، وهو يثبته بشرط أن يأتي عن اعتبار واحد، ويرد على الأصوليين الذين تمحلوا الاشتقاقات المختلفة للألفاظ المترادفة وقرر " أن عمل الاشتقاقيين هذا ليس إلا تعسفاً لا يقبله عقل ولا نقل، ثم شرح الدواعي إلى الترادف وهي : أولاً : تعدد الوضع وتوسيع دائرة التعبير وتكثير وسائله. ثانياً: تسهيل تأدية المقصود بإحدى العبارتين عند تساوي الأخرى"[4] .

وأول من ورد عنهم المترادف من اللغويين أبو زيد الأنصاري (215 هـ)، أي في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث فقد جاء في المزهر[5] ألفاظ مترادفة

(1) مجلة مجمع اللغة العربية، بحث "الترادف" العدد30/9 للأستاذ علي الجارم.
(2) في اللهجات العربية: ص181.
(3) المزهر: 1/402.
(4) علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الاسلام، ص35-36.
(5) السيوطي 1/413 والمحبنطئ: السمين الضخم البطن، والمتكأكئ: القصير، والمتآزف: القصير المتداني جداً.

منقولة عنه كالمحبنطئ والمتكأكئ والمتآزف والفروق بينها في المعنى واضحة، والترادف بينها بالإيحاء.

كذلك يذكر السيوطي[1] لابن الأعرابي (232 هـ) ألفاظاً تدل على العمامة مثل: المَشْوذ، والسِّب، والمقطعة، والعِصابة، والعِصاب، والتاج، والمكْوَرة.

ومن اللغويين من صنف في المترادفات كالأصمعي (216 هـ) في كتاب الألفاظ"[2].

وفي القرن الرابع الهجري لم يكتفِ ابن خالويه (370 هـ) بما نقل عنه أنه يحفظ للسيف خمسين اسماً، بل راح يصنف في الموضوع تثبيتاً لنظريته وتدويناً للمترادفات فقد" ألف كتاباً في أسماء الأسد، وكتاباً في أسماء الحية". وكذلك مجد الدين الفيروز أبادي (816 هـ) صاحب " القاموس المحيط " ألف كتاباً أسماه "الروض فيما له اسمان إلى ألوف"[3] .

كذلك لا يفوتنا أن ننوه بفضل السيوطي (911 هـ) الذي أفرد مبحثاً خاصاً للترادف في مزهره استقينا منه الكثير من المعلومات التي رصدها.

وفي القرن الثاني عشر الهجري يدافع التهانوي عن الترادف ويثبت وجوده ويذكر فوائده في كشافه حيث يقول : " زعم البعض أن الترادف ليس بواقع في اللغة وما يظن منه فهو من باب اختلاف الذات والصفة كالإنسان والناطق أن اختلاف الصفات كالمنشئ والكاتب .... والحق وقوعه بدليل الاستقراء نحو : أسد وليث"[4].

ومن اللغويين الغربيين من تردد بين الأخذ به ورده، ونفعه وضره وخير من يمثل هذا الاتجاه أولمان الذي لا يثبت على حال في أمر المترادفات فبعد أن يعرفها يقول:" والترادف التام - بالرغم من عدم استحالته - نادر الوقوع إلى درجة كبيرة، فإذا ما وقع هذا الترادف التام فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة"[5]. فهو يثبت وقوع الترادف وإن كان في ندرة ووقت محدود، ثم بعد ذلك يذكر أسباب قصر مدة وقوعه مرتبة بشكل يتلاشى معه المترادف شيئاً فشيئاً حتى ينتفي، حتى إنه يسمي المترادفات أنصاف المترادفات أو أشباه المترادفات وفي ذلك، لا شك، تناقض. ولننظر ما يقوله بعد ذلك مباشرة : "حيث أن الغموض الذي يعتري المدلول والألوان أو الظلال المعنوية ذات الصبغة العاطفية أو الانفعالية التي تحيط بهذا المدلول لا تلبث أن تعمل على تحطيمه وتقويض أركانه، وكذلك

---

(1) المرجع السابق 410/1.
(2) ابن سيده، المخصص: 258/13.
(3) المزهر 407/1.
(4) كشاف اصطلاحات الفنون: 66/3.
(5) دور الكلمة في اللغة: ص98/99.

سـرعان ما تظهر بالتدريج فروق معنوية دقيقة بيـن الألفاظ المترادفة، بحيث يصبح كل لفظ منها مناسـباً وملائماً للتعبيـر عن جانب واحد فقط من الجوانـب المختلفة للمدلول الواحد، كما أننا سـنلاحظ في الوقت نفســه أن ما يرتبط بهذه الألفاظ من عناصر عاطفية وتعبيرية وإيحائية خاصة سـوف تأخـذ في الظهور والنمو ممتدة فـي خطوط متباعدة، وبالجملة سـوف يتبين لنا أن معظـم المترادفات ليس إلا أنصاف أو أشـباه مترادفات[1]، وممـا يجعلنـا نتخذ جانب الحذر من رأيه أنه يرى في التـرادف أحياناً " أخطاراً خفية ... وإن اسـتعمال المترادفات قد يصبح تنويعاً مصطنعاً لا روح فيه "[2] ، وأحياناً أخرى يرى فيه : " مزايا لغوية وأسـلوبية لا حصر لها، إذ أنه في اسـتطاعتنا أن نسـتغلها في الدلالة على ألوان المعنى وظلاله المختلفة "[3]. فكأن الترادف عنده سيف ذو حدين، أي إنه يجمع بين النقيضين النفع والضرر في آن واحد، فهو يرغب في اسـتعماله واستغلاله في تنويع الأسلوب وفي الوقت نفسه يضع الشوك في طريقه بما يفترض فيه من أخطار خفية، وهو بذلك يضيف تسويغاً آخر لإنكار الترادف بالإضافة إلى ما ذكره الأصوليون.

ويجمل صاحب المزهر الخلاف بين الدارسـين نقلاً عن الشيخ عز الدين (بن جماعة) قـال: "والحاصل أن مـن جعلها مترادفة ينظر إلـى اتحاد دلالتها على الـذات ومن يمنع، ينظـر إلى اختصاص بعضها بمزيد معنى فهي تشـبه المترادفة فـي الذات والمتباينة في الصفات"[4].

وأما الدكتور بشـر فيرجع سبب اختلاف الدارسين في الترادف إلى أمرين : " أولهما : عـدم الاتفاق بين هؤلاء الدارسـين على المقصود بالتـرادف وثانيهما : اختلاف وجهات النظر أو اختلاف المناهج بين الدارسين "[5] ويختار د. بشر تعريف أولمان السالف الذكر وقـد بينا آنفـاً وجه الخلل فيه، ويختار المنهج الوصفي Synchronic لدراسـة الترادف، طبعـاً مـع الابتعاد عن المنهـج التاريخي Diachronic قدر الإمـكان. ويتفق معه في هذا الدكتـور إبراهيم أنيس في كتابه "في اللهجات العربية". ويجدر بنا أن نراعي في المنهج الوصفي ما يلي:

أولاً: تحديد البيئة اللغوية المدروسـة زماناً ومكاناً، أي إن الكلمات المدروسـة يجب أن يكـون انتماؤها إلى لهجة واحـدة معينة وفي فترة معينة أيضاً الحقيقة أن هذه الفكرة أو هذا الشـرط ليس جديداً علينا، أو هي ليسـت من مبتكرات الغربيين فقد أورد د. أنيس عن الأصفهاني (370 هـ) أنه يرى: "الترادف في اللهجة الواحدة وينكره في لهجتين"[6] وكأنـه لا يعتـرف بالترادف بين لهجتيـن، وإنما يقع بين كلمتين أو أكثـر في بيئة واحدة ولهجة واحدة.

---

(1) المرجع السابق نفسه. (2) السابق: ص 101-103.
(3) السابق نفسه. (4) السيوطي، المزهر: 1/405.
(5) دور الكلمة في اللغة، ملاحظة مترجم رقم 74، ص110. (6) في اللهجات العربية: ص175.

وابن جني في محاولته وضع منهج لدراسة الترادف وفرز المترادفات، لم تغب عن باله هذه الفكرة، وإن لم يضع لمنهجه أساساً ثابتاً أو قواعد راسخة، إذ ساق من الاحتمالات ما قل وما ضَعُف في اعتباره أساساً للترادف، بدافع الدقة الذي أفقده ثبات الأسس فقد جاء في الخصائص: " وما اجتمعت فيه لغتان أو ثلاث أكثر من أن يحاط به، فإذا ورد شيء من ذلك، كأن يجتمع في لغة رجل واحد لغتان فصيحتان ... فإن كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الاستعمال كثرتهما واحدة، فإن أخلق الأمر به أن تكون قبيلته تواضعت في ذلك المعنى على ذينك اللفظين .... وقد يجوز أن تكون لغته في الأصل إحداهما، ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى، فلحقت بطول المدة واتصال استعمالها بلغته الأولى "[1]، واضح من كلامه أن اعتباره المترادفات من قبيل اللغات يعني أن في ذهنه فصلاً واضحاً بين لغة قبيلة وأخرى، أو بين لهجة وأخرى، فاجتماع كلمتين أو أكثر للدلالة على معنى يبحثه من زاوية وقوعه في قبيلة واحدة ثم يضع له الموازين أو الاحتمالات التي كانت سبباً في وجود هذه المترادفات في هذه البيئة، وضمن هذه اللهجة. ولماذا نبعد في الاستدلال ألم يقل، في بداية كلامه، كأن يجتمع في لغة رجل واحد لغتان فصيحتان؟! فهو من السابقين إلى هذه الفكرة بل إن رؤيته أكثر دقة وحصراً والتزاماً بالمنهج الوصفي.

ويتبع تحديد البيئة أو اللهجة تحديداً أكثر حصراً، وأضيق مجالاً، تقسم فيه البيئة إلى حلقات ودوائر تختص منها بفئة من فئات المجتمع وطوائفه كالمثقفين والعمال، والمهندسين والأطباء والفلاحين والصناع والتجار، فكل فئة تستعمل ألفاظاً وأساليب قد تختلف من قريب أو بعيد عن الأخرى.

ثانياً: مراعاة سياق الكلام وظروف الموقف الذي قيل فيه الكلام وملابساته مع الأخذ بعين الاعتبار حال المتكلمين والسامعين للكلام المدروس؛ لأن الكلمة الواحدة قد يتميز معناها من سياق لآخر أو من أسلوب لآخر.

وهناك شرط ثالث يضيفه د. إبراهيم أنيس وهو : " الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقاً تاماً على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة "[2] .

ويبدو أن هذا الشرط فيه نظر لأن الاتفاق التام في المعنى في الأذهان من الندرة بمكان، لأن كل كلمة ترتبط بعناصر عاطفية وإيحائية خاصة في ذهن كل متكلم أو سامع.

(1) المرجع السابق: ص372.
(2) في اللهجات العربية: ص178.

وهكـذا يتدرج بنا المنهج الوصفي من حلقة واسـعة وهي اللهجة الواحدة ثم تضيق الدائرة لتنحصر في شـريحة معينة داخل اللهجة، ثم بعد ذلك يراعى سـياق الكلام خلال الشـريحة الاجتماعية حتى يتحدد المعنى الذي تتفق عليه الكلمتان اتفاقاً تاماً، لتعتبر من المترادفات، ولو طبقنا هذا المنهج بدقة لخرج الكثير مما يعد من المترادفات.

وهكـذا بَعـد أن بينا خلاف المنكريـن والمؤيدين للترادف وأسـباب ذلك، وبعد بيان المنهج الحديث لدراسـته يجدر بنا أن ننتقل إلى بيان أسباب الترادف وقد وردت في كتب اللغة وأهمها:

(1) تداخل اللهجات، أو ما كان يسـمى قديماً تداخل اللغات، وذلك بأن تستعمل قبيلة كلمة لمعنى من المعاني أو اسماً لشيء ما، وتستعمل قبيلة أخرى كلمة أخرى للشيء نفسه. فيحصل احتكاك بين القبيلتين ينتج عنه أن تأخذ كل قبيلة الاسم أو الكلمة عن الأخرى فيشتهر الاسمان ويشيعان ويصبحان مترادفين.

فقـد ورد عن ابن جني: " وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات لإنسان واحد من هنا، ومن هنا[1] يقول في موضع سابق : قد يجوز أن تكون لغته في الأصل إحداهما، ثم إنه اسـتفاد الأخرى من قبيلة أخرى ...فلحقت بلغته الأولى"[2] ويدعم هذا الرأي ما جاء عن الأسـتاذ عباس حسـن الذي يقـول : " إذا اختلفت اللغة في القبيلة الواحدة فنطق فريق بما ليس شائعاً في قبيلة أخرى ويستعملها دون لغته أو معها ولا حرج عليه في هذا، والقياس عليه جائز"[3].

وإذا كان ابـن جنـي قد نظر للترادف مـن خلال قبيلة واحدة، ينقـل أحد أفرادها عن قبيلة أخرى؛ فإن السـيوطي قد نظر لشـيوع اسمين لمسمى واحد من خلال قبيلتين وذلك في قوله عن المترادفين: "بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسـمين والأخرى الاسـم الآخر للمسـمى الواحد من غير أن تشـعر إحداهما بالأخرى ثم يشتهر الوضعان"[4]. ويؤيد ذلك ما نقله الأسـتاذ الجارم عن ترنش Trench حيث يقـول: "هناك قبائل مختلفة، لكل قبيلة لهجتها، وهذا اللهجات على تقارب ما بينها متميزة مختلفة، فإذا اندمجت القبائل في شعب من الشـعوب نفحت لغته بنصيب من لهجاتها ومن أمثلة ذلك اللغة الفرنسـية فإنها تشمل علـى مترادفات كثيرة أتت إليها من لهجة الجنوب ولهجة الشـمال"[5] ولا ريب أن هذا هو الذي حصل في اللغة العربية، وما حكاية السـكين والمدية بين الرسـول ﷺ وأبى هريرة -رضي الله عنه- ببعيدة.

---

(1) الخصائص: 1/374.　　(2) المرجع السابق: ص372.

(3) اللغة والنحو: ص35، والأمر الثاني سنستشهد به في موضع آخر.

(4) المزهر: 1/241.

(5) مجلة المجمع 1/323، من بحث "الترادف" لعلي الجارم، المطبعة الأميرية، بولاق، 1935م.

(2) وقد يكون اللفظان المترادفان من وضع قبيلة واحدة كقول ابن جني " وما اجتمعت فيه لغتان أو ثلاث أكثر من أن يحاط به، فإذا ورد شـيء من ذلك، كأن يجتمع في لغة رجـل واحـد لغتان فصيحتان فينبغـي أن نتأمل حال كلامه. فـإن كانت اللفظتان في كلامه متسـاويتين في الاسـتعمال، كثرتهما واحدة فان أخلق الأمر به أن تكون قبيلة تواضعـت في ذلك المعنـى على ذينك اللفظين، لأن العرب قد تفعـل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها وسعة تصرف أحوالها"[1].

(3) اختلاط الشـعوب وامتزاجها في الحرب والسـلم وهو مصدر واسـع لإثـراء اللغات، الغالـب منها والمغلوب، أو الاحتكام على أسـاس من المسـاواة في الصداقة وحسـن الجوار.

وقـد دخل اللغـة العربية عن هـذا الطريق كثير مـن الألفاظ فدخلـت العربية ألفاظ أعجميـة تغلبت علـى مرادفاتها العربية أحياناً : مثل النرجس (للعبهر) العربية، والمسـك (للمشموم). ومن الألفاظ ما دخل ولكن مرادفه العربي تغلّب عليه فتنوسي مثل: السجنجل للمـرآة والخندريس للخمـر. وهناك أيضاً مرادفات لألفاظ عربية ظلت تسـتعمل جنباً إلى جنب مع الألفاظ العربية مثل: الفردوس للبسـتان أو الجنة، والقسطاس للميزان، والمداد للحبر واللواء للعلم.

ولم يحدث هذا الأمر في اللغة العربية فقط وإنما يحدث في كل اللغات دون استثناء، حتى في أوسـعها انتشاراً كالإنجليزية يقول بالمر Palmer "واللغة الإنجليزية على وجه الخصـوص غنية بالمترادفات لسـبب تاريخي وهو أن مفرداتها قـد جاءتها من مصدرين مختلفين، من الإنجلوساكسونية من ناحية ومن الفرنسية واللاتينية والإغريقية من ناحية أخـرى"[2]، ويضرب مثالاً لذلـك " بكلمة (ملكي) فلها ثلاث مرادفات أولها: Kinglyوهي لفظة إنجليزيـة أصيلة ،ولفظة Royal ولفظة(Regal) وهي لاتينية. كذلك يورد أولمان ثلاثة ألفاظ مترادفة بمعنى (يسأل) وهي: Ask الإنجليزية الأصل، و Question الفرنسية الأصل، وInterrogate اللاتينية الأصل"[3].

(4) وقد تنشـأ المترادفات نتيجة تسمية الأشـياء باعتبارات عدة، كتسمية السيف بصفاته كالفيصل والحسـام والصارم، أو بمكان صنعه كقولنا: يماني، مهند، أو ننسب الشيء لمن قام بصنعه كقولنا للرمح رديني، سمهري. أو التسمية بالكنية كتسمية الأسد بأبي

(1) الخصائص: 372/1.
(2) Palmer: Semantics, PP, 59-60.
(3) دور الكلمة في اللغة: ص100.

العباس أو بأبي الحارث وكتسمية الحرير بالخسرواني، والعسل بالأصبهانية نسبة إلى المكانين اللذين يشتهران به. وقد يأتي تسمي يوم فيه البن بالبرازيلي والشاي بالهندي أو السيلاني، والتبغ بالفرجيني. وفي فلسطين شيء من هذا القبيل بقولهم: خليلي للعنب، ويافاوي للبرتقال، وريحاوي للموز، ونبالي للزيتون، ونابلسي للصابون ..الخ.

كذلك المجاز الذي يطول العهد به فيصبح حقيقة كاستعمال العين للجاسوس، والأذن لمن يسترق السمع. كذلك التضمين وهو التوسع في استعمال لفظ بحيث يؤدي معنى لفظ آخر مناسب له فيعطى الأول حكم الثاني في التعدي. وهو من قبيل حمل الشيء على نظيره كما يقول ابن جني في الخصائص كقوله تعالى: (عَتَوْا عن أمر ربهم)[1] ضُمِّن معنى انحرفوا وانصرفوا فعدِّي بعن وهو في الأصل بمعنى استكبروا.

كل ذلك يجري على الألسنة ويشيع حتى ينتهي الأمر به إلى أن يصبح نائباً عن المسمى ومرادفاً له.

(5) جاء في المزهر : " قال أبو الطيب اللغوي في كتابه : ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في اللغتين لمعنى واحد حتى لا تختلف إلى حرف واحد، ومن أمثلة الإبدال الأيم والأين للحية، وفناء الدار وثناء الدار. ومن أمثلة القلب : ربض ورضب، وصاعقة صاقعة، وعميق ومعيق "[2] . وأعتبر ما رواه ابن جني عن الأصمعي من هذا القبيل حيث يقول : " اختلف رجلان في الصقر. فقال أحدهما : الصقر (بالصاد). وقال الآخر : السقر (بالسين) فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه، فقال : لا أقول كما قلتما. إنما هو الزقر"[3]. وتقاربت مخارج الحروف فخرج الحرف على صور صوتية متقاربة مما أدى إلى الخطأ في النطق أو في السماع نشأ عنه الترادف بين الألفاظ، يقول الأستاذ خلف الله عن هذه الظاهرة : " والناس يختلفون فيما يبنهم في القدرة على السماع وفي القدرة على إعادة المسموع بأصواته التي كان عليها، وهذا هو رأي الشدياق الذي يبني عليه بعض مسائل اختلاف اللغات واللهجات والقلب والإبدال والترادف، لهذا، كما يقول الشدياق، جاءت أفعال كثيرة بمعنى واحد نحو نز الماء

(1) الذاريات: الآية 44.
(2) السيوطي: 1/273.
(3) الخصائص: 1/374.

ونــش ونص، وبص وبض، وخشــخش، وشخشــخ"[1]. ويؤيد ذلك مــا نقله د.ظاظا عن دار مســتتر Darmaesteter من كتابه (حياة الألفاظ) La via des mots وإن لــم يفصح عن الأمر كما أفصح أبو الطيب والشــدياق وإنما قــال: "إن بعض الألفاظ مع تكونها ودورانها على الألســنة تأخذ شــكلين مختلفين، يصبحان مع الاســتعمال مترادفيــن)[2] وقــد مثل د. ظاظا للأمر بــ : جبــذ وجذب، وهو ما لا يفترق عن تمثيل أبي الطيب اللغوي بـ (ربض ورضب) أو تمثيل الشدياق بــ (شخشخ وخشخش).

وأما الدكتور إبراهيم أنيس فيســمي ما جاء على شاكلة فناء وثناء اللتين أوردهما أبو الطيـب اللغوي (كالجثل والجفل وأز وهز وكمح وكبح تطوراً صوتياً)[3]. وأما د. رمضان عبد التواب فيسمي هذه الظاهرة (تعاقب الأصوات) ومثّل لذلك بــ : حَدَف وحَدَث، والحثالة والحفالة للرديء من كل شــيء. ويتفق مــع د. أنيس بأنها لا تعد من قبيل الترادف بمعناه الدقيـق والحديث حيث يقــول: " وهناك انقلابات صوتية أخرى ليســت إلا نتيجة لأخطاء الســمع، وإلى هذا الســبب وهو الخطأ الســمعي يرجـع في نظري معظم أمثلة ما يســمى فــي اللغة العربية بحالات (تعاقب الأصوات) ...وقد عد القدماء هذه الأمثلة وما شــابهها من المترادفات، وهي في الواقع ليســت من المترادفات بمعناه الحديث في شيء)[4]. ومع تقديرنا لهذا الرأي فإن الواقع يثبت أن مثل هذا الأمر قد استعمل قديماً، وما زال كثير من الأدباء يلجئون إلى هذه المترادفات ينوعون بها تعبيراتهم ويلونون بها أساليبهم.

(6) وأمــا الدكتــور اســماعيل عمايرة فلا يســتبعد أن تكون هذه المترادفــات قد تطوّرت صوتيــاً عن أصل ســامي واحد يمكــن ردّها اليه بالبحث الدلالــي التاريخي المقارن، ويذكر عدة مواد تشــترك في الدلالة على الموت الســريع أو السم القاتل نحو: دفف، دأف، دعف، ذفف، ذأف، زعف، زوف، ذيف، ذرعف، ذبب، ذلعب، زعلب وغيرها من المواد التي يقول فيها "أحســب أنها انحدرت فــي الأصل من أصل واحد، كأن يكون "ذفّ" أو "دفّ" أو "زفّ" أو "زبّ". ولا يَبْعُــد أن تعود هذه الأصول كلها إلى أصل واحــد، ولكن تقــارب الأصوات،أدى إلى تباين بين القبائــل أو الأجيال في نطقها،ثم انشــعب من كل تلوين صوتي، اشــتقاقات استثمرتها اللغة العربية، واللغات السامية في أداء ما احتاجت إليه من توسع، أملته حاجة اللغة، ومقتضيات تطورها مع توالي

---

(1) أحمد فارس الشدياق: ص101.

(2) كلام العرب: ص103.

(3) في اللهجات العربية: ص179، ص184.

(4) لحن العامة والتطور اللغوي: ص36.

الأجيال اللاحقة، وقد بقي من آثار الأصل البعيد لهذه الكلمات ما تذكره المعجمات مكرر المعاني، دون أن يكون بينها فَرْق يُذكَر"[1].

(7) ومن أسباب الترادف ما يتوهمه كثير من الناطقين باللغة من أن رمق ولحظ ورنا. مثلاً في معنى " نظر " تماماً، والحقيقة أن كل لفظة منها تدل على حالة للنظر تختلف عن الأخرى، والأمر نفسه، نجده في الخلط بين ألفاظ الحب كالهوى والغرام والعشق والوجد، وكذلك في ألفاظ النوم كالنعاس والكرى، والحقيقة أن كل لفظ من هذه الألفاظ يدل على درجة معينة من الحب أو النوم.

(8) ينقل السيوطي عن الأصوليين قولهم : " لوقوع الألفاظ المترادفة سببان أحدهما: أن يكون من واضعين (أي من قبيلتين) وهو الأكثر.

والثاني : أن يكون من واضع واحد وهو الأقل "[2] ولتقريب المسألة إلى الذهن أصوِّر الأمر هكذا أن لفظاً ما يكون شائعاً في قبيلة بمعنى معين ثم يأتي فرد ما في هذه القبيلة ويستعمل لفظاً آخر للمعنى نفسه، ويتقبل منه هذا اللفظ خاصة إذا كان شاعراً فصيحاً أو خطيباً مفوَّهاً أو شيخاً للقبيلة، أو زعيماً، أو حكيماً فيها، فتشيع هذه اللفظة وتشتهر ويصبح اللفظان دالّيْن على نفس المعنى، ومن ثم مترادفين. وأستطيع أن أقول إن هذا الأمر ينطبق على ما يطلقه الساسة والزعماء والقادة من مصطلحات أو ألفاظ يكون لها ما يشبهها في اللغة من حيث المعنى فيشيع ويشتهر على الألسنة ما ينطقه القائد أو الزعيم ويصبح للفظ المصطلح عليه أو الموجود منذ القدم ليؤدي المعنى نفسه، وكان هذا سنّة مقبولة عند العرب، فقد جاء في الخصائص: "إن العربي إذا قويت فصاحته، وسمت لغته، تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به، فقد حُكي عن رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسْمَعَا ولا سبقا إليها" [3].

وبناء عليه يقول الأستاذ عباس حسن: "أن ينفرد واحد بشيء لا تعرفه قبيلته ولا غيرها نقبله منه ونضمه إلى الصحيح الفصيح، إن لم يكن ذلك المتفرد متهماً في عقله أو عدالته، ذلك أن العربي الأصيل قد يبتكر، بل من حقه أن يبتكر...من غير تعقيب عليه أو مراجعة"[4].

وإذا كان سبب إنكار الترادف أنه سيحرم الناطقين باللغة خاصة الأدباء والشعراء منهم من تلوين أسلوبهم وتنويع تعبيرهم، ظناً منهم أن هذه المترادفات متحدة في سماتها

---

(1) بحوث في الاستشراق واللغة: ص166.
(2) المزهر: 1/406.
(3) الخصائص: 1/424.
(4) اللغة والنحو: ص35.

ولا تختلف أحوالها في الدلالة على المعنى؛ فإننا نرد عليهم بأن هذه الألفاظ المترادفة هي ذات دلالات متقاربة وليست كما تصوروها وإلا لسميت بالمتساوية لأن " اللغة بطبيعتها، وتدرج استعمالها، تأبى لكلماتها المترادفة أن تتحد في سماتها وشياتها وشاراتها، وإن اتحدت في مسمياتها فللأسد والغزال والخمر والسيف أسماء كثيرة، ولكل منها شحنته وأشعته وظلاله وهمسه وجرسه ووقعه وتأثيره "[1] ولا غبار على هذا القول، لأننا لا نجد لفظين مترادفين يوحيان على قدم المساواة بمفهوم واحد، وبدقة تامة .

وأما الأستاذ الخولي فيرى في المترادفات " ثروة لا سوق لها ولا وزن في منافع التعامل، مع كونها عقبة إلى حد ما في وجه متلقي متن اللغة ومحصِّل مفرداتها ودارس أدبها، وهي مما يعوق اتصال الفصيحة بالدنيا والقرب من الألسنة والقلوب على ما نبتغي ونحاول "[2] فهو لا ينكر وجودها، ولكنه لا يرى فيه مزية بل ضرراً يتمثل في كونها عقبة في طريق من يتعلم اللغة، وبدلاً من أن تكون حلقة وصل ووسيلة ربط بين مستويات اللغة والمتكلمين بها تقف عائقاً يحول دون ذلك، على حد رأيه، والحقيقة أننا إذا نظرنا للأمر من وجه آخر سنتبين أن الألفاظ المترادفة، بالإضافة إلى أنها حقيقة واقعة ولا سبيل لإنكارها، عامل مساعد على فهم المعاني وتوضيح الأمور، وأداة طيعة في متناول اليد تتيح لنا بيان تفاصيل الأمر ودقائقه وزواياه. وأن هذا الألفاظ المترادفة قد يقوم بعضها مقام بعض مما يسمح لمتلقي اللغة أن يستخدم ما يتيسر من ألفاظ تعينه على التعبير عن رأيه ومكنون نفسه بصوره أدق وأجلى بدلاً من أن يكون محصوراً بين ألفاظ قليلة تدور في فلكها، ولا يستطيع الفكاك منها.

وأما أنها تقف سداً وحاجزاً بين توحيد مستويات اللغة فهذا مما يرفضه العقل والنقل؛ حيث اللغة نقلت إلينا تحتوي على المترادفات التي وردت في شعر العرب ونثرهم، هذا علاوة على أن اللغة الدارجة قلما تلجأ إلى المترادفات ؛ إذاً فعدم توحيد مستويات اللغة ليس الترادف سبباً فيه.

وأما أن المترادفات تحول دون قرب القلوب أي أنها بعبارة أخرى أداة مساعدة لبثّ التفرقة والشحناء بين الناس، بمعنى أن دورها سلبي لا إيجابية فيه، فهذا اعتراض متهافت لأننا بهذه الألفاظ المترادفة وخاصة بألفاظ المجاملة والاحترام نستطيع أن نبني جسوراً من العلاقات الطيبة، ونستطيع أن نوضح ما ساء فهمه، أو ترميم ما فسد أمره.

وإذا كان الأستاذ الخولي يرى أن المترادفات تقوم بدور سلبي، فإن غيره يرى فيها ميزة؛ حيث يعد كثرتها دليلاً على التقدم الثقافي والحضاري فالأستاذ أحمد زكي في كتابه "مبادئ علم النفس التعليمي" يقول: "والتقدم الفكري في الجماعات والأفراد، يقاس بما

---

(1) علي الجندي: البلاغة الفنية، ص214.

(2) أمين الخولي: فن القول: ص127-128.

عندهم من ثروة لغوية، كما أنه تعد الألفاظ التي تطلق على الشيء الواحد، دليلاً على سعة الخبرة بالشيء"[1].

هـذا بالإضافـة إلى ما تضفيه هـذه المترادفات على الأدب، شـعره ونثره، من جمال وتوسـع في أسـاليب البلاغة وطرق الفصاحة سـواء جاء ذلك على شـكل صور بيانية أو صور بديعية.

ولا يفوتنا أن نذكر أن في الألفاظ المترادفة وسيلة يعوض بها الإنسان نقصاً، لما قد يصيبه من نسـيان لفظ يستعين بمرادف له كي يقوم مقامه، أو عيب خَلْقي في نطق لفظ يتحاشاه إلى لفظ آخر يداري به نقصه، ويدرأ عنه استهزاء الناس به.



أسئلة التقويم الذاتي (6)

1. ما الترادف؟ واذكر مؤيديه ومفكريه وحججهم.
2. ما المنهج الذي تحسن دراسته به؟ وما تجب مراعاته فيه؟
3. ما أسباب الترادف؟



تدريب (6)

1. اذكر بعض المرادفات لكلمة سرور، ولاشتعال الحرب.
2. هل ترى بين الألفاظ التالية نوعاً من الترادف؟: النعاس. النوم، الرّقاد، السِّنة، الكرَى، الهجود، الهجوع، التهويم، الترنيق، السُّبات، القيلولة.

2.4 الاشتراك اللفظي

إذا كان الترادف يعني وجود كلمات عدة تدل على معنى واحد، فالمشـترك نقيضه إذ هو: كلمة واحدة تدل على معانٍ عدة على سبيل الحقيقة أو المجاز. ويتفق هذا مع تعريف الأصوليـين الذين يرون أنه اللفظ الواحد الـدال على معنيين مختلفين فأكثر مثل : العين : التي تطلق على الباصرة، وعين الماء، وعين الشيء أي حقيقته ونفسه، والعين التي تطلق على الجاسـوس. وحينما نقول كلمة واحدة نعني أنها بلفظها وصورتها وأصواتها تؤدي أكثر من معنى.

ويبدو أن الغربيين في دراستهم للاشتراك يفصلون بين مصطلحين هما : Polysemy ويعني تعدد المعنى للكلمة، وهذا أقرب لمعنى المشترك في العربية. والثاني Homonymy

(1) نقلاً عن البلاغة الفنية: ص220.

وهو مجموعة من الكلمات لا علاقة بينها سوى اتفاقها في الصيغة أو الشكل وهو أقرب إلى الجناس التام عندنا.

وعن المصطلح الأول يقول Palmer قد نطلق على الكلمة الواحدة عدة معانٍ مختلفة ومتعددة، فتجد لكلمة Flight في المعجم عدة معان وهي: المرور عبر الأجواء، وقوة الطيران، ورحلة جوية، ووحدة قوة جوية، وسلسلة من الخطوات، والكرة الطائرة وغيرها"[1].

وهو بهذا يتفق مع أولمان Ulmann الذي يستعمل المصطلح نفسه Polysemy للدلالة على الحالات التي تتعدد فيها مدلولات الكلمة "[2] وطبقاً لهذا التحديد فإنه يتفق بحق مع ما نطلق عليه في العربية المشترك اللفظي.

أما مصطلح Homonymy فلا خلاف بين بالمر وأولمان على تعريفه فعند الأول: "كلماتٌ عدة متحدة في شكلها أو صيغتها "، والثاني يطلق المصطلح على "الكلمات المتعددة المتحدة الصيغة "[3] .ويبدو أن العبرة عندهما هو في الاتفاق في النطق وطريقة إخراج الصوت أو أصوات الكلمة حتى لو اختلفت صورة الكتابة ويتضح ذلك من الأمثلة التي سيقت مثل : See "يرى " Sea " بحر " و Flour بمعنى دقيق، وFlower بمعنى وردة. ويضرب سترتفنت Sturtevant أمثلة مشابهة تتفق في طريقة نطقها وتختلف صورتها الكتابية نحو: 'Read " قصبة أو مزمار" و Read بمعنى يقرأ، وكذلك Red " أحمر " و Read فعل ماض بمعنى قرأ "[4]ومما يعزز هذا التخريج أن أولمان يقول في موضع آخر : " إذا تصادف أن اتفقت كلمتان أو أكثر في أصواتها اتفاقاً تاماً فإن مثل هذه الكلمات لا يكون لها معنى ألبتة دون السياق الذي تقع فيه، مثل اتفاق الأصوات في حالة الفعل See (يرى) والعبارة The bishops see " عرش الأسقف "، والاسم The sea (البحر)[5].

ونستطيع أن نخلص من هذا الأمر أنه عند الغربيين نوعان من الاشتراك Polysemy بالإنجليزية، وبالفرنسية Polysemie وهو مصطلح من أصل إغريقي مؤلف من Poly بمعنى كثير أو متعدد، وSemy وتعني المعنى.

وهي ما نستطيع أن نطلق عليه دون تجاوز " المشترك اللفظي ". وأما النوع الثاني الذي يندرج تحت مصطلح Homonymy وقد ترجمه د. بشر في كتاب " دور الكلمة

(1) Palmer: Semantics, P P 65-67. (2) دور الكلمة في اللغة: ص115.

(3) المرجع السابق: ص126.

(4) An Introduction to Linguistic Science.New Haven, Yale University Press, 1961, P.1270

(5) دور الكلمة في اللغة: ص54.

في اللغة " بالمشـترك اللفظي أيضاً بناء على التعريف الوارد عند صاحب الكتاب أولمان. والمصطلـح من أصـل إغريقي أيضاً يتألـف من Homo يصبـح ذات أو نفس و onoma بمعنى لفظ، والمعنى الحرفي للمصطلح يصبح ذات اللفظ أو نفسه، وواضح أن المصطلح ليس فيه إشـارة إلى ناحية المعنى وإنما يسـتفاد منه الناحية الصوتية اللفظية التي تتحد فيها كلمتان أو أكثر، ونحن نرى أن ترجمته بالمشترك اللفظي تجاوز عن المعنى عندهم، بل فيه إخضاع قوى للمصطلح حتى يؤدي ما يؤديه عندنا.

ولعل محل الخلاف بيننا وبينهم قد نشأ من طريقة التناول التي ندرس بها المشترك اللفظي فهم ينطلقون من دراسـته من خلال الصورة الصوتية المنطوقة، وليس من خلال الصورة المكتوبة كما هو الشـأن عند الدارسـين العرب، الذين درسـوا الألفاظ المشتركة مـن خلال محافظتها على لفظها وأصواتها مكتوبـة ومنطوقة وهو ما نجده مثلاً عند ابن جنـي "باب في اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين في الحـروف والحركات "[1] ويمثل له بالصـدى للدلالة على طائر الثأر والعطش وترجيع الصـوت، وقولهم صدى مال. وهو ما يرفضه الدرس اللغوي الحديث، حيث يشـترط اللغويون المحدثون في المشـترك اللفظي " وحدة الزمان والمكان والنطق والقسـم الكلامي وتبايـن المعنيين كل التباين "[2] وهذا ما لم يلتزم به لغويونا فهم لم يدرسوا المشترك في فترة معينة بل تناولوه خلال مساحة زمنيـة طويلة، وأما البقعة المكانية فهي شاسـعة تضم الوطن العربـي. وغني عن القول أنهم سـاقوا أمثلتهم من التراث المدون، وطبعاً هذا الدراسـة التاريخية كانت السـبب في إيراد الكثير من المشترك.

والاشـتراك لـم يجـد معارضة شـديدة من الدارسـين العـرب سـوى أن ابن درسـتويـه[3] (347هـ) يقول في شـرح فصيح ثعلب لا يكون فَعَل وأَفْعَل بمعنى واحد كمـا لـم يكونا على بناء واحـد، إلاّ أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتيـن فأما من لغة واحدة فمحـال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد ...وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني فلو جـاز وضع لفظ للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهمـا ضد الآخر لما كان ذلك إبانة بل تعميـة وتغطية ولكن قد يجيء الشـيء النادر من هذا لعلـل فيتوهم من لا يعرف العلل أن

---

(1) الخصائص: 2/93.

(2) من بحث للدكتور أحمد مختار عمر بعنوان "المنجد في اللغة لكراع النمل" مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 23، القاهرة 1388هـ-1968م، ص95.

(3) هو أبو محمد بن عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي، أخذ عن ابن قتيبة والمبرد، وكان من كبار المحدثين، انظر نزهة الألباء للأنباري: ص283.

اللفظ وضع لمعنيين والسماع في ذلك صحيح عن العرب وإنما يجيء من لغتين، لحذف واختصار في الكلام حتى اشتبه اللفظان وخفي ذلك على السامع فتأول فيه الخطأ "[1].

يعترض على الاشتراك بحجة أنه يؤدي إلى التعمية والتغطية وهو اعتراض وجيه سبق إليه المحدثين. وقد أشار سترتفنت Sturtevant إلى هذا الأمر منبهاً إلى محل سوء الفهم ومبيناً كيفية كشف غموضه وذلك في قوله :

" يظهر كثير من اللغات أو معظمها تسامحاً كبيراً جداً مع المشتركات اللفظية .... ونادراً ما تتضارب ولكن السياق غالباً ما يحدد المعنى، وفي اللغات المعربة أقل ما يكون الاشتراك سبباً في الاضطراب والتشويش، وسوء الفهم ينشأ فقط حينما يتسع الموقف لشغل مشتركين لفظيين في الجملة نفسها"[2] إذاً فهذه التغطية أوالتعمية رغم ندرتها في لغتنا المعربة، يمكن إزالة غموضها والخلاص منها بمجرد التعرف على الظروف والملابسات السياقية، ومع ذلك فهو لا ينكر الاشتراك تماماً بل قد يأتي في ندرة لأسباب يذكرها.

ووجاهة اعتراض ابن درستويه لم تقف حائلاً دون ما حظي به الاشتراك من تأييد جارف عند اللغويين العرب كالخليل وسيبويه وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي عبيد والمبرد وابن جني وابن فارس والثعالبي والسيوطي.

ومنهم من صنّف في الاشتراك كالأصمعي واليزيدي اللذين فُقِد كتاباهما، وأما أقدم كتاب وصلنا في هذا الموضوع فهو " كتاب الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى " لأبي عبيد القاسم بن سلاّم (244 هـ) يحتوي على مئة وخمسين كلمة، ويليه كتاب أبي العميثل (240 هـ) " ما اتفق لفظه واختلف معناه "، ثم كتاب المبرد (285 هـ) " ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد "، وأشمل كتاب وصلنا في هذا الشأن الذي يحتوي على تسعمائة كلمة هو كتاب كراع النمل (310هـ) "المنجِّد في اللغة" [3].

ونستطيع أن نحمل أسباب المشترك اللفظي فيما يلي : منها ما يعود إلى المعنى، ومنها ما سببه لهجي، ومنها ما سببه صوتي، ومنها ما هو خارجي.

1.2.4 ما يعود إلى المعنى

أ - وأهمها انتقال الألفاظ من معانيها الحقيقية أو الأصلية إلى معنى مجازي بحيث تكتسب الكلمة معنى جديداً يستقر بعد ذلك عن طريق الاستعارة أو المجاز، ونحن نعرف أن علاقات الاستعمال المجازي كثيرة قد تؤدي بالمعنى الأصلي إلى تطويره

(1) نقلاً عن السيوطي، المزهر: 1/384-385.

(2) An Introduction to Linguistic Science: P:1270.

(3) انظر: أحمد مختار عمر، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، العدد 23 ص93-99.

أو تغييره أو تعميمه أو تضييقه أو غموضه أو توضيحه وينتج لنا كلمات متحدة ومشتركة في صورتها ومختلفة في معانيها كإطلاق لفظ الهلال على هلال السماء وهلال الصيد وهلال النعل وهلال الأصبع، وعلى الحية إذا سلخ جلدها، وعلى الجمل الهزيل، وبقية الماء في الحوض، وهلال البطيخة، ويدل لفظ الهلال في الأصل على المعنى الأول؛ ولكن أطلق على المعاني التالية له لعلاقة المشابهة.

وكذلك كان إطلاق العين الباصرة على عين الماء وعين المال وعين الميزان وعلى الجاسوس بناء على علاقات مجازية : إما المشابهة، أو إطلاق الجزء وإرادة الكل.

ب -وقد ينتج المشترك عن تطوّر الدلالة بتطور المدلول فإن كلمة ريشة التي تطلق على ريشة الطائر وريشة الكتابة حتى بعد أن استعاضوا بالآلة المعدنية عن ريشة الطائر في الكتابة إلا أنهم ظلوا يطلقون على الآلة اسم الريشة. وشبيه بهذا ما يحكيه أولمان حيث يقول "إن هناك كلمات أخرى تنشأ عن تطور مدلولات الكلمة الواحدة حين تمتد في خطوط متباعدة إلى أن تنعدم العلاقة بينها وذلك كما في[1] Flour, Flower فقد اعتبر أولمان اللفظين من قبيل المشترك اللفظي على اعتبار نطقهما أو صورتهما الصوتية. وبعبارة أخرى كانت الكلمتان في الأصل كلمة واحدة بمعنى واحد، ثم تطور استعمالهما فاختلف معنياهما، ولا تفاقهما في النطق اعتبرا من المشترك اللفظي.

جـ -قد يكون معنى احدى الكلمات مستهجناً أو يحمل فكرة سيئة أو مرتبطاً بمعنى غير مقبول "ففي أمريكا مثلاً طغت كلمة Donkey على الكلمة Ass وحلت محلها لسبب التشابه بين هذه الكلمة وبين كلمة يتحاشى الناس استعمالها هناك"[2] أي إن كلمة Donkey أصبحت مشتركاً لفظياً يطلق على الذكر والأنثى أي على الحمار وأتانه.

د -ينفرد أولمان بهذا السبب وهوعندما يستجد معنى، يحاول العلماء أن يجعلوه واقعاً ضمن دائرة مصطلح متفق عليه أي لا يحاولون ابتكار لفظ جديد له وإنما يطلقون عليه لفظاً أو مصطلحاً مستعملاً. وفي نظير هذا أو عكسه أن يبتكروا ألفاظاً جديدة لأشياء استقرت معرفتها فهو يقول " العاملون في الحقل العلمي سيجدون عندهم الميل دائماً إلى استخدام المصطلحات المتفق عليها في معان جديدة للدلالة على الأشياء المعروفة حق المعرفة وهم بهذا السلوك يساهمون في إيجاد مادة جديدة لفرعي المعنى المتعدد"[3].

---

(1) دور الكلمة في اللغة: ص127.

(2) المرجع السابق: ص132.

(3) السابق: ص ص123-124.

وأما السبب الأخير فهو الذي ينتج عن سوء فهم معنى لفظ من الألفاظ وخاصة عند الأطفال. وهذا سبب انفرد به الدكتور أنيس حيث يرى من أسباب تغير المعاني واختلافها " سوء فهم المعنى من طفل أو من عبث أطفال "[1] ولم يمثّل لذلك.

2.2.4 السبب اللهجي

وهو سبب رئيس يتمثل في استعمال كلمة ما بمعنيين مختلفين في قبيلتين مختلفتين أو بيئتين مختلفتين ؛ أي إن كل قبيلة اصطلحت على معنى خاص للفظ نفسه ثم جاء جامعو اللغة ودوّنوا معنيين لهذه الكلمة كالهجرس فإنه في الحجاز يدل على القرد وعند تميم على الثعلب.

3.2.4 الأسباب الصوتية

وهي الأسباب التي يتطور فيها الصوت بحيث يتحد مع لفظ آخر يختلف في معناه أومدلوله ؛ أي إن الكلمتين في أصل وضعهما مختلفتان صوتاً ومعنى وحصل لأحدهما تطور وتغير في صوتها جعلها تماثل الأخرى في صوتها وتختلف عنها في معناها فرويت لنا متحدة الصوت مختلفة المعنى يقول أولمان : " والمشترك اللفظي ينشأ عن اتفاق كلمتين مستقلتين أو أكثر في الصيغة اتفاقاً بطريق الصدفة مثل صيغة Sound في اللغة الانجليزية وأقل ما تمثل أربع كلمات، فهذه الكلمات الأربع بعد أن اشتقت من أصول مختلفة أخذت تتقارب بعضها من بعض في الصيغة حتى اتحدت وتماثلت فكلمة Sound بمعنى " صحيح البدن " متطورة عن كلمة جرمانية قديمة وإما بمعنى "صوت" فترجع إلى الفرنسية Son وحرف d ما هو إلا تطور متأخر الحدوث، وتعني "سبر الغور" امتداداً للفعل الفرنسيSonder. وقد تعني مضيق الماء فعن الفرنسية Sound التي تحمل المعنى نفسه بالإضافة إلى وجودها في لغات جرمانية قديمة"[2].

وما يندرج تحت هذا السبب هو هذا التشابه الصوتي بين كلمتين لم ينتج عن طريق التطور الصوتي السابق الذكر؛ وإنما ينتج عن طريقة النطق في اللغة كما في الفرنسية فكلمة " Roi" بمعنى " ملك " تنطق مثل :A Rouet التي تعني عجلة غزل ومن هذا القبيل التشابه الصوتي بين كلمتي Pen " قلم " و" Pin "دبوس أدى إلى الاشتراك

(1) في اللهجات العربية: ص196.
(2) دور الكلمة في اللغة: ص127.

اللفظي بينهما على ما يحكيه سترتفنت في كتابه " مقدمة في علم اللغة "[1]. حيث يقول: " فــي الولايــات المتحدة " en أصبحت تلفظ مثل in ومن جراء ذلك صارت كلمتا Pen و Pin مشــتركين لفظيين، حتى إن طالبة في الســابعة طلبت من مدرِّستها أن تعطيها قلماً Pen ولكنها نطقت الكلمة بلفظ Pin فبحثت لها المدرسة عن دبوس، وأعطته إياها، ولكن الطالبة قالت لمدرستها: إنها تريد دبوساً يكتب ونشأ سوء الفهم لأن المدرِّسة تتكلم بلهجة تفرق بين Pin وPen .

وهكــذا أدى التشــابه الصوتي في نطــق Pen وPin عند الطالبة إلــى عدم التفريق بينهما إلاّ بإضافة كلمة أخرى.

وأما ما سماه الدكتور وافي العوارض التصريفية التي تؤدي إلى الاشتراك في الظاهر فلا يبعد كثيراً عن هذا التشابه الصوتي حيث يقول: " تؤدي القواعد الصرفية إلى أن تتفق لفظتان متقاربتان في صيغة واحدة، فينشأ عن ذلك تعدد في معنى هذه الصيغة تؤدي إلى جعلها من قبل المشــترك "[2] ويمثل لذلك بالفعل " وجد " فهو يدل على العلم بالشــيء أو العثور عليه من الوجدان، وعلى الغضب من الموجدة، وعلى الحب الشديد من الوجد. وفي رأيــي أن هذا الاتفاق في الصيغــة ليس نتيجة لقواعد صرفية، وإنمــا هي المادة "و ج د" نشتق منها مصادر عديدة متنوعة المعنى مما يدل على أنها من المشترك اللفظي، فبمجرد النطق بالفعل "وجد" مثلاً تتزاحم في الذهن هذه المعاني والسياق يحدد المقصود.

4.2.4 السبب الخارجي

بــمعنــى أن لفظة أجنبية تدخل في اللغة فيتصــادف أن يوجد لها نظير في صورتها وإن اختلفــت عنهــا في المعنى " وهنــا نرى كلمتين متحدتين في الصــورة مختلفتين في المعنــى ولكــن كلاً منهما ينتمي في الأصل إلى لغة مســتقلة، ومثل هذا النوع من الكلمات وليــد المصادفة كالبرج من اليونانية لتدل على الحصن وهي في العربية تدل على الجميل الحســن الوجه، وكذلك كلمة Race في الإنجليزيــة من أصــل جرمــاني بمعنى سباق وبمعنى جنــس أو عِرْق في اللاتينية "[3] أي إن كلمة Raceدخلت الانجليزية واحتفظت بمعنييها الجرماني واللاتيني فأصبحت من الألفاظ المشتركة.

---

(1) An Introduction to Linguistic Science: p:1270.

(2) فقه اللغة: ص159.

(3) في اللهجات العربية: ص196.

4.2.5 ما يعود إلى القواعد التصريفية

كذلك قد يحدث الاشتراك عن طريق القواعد التصريفية وهو ما يسميه د. ظاظا " الاشتراك الذي قلّما يوقع في احتمال التأويلين عند الاستعمال إلاّ إذا تكلف ذلك بعض من يريدون التورية وما يشبههامن دقائق البديع "[1] كأن تشبه في صيغة الجمع كلمة أخرى في صيغة مصدر مثل النوى جمع نواة تشبه النوى بمعنى البعد، كذلك قد يتشابه اسم وفعل في النطق مثل الفعل : هوى أي سقط والهوى بمعنى ميل النفس والحب.

بعد أن حاولنا تحديد الأسباب التي تساهم في اكتساب الكلمات للمعاني المتعددة فتصبح من قبيل المشترك اللفظي، يجدر بنا أن نبين الطرق التي تتبعها الكلمات حتى تشيع لها المعاني الجديدة وتستقر وتدور بعد ذلك على الألسنة. ويرسم لنا أولمان هذه الطرق قائلاً : " وهناك طريقتان رئيسيتان تتبعهما الكلمات في اكتساب معانيها المتعددة: الطريقة الأولى: الطريق التدريجي البطيء تبدأ بمجرد حدوث التغيير في تطبيق الكلمات واستعمالها ثم يعقب ذلك شعور المتكلمين بالحاجة إلى الاختصار في المواقف والسياقات التي يكثر فيها تكرار الكلمة تكريراً ملحوظاً ومن ثم يكتفون باستعمالها وحدها للدلالة على ما يريدون التعبير عنه .... فإذا ما تبلورت الكلمة تحدد معناها الجديد في بيئة خاصة ... وفي الوقت المناسب توسع في حدود دائرتها الاجتماعية الخاصة حتى تصبح مقررة ثابتة في الاستعمال اللغوي العام "[2] يعنى بذلك أن الكلمة تنتقل من دائرة ضيقة إلى دائرة تليها أوسع وهكذا، يعني أن الفرد يستعملها لتفيد معنى جديداً ويكررها في بيئته، فيتناقلها أفراد تلك البيئة حتى يستقر استعمالها فيما بينهم، ولا شك بعد ذلك في أنهم سيتناقلونها في مجتمعهم، حتى تشيع في هذا المجتمع بهذا المعنى الجديد الذي يثبت لها. ويتابع أولمان قائلاً: "ويقابل هذا الطريق التدريجي البطيء إلى تعدد المعنى طريق آخر قصير يتحقق في الاستعمال المجازي" [3] ويضرب المثل بكلمة Crane طائر الكركي الذي أصبح يطلق على الرافعة.

وإذا كان للمشترك اللفظي من فائدة إيجابية فهو ينبئ عن قدرة ألفاظ اللغة ومدى طواعيتها للقيام بأكثر من دور، وأداء أكثر من معنى، وتحمل أكثر من وظيفة بقبولها الاستعمالات الطارئة عليها مع احتفاظها بمعناها القديم؛ ولكن هذه الميزة التي تكتسبها الألفاظ في تنويع معانيها لها جانب سلبي يتمثل في وقوع الكلمة في شرك اللبس

(1) كلام العرب: ص108.
(2) دور الكلمة في اللغة: ص117.
(3) المرجع السابق: ص17.

والغموض الذي سيظل ماثلاً ومحتملاً، وإن كان يمكننا أن نعالجه بالرجوع إلى السياق الذي يزيل غموضه، ولا نملك اجتثاثه واستئصاله.

أسئلة التقويم الذاتي (7)

1. ما المشترك اللفظي ؟
2. ما الفرق بين الاشتراك اللفظي والترادف ؟
3. ما أسباب الاشتراك اللفظي ؟
4. للاشتراك جانبان: سلبي وإيجابي بيّنهما ؟



تدريب (7)

يمكن أن تكون كلمة "حديث" مشتركاً لفظياً، فكيف تفرِّق بين المعاني التي يمكن أن ترد عليها ؟

3.4 التضاد

الضد " مثل الشيء ونظيره وخلافه"[1] وقد أطلقه علماء اللغة على كل لفظ يدل على معنيين متضادين أو متقابلين. وهو بهذا الاصطلاح أو بهذا المعنى يتفق مع المشترك اللفظي في كونه دالاً على معنيين متخالفين. ولكنه يخالفه من وجه آخر وهو اشتراط أن يكون هذان المتخالفان متضادين، أي اللفظ يدل على النقيضين كالجون الذي يدل على الأبيض وعلى الأسود، والجلل على الأمرين الكبير والصغير.

ولا تنفرد اللغة العربية بهذه الظاهرة بل هي ملحوظة في أكثر اللغات فنجدها مثلاً في اللاتينية في كلمة Altus التي تعنى المرتفع والعميق. وفي الفرنسية في كلمة Tuer تعني حفظ وقتل أو مات.

وقد كانت هذه الظاهرة محل عناية اللغويين العرب منذ القرن الثاني الهجري، وحتى أيامنا هذه، ولكل جيل أسبابه ودواعيه التي حملته على الاهتمام بالاضداد وتدوينها, يقول الآستاذ حسين محمد نصار إن : " الذي حمل اللغويين على تدوين الأضداد لم يثبت على مر العصور، بل تغير من جيل إلى جيل، فقد بدأ هواية في القرن الثاني، ثم صار تقوى

(1) اللسان مادة "ضدد".

تحمل على إزالة ما قد يعتري بعض الآيات من غموض في القرن الثالث ثم تحول إلى رغبة في الدفاع عن العرب ولغتهم أمام الدعاوى الشعوبية في أوائل القرن الرابع، وحب المعرفة المجرد في ذلك القرن أيضاً، وانتهى إلى الرغبة في منح الباحثين عن المحسنات اللفظية ذخيرة لغوية جديدة في العصور المتأخرة "[1]، وقوله : بدأ هواية في القرن الثاني الهجري فيه نظر ؛ لأن هذا القرن يشهد بواكير النهضة العلمية في بداية انطلاقتها وتقتضي هذه البداية أن يكون الانتشار والاهتمام بالعلوم بصورة أفقية، بمعنى أنه كان شيئاً طبيعياً أن تكون مهمتهم استقرائية لجميع المظاهر اللغوية، ولم تخل دراساتهم من العمق والشمول كالذي صدر عن الخليل وسيبويه وغيرهما من علماء هذا القرن، ولكنهم لم يصلوا للمرحلة التي يجلس فيها أحدهم فيفخر بأنه يحفظ للسيف خمسين اسماً وللأسد والجمل مثلها أو أكثر أو أقل. ونستطيع القول إنه في هذا القرن اقتصر الأمر على التنبيه على وجود ظاهرة الأضداد وذكر الخليل (175 هـ)، والكسائي (189 هـ)، واليزيدي (202 هـ) وغيرهم ممن لحقوا بربهم في بدايات القرن الثالث الهجري كالفراء (207 هـ) والشيباني (210 هـ) وأبي زيد الأنصاري (215 هـ). ومع أواخر القرن الثاني وبدايات الثالث يبدأ جمع هذه الأضداد ووضعها في مؤلفات كما فعل قطرب (206 هـ) الذي استقصاها من اللغة مباشرة، وأبو عبيدة (210 هـ) والأصمعي (213 هـ) والتَّوْزي (238 هـ) وابن السكيت (246 هـ) والسجستاني (255 هـ). وفي القرن الرابع يأخذ الأنباري (328 هـ) على عاتقه جمعها من المؤلفات السابقة مضيفاً إليها الشواهد والعلل، وأبوالطيب اللغوي (351 هـ) الذي جمعها واختصرها. ويتوالى المؤلفون في القرون التالية كابن الدهان (569 هـ) وأبي البركات بن الأنباري (577 هـ) والصغاني (650 هـ)، وهناك من لم يخصه بكتاب أو مصنف، وإنما دونوا ما جاء منه في كتبهم على اعتبار أنه نوع من المشترك كالمبرد (285 هـ) في كتابه "ما اتفق لفظه واختلف معناه" وابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة الصاحبي، والثعالبي (429 هـ) في فقه اللغة، وابن سيده (458 هـ) في المخصص، والسيوطي (911 هـ) في المزهر.

ومن أنكر الأضداد بحجة أنه من المشترك الذي يوقع في اللبس والإبهام أو التعمية والتغطية ابن دَرَسْتَوَيه (347 هـ) وقد ألف كتاباً في ذلك سماه إبطال الأضداد أو جحد الأضداد وهو مفقود. وقد بيَّنا في الجزء الخاص بالمشترك أن هذا اللبس والتعمية يمكن

---

(1) من بحث له بعنوان "الأضداد في اللغة في مجلة اللسان العربي، الجزء الأول من المجلد التاسع،1391هـ، 1972م، ص101.

التخلص منها أو معالجتها بالسياق. كذلك يذكر ابن سيده " أن أحد شيوخه كان ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده "[1].

ويسوق الأنباري في كتابه الأضداد حجة المنكرين ويرد عليهم إذ يقول : " يظن أهل البدع والزَّيغْ والإزراء بالعرب، أن ذلك (أي التضاد) كان منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاورتهم ...فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيهما أراد المخاطب " .[2] ويرد على هذا الاعتراض متابعاً : " جاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضاديين لأنه يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلاّ معنى واحد " وفي هذا الرد كفاية ؛ إذ سياق الكلمة بين المفردات وظروف الكلام وملابساته تخبر عن المعنى المقصود وتزيل اللبس وتكشف الغموض.

حتى ابن درستويه لم يكن بوسعه أن ينكره إنكاراً تاماً حين قال عن المشترك ومن ضمنه التضاد " وقد يجيء النادر منه لعلل " وهذا إقرار منه يضعف من حجته، لأن اعترافه بوجوده ولو في ندرة يوقعه في التناقض.

كذلك يجب ألا ننساق وراء هذا الحشد من اللغويين في تظاهرة التأييد غافلين عما يكون قد حشر حشراً بين الأضداد فذلك مما يحيد بنا عن جادة الصواب والمعقول، ولأن كثيراً من الألفاظ التي يتوهم أنها من الأضداد يمكن إخراجها بوجه من التأويل، فهي ليست راسخة القدم في بابها حيث لم تكن في أصل وضعها كذلك. ويرى " رد سلوب Redslob"[3] إسقاط كثير من الأضداد لأسباب يذكرها وهي :

(1) أن ما ذكر من الأضداد يعوز أكثره الشواهد القوية.
(2) أنه لا يجوز الاعتماد في إثبات التضاد على موضع اللفظ من الكلم دون الاعتماد على الأصل اللغوي لهذا اللفظ.
(3) يرى " رد سلوب " إخراج الحروف والصيغ الفعلية المختلفة للفعل الواحد وأسماء الأعلام من الأضداد.
(4) يرى " رد سلوب " إخراج عدد كبير من الألفاظ التي تضاف إلى الأضداد لاشتراك الحالية والمحلية فيها، كذلك صيغ فاعل ومفعول والأفعال التي تشعر صيغتها المجردة بمعنى التعدية.

---

(1) المخصص: 13/ 259.
(2) محمد بن القاسم الأنباري: الأضداد: ص ص1 -2.
(3) من بحث بعنوان "الأضداد" للدكتور منصور فهمي، في مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة: العدد الثاني: ص ص234-235.

(5) يخرج ألفاظ التهكم والاستهزاء والتفاؤل.
(6) يخرج الألفاظ التي تُكُلِّفت فيها الضدية.

وهكـذا إذا طبقنا هذه الملاحظـات وحذفنا على ضوئها متضـادات من التي أوردها جامعـو الأضداد، خاصة ابن الأنبـاري خرجنا بعدد غير كثير من الأضداد تكون نشـأتها طبيعية.

وبما أن التضاد نوع من الاشـتراك، وقد بينا أن المنهج الحديث في دراسـة الاشتراك هو المنهج الوصفي الذي يُعنى بدراسة الألفاظ في قطاع معين وفي فترة معينة أي تعنيه وحدتـي الزمان والمكان ويرفض المنهج الفضفاض الذي يتسـع لرقعة مكانية شاسـعة ومسـاحة زمنية واسـعة، فلو أخذ هذه المنهج بعين الاعتبار لضاقت دائرة الأضداد أيضاً وقد تنبه إلى شيء من هذا المنهج ابن دريد وذلك في تعليقه على ما أورده في الجمهرة " الشَّعب : الافتراق والشَّعب : الاجتماع. وليس من الأضداد وإنما هي لغة قوم ". فابن دريد (321 هـ) قد تنبه إلى أن اختلاف معنى الكلمة الناتج عن اسـتعماله في مكانين مختلفين يخرجه من التضاد، وهو ما يسـتفاد من تعليق السـيوطي بقوله : " فأفاد بهذا أن شـرط الأضـداد أن يكون اسـتعمال اللفظ فـي المعنيين في لغة واحـدة "[1]، أي في لهجة قبيلة واحدة في بيئة واحدة، ويقع ذلك من المنهج الوصفي في الصميم.

وعوامل نشـأة الأضداد كثيرة متناثرة هنا وهناك بشـكل يعوزه التنظيم والتنسـيق ويمكن إجمالها في أسباب رئيسة خمسة:

1.3.4 السبب اللهجي

وهو أن نستعمل اللفظ في قبيلة بمعنى، وتستعمل قبيلة أخرى اللفظ نفسه في معنى مناقـض له تماماً، فيصبح المعنيان جاريين عليه، ويدخل اللفظ بذلك في حظيرة الأضداد قـال الأنباري : " إذا وقع الحرف على معنيين متضاديـن، فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمسـاواة بينهما ولكن أحد المعنيين لحي من العرب والمعنى الآخر لحي غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء "[2]. مثال ذلك ما أورده السيوطي نقلاً عن الغريب المصنف " السدفة في لغة تميم الظلمة، وفي لغة قيس الضوء، ولمق كتب في لغة بني عقيل، وسائر قيس يقولون لمقته محوته "[3].

---

(1) المزهر: 1/396.
(2) الأضداد: ص11.
(3) المزهر: 1/389.

2.3.4 عامل المعنى

ويتقلب هذا العامل في أوضاع عدة هي :

أ - أن تـدل الكلمـة في وضعها الأصلي على معنى عام مشـترك بيـن ضدين بحيث تصلح الكلمـة لـكل منهما لوجود هـذا المعنى الجامـع بينهما أو الذي يجعـل العلاقة قائمة بينهمـا، ويحصل أن يغفل هـذا المعنى العام فتظن الكلمة من قبيل الأضداد : كإطلاق لفـظ القرء على الطهر والحيض فالقرء يدل في وضعه الأصلي على "الوقت المعتاد" كقولنـا : للانفلونـزا قرء : أي تعتاد المجيء فيه وهو الشـتاء مثـلاً. ولما كان حيض المـرأة وطهرها يحصلان في وقت معين تعتاده المرأة فهما يتفقان مع القرء في هذا المعنـى، فأطلقـت الكلمة عليهمـا، أي صارت تطلق على النقيضيـن أو الضدين وهما الحيض والطهر، فأصبحت من الأضداد.

ب- كذلـك قد يأتي التضاد للفظ عن طريـق انتقاله من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي، بحيث تسـتعمل الكلمة في ضد معناها على سـبيل الاسـتعارة، ومع طول الاستخدام ينسـى وجه المجاز فيها فيصبح اسـتعمال اللفظ فيما يقابـل أو يضاد معناه الأصلي في قوة المسـتعمل على حقيقته يقول في المخصص " لا يكون (أي التضاد) قصداً فـي الوضـع ولا أصلاً ولكنه من لغات تداخلت أو تكون كل لفظة تسـتعمل بمعنى ثم تستعار بمعنى ثم تستعار كشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل "[1] .

وأما تداخل اللغات فقد سـبقت الإشارة إليه في السبب اللهجي، ويشير بعده إلى السـبب المجازي في اسـتعمال اللفظ في ضد معناه على سـبيل الاستعارة التي تكثر وتغلب وتشتهر في الاستعمال فتصبح كالحقيقة.

جـ- قد يكون معنى اللفظ عاماً فتخصص دلالته مع الاستعمال، وقد يأخذ هذا التخصص طريقيـن متقابليـن أو متناقضين يقول د. أنيس : " قد يؤدي إلـى التضاد أن المعنى الأصلـي للكلمة يكون عاماً غير محدود ثم يتحـدد معناه مع الزمن، ولكن في تطوره وتحـدد معنـاه قد يتخذ طريقين متضاديـن : ثِبْ تخصص في لهجة الشـمال بمعنى اقفز، وفي لهجة الجنوب بمعنى الجلوس"[2].

وقـد يحدث العكـس أن يكون اللفظ موضوعـاً لمعنى خاص ثم يسـتعمل عاماً فيجمع في تعميمه بين النقيضين يقول الشدياق : " إن من عادة العرب أن تضع لفظاً مخصوصـاً لمعنـى مخصوص. ثم إذا كثر اسـتعماله فكته عن ذاك القيد واسـتعملته

---

(1) المخصص: 13/259.

(2) في اللهجات العربية: ص211.

استعمال المطلق العام ومثاله الجلل فإنه في الأصل موضوع للأمر العظيم ثم استعملته بمعنى مطلق الأمر فتناول الحقير "[1].

د - إن ما يسمى تداعي المعاني يشارك بنصيب قل أو كثر في ظاهرة التضاد فكل معنى يثير ما يشابهه أو يخالفه من المعاني وقد عبر يوست ترير Jost Trier العالم الألماني تعبيراً دقيقاً عن هذا الأمر بقوله: "كل كلمة تلفظ تثير معناها المضاد"[2].

هـ - ما يحصل للمعنى من تغير أو تبدل عبر الزمن حيث يستعمل في عصر أو في وقت معين بمعنى، وفي عصر تالٍ يستعمل للدلالة على معنى آخر قد يضاد المعنى الأول وهكذا يتصاحب الاستعمال فينضم اللفظ إلى الأضداد يقول الأنطاكي : " ويجب ألا ننسى أن تبدلات المعنى كثيراً ما تنتهي باللفظ إلى أن يعبر عن عكس ما كان يعبر عنه من قبل، ويحدث في بعض هذه الحالات أن يحتفظ بالدلالتين القديمة والحديثة فيصير من الأضداد ويمثل لذلك بكلمة (استهتر) تدل على معنى (أحب) وعلى معنى (استهان)[3].

و - أن يكون أحد المعنيين نتيجة للآخر : كخفي البرق بمعنى ظهر لحظة وبمعنى استتر، وهذا سبب نقله الدكتور منصور فهمي عن المستشرق جيز فالاستتار نتيجة للظهور، وكلاهما تدل عليه " خفي "؛ فهي من الأضداد.

3.3.4 الأسباب الاجتماعية والنفسية

التي تشارك عن قصد وعن غير قصد في ظاهرة الأضداد، فللتفاؤل نقول للصحراء مفازة، وللركب المسافر قافلة " وكثيراً ما نعبر عن الشيء باسم ضده زيادة في تقوية التعبير به وإثارة اهتمام السامع ألا ترانا إذا أعجبنا بشخص قلنا عنه : شيطان، ملعون. بهذا نستطيع أن نفسر كثيراً من الأضداد، ولا سيما تلك التي تعبر عن صفات لها في نفس المتكلم معنى خاص"[4] وقد يحدث عكس هذا أن نطلق على الضرير بصيراً وعلى الأطرش ثقيل السمع؛ هرباً من الألفاظ النابية التي تؤذي مشاعر من نخاطبهم، وإن كنا نلجأ أحياناً إلى التضاد من أجل التهكم فنطلق على الثقيل لفظ خفيف وعلى الأسود لفظ أبيض وعلى الفارغ لفظ ملآن وعلى الملدوغ لفظ سليم. وهكذا حمل النقيض على النقيض لسبب اجتماعي أو نفسي يسهم بنصيب لا بأس به في ظاهرة التضاد.

(1) سر الليال في القلب والابدال: ص551.
(2) الدكتور محمود السعران: علم اللغة: ص311.
(3) الوجيز في فقه اللغة: ص396.
(4) المرجع السابق.

وهناك سـبب آخر وهو النسـبية في تقبل الأشياء من قبل النفوس فما اعتبره طيباً قد تعتبره على العكس من ذلك يقول د. فهمي ويؤول جيز Giese الأضداد كذلك بعدم قابلية التأثيـرات والانفعالات للضبـط المحدود لتأثير الرائحة في النفـوس كما لو قيل " ذفر " للرائحة الطيبة والرائحة المنتنة "[1].

4.3.4 الأسباب الصرفية

قد تقع الألفاظ موقع الضدّية نتيجة لسبب صرفي كالتعدية مثلاً في " أشكيت الرجل أتيت إليه ما يشكوني فيه وكذلك إذا رجعت له من شكايته إلى ما يحب "[2] فالتعدية بالهمزة رجعت على اللفظ بالضدية، فأصبحت أشكى تدل على أنني فعلت شيئاً جعله يشكوني من أجله، وقد تدل على أنني أزلت شكواه. وكذلك أعجمت اللفظ بمعنى أزلت عجمته أو جعلته معجماً وكذلك لفظ " مترجَم " فإنه يطلق على اللفظ الأجنبي المترجم إلى العربية وكذلك علـى اللفظ الذي تُرجم عن لغـة أجنبية. كذلك لو قلنا أقفلت القنطـرة أو حتى فتحت فإن الفعـل أقفل قد يدل على معنيين متناقضين فهو إما أن القنطرة قد أقفلت في وجه المرور بالسـيارات وغيرها وبالتالي تكون قد فتحت لمرور السفن والعكس صحيح أيضاً بمعنى أنهـا قد أغلقت في وجه السـفن لتمر عليها السـيارات والمارة، وكذلـك يمكن إطلاق لفظ المبايعة على البيع والشراء.

5.3.4 الأسباب الصوتية

وتتمثل فيما حكاه ابن درسـتويه في الاشتراك وهو أن الحذف والاختصار قد يقعان فـي لفـظ من الألفاظ حتى يشـبه لفظـاً آخر فيصيبه التضـاد يقول د. وافـي : " قد ينال الأصـوات الأصليـة للفظ مـا بعض التغييـر أو الحذف أو الزيـادة وفقـاً لقوانين التطور الصوتـي. ..فيصبـح متحداً مـع لفظ آخر يدل على مـا يقابل معناه[3] ويؤيـد ذلك ما قاله د. أنيـس : " قـد يترتب على التطور الصوتي في كلمـة، أن تصبح مماثلة في لفظها لكلمة أخرى مضادة في المعنى كالجون من جن ثم أصبحت بالتطور بمعنى سـتر وقلبت إحدى النونين واواً "[4].

---

(1) د. منصور فهمي، بحث الأضداد، مجلة المجمع، القاهرة، العدد الثاني، ص241-242.
(2) المزهر: 1/391.
(3) علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة: ص164.
(4) في اللهجات العربية: ص213.

أسئلة التقويم الذاتي (8)

1. ما التضاد؟ وما المنهج الأمثل لدراسته ؟
2. وما حجة منكريه؟ وما رد الأنباري عليهم ؟
3. ما عوامل نشأته ؟



تدريب (8)

1. ما الفرق بين التضاد والطباق ؟
2. وما الفرق بين التضاد والاشتراك اللفظي ؟
3. اذكر أضداد الكلمات التالية:

المخالَطة، الحِرْص، الرِّقَّة، الإقدام، الصبر، القصد، العاجل، التقتير، التالِد.

5. الخلاصة

- لقد فصَّلنا القول في هذه الوحدة، في الجوانب الصوتية والدلالية، وهي الجوانب التي تتعرَّض للتطوّر والتغيير في اللغة أكثر من غيرها. ثم انتقلنا الى الحديث عن طرائق النموّ اللغوي كالاشتقاق والنحت والتعريب، وأنهينا الوحدة بطرق تعدّد المعنى كالترادف والاشتراك والتضاد وقد بيَّنا ما يلي:
- عوامل التطّور اللغوي الصوتي والدلالي، كانتقال اللغة من السلف إلى الخلف وتأثر اللغات ببعضها، ولأسباب اجتماعية ونفسية وجغرافية وأدبية.
- التطوّر الصوتي وخواصه وأقسامه من تغييرات صوتية تاريخية غير مشروطة وتركيبية مشروطة وقوانينها من مماثله إلى مخالفة وأقسامهما
- أشكال التطوّر الدلالي: من تخصيص إلى تعميم وانتقال وانحطاط ورقي للمعنى
- وعرّفنا الاشتقاق، وبيّنا حدوده وأنواعه (عام وكبير وأكبر) وجواز الاشتقاق من غير أسماء المعاني كأسماء الذوات وغيرها.
- عرّفنا النحت وشروطه وأنواعه.

- وعرّفنا التعريب ومعانيه، ومستوياته، وبيّنا آراء العلماء في معرّب القرآن الكريم، وآراءهم في الاقتراض اللغوي بشكل عام والفرق بين المعرّب والدخيل والمولّد.
- بيّنا طرق أئمة اللغة في معرفة المعرّب والدخيل والمولّد.
- وعرّفنا الترادف والاشتراك اللفظي والتضاد وطريقة دراستها المثلى.
- وبيّنا المنكرين فالترادف مثلا نحو ثعلب والفارسي والترمذي والمؤيدين له الأصمعي وابن خالويه والرازي وعلى هذا النسق الاشتراك والتضاد.
- وبيّنا في كل منها الأسباب والعوامل التي تؤدي إليها مثلاً تذكر الأسباب والعوامل كالأسباب اللهجية، والاجتماعية، والنفسية، والقواعد اللغوية الصرفية، والصوتية والدلالية.

6. لمحة عن الوحدة الدراسية السادسة

عزيزي الدارس، سنتناول في هذه الوحدة وهي بعنوان "العربية والمناهج اللغوية" كالمنهاج المعياري والتاريخي والمقارن والوصفي، والوصفي الإحصائي، وسنذكر مقوّمات المنهج المعياري ومبادئ التاريخي وتيارات المقارن وأسس الوصفي واتجاهات الوصفي الإحصائي.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

- صوت القاف: الذي يلفظ في بعض المناطق: كافاً وفي بعضها همزة، وينطق أيضاً صوتاً أشبه بصوت G في مثل good.
- صوت الكاف يلفظ في الريف الفلسطيني ch (الكشكشة).
- صوت الهمزة يلفظ كذلك في بعض مناطق الريف الفلسطيني همزة فيقال اسعل في اسأل مثلاً ويمكن كل طالب أن يذكر ما يلاحظه من تغييرات صوتية في قريته أو مدينته.

تدريب (2)

- عقيدة: من العقد نقيض الحل، والعقدة للحبل ما يمسكه ويوثقه والعقيدة تطوّرت من

هــذه المعاني المادية إلى معنى جديد في الاســلام ونقصد بهــا الصفات والأعمال التي توثق صلة العبد بربه وهي دليل الإيمان الوثيق بالله عز وجل.

- ســبحان: أصلها من الســبح والعوم وهو المعنى الأساســي اللغوي ثم تطوّر إلى معنى البعد والتباعد، فصار يعني التسبيح ذكر الله، الذي لا تدركه العين لبعده، وصارت تعني التنزيه والتبرئة لله ببعده عن كل عيب أو نقص.

- دين: من معانيها الســلطة والحكم والأمر والســلطة واســتخدام القــوة القاهرة للطاعة وجعلــه المخلــوق عبــداً وقبوله الخضــوع، وكذلك الشــرع والمذهب والملــة والقضاء والحســاب ومن هذه المعاني مجتمعة أطلقت كلمة دين على الذي يخضع لســلطان الله عــز وجل ويخضع لربوبيتــه وعبوديته ويؤمن بوحدانيته، ولا تتــم حريته إلا بعبوديته التامة لله عز وجل.

- الجر: معناه الســحب ثمَّ اصطلح في النحو على تســمية الاســم المخفوض أو المكسور بالمجرور، والمجرور ويكون مخفوضاً أو مكســوراً. فتطــوّر المعنى المادي الحقيقي إلى معنى مجازي.

- الجــزم: في اللغــة القطع، ولما كان في التســكين قطعاً ووقفاً فــي الحديث، أطلق عليه مصطلح الجزم.

تدريب (3)

- قَتَل، قُتِل، تَقْتُل، اقتُل، قاتَل، قاتِلْ، قُوتِل، قاتِل، قتّال، مقاتل، مقتول، قَتيل، مَقْتَل، قَتْل.
- بَعْثَر، بُعْثِر، يُبَعْثِر، بَعْثِر، بعثرة، مُبَعْثِر، مُبَعْثَر.
- تقاليــب: ق ت ل فهي: قَتَل، قَلَتَ وهما المســتعملان فقــط بمعنى الهلاك وأما تَلَق وتَقَل ولَقَت ولَتَّق فهي غير مســتعملة ولا معنى لها طبعاً؛ ولا تجتمع كذلك على معنى جامع؛ إلاّ إذا اعتبرنا التقليبين المستعملين كافيين لتطبيق النظرية عليهما، وهو أمر مستبعد.

تدريب (4)

1. درعمي: من دار العلوم/ البرمائي: من البر والماء/ هندواوروبي: من الهندي الأوروبي اللاإرادي: لا إرادة/ ســبحلة: من ســبحان الله (سَــبَّح لله)/ مــا وردي: ماء، وورد/ كهرومغناطيسي: كهرباء، ومغناطيس.
2. أدام الله عزك: دمعز، أطال الله بقاءك: طليق/ الحمد لله: حَمْدل.

تدريب (5)

- بـاص مأخـوذة مـن Bus - بَص فقـد مُدَّت الفتحـة القصيرة فأصبحت طويلـة أي ألفاً لتناسب الأوزان العربية عندما تصبح ثلاثية.
- ميكانيكي: من mechanical أخذ المصدر الانجليزي ومدت فتحة الكاف وكسرة النون واضيفت إليه ياء النسبة.
- كاز من gas لقد غيرً صوت G إلى كاف.
- الليســانس فــي الأصل License أضيف إليها أل التعريــف وتغيير في العلل تقصيراً أو مداً.
- سندويش: من sandwich وقد حصل تقصير للعلة الطويلة وتحول صوت ch الى شين صريحة.
- جهنم، فردوس، سندس، اسبرق.

تدريب (6)

1. السرور: الحُبور، الجَذَل، الَفَرح، البَهْجة، الاغتباط، الاستبشار.

- اشـتعلت الحرب، ونشـبت، واضطرمـت، واتّقدت، واسـتعرت، والتهبـت، واصطلت، واحتدمت، وتأججت.

2. فـإنّ الدلالـة الجامعـة بينها هي النـوم ولكنَّ هناك فروقـاً بينها فالنعـاس أول النوم والترنيق أعمقه، والسُّبات نوم المريض، والقيلولة نوم الظهر.

تدريب (7)

السياقات هي التي تفرِّق فيقال:- هذا حديث كذب / وهذا حديث الرسول عليه السلام / وهذا أمر حديث عليّ فأنا لم أعهده من قبل.

تدريب (8)

1. التضاد: الكلمة الواحدة لها معنيان متضادان: كالجون للأبيض والأسود.

الطباق: كلمتان لها معنيان متضادان نحو: الأسود والأبيض.

2. الاشـتراك اللفظـي: الكلمة لها عـدة معانٍ غير متضـادة، وأما التناقض فيشـترط في التضاد.

3. المخالطة: المجانبَة / الحِرْص: الإنفاق / الرقَّة: الفظاظة / الإقدام: الإحجام.

الصبر: الجَزَع / القصد: السَّرَف / العاجلة: الآجلة / التقتير: التبذير / التالد: الطارف.

9. المراجع

أ- المراجع العربية :

1. الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، دمشق: مطبعة الجامعة السورية، 1370هـ-1951م.
2. أمين، أحمد، فجر الاسلام، ط7، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1374هـ-1971م.
3. الأنباري، محمد بن القاسم، الأضداد، تحقيق عبد السلام هارون، مصر: مؤسسة الخانجي، 1378هـ-1958م.
4. الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار النهضة بمصر، بلات.
5. الأنطاكي، محمد، الوجيز في فقه اللغة، بيروت: دار الثقافة، 1389هـ-1969م.
6. أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1975م.
7. أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، ط3، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1976م.
8. أنيس، إبراهيم، في اللهجات العربية، ط6، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1984م.
9. أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال بشر، ط2، القاهرة: 1962م.
10. باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، طرابلس: جامعة طرابلس، 1973م.
11. البركاوي، عبد الفتاح، قضية التعريب بين التراث وعلم اللغة الحديث، مجلة كلية اللغة العربية المنصورة، جامعة الأزهر، العدد الحادي عشر، 1411هـ-1991م.
12. ابن بري، عبد الله أبو محمد المقدسي المصري، في التعريب والمعرب، (حاشية ابن بري على كتاب المعرب للجو اليقي)، تقديم وتعليق، إبراهيم السامرائي، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ-1985م.
13. بوبو، مسعود، أثر الدخيل على العربية الفصحي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1982م.
14. التهانوي، محمد علي الفاروقي، تحقيق لطفي عبد البديع، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963م.
15. الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، القاهرة: مطبعة المدني، بلات.

16. الجندي، علي، البلاغة الغنية، القاهرة: مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، 1375هـ-1956م.
17. ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر، بلات.
18. ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، ط1، دمشق: دار القلم، 1405هـ-1985م.
19. ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، المحتسب في شرح شواذ القراءات، تحقيق علي النجدي ناصف، وعبد الفتاح شلبي، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،ج1: 1386هـ-1966م، ج2: 1398- 1969م.
20. ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، المنصف في شرح تصريف المازني، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، ط1، القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1373هـ -1954م.
21. الجو اليقي، موهوب بن أحمد بن أبي طاهر (أبو منصور)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط2، القاهرة: دار الكتب، 1969م.
22. حجازي، محمود فهمي، اللغة العربية عبر القرون، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.
23. حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.
24. حسَّان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.
25. حسَّان، تمام، مناهج البحث في اللغة، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1955م.
26. حسن، عبد الحميد، الألفاظ اللغوية، القاهرة: معهد البحوث والدراسات، جامعة الدول العربية، 1971م.
27. الحسيني، عبد الرشيد، المعّربات الرشيدية، ترجمة وتعليق نور الدين آل علي، أمين بدوي، (ضمن كتاب التعريب وأثرة في الثقافتين العربية والفارسية)، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1399هـ-1979م.
28. الخفاجي، شهاب الدين أحمد، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل، تصحيح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة: مكتبة القاهرة، مكتبة الحرم الحسيني التجارية، 171هـ-1952م.
29. خلف الله، محمد أحمد، أحمد فارس الشدياق، القاهرة: معهد الدراسات العربية العالية، 1955م.
30. خليل، حلمي، المولد، ط2، الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م.

31. خليل، السيد، دراسات في القرآن الكريم، القاهرة: دار المعارف، 1972م.
32. الخولي، أمين، فن القول، القاهرة: دار الفكر العربية، 1366هـ-1948م.
33. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام هارون، مصر: مؤسسة الخانجي، 1378هـ-1958م.
34. الراجحي، عبده، فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت: دار النهضة العربية،1974م.
35. الرازي، أبو حاتم، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، تحقيق حسين فيض الله الهمداني، ط2، القاهرة: 1957م.
36. رمضان، عبد التواب، التطوّر اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، القاهرة، الرياض: مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، 1404هـ-1983م.
37. رمضان، عبد التواب، لحن العامة والتطوّر اللغوي، ط2، مصر: دار المعارف، 1967م.
38. رمضان، عبد التواب، العربية الفصحى وتحديات العصر، مجلة كلية اللغة العربية، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العددان: 13، 14، 1403هـ-1404هـ.
39. الزمخشري، جار الله محمود، أساس البلاغة، القاهرة: 1299هـ.
40. الزمخشري، جار الله محمود، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت: بلات.
41. زيدان، جورجي، الفلسفة اللغوية، ط1، بيروت، دار الجيل للنشر والتوزيع،1982م.
42. السامرائي، إبراهيم، التطوّر اللغوي التاريخي، ط3، بيروت: دار النهضة العربية، 1979م.
43. السامرائي، إبراهيم، فقه اللغة المقارن، ط2، بيروت: دار العلم للملايين، 1978م.
44. السعران، محمود، علم اللغة، مقدّمة للقارئ العربي، بيروت: دار النهضة العربية، بلات.
45. سلامة، إبراهيم، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، ط2، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1952م.
46. ابن السكيت، يعقوب، القلب والإبدال، بيروت: نشر هفنر(ضمن الكنز اللغوي)، 1903م.

47. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م.

48. ابن سيده، المخصص، مصر: مطبعة بولاق، 1320هـ.

49. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، بيروت: دار المعرفة.

50. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد جاد المولى، والبجاوي وأبي الفضل ابراهيم، القاهرة: دار إحياء العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بلات.

51. السيوطي، جلال الدين، المهذّب فيما وقع في القرآن من المعرب، تحقيق إبراهيم أبو سكين، القاهرة، 1980م.

52. الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت: 1990.

53. الشدياق، أحمد فارس، سر الليال في القلب والأبدال، الآستانة: المطبعة السلطانية، 1284هـ.

54. الطبري، ابن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، ط2، القاهرة: طبع البابي الحلبي، 1373هـ-1954م.

55. ظاظا، حسن، كلام العرب، مصر: 1976م.

56. عابدين، عبد المجيد، محاضرات في علم اللغة ألقاها على طالب الدراسات العليا، جامعة الاسكندرية، من فصل بعنوان، نظرية المجال الدلالي.. في العام الدراسي، 1978-1979م.

57. عباس، حسن، اللغة والنحو، مصر: دار المعارف، 1966م.

58. أبو عبيدة، معمر بن المثني، مجاز القرآن، تحقيق فؤاد سزكين، مصر: مكتبة الخانجي.

59. العسكري، أبو هلال، الفروق في اللغة، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1393هـ-1973م.

60. ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، ط4، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1399هـ-1979م.

61. عمايرة، إسماعيل، بحوث في الاستشراق واللغة، بيروت، عمّان: مؤسسة الرسالة، دار البشير، 1996م.

62. عمر، أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ط1، القاهرة: عالم الكتب 1402هـ-1982م.

63. أبو عودة، عودة خليل، التطوّر الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن، الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، 1405هـ-1985م.
64. ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، القاهرة: المكتبة السلفية، القاهرة 1328هـ-1960م.
65. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1379هـ.
66. فاضل، عبد الحق، مغامرات لغوية، بيروت: دار العلم للملايين، بلات.
67. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق عبد الله درويش، بغداد: مطبعة العاني، 1386هـ-1967م.
68. ڤندريس، جوزيف، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1950م.
69. القاسمي، علي، علم اللغة وصناعة المعاجم، مصر: دار المعارف، 1962م.
70. القرطبي، أبو عبد الله الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، مصر: دار الكتب المصريه، 1354هـ-1935م.
71. القزاز، عبد الجبار، الدراسات اللغوية في العراق، بغداد: دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة العراقية، 1981م.
72. القيرواني، ابن رشيق، العمدة في الشعر ونقده، القاهرة: ط1907م، 1344هـ-1925م.
73. الكرملي، أنستاس، نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، القاهرة: المطبعة العصرية، 1938م.
74. ابن كمال، باشا، رسالتان في المعرب للمنشي وابن كمال باشا، تحقيق سليمان العايد، مكة المكرمة: 1989م.
75. اللغوي، أبو الطيب، الإبدال، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق: 1961م.
76. المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية، ط3، بيروت: دار الفكر، 1968م.
77. متز، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة أبو ريده، ط4، بيروت، دار الكتاب العربي، 1387هـ-1967م.
78. المخزومي، مهدي، الخليل بن احمد الفراهيدي، بغداد: مطبعة الزهراء، 1960م.
79. ابن مراد، إبراهيم، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية، بيروت: دار الغرب الاسلامي، 1985م.

80. المغربــي، عبد القادر، الاشــتقاق التعريب، ط1، القاهــرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1366هـ-1947م.

81. مكرم، عبد العال ســالم، دفــاع عن كتاب الله تعالي، قضيــة الكلمات الأعجمية في القرآن الكريم، الكويت: مجلة الوعي الاسلامي، العدد 82، 1391هـ.

82. ابن منظور، لسان العرب، مصر: دار المعارف، بلات.

83. النشــار، علــي ســامي، مناهج البحث عند مفكري الاســلام، مصــر: دار المعارف، 1966م.

84. وافــي، علي عبد الواحد، علم اللغة، ط9، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشــر، بلات.

ب- المراجع الأجنبية :

1. Alexander (Henry): The Story of Our Language, Anchor Books, NewYork: 1969

2. Jones (Daniel): The Phoneme, Its Nature and Use, Cambridge: 1962.

3. Palmer (F. R.): Semantics, Cambridge University Press: 1977.

4. Sturtevant (Edgar): An Introduction to Linguistic Science, New Haven, Yale U. Press: 1961.

5. Trench (Richard): On the Study of Words, Dent Sons Ltd, London: 1930.

6. The Encyclopedia Britannica, Helen Hemingway. Publisher, 15th ed. 1973-1994, V. 111.

الوحدة السادسة

العربية والمناهج اللغوية

محتويات الوحدة

1. المقدمة

1.1 تمهيد

عزيزي الدارس:

مرحبا بك في هذه الوحدة وعنوانها (العربية والمناهج اللغوية) ومن أجل الوصول إلى مفهوم واضح للمناهج اللغوبة التي يمكن دراسة أنظمة العربية بوساطتها، عرّفت بكل منهج منها، بأن بينت جذوره التاريخية وأسسه التي يقوم عليها وتميزه عن غيره من المناهج، وهذه المناهج هي: المعياري، والمقارن، والتاريخي، والوصفي والوصفي الإحصائي اللغوي.

2.1 أهداف الوحدة

يتوقع منك، عزيزي الدارس، بعد دراسة الوحدة أن تصبح قادراً على أن :

1- تعـرف أظهـر المناهـج اللغويـة : التاريخي، والمقـارن، والمعيـاري، والوصفي والإحصائي.

2- تبين الفروق بين المناهج سالفة الذكر.

3- تحدد مزايا المناهج اللغوية من خلال أمثلة مطبقة على اللغة العربية.

4- تقـدم أمثلة عملية تبين كيـف يمكن أن يتوصل إلى الحقيقـة اللغوية خلال تكامل المناهج في إلقاء الضوء على أبعادها المتعددة.

3.1 أقسام الوحدة

تقسم الوحدة إلى أربعة أقسام هي :

1- المنهج المعياري ومقوماته.

2- المنهج المقارن بتياراته ومبادئه

3- المنهج التاريخي وأهدافه

4- المنهج الوصفي والوصفي الاحصائي والأسس التي يقوم عليها.

بعد دراسـتها سـيجد الدارس أنهـا تغطي الأهداف الأربعة سـالفة الذكـر والمنهج المعيـاري فيه حديث عن مقوماته التـي تميزه عن بقية المناهج، وفي آخر الوحدة تطبيق عملـي لجميع المناهج للوصـول إلى الحقائق اللغوية من خلالها، فأقسـام الوحدة تغطي كلها مجتمعة أهداف الوحدة.



4.1 القراءات المساعدة

1- بـاي، ماريو، أسـس علـم اللغة، ترجمة أحمـد مختار عمر، طرابلس : منشـورات جامعة طرابلس، 1973م.

2- الراجحـي، عبده، النحو العربـي والدرس الحديث، بيـروت : دار النهضة العربية للنشر، 1979م.

3- رمضان، عبد التواب : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط1، القاهرة، الرياض : مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، 1403هـ1982-م

4- عمايرة، إسماعيل، المستشرقون ومناهجهم اللغوية ط1، اربد : دار الملاحي للنشر والتوزيع، 1408هـ - 1988م.

5- مصلوح، سعد، الأسلوب، ط2، القاهرة : دار الفكر العربي، 1404هـ-1984م.

5.1 ما تحتاج اليه لدراسة الوحدة

1- دراسة الوحدة.

2- الاطلاع على المراجع ذات العلاقة.

3- متابعة ما يكتبه المعاصرون حول مباحث الوحدة.

2. المنهج المعياري ومقوماته

وهي الدراسة اللغوية التي تستهدف استخراج القواعد من النصوص وفرضها معياراً للاستعمال اللغوي، وكما يقول الدكتور تمام حسان هي (أنواع من الدراسات اللغوية، يغلّب القاعدة على النص فيجعلها قانوناً حتمياً يجب احترامه وطاعته. حتى على أصحاب السليقة اللغوية"[1]. فاذا جعل الباحث دراسته "مؤسسة على المنطق خالية من كل وجهة نظر علمية، وهي لا تهتم باللغة نفسها، بل ترى فقط أن تسنّ القواعد التي تفرق بين الاستعمالات الصحيحة وغير الصحيحة، يكون المنهج معيارياً.."[2] وهذا المنهج تفيض به كتب النحو العربي؛ وكأن النحاة يتعاملون مع الاستعمال اللغوي تعاملهم مع السلوك الاجتماعي؛ فإنهم ينقلون المقاييس الاجتماعية ويجعلون منها معايير لغوية لوصف الاستعمالات اللغوية؛ فهذا قبيحٌ أو محال، وذاك حسن أو مستقيم؛ وهو اتجاه معياري يعتبر السمة الغالبة على الدرس النحوي العربي منذ كتاب سيبويه الذي لو تصفحناه لوجدنا بعض العبارات التي لا يمكن عدها إلاّ من قبيل البحث عن المقياس الصوابي نحو: يجوز ولا يجوز، ولم يَجُز ويحسن ولا يحسن ويقبح، والحد والوجه، ولا يكون فيها ذلك، وهو عربي جيد مستقيم وحسن ومحال، ولتوثيق هذا الأمر نقتبس منه ما يلي:

"أفلا ترى أن هذا يقبح"[3]، فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك أتيتك أمس وسآتيك غداً، وأما المحال فإن تنقض أول كلامك بآخره.."[4] (واعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام"[5] (فهو يجوز في كل شيء من أسماء الزمان كما جاز في كل شيء من أسماء الحدث[6]، وهذا شاذ[7] (وترك التاء الحد والوجه) وإثبات التاء.. حسن..)[8] ولو قلت : كان رجلٌ في قوم عاقلاً لم يحسن .. فعلى هذا النحو يحسن ويقبح .. ولا يجوز لأحد.. لو قلت كان أحد من آل فلان لم يجز)[9] .

(1) اللغة بين المعيارية والوصفية، ص 25.
(2) دي سوسير نقلاً عن المرجع السابق، ص 155.
(3) الكتاب : 21/1.
(4) السابق: 25/1-26.
(5) السابق: 26/1.
(6) السابق: 35/1.
(7) السابق نفسه.
(8) المرجع السابق: 53/1.
(9) السابق: 54/1- 55 .

والأمثلة في الكتاب تفوق الحصر. وإذا انتقلنا إلى كثير من مصطلحات الخصائص سنجد ابن جني قد استخدم المطرد والشاذ، والصحيح والفاسد، وإجازة الرفع، وصحة المذهب،، ويجوز جوازاً صحيحاً، وجواز الاستدلال، وجواز العطف ولم يجز لك.."[1] ومرذول مطرح، وفاش في الاستعمال وقوي في القياس[2]. وهي اصطلاحات لها دلالة واضحة على المعيارية.

وإذا انتقلنا إلى نحوي متأخر كابن هشام في كتابه المغني سنظفر بما يغنينا عن البحث في كتب النحاة الآخرين في الاستدلال على الاتجاه المعياري الغالب على الدرس النحوي عند العرب ونجده يردد كثيراً هو الصواب .. وهو والأصح، هو الصحيح والأرجح والوجوب والاختيار، وغلّط وصوَّب، ولم يجز قياساً وجاز قياسا، والشذوذ.. الخ.

ويبدو أن النحاة لم يستطيعوا أن يتناسوا الطابع التعليمي للدرس النحوي الذي كان من دوافعه الأولية تصويب الأخطاء أو اللحون التي وردت على ألسنة العرب والعجم في قراءة بعض الآيات القرآنية، وهو أمر لم يستطع النحاة الفكاك منه في تحليلاتهم اللغوية؛ حيث حرصوا على بيان المقاييس الصوابية والمعايير الصحيحة في الصرف والنحو والدلالة.

وبهذا تنسجم المعيارية اللغوية مع المعيارية الدينية والاجتماعية بمعاملة الحدث اللغوي معاملة السلوك الديني والاجتماعي، يتضح ذلك من وصف مخالفة القاعدة اللغوية بأنه خطأ أو شذوذ أو قبيح أو فاسد، وغير جائز ومرذول، ووصف الموافقة بأنها صواب أو حسن، أو جائز، أو مطرد، أو صحيح أو الأصح، وكلها في الحقيقة أوصاف لأي عمل أو موقف ديني أو اجتماعي يصادف رفضاً أو قبولاً في المجتمع. وكل ذلك من قبيل حرص النحاة على الصواب اللغوي فقد بلغ الأمر بأحدهم إلى حد تقديس المقياس الصوابي في اللغة حين قال بعد بوار تجارته (انهم يلحنون ويربحون) يقصد التجار الذين تلقى تجارتهم رواجاً مع أنهم يلحنون في أحاديثهم، والوجه الآخر لعبارته هو أنه لا يحق لمن يلحن في كلامه أن يربح في تجارته وهذا أقرب إلى الحكم الديني منه إلى الحكم اللغوي. والمعيار اللغوي بهذا أقرب إلى المعيار الديني لشدة تقديسه للغة ومقاييسها الصوابية؛ وعليه فالسلوك الصائب في اللغة هو السلوك الصائب دينياً واجتماعياً. وعلينا الآن أن نبين أهم مقومات المنهج المعياري ومميزاته وهي:

1- يسعى إلى تثبيت المعايير اللغوية والمقاييس الصوابية في المستويات اللغوية لمواجهة أي تطور لغوي، لأنهم يعتبرون أي تغير انحرافاً عن النمط الفصيح الصحيح.
2- همُّ المعياريين فرض القواعد التي تتصف بالعموم والاطراد وليس بالضرورة أن تكون شاملة.

---

(1) انظر الخصائص: 1/97، ومابعدها من باب القول في الاطراد والشذوذ.
(2) المرجع السابق: 1/126.

3- القاعدة معيار فما وافقها صواب، وكل ما لا ينطبق عليها يعد خطأً أو شاذاً أو خروجاً على النمط الصحيح.

4- تغليب القاعدة على النص، أي يعتمدون على الأقيس في اللغة وليس على الأفشى في اللغة أو الأفصح.

5- يهتم المعياريون بتوثيق النص أو الشاهد، وبقائله وزمانه لانهم يقيمون عليه قواعدهم، فهو الحجة على النمط اللغوي.

6- يتمسك المعياريون العرب بالحدود الزمانية والمكانية والاحتجاج، ولم يولوا عناية بالأطوار اللغوية التالية؛ وذلك من أجل المحافظة على ثوابت المرحلة المعيارية، خاصة المعايير القرآنية.

7- مع اعتراف المعياريين بالازدواجية إلا أنهم يميلون إلى النمط الفصيح ويخططون من أجل غلبته ويهملون اللهجات التي لم تظفر بعنايتهم.

8- ينظرون إلى لغة القرآن الكريم على أنها لغة الحضارة الجديدة؛ لذلك كان من أهدافهم التوقف في استنباط القواعد والمعايير الصوابية عندما تمثل هذه اللغة ما اتخذوه أو اعتبروه لغة مركزية.

9- لم يشغل بال المعياريين العرب آخر الصور المنطوقة للغة، وكان اعتمادهم على المكتوب أكثر من اعتمادهم على المنطوق.

10- المعيارية لها هدف تعليمي وحضاري؛ بحرص المعياريين على العنصر الموحِّد للأمة وهو الفصحى.

11- ويعتبر المعياريون الفصحى مؤشراً لقياس ثقافة الفرد والجماعة.

وبهذه المواصفات استطاع المعياريون أن يوفروا للعربية الفصحى أسباباً من الاستمرار والحياة والازدهار والصمود بالمحافظة على المقاييس الصوابية والقواعد المعيارية فيها التي فُرِضت على المتكلمين باعتبارها نماذج يجب ألا يخرجوا عنها، ولا محلّ للاستغراب من التعامل بهذا المنهج في اللغة العربية فهي شريان حياتنا الدينية باعتبارها لغة القرآن الكريم التي يجب تثبيت قواعدها المعيارية؛ لحمايتها من معايير التطوير المتلاحقة.

؟

أسئلة التقويم الذاتي (1)

1-عرف المعياريّة ؟

2- ما أهم مقومات المنهج المعياري ؟



تدريب (1)

1- ما الغرض التعليمي من المعيارية ؟
2- ما الهدف الحضاري لها ؟

3. المنهج المقارن : تياراته ومبادئه Comparative

وهو أقدم مناهج علم اللسان الحديث، وكانت نقطة البدء فيه 1786م على يد وليم جونز، الذي تنبه إلى القرابة اللغوية بين اللغة السنسكريتية من جهة وبين اللغات الأوروبية عامة، اليونانية واللاتينية خصوصاً وهكذا نشأت المقارنة العلمية بين اللغات ونمت شيئاً فشيئاً، وانتقلت إلى دراسة اللغات الشرقية أيضاً، وقد تجنب الدارسون بهذا المنهج، الدراسات التي تهتم بالمعايير والحدود. وقد ظهر أول كتاب يتبنى هذا المنهج لفرانز بوب سنة 1816 بعنوان (تصاريف الأفعال في السنسكريتية بالمقارنة بينه وبين نظام اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية)، وأخرج بين سنتي 1833 و 1852 الكتاب الذي صار عماد كل المختصين في المقارنة وهو (القواعد المقارنة Vergleichend Grammatik) الذي حلل فيه بالمقارنة الأنظمة الصوتية والصرفية والتركيبية للغات المذكورة في كتابه السابق وزاد عليها لغات أخرى[1]. ومن الكتب التي كان موضوعها البحث في العلاقات بين مجموعة اللغات السامية، ما صنفه المستشرقون[2] من أمثال وليم رايت الذي ألف سنة 1890 كتاب (محاضرات في النحو المقارن للغات السامية). وكذلك ألف كارل بروكلمان كتاباً من جزئين هو (الأساس في النحو المقارن للغات السامية).

وظهر الجزءان على التوالي، الأول سنة 1908 وموضوعه أصوات اللغات السامية وأبنيتها الصرفية، والثاني سنة 1913 وموضوعه : دراسة الجملة في اللغات السامية، وله أيضاً كتابان صغيران أولهما "فقه اللغات السامية" والثاني "مختصر النحو المقارن للغات السامية". ولبرجشتراسر المدخل إلى اللغات السامية، ومجموعة من المحاضرات ألقيت في الجامعة المصرية. يقارن فيها بين العربية واللغات السامية الأخرى، طبعت بعنوان التطور النحوي سنة 1919 م.

---

(1) انظر: مدخل إلى علم اللسان الحديث 3 للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، الجزائر المجلد الثاني، 1972: ص ص 10-11.

(2) انظر : فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التواب، مقدمة المترجم ص ص 6-7، والمدخل إلى علم اللغة للدكتور رمضان عبد التواب: ص ص 202-204.

وهكذا يتناول هذا المنهج وبالدراسة المقارنة مجموعة لغات تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة[1]، وقد انقسم هذا النوع من الدراسات اللغوية المقارنة إلى ثلاثة تيارات[2]، هي:

- المقارنة من أجل بيان القرابة بين اللغات الهندية والأوروبية.
- عقد الموازنة بين اللغات والكائنات الحية.
- التتبع التاريخي الدقيق والاهتمام بتقنين التطور وتعليله.

ولم يكتف بعضهم بالمقارنة بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة بل راح يقارن بين أسرتين لغويتين على نحو ما فعل مولر[3] Müller في كتابه اللغات السامية والهندية الجرمانية (الأوروبية)، ونشر في كوبنهاجن سنة 1907، وله معجم يقارن فيه بين المفردات السامية والهندية والأوروبية ونشر كوني Cony في باريس سنة 1924 كتابا أقامه على المقارنات النحوية يبين اللغات الهندية الأوروبية والسامية.

وقد سعى العلماء من خلال مقارناتهم إلى تحقيق أهداف عدة منها طموحهم إلى الوصول إلى اللغة الهندية الأوروبية الأم أو اللغة السامية الأم، ثم أرادوا الكشف عن أصل كل لغة والأسرة اللغوية التي تنتمي إليها عن طريق التشابه في البنى الصرفية والتراكيب النحوية. فإنه لايمكن الاعتماد على المفردات في إثبات القرابة بين اللغات والتوافق النحوي أقوى دلالة على القرابة؛ لأن اللغة التي تمتزج بغيرها لاتقتبس إلا نادراً تحولات الصرف والاعراب وقد لاتقتبسها مطلقاً[4] كان من أهداف بعضهم سبر أغوار الفكر الإنساني باعتبار أن اللغة وسيلة للتعبير عن الروح القومية، وليس تنوع اللغات إلا دليلاً على تنوع العقليات وإن تفوق البنية اللغوية دليل على تفوق الذهنية والعرق، كما يقرر همبولت[5] الذي يتابعه الفرنسي Tesniere الذي رأى في تنوع الأصوات والإشارات تنوعاً في النظرة إلى الكون[6]، واللغة في نظر هذه الفئة عبارة عن صيغة نفسية أو عقلية وأنها عند شلايشر ظاهرة طبيعية وليست اجتماعية وأن علم اللغة علم طبيعي لا علماً إنسانياً[7]، وهكذا أرادوا من المقارنات إثبات تفوق عرق على عرق لغوياً وحضارياً؛ مع أن تحقيق الرابطة بين اللغة والجنس أمر مستحيل كما يقول ڤندريس[8] كذلك من أهدافهم البحث عن

(1) حجازي، مدخل إلى علم اللغة: ص 21.
(2) انظر: عبد الرحمن الحاج صالح، المرجع السابق: ص ص 12-13.
(3) اسماعيل عمايرة : المستشرقون ومناهجهم اللغوية: ص 28.
(4) جورج مونين : تاريخ علم اللغة، ص 172.
(5) المرجع السابق: ص 197.
(6) المرجع السابق: ص 198.
(7) المرجع السابق : ص 200.
(8) اللغة: ص 376.

القوانين المطردة لكل لغة على حدة[1]، ثم لكل مجموعة متجانسة من اللغات ثم القوانين المشتركة بين اللغات بوجه عام، وقد أصبح هذا المنهج وثيق الصلة بتاريخ الحضارات واللغات حتى لنستطيع أن نعد جهود المستشرقين في ميدان اللغات السامية، ونظرائهم من الباحثين في اللغات الهندية الأوروبية حلقة من سلسلة البحث عن الحضارات القديمة واللغات القديمة. والبحث عن الوثائق القديمة الأثرية للغات اليونانية واللاتينية، والنقوش العربية الشمالية والجنوبية والعبرية والآرامية والفنيقية وغيرها من أجل الوقوف على نصوص تمثل حقباً تاريخية متنوعة تمكنهم من المقارنة المتعمقة التي تستهدف لغوياً كشف العلاقة بين لغة وأخرى، ومعرفة ما إن كانت اللغات الانسانية ترجع إلى أصل واحد، وهل تربطها قواعد عامة، وكيف تطورت وانفصلت، وكيف يمكن أن يفسر ذلك التطور، وما موقع اللغات الأوروبية من اللغات الأخرى والأجناس الأخرى[2].

وأما ميادين البحث المقارن فشملت الجانب الصوتي في اللغات التي تنتمي إلى أسرة لغوية واحدة من أجل الوصول إلى قواعد تفسر التطور الصوتي أو التغيرات الصوتية التي أصابت الوحدات الصوتية، مما أسفر عن انقسام اللغة إلى لهجات، واللهجات إلى لغات، وإذا أردنا أن نمثل لذلك في العربية نقول إن صوت الجيم مثلاً مجهور رخو في العربية الفصحى ولكنه تطور في اللهجة القاهرية إلى صوت (g) كما في good الإنجليزية، أي أصبح صوتاً انفجارياً، ويبدو أن هذا هو النطق الأصلي لهذا الصوت بالمقارنة بما جاء في اللغات السامية الأخرى كما في جَمَل gamal الحبشية، في الاكدية gamlu وفي العبرية gamal وفي السريانية gamla ومما يجدر ذكره أيضاً أن هذا الحرف أصابته تغيرات أخرى فينطق دالاً في صعيد مصر، وأقرب إلى الشين في لهجات أخرى كما في بلاد الشام، أي إن هذا الصوت المركب من الدال والشين انحل إلى أحدهما في لهجة، وإلى الآخر في لهجة أخرى ولا يفوتنا أنها تنطق ياء في بعض البيئات العربية.

وقد تحدث المقارنات على المستوى الصرفي كدراسة الضمائر بين اللغات السامية وأبنية الأفعال وصيغ المشتقات، كالذي فعله بروكلمان في كتابه فقه اللغات السامية. وأما المستوى النحوي فيمكننا إجراء المقارنات في الإعراب والحركة الإعرابية في اللغات السامية ومدى أصالة الإعراب في العربية وأخواتها، وعلى مستوى المفردات؛ فإن المقارنة تجعلنا نقف على الأصيل من الدخيل في العربية مثلاً، أو في الساميات من جهة واللغات الهندية الأوروبية من جهة أخرى؛ فإن ذلك يفيد في معرفة الألفاظ المشتركة بين الساميات وما طرأ على الألفاظ من تطور دلالي، سواء أكانت هذه الألفاظ من تقارض

(1) المستشرقون ومناهجهم اللغوية: ص 26.
(2) المرجع السابق: ص ص 27-28 (بتصرف).

اللغات السامية فيما بينها كالذي حدث بين العربية وأختها السريانية أم كانت من المعرّب الذي جرى اقتراضه من اللغات الأخرى كالذي حدث بين العربية والفارسية، على سبيل المثال.

والمنهج المقارن يعتمد على مبادىء أساسية يحدِّدها أنطوان مييه[1] Meillet وتحدث الأخطاء من جرّاء عدم مراعاتها عند المقارنات، وأول تلك المبادىء:

هو أن اللغات تصدر عن تغييرات في عناصرها الموجودة لا عن خلق جديد، فمن يريد أن يضع اسماً لشيء جديد يستعير عادة عناصر الكلمة من لغته أو من لغة أجنبية وذلك كاللفظة الألمانية fernsprecher (الهاتف) مأخوذة من fern (بعيداً) sprecher (متحدث) .. وإذن فالأمر ليس أمر خلق خالص .. وأنه إذا لم يكن من الثابت قط أن بعض الكلمات لا يمكن أن تعتبر مخلوقة من العدم على نحو ما، بحيث لا نجد لها أصلاً اشتقاقياً، إلاّ أنه من المسلم به أن كل طريقة خاصة للنطق، وكل نظام نحوي عام لا بد أن يكون استمراراً لطريقة أو نظام سابقين.

والمبدأ الثاني، هو أنه ليس ثمة بين الاصطلاح اللغوي والشيء الذي وضع له ذلك الاصطلاح أية علاقة طبيعية، وإنما هي علاقة تقاليد فليس في الضمائر أنا وأنت وهو، شيء يدل بذاته على أحد الأشخاص الثلاثة، وإنما تستعمل لأنه في جماعة بشرية ما، جرت التقاليد بأن تستعمل تلك الصيغ، ومن ثَمَّ نرى أكثر علماء اللسان حنكة عاجزاً كغيره من الناس أمام خطبة أو نص مكتوب في لغة مجهولة جهلاً تاماً.. وكل اتفاق في التفاصيل بين لغتين لا يصدر إلاّ عن رابطة تقليدية تاريخية بينهما وأنه لمن المعترف به اليوم أن الاستعارة تلعب دوراً هاماً في نمو اللغات، وهي ليست ظاهرة شاذة، بل عادية كثيرة الحدوث بين لغتين، تدل على أن هاتين اللغتين تمثلان حالتين للغة واحدة تطورت فانتهت إليها.. ومن الممكن أن يكون التوافق بين مفردات منعزلة نتيجة للمصادفة البحتة على نحو ما تدل كلمة bad في اللغتين الفارسية والإنجليزية على معنى (رديء). كما أنه من الممكن أن يكون نتيجة لاستعارة اللغتين من لغة واحدة ومجموعة من الموافقات في عوامل الصيغة لا في قواعد ترتيب الألفاظ فحسب، تدل على وحدة الأصل دلالة ثابتة، والمنهج المقارن يمكّننا من سد النقص الذي يجده علم اللسان التاريخي في الوثائق، ولكنه لا يسمح لنا بأن نرد حدود معارفنا إلى ما خلف أقدم الوثائق التي لدينا.

---

(1) علم اللسان : ص ص 453-463، الملحق بكتاب النقد المنهجي عند العرب للدكتور محمد مندور.

والمبدأ الثالث: مضمونه أن التغير لا يحدث على نحو مشتت غير مطرد بل يحدث وفقاً لقواعد ثابتة يمكن أن تصوغها في دقة، إذا تناولنا لغة في عصرين متتابعين من تاريخ تطورها، وإن التغير يحدث على نحو مستقل متميز في كل عنصر من عناصر اللغة الثلاثة: الصوت وعامل الصيغة والكلمة.. فالمقابلات الصوتية في العادة مطردة، ما لم تعارضها عوامل صوتية أخرى، ونحن نسمي أمثال تلك المقابلات المطردة قانوناً صوتياً، الذي يعبر عن علاقة بين حالتين متتابعتين للغة واحدة في وسط اجتماعي ما وهو ليس قانوناً عاماً شبيهاً بقانون علم الطبيعة أو علم الكيمياء، وهو يعبر عن وقائع خاصة بلفظة ما في فترتين متميزتين في مكان ما .. وإذا عارضنا الصيغ النحوية للغة ما في فترتين متتابعتين من تاريخها، نجد أن هناك مقابلات مطردة .. وأما عن المفردات فلكل كلمة حياتها المستقلة فالتغيرات التي تصيب كلمة ما خاصة بتلك الكلمة، فإن أصابت غيرها لم يَعْدُ ذلك بعض الكلمات المجاورة في المعنى أو في الصيغة.



أسئلة التقويم الذاتي (2)

1-كانت تتوزع الدراسات اللغوي في أواخر القرن التاسع عشر ثلاثة تيارات، اذكرها؟

2- ذكر أنطوان مييه ثلاثة مبادئ يقوم عليها المنهج المقارن وضحها ؟



تدريب (2)

1- ما موضوع الدراسات المقارنة في اللغة ؟

2- لقد كان لبعض العلماء أهداف غير لغوية من الدراسات اللغوية المقارنة اذكر بعضها.

4. المنهج التاريخي وأهدافه Diachronic

لقد بدأت الدراسات اللغوية التاريخية سنة 1816م متداخلة مع الدراسات المقارنة، وقد اعتبر جريم Grimm مؤسساً لهذا النوع من الدراسات اللغوية التي تستهدف معرفة جميع التطورات في لغة ما من خلال مجموع تاريخها، وليس إثبات القرابة بين اللغات. وقد اعتبر هرمان بول أن الدراسة العلمية الوحيدة للغة، هي الطريقة التاريخية[1]. واعتبر ماييه من جانبه أن النحويين الشباب Junggrammatikers هم نقطة التحول الحقيقية من القواعد المقارنة إلى المنهج التاريخي[2]، لأنهم يعتبرون علم اللسان علماً تاريخياً. وتغلبت النزعة التاريخية على الدراسات اللغوية إلى أواخر القرن التاسع عشر؛ حتى إن مصطلح Linguistics منذ سنة 1826 في فرنسا، و سنة 1855 في بريطانيا كان يعنى العلم الذي يدرس عن طريق المناهج المقارنة والتتبع التاريخي لأطوار اللغات.

"ويرمي المنهج التاريخي من دراسة اللغة إلى تتبع الظاهرة اللغوية في ماضيها وحاضرها سعياً وراء تفسير مقنع لما قد يطرأ عليها من تطورات، ورغبة في اكتشاف القوانين التي تحكمها ومحاولة للإفادة من ذلك في تصور الوجهة التي تسير إليها هذه الظاهرة في المستقبل"[3] فالمنهج التاريخي وسيلة لا غنى عنها لتفسير الظاهرة اللغوية التي تحتاج للتفسير التاريخي أكثر من غيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى لمعرفة:

أ- التطورات والتغييرات الطارئة عليها بمقارنة الظاهرة في زمن معين ثم زمن سالف، لمعرفة مظاهر التحول وتفسيرها.

ب- الوقوف على القوانين التي تحكم الظاهرة في حاضرها.

جـ- وضع أو تصور الوجهة التي يمكن أن تسير هذه الظاهرة إليها في المستقبل وهو هدف عملي، يفيد في التخطيط اللغوي الذي قد يحول دون استفحال ظاهرة لا نرغب في انتشارها.

ونستطيع أن نعد ما قام به لغويونا القدماء من ملاحظتهم للحن على الألسن ومحاولة الحد من هذه الظاهرة بما أقاموه من دراسات وصنفوه من مؤلفات لمحاربته، من قبيل المنهج التاريخي الذي لاحظوا به هذه الظاهرة، ووقفوا على أسبابها وخططوا للخلاص منها لأنهم اعتبروها تراجعاً أو تطوراً غير مقبول، لأنه خروج على صورة اللغة في عصر الاحتجاج.

---

(1) تاريخ علم اللغة، جورج مونين، ص 215.
(2) المرجع السابق نفسه.
(3) اسماعيل عمايرة : المستشرقون ومناهجهم اللغوية : ص 15.

كذلك ملاحظة التطورات الدلالية والأسلوبية التي تلحق بمعاني الألفاظ وأساليب العربية وبيان حدود هذا التطور والتغيير ومعرفة أنواعه وأسبابه، ومحاولة الحد منه في المستقبل.

وقد استثمر المستشرقون المنهج التاريخي؛ فعلى ضوء منه وضع رينهارت دوزي، ذيل المعاجم العربية، الذي ترجمه إلى العربية من الفرنسية الدكتور محمد سليم النعيمي. وقد تتبع دوزي المعاجم العربية وذكر الكلمات التي فات أصحابها تدوينها: ومن هذا القبيل مشروع المعجم اللغوي التاريخي لفيشر الذي بدأه ولم يكمله لوفاته سنة 1949م.

ويعتمد المنهج التاريخي في تتبعه للظواهر اللغوية على المادة المكتوبة من الوثائق والنصوص. "فالمنهج التاريخي في الدرس اللغوي، عبارة عن تتبع أية ظاهرة لغوية في لغة ما حتى أقدم عصورها، التي نملك منها وثائق ونصوصاً لغوية، أي إنه عبارة عن بحث التطور اللغوي في لغة ما عبر القرون"[1] كتتبع أصوات العربية الفصحى وأبنيتها الصرفية ودلالة مفرداتها ونظام الجملة فيها تتبعاً تاريخياً منذ القدم إلى وقتنا. وعليه فالمنهج التاريخي منهج حركي، أي يهتم برصد الحركة اللغوية في تغيرها وتطورها سمواً وانحطاطاً، ويتميز هذا المنهج بفاعلية مستمره dynamic فهو يدرس اللغة من خلال تغيراتها المختلفة، وتغير اللغة عبر الزمان والمكان خاصة عملية، فطرية في داخل اللغة، وفي كل اللغات "والوظيفة اللغوية لعلم اللغة الوصفي هي أن يصف، ولعلم اللغة التاريخي أن يعرض التغيرات اللغوية فمن الصعب كثيراً الفصل بين النوعين في مجال التطبيق العلمي"[2]، فكل وصف في الحقيقة تاريخي والمنهج التاريخي قائم على أساس اشتماله على ملاحظات وصفية من عصور كثيرة ومتتابعة بحيث يمكن استخراج القانون اللغوي من هذه الملاحظات المتقابلة .. وتتجمع الصورة التاريخية من عناصر وصفية[3].

وكذلك يمكن أن يتداخل المنهجان لأن اللغة في حالة حركة، فقد نصف موقفاً لغوياً في زمن معين وقد يكون متطوراً عن وصف سابق، وقد يتبعه تطور لاحق، وهكذا تبقى الظواهر اللغوية عرضة لأحداث التغير التي يمكن جمع عناصرها في مرحلة تاريخية لاحقة وقد تكون في كثرتها عصية على التتبع كاستعمال القاف في اللهجات العربية الحديثة الذي قد يتفق أو يختلف مع نطقها التاريخي الفصيح، وما لحقها من تغيرات لا بد من وضعها في إطارها الزماني والمكاني، والبحث عن تفسير حقيقي لهذه التغيرات.

(1) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة: ص 197.
(2) ماريو باي: أسس علم اللغة: ص 137.
(3) عبد الصبور شاهين: في التطور اللغوي: ص ص 18-19.

"وكأن هم المنهج التاريخي والمهتمين به هو ملاحقة حركة اللغة ووصف ما يصيبها من تغيرات وبيان أسبابها من أبعد نقطة يبلغها علمنا ومروراً بكل المراحل التاريخية التي تعرضت فيها لأحداث التغيير[1].

ولا يقتصر البحث التاريخي على تتبع تغيير البنية اللغوية من جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بل يتناول بالضرورة مستويات الانتشار اللغوي في البيئات المختلفة وتغير ذلك عبر الزمن، كما يتناول الانتشار اللغوي ودخول اللغة إلى مناطق جديدة والانحسار اللغوي عن مناطق بعينها (كانحسار العربية في إيران والأندلس، ودراسة موجات التعريب.." [2] .



أسئلة التقويم الذاتي (3)

1-ما المنهج التاريخي في الدرس اللغوي ؟

2- ما أهداف المنهج التاريخي في تتبعه للظواهر اللغوية ؟



تدريب (3)

1- اذكر أمثلة من الدراسات اللغوية العربية التي يمكن عدها من قبيل المنهج التاريخي.

2- هل من ضرورة للمنهج التاريخي في الدراسات اللغوية؟

(1) المرجع السابق: ص 23.

(2) حجازي: مدخل إلى علم اللغة: ص 26.

5. المنهج الوصفي Synchronic والوصفي الإحصائي

وهـو أحد مناهـج البحث اللغـوي الحديث، وقد ظهـر أوائل هذا القـرن على يد دي سوسـير وقد جاء رداً على المنهـج التاريخي الذي كان متبعاً حتى أواخر القرن السـابق الـذي سـيطرت عليه البحـوث التاريخيـة والمقارنة منذ أن أعلن السـير وليـم جونز عن السنسكريتية وقرابتها من اللغات الأوروبية.

وقد عارض دي سوسـير الاتجاهات السـابقة في البحث اللغوي، ورأى أنه ينبغي أن تدرس اللغة في مرحلة خاصة وهي حال اسـتقرارها في بيئة مكانية معينة وفترة زمانية محدّدة واتخذ له مصطلح Synchronic أي المنهج الوصفي، وهو المنهج الصالح لدراسة اللغة على أسـاس علمي. وهذه أهم إضافة إلى الدرس اللغوي الحديث، قدّمها دي سوسير فـي كتابـه: Cours de Linguistique Generale ويتناول المنهج الوصفي بالدراسـة العلمية لغة واحدة في زمن بعينه ومكان بعينه.[1].

وعند مييه إنه " يعنى بدراسـة الاستعمال اللغوي في عمومه، عند شخص بعينه، في زمان بعينه، ومكان بعينه"[2] وإنه يبحث المستوى اللغوي الواحد الفصحى أو للهجة من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، فالدراسـة الوصفية، كما يقول الدكتور إبراهيم السامرائي نوعان:

" نوع يعني بدراسة جميع الحقائق اللغوية للغة واحدة في مكان بعينه. ونوع يعني بدراسـة حقيقة لغوية واحدة في مختلف أنحاء الوطن اللغوي... وتتناول هذه الدراسـات الإحاطة باللغة في جميع جهاتها الزمانية والمكانية"[3] وقد ساد هذا المنهج خلال القرن العشرين حتى أصبح علم اللغة الوصفي مرادفاً لعلم اللغة الحديث.

وقد تأثر كثير من العلماء واللغويين بنظرية دي سوسيرمثل فرانز بوز Franz Baos الأنثروبولوجـي الأمريكي الذي اهتـم بالنظام الصوتي للغة ثم يليـه الصرفي والتركيبي وتبعه تلميذه إدوارد سابير Edward Sapir الذي انصب اهتمامه على الوحدات الأساسية للكلام كالأسـماء والأفعال وترتيبها. وجاء بعدهما بلـو مفيلد BloomField الذي وضح قوانيـن المنهج الوصفي الأساسـية في كتابه (اللغةLanguage) وقـد ركز على التحليل الصوتي أولاً ثم تحليل الجملة إلى مكوّناتها المباشرة من المورفيمات واستبعد المعنى من تحليلاته، وهو تطبيق نموذجي لمبدأ دي سوسير " أن اللسان شكل لا مادة".

---

(1) محمود حجازي، أسس علم اللغة العربية، ص 37.

(2) علم اللسان : ص 453.

(3) التطور اللغوي التاريخي : ص 39.

ويقوم المنهج الوصفي على الأسس التالية[1] التي تميزه عن المناهج الأخرى:

(1) يعتمد على الدراسة الحقلية القائمة على المادة اللغوية المستقاة من الاتصال المباشر بالواقع اللغوي الحي والمستعمل.

(2) وصف الظاهرة اللغوية حال استقرارها في مرحلة زمنية معينة وفي بقعة مكانية محدَّدة، حيث يقوم الباحث بعمليات الملاحظة والفحص والمقارنة والتحليل والتصنيف.

(3) إقامة الدراسة والبحث على الصورة المنطوقة للغة أكثر من الاعتماد على الصورة المكتوبة.

(4) الاهتمام باللغات الحية؛ لذا يحرصون على السماع من أحد أبناء اللغة الناطقين بها وهو المسمى الراوي اللغويInformant .

(5) الاهتمام باللهجات المحلية أكثر من الاهتمام باللغة المعيارية الفصحى.

(6) إغفال الفروق بين الاستعمالات اللغوية النموذجية والرديئة والعامية على قاعدة أترك لغتك وشأنها، لأن لكل مستوى نظامه وقوانينه.

(7) لكل لسان بنيته التي ينفرد بها، لذا ينبغي أن يتم وصفه على حده بدقة، على أن لها نظاماً من العناصر المترابطة صوتاً ونحواً ودلالة.

(8) اللغة في نظر دي سوسير نظام من العلامات، وفي نظر سابير نظام من الأشكال باعتبارها أنماطاً يسهل رصدها، والتركيبات الشكلية هي همّ اللغوي وهي التي يجب أن تدرس، كذلك العلامة هي الشيء الذي يمكن تحديده وتعيينه فقد تنطبق على الجملة والكلمة والمورفيم والعبارة.

(9) الوصفي لا يحفل بتفسير الظواهر وإنما همه استنتاج الحقائق اللغوية ببيان القواعد المطردة منها والشاذة حسبما تدل عليه الملاحظة والتصنيف من خلال واقع اللغة المنطوق كذلك يغضون النظر عن مقارنة حاضر اللغة بماضيها.

(10) من أهداف الدراسة الوصفية وضع المناهج التي تساعد في تعليم اللغة من خلال نصوصها المستقرة في آخر صورة لها.

(11) كثير من الوصفيين يهتمون بالمفردات من جانبها الصوتي أولاً والوظيفي النحوي ثانياً ويستبعدون المعنى والجانب الاشتقاقي من دراستهم لذلك يتجنبون الاعتماد على المادة المكتوبة، وهذا أمر طبيعي عند الوصفيين لأنه ناتج عن الاهتمام بالصورة المنطوقة للغة وباللهجات من أجل الوقوف على خصائصها لذلك نجدهم يحرصون على استخدام الآلات والأجهزة في تسجيل الأصوات لأنها أكثر دقة في التقاط الصورة الصوتية.

---

(1) انظر: عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث: ص 23-60، وإسماعيل عمايرة : المستشرقون ونظرياتهم اللغوية: ص 25-79.

(12) العنايــة بالدراســات الإحصائية الوصفية لتحديد المميــزات اللغوية في طرق الأداء اللغوي، الفصيح أو العامي، والمســتعمل في اللغة سواء أكان مكتوباً أم منطوقاً، لأنه من أكثر المناهج موضوعية للوقوف على الظاهرة اللغوية الأكثر شيوعاً.

وقد مر استخدام الإحصاء في دراسة اللغة بمرحلتين كما يقول الدكتور سعد مصلوح[1] ساد في أولاهما تجاه يهدف إلى قياس الخصائص العامة أو المشتركة في الاستعمال. وقد طبقه المستشــرقون[2] في دراســة العربية ففي باب المفردات قام المستشـــرق الألماني هانــز فــير بتصنيــف "معجم اللغة العربية المعاصرة" وترجم إلى الإنجليزية.

وأما موشــيه بريل فيجمع المفردات الأساسية أو الأكثر شيوعاً في الصحافة العربية بين سنتي 1937-1939 ويقوم لانداو بجمع المفردات الأساسية في النثر الادبي.

وظهــرت قائمــة 1974 بعنــوان "الرصيد اللغــوي الوظيفي" وهي قائمــة بالألفاظ العربية الشائعة في معجم ثنائي فرنسي في تونس.

ويقوم هارتموت بوبتســين المستشــرق الألماني بإعداد قائمتين في العربية بعنوان "الأفعال الشــائعة في العربية المعاصرة". ومستشرق ألماني آخر هو فروم Fromm يعد هو الآخر قائمة بالألفاظ الشــائعة في لغة الصحافة وقد نشــر في ليبزيج في معجم ثلاثي اللغة: عربي، ألماني، إنجليزي.

وأظــن أن ما حدث في تاريخنا من جمع لألفاظ الدخيل والمعجمي إلاّ من هذا القبيل في زمانة كالمعَّرب للجواليقي وشــفاء الغليل للخفاجي. وأما في المرحلة الثانية فقد ساد تجــاه هدفه التوصل إلــى الخصائص الفارقة أو المميّزة بين الأســاليب. لأن العمل الأدبي مثلاً هو في حقيقته نص لغوي، وتتنوع طرق الأداء في الفنون الأدبية، من شعر إلى نثر، ومن قصة إلى مقالة في النثر، وكذلك عند المنشيء نفسه، يختلف ترتيب الوحدات اللغوية وتركيبهــا، ومواقعها تختلف بحســب ما بينها من علاقات نحويــة لأن النحو يضبط نظام الكلام وقوانينه واتجهت عناية الباحثين إلى الدراسة الأسلوبية على أسس أنها علم ألسني يُعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنيوية لانتظام جهاز اللغة"[3].

وتخلــى المنهج الوصفي أو البنيوي عن نحو الجملة وانتقل إلى نحو النص واعتباره وحدة للتحليل والوصف؛ لأن النص هو الذي تتكرر فيه السمات اللغوية التي في الحقيقة الخصائص الأســلوبية التي هي يمكن ملاحظتها وتصنيفها وإحصاؤها. ويمكننا أن نمثل

(1) الأسلوب، دراسة لغوية احصائية: ص ص37-38

(2) انظر: المستشــرقون ومناهجهم اللغوية للدكتور إســماعيل عمايــرة: ص ص80-81. وقد نقلنا عنه جهود المستشرقين في هذا الاتجاه.

(3) عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ص 56.

السمات الأسلوبية التي يمكن إخضاعها في الدراسة اللغوية الوصفية للإحصاء بما يلي:

(1) نوع الجمل أهي اسمية أم فعلية، خبرية أم إنشائية، طويلة أم قصيرة.

(2) استخدام الوحدات المعجمية كألفاظ الحرب والقتال أو ألفاظ الرقة والغزل.

(3) اسـتخدام الصيغ في زيادة نوع منها أو نقص نوع آخر كاسـتعمال الصفة المشـبهة وصيغ المبالغة مثلاً.

(4) الميل إلى استخدام ألفاظ البديع وبكثرة والابتعاد عن التراكيب والصور البيانية.

(5) استعمال الأفعال الماضية أكثر من المضارعة، أو أفعال الأمر.

(6) استخدام أدوات الربط بكثرة مما يعد مميّزاً أسلوبياً... وغيرها.

فإن تكرار سـمة مما سـبق يوصف بأنه من الخصائص الأسلوبية، ولا يكتفى لتقرير هـذه السـمة، بمجرد الإشـارة إليها وملاحظتها بإجمـال بل لا بد من اللجـوء إلى المعيار الموضوعي وهو القياس الكمي الذي يجري على المسموع أو المكتوب.

ونجنـي من المنهج الوصفـي الإحصائي نتائج يمكن أن نفيد منهـا عملياً[1] في عدة جوانـب منها المعجمـي حيث تقدّم قوائـم المفردات الأكثر شـيوعاً مما يمكـن أن يخدم المعجمي عند تصنيف المعاجم حيث تكون المادة أمامه ميسورة، ويأخذ ما يناسبه حسب المعجم الذي يريد تصنيفه سواء أكان متخصصاً أم غير متخصص.

ويقـدّم هذا المنهج فائدة قصـوى لبرامج تعليم اللغات خاصـة لغير الناطقين حيث يضع أمام مصنفي الكتب ومعديها أشهر المفردات والتركيب.

وأمـا على الصعيد الثقافي فإن هذا المنهج يفيد في معرفة المسـتوى اللغوى للقراء فيقدم لهم ما يناسـب مسـتواهم اللغوي والثقافي فيما يصنّف لهـم من مؤلفات علمية أو أدبية أو مقالات صحفية.

هـذا عدا ما تيسـره لنا هذه المناهج مـن معرفة الظواهر اللغوية ومـا طرأ عليها من تغيرات في الأصوات أو تطوير في الدلالات، بعد موازنة صورة الماضي بصورة الحاضر، مما قد يدفعنا لإقامة دراسـة تاريخية تضع أيدينا على أسـباب هذا التطور لتلافيه إذا كان غير مقبول، ولتشجيعه إذا كان مفيداً.

والمثال الذي يمكن أن نقدمه للدارس ونطبق عليه التكامل المنهجي هو صوت الجيم في العربية.

(1) انظر: إسماعيل عمايرة : المستشرقون ومناهجهم اللغوية : ص ص82-85.

لو طبقنا المنهج المعياري سنقول إنها صوت مجهور يجمع بين الشدة والرخاوة، أو بين (الانفجار والاحتكاك) أي هو صوت مركب وهي الجيم التي نجد نطقها الفصيح عند مجيدي القراءات القرآنية "ويتكون بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج، وهو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالاً بطيئاً، سمع صوت يكاد يكون انفجارياً هو الجيم العربية الفصيحة".(1)

ويفسر الدكتور كمال بشر معنى قولنا إن هذا الصوت المركب بقوله "جزؤه الأول صوت قريب من الدال، والثاني صوت معطش كالجيم الشامية، أو جزؤه الأول صوت قريب من الجيم القاهرية (الكاف المجهورة) والثاني صوت معطش كالجيم الشامية"(2) ويقرر الدكتور رمضان عبد التواب أنها صوت مزدوج "صوت دال مغوّر، يعقبه، صوت شين مجهور"(3) ويتابع الدكتور رمضان معتمداً على المنهج التاريخي "والظاهر أن صوت الجيم المزدوج هذا، ليس أصلياً في اللغة العربية القديمة، وإنما هو متطوّر عن جيم تشبه نطق المصريين لهذا الصوت"(4) يقصد الجيم القاهرية "الخالية من التعطيش الذي تطورت إليه" وهي الكاف المجهورة التي تنطق من الطبق.. وهي في لهجة أهل سوريا عبارة عن شين مجهورة، كما تطوَّرت في نطق بعض أهالي الصعيد إلى دال أسنانية لثوية"(5) أي إن هذا الصوت قد انحل في اللهجات العامية إلى صوت الشين بانتقال مخرجه إلى الأمام في الشام، وإلى الدال بانتقال مخرجه إلى الخلف عند أهل صعيد مصر، وفي اليمن وعُمان وهذا يمكن إثباته بالمنهج الوصفي بالسماع من هنا ومن هناك حتى نقف على كيفية نطقها في وقتنا الحاضر، في بلاد العرب.

ونستطيع أن نحكِّم المنهج المقارن لإثبات أصل هذه الجيم والتدليل على أنها كانت أخت الكاف فتخرج من مخرجها، فيكون نطقها كنطق الجيم القاهرية ثم عطِّشت كنطقها عند مجيدي القراءات وهذا ما قال به ليتمانLittmann معتمداً على نطقها في اللغات السامية حين يقول "نعرف أن نطق هذا الحرف الأصلي، كان كما هو الآن في مصر وكما كان ويكون في اللغات السامية الباقية مثلاً كلمة:"جمل" في العبرية gāmāl ، وفي السريانية gamlā: وفي الحبشية : gamal".

(1) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية: ص ص 77-78.
(2) كمال بشر : الأصوات : ص61.
(3) المدخل إلى علم اللغة: ص51.
(4) المرجع السابق: ص52.
(5) نقلاً عن الدكتور رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة: ص52.

أمـا الدكتور إبراهيم أنيس فقد برهن على أنها كانـت في الأصل خالية من التعطيش لعلة صوتية غلبت عليها، وهي "ان الحركة الأمامية قد جذبتها إلى الأمام وأصبح مخرجها أقرب إلى وسـط الحنك بعد أن كان في أقصى الفم"[1] وقـد أثبت غلبة هذه العلة بالمنهج الوصفـي الإحصائي حين قـام بعملية إحصـاء للكلمات القرآنية التي تشـتمل على الجيم بوصفها فـاء الكلمة فوجدها في المعجم المفهرس لألفاظ القـرآن الكريم محركة بالفتح 1107 مرة، ومحركة بالكسرة 157 مرة. ومحركة بالضم 102 مرة.. وإذا جمعت المرات التي شـكلت فيها الجيم بالفتحة والكسـرة وجد أنها في حدود 1264 أي إنها مشـكّلة في أغلـب حالاتهـا بحركة أمامية، وأن الحركـة الخلفية فيها أي الضمة قليلة جداً، إذا قيسـت بمـرات الحركة الأمامية. وعليـه فإن غلبة الحركة الأمامية وكثرتهـا يجعل الاحتمال قوياً أن نطقها تحرك إلى الأمام بسـبب الحركة المرققة، أي انتقل مخرجها إلى الأمام فأكسبها صفة التعطيش الذي نجده في القراءات القرآنية.

أسئلة التقويم الذاتي (4)

1- ما أهم الأسس التي يقوم عليها المنهج الوصفي ؟

2- لقد مر المنهج الوصفي الإحصائي بمرحلتين اذكرهما واذكر الأمثلة تبين توجهات الدارسين فيها.

تدريب (4)

1- اذكر ما يمكنك من فروق بين المنهجين التاريخي والوصفي.

2- أقـم دراسـة تطبيقيـة على صـوت القـاف، مـن وجهة نظـر وصفيـة وتاريخية ومعيارية.

(1) الأصوات اللغوية: ص81 وما بعدها.

6. الخلاصة

تناولت هذه الوحدة مناهج البحث اللغوي. وعرفنا مقوِّماتها والأسس التي تقوم عليها نحو :

- تمسك المعياريين بالقاعدة المطردة فهي معيار الصواب، ويفرضونها باعتبارها النمط اللغوي الذي ينبغي استعماله.
- الهمّ الأول للمنهج المقارن هو بيان القرابة بين اللغات في الجوانب اللغوية.
- أما المنهج التاريخي فيسعي إلى تتبع الظواهر اللغوية في ماضيها وحاضرها لمعرفة ما طرأ عليها من تطور لتفسيره.
- المنهج الوصفي يقوم على الدراسة العلمية للغة أو اللهجة في زمن بعينه ومكان بعينه، فهو منهج سماعي.
- المنهج الوصفي الإحصائي يهدف إلى قياس الخصائص العامة للاستعمال اللغوي أو الخصائص الفارقة بين الأساليب، كميّاً.

7. إجابات التدريبات

تدريب (1)

1- الغرض التعليمي من المعيارية يتمثل في أنه يجب أن يكون لكل لغة قواعد ثابتة ومعايير صوابية باعتبارها نماذج يمكن احتذاؤها عند تعلم هذه اللغة أو تلك. وهذه المعايير توفر لهذه اللغة مستوى يجب المحافظة عليه.

2- أما الهدف الحضاري للمعيارية فهي تحافظ على العنصر الموحد للأمة وهي الفصحى، وكذلك توفر المعيارية للفصحى أسباباً من الاستمرار والازدهار.

تدريب (2)

1- إن ميادين البحث في الدراسات اللغوية المقارنة تشمل الجوانب اللغوية : الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية؛ من أجل الوصول إلى تفسير لما يحدث من تطور صوتي، أو من أجل إجراء المقارنات بين اللغات في الأفعال والمشتقات على المستوى الصرفي. وعلى المستويات الأخرى من أجل تأصيل الظواهر اللغوية.

2- أما الأهداف غير اللغوية من الدراسات المقارنة فتمثل في محاولة إثبات تفوق حضاري لبعض الأعراق والعقول على غيرها.

تدريب (3)

1- وضع المعاجم وملاحقة ما يصيب الألفاظ من تطور في معانيها، والكتب النحوية التي أقيمت على مادة مكتوبة في غير من وضعها، وكذلك كتب الدراسات اللغوية فإنها قد وضعت معايير تأصيلية للتحليل اللغوي والظواهر اللغوية من خلال التتبع الدقيق للبنى اللغوية صرْفاً ونحواً ودلالة، نحو كتاب الخصائص لابن جني والصاحبي في فقه اللغة لأحمد بن فارس.

2- للدراسات اللغوية التاريخية ضرورة قصوى في بناء قواعد اللغة على المسموع من اللغة ولا يمكننا معرفة ما أصاب البنى اللغوية من تطور دون الرجوع إلى الصورة التي كانت عليها، وكذلك لا يمكننا معرفة أصول اللغات دون الرجوع إلى تاريخها، كذلك يضطرنا في كثير من الأحيان الانحسار اللغوي وانتشاره للعودة الى الماضي.

تدريب (4)

1- الفروق كالتالي :

المنهج التاريخي	المنهج الوصفي
1- يعتمد على الصورة المكتوبة من اللغة.	1- يقوم على الصورة المنطوقة منها.
2- الاهتمام بدراسة الفصحى.	2- الاهتمام باللهجات المحلية عند دراستها.
3- همّه تفسير الظواهر اللغوية.	3- ينصب على استنتاج الحقائق اللغوية من خلال الواقع اللغوي.
4- وصف الظاهرة اللغوية في مرحلة زمنية سابقة ثم تفسيرها.	4- وصف الظاهرة اللغوية وقت حدوثها في مرحلة زمانية معينة ثم القيام بالفحص والملاحظة والتحليل والاستنتاج.

2- نطق القاف القياسي (المعياري) : إنها صوت طبقي، أي يرتفع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق فيسد المجرى أو يضيقه تضييقاً يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما.

وهي صوت لهوي (نسبة الى اللهاة وهي عضلة صغيرة متصلة بنهاية سقف الحنك) وهي صوت مجهور، انفجاري (شديد) أيضاً، وهو وصف اللغويين العرب.

وبمقارنة نطقها في اللغات السامية يستدل على نطق تاريخي قديم لها وهو أنها صوت شديد مهموس، وهو النطق الذي يسُمع من أفواه مجيدي القراءات القرآنية.

وقد حدث لهذا الصوت تغييرات وإذا أردنا أن نقوم بدراسة وصفية لنطقها في وقتنا الحاضر، وعلى مساحة الوطن العربي سنجد أنها تنطق :

همزة في البيئات الحضرية من مصر والشام، وتنطق غيناً في السودان وأحياناً في جنوبي العراق وبلدان الخليج العربي فيقال : الاستغلال في الاستقلال.

وتنطق جيماً في بلدان الخليج أيضاً فيقال : فريج، وصدج في (فريق وصدق). فتنطق صوتاً أقرب إلى الكاف في ريف فلسطين فيقال : كال في قال، وفي السودان وكذلك. فتنطق كذلك صوتاً مزدوجاً كالجيم القاهرية في كثير من بلدان الوطن العربي خاصة في شمال إفريقيا، أي تنطق كما ينطق صوت G في الإنجليزية كما في Good.

8. المراجع



1- أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، ط5، القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية، 1975م.

2- باي، ماريو، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، طرابلس : ط جامعة طرابلس، 1973م.

3- بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، الرياض : ط جامعة الرياض، 1397هـ 1977م.

4- بشر، كمال، الأصوات (من علم اللغة العام)، ط1، مصر : دار المعارف.

5- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، بيروت : دار الهدى للطباعة والنشر، بلا ت.

6- الحاج صالح، عبد الرحمن، مدخل إلى علم اللسان الحديث 3، مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، الجزائر : 1972م.

7- حجازي، محمود، أسس علم اللغة العربية، القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر، 1979م.

- مدخل إلى علم اللغة، القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر، 1978م.

8- حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية. الدار البيضاء : دار الثقافة، 1958م.

9- الراجحي، عبده، النحو العربي والدرس الحديث، بيروت: دار النهضة العربية، 1979.

10- السامرائي، إبراهيم، التطور اللغوي التاريخي: ط3، بيروت : دار النهضة العربية، 1979م.

11- سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب : تحقيق عبد السلام هارون، ط2، القاهرة : الهيئة المصرية العامة، 1977م.

12- شاهين، عبد الصبور، في التطور اللغوي، ط2، بيروت : مؤسسة الرسالة، 1405هـ 1985م.

13- عمايرة، إسماعيل، المستشرقون ومناهجهم اللغوية،ط1، إربد : دار الملاحي للنشر والتوزيع، 1408، 1988م.

14- عبد التواب، رمضان، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ط1، القاهرة، الرياض : مكتبة الخانجي، دار الرفاعي، 1982م-1403هـ.

15- فندريس، جوزيف، اللغة، تعريب الدواخلي والقصاص، مصر : لجنة البيان العربي، مكتبة الإنجلو المصرية، 1950م.

16- المسدي، عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، ط1، تونس ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1982م.

17- مصلوح، سعد، الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية، ط1، القاهرة : دار الفكر العربي، 1404-1982م.

18- مونين، جورج، تاريخ علم اللغة، ترجمة بدر الدين القاسم، دمشق : مطبعة جامعة دمشق، بلا ت.

19- مييه، أنطوان، علم اللسان، ترجمة د. محمد مندور (ملحق بكتابه النقد المنهجي عند العرب)، القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر، بلات.

المصطلح	Term
أ	
إبدال	Ablaut
إبدال الأصوات	Replacement Sound Shift
احتكاكي	Fricative
الإحصائي (منهج وصفي)	Statistical
الإدغام	Syncope/ Complete assimilation
ارتفاع المعنى (رقي المعنى)	Enhancement
ازدواجية	Diglossia
أسرة لغوية	A Family of Languages
أسلوب	Style
أسناني	Dental
أشباه العلل	Semi vowels
اشتراك لفظي	Polysemy/ Homonymy
الاشتقاق	Derivation
إطباق	Velarization
التحييد	Neutralization
إعراب	Inflection
أعضاء النطق	Organs of Speech
الاقتراض	Borrowing
الإمالة	Imalut
انتقال (المعنى)	Transition
(الانثروبولوجيا)(اللغوية)	Linguistic Anthropology
انحطاط المعنى	Pejoration
انفجاري (صوت)	Plosive
أنفي	Nasal
ت	
التاريخي (المنهج)	Diachronic (Historical)
تبديل	Alternation
تبسيط الصوت	Simplification
تجويف أنفي	Nasal Chamber
تجويف الفم	Mouth Cavity
تحليل	Analysis
تحويل	Transformation
تخفيف	Diluteness
ترادف	Synonymy
تركيب	Structure, Construction, Composition
تسكين	Consonantness
تسهيل	Liaison
تصريف	Declension
تصنيف اللغات على أساس القرابة	Genetic Classification
تضييق المعنى	Narrowing of Meaning
تضاد	Antonymy
تطور صوتي	Sound Change
تطويل الصوت	Lengthening
تعدد اللغات	Multilingual

Multiple Meaning تعدد المعنى
Arabization التعريب
Definition التعريف
Sound Change التغير الصوتي
Semantic Change تغيير دلالي
Zero Change التغيير الصفري
Contrast تقابل
Shortening تقصير (الصوت)
Intonation تنغيم
Widening Meaning توسيع المعنى

ث

Static ثابت
Culture ثقافة
Bilingualism ثنائية اللغة

ج

Unilateral جانبي
Genitive جر (إضافة)

ح

Case حالة
Nominative حالة الرفع
Resonating Chamber حجرة الرنين
Discourse حديث
Haplology الحذف (الصوتي)
Preposition حرف الجر
Vowel الحركة
Diphthong حركة ثنائية
Long vowel حركة طويلة
Short vowel حركة قصيرة
Redundancy حشو
Guttural (Pharyngeal) حلقي (صوت)
Larynx الحنجرة
Glottal حنجري
Palate الحنك

خ

Cuneiform الخط المسماري

د

Significant الدال
Pitch درجة الصوت
Sound Symbolism الدلالة الذاتية الطبيعية

ذ

Vibration ذبذبة

ر

Lungs الرئتان
Informant الراوي اللغوي
Regressive رجعية (مماثلة)
Sonority الرنين

س

Prefix سابقة
Characteristics سمات

Uvular	لهوي		ق
Uvula	اللهاة	Law of Least Effort	قانون الجهد الأقل
Slang	لهجة عامية	Wind-pipe	القصبة الهوائية
	م	Interversion (metathesis)	القلب
Voiced	مجهور	Phonetic Laws Sound Laws	قوانين صوتية
Dissimilation	المخالفة	Analogy	قياس
Point of articulation	مخرج الصوت		ك
Derivatives	مشتقات	Syllabic Script	الكتابة المقطعية
Stressed	مشدد	Quantitative	كمّـي
Conditional	مشروطة		ل
Idiom (term)	مصطلح	Suffix	لاحقة
Grammatical Meaning	المعنى النحوي	Solecism	اللحن
Prescriptive	معياري	Lisping	اللثغة
Contrast	مغايرة	Alveolar	لثوي
Emphatic	مفخم	Isolating Languages	اللغات العازلة (المفردة)
Phonemic Substituation	مقابل استبدالي (استبدال فونيمي)	Indo-European Languages	اللغات الهندية الأوروبية
comparative	مقارن	Agglutinative Language	لغة لاصقة
Syllable	مقطع	Standard Language	لغة معيارية
Immediate Constituents	مكونات مباشرة	Liturgical Language	لغة مقدسة
Features of Sounds	ملامح الأصوات	Linguist	لغوي
Distinctive Features	ملامح تمييزية	Dialect	لهجة
Assimilation	مماثلة		

مهمل (من الكلمات)	Archaism
مهموس	Unvoiced
مورفيم	Morpheme
المولد	Creole
ن	
النبر	Accent/Stress
نبر أولي	Primary Accent
نبر ثانوي	Secondary Accent
النحت	Sandhi
نظام	System
هـ	
الهمزة	Glottal Stop
و	
وتر صوتي	Vocal Cord
وحدة	Unit
الوصفي	Synchronic
	Descriptive



هذا الكتاب

يحدد الإطار العام لأنظمة العربية ، وقضاياها فى الماضي والحاضر ، وخصائصها وعلاقتها بغيرها من اللغات ، واتجاهات البحث فيها، ومن أجل أن نفي هذه المسائل حقها من البحث والدرس والتحليل فنصل إلي الغاية المرجوة .

ويأتى هذا الكتاب فى ست وحدات هي: (مفهوم علم اللسان العربي ، أصالة جهود علماء العربية القدماء فى علم اللسان، أصول العربية ، العربية الفصحى واللهجات ، العربية والتطور اللغوي ، العربية والمناهج اللغوية).



الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات

P.O Box: 203 Heliopolis 11757 Cairo - Egypt
Mobile: 002-010-1763677 Mobile: 002 - 010 - 3401184
E-mail: info@uarab.net u_arab@yahoo.com Web : www.uarab.net